شرح الحكم العطائية

المسمّى بـ (تلخيص الحكم)

تأليف

الشيخ نور الدين البريفكاني

محمد أحمد مصطفى الكزبري



الناشر العربي

٨ شارع الصحافة بولاق القاهرة

ت ٧٧٩٢٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ٠

وبعد : فان الشعوب والامم ، تباهى برجالها الافذاذ ، وتتفاخر بعباقرتها من الرجال الذين برزوا فى ميادين العزة والكمال ، سواء كان الرجل عبقريا فى ميدان العلوم والتكنولوجيا ، أو عبقريا فى ميدان الاصلاح الاجتماعى ، أو القانونى ، أو كان عبقريا فى ميدان السياسة ، أو كان بطلا فى ميدان الوغى ، ويتفاخرون حتى بأولئك القتلة الذين غزوا الناس وقتلوا الابرياء وسلبوا الاموال وهتكوا الاستار واستحلوا المحرمات ٠ لست اقصد بما ذكرت أن أصادر على الناس مصادر مباهاتهم ، أو أن أضع لهم مفهوما جديدا وميزانا آخر لما هو الجدير بالاعتزاز وما هو غير جدير به ٠ فان لكل أمة من الامم كل الحق فى ان تعتز بأبنائها الملهمين المتفوقين ، وان تجعل لنفسها ميزانا حسب رغبتها للتفاخر بأبنائها ، غير أن الذى اقصد - انما أشكوبثى وحزنى الى الله - انه لماذا يصادر على شعبنا التفاخر بأبنائه ، ويجعل له ميزانا لعظمة رجاله بعيدا عن رأيه وارادته ، وعلى كل حال فان الانسان بامكانه فهم هذا اللغز وادراك كنه هذا الامر ، لكن الذى يحير الانسان ويؤذيه ، ويزيد الاسى والحزن فى كبده ، هو أن أبناء شعبنا قد تفرقوا الى شيع وجماعات تؤيد كل فرقة نظرية وافكار اناس يعيشون خارج حدود قوميتهم الذين يروجون لهم من الافكار ما يجعلهم عبيدا لهم من الناحية المادية والاعتقادية وشعبنا البسيط يرى تلك النظريات حقيقة مقدسة يعادى بعضه بعضا على أساسه ٠

فهناك ترى رجالا شجعانا يستحقون بكل جدارة أن يكونوا فى مصاف من شيد لهم الهياكل والتماثيل ويوضع على قبورهم اكاليل الزهور ، لكن بعضا من أبناء شعبنا يلعنونهم ويرجمون قبورهم بالحجارة، لان افكارهم المستوردة توحى لهم باهانة هؤلاء الابطال ، وترى رجالا

مصلحين من ذوى النفوس الطاهرة يستحقون بكل جدارة أن يكونوا قدوة وسادة ، وأن تكون المبادىء التى شيدوها وتحملوا الشدائد من أجلها نبراسا يهتدى بها هذا الشعب ، لكن بعضا من ابناء شعبنا لا يعير لهم أى اهتمام وبعضهم يكرهونهم ، لأن سادتهم يرون فى تلك المبادىء جمع شمل الكرد وتوحيد كلمتهم ، وهذا يؤدى الى الاضرار بمصالحهم .

هذه حقائق ملموسة ، غير أننا لابد أن لا نغالى فيها ، بل هناك عدا البساطة فى تقبل الاراء والافكار ، عوامل أخرى فى طمس معالم الشخصيات ، والعباقرة من الاكراد ، وهى عوامل اقتصادية ونفسية واضحة ، نترك شرحها اعتمادا على ذكاء القارىء الكريم . فلنترك العموميات ، ولندخل فى صلب موضوعنا .

ان شخصية الشيخ العلامة « نور الدين البريفكانى » قدس سره قد شغل بالى منذ مدة من الزمن ، وقد بذلت مافى وسعى من الجهد المادى والعلمى فى جمع المعلومات والمصادر التى تبحث عنه ، فلما جمعت من المصادر والمخطوطات المنسوبة الى هذا الجناب المفضال قدرا لا بأس به فباشرت بكتابة الموضوع ، وكان سبب شغفى بهذا الرجل العظيم ان جدى غفر الله له ، قد شغفه حبا وكراما واعجابا ، وكان يذكره كثيرا ويثنى عليه، وكثيرا مايذهب الى بريفكان مشيا على الاقدام لزيارة ضريحه ولازلت اذكر هيئة جدى وكلامه عندما كنت صغيرا ، فكان رضى الله عنه رجلا ربعة القوم يميل الى الطول وكان ذا لحية كثة ووجه ابيض مشرب بالحمرة ، وقد منحه الله قسطا لابأس به من الجمال الموهوب للانسان الكردى ، وكان يحبنى جدا ويلاطفنى ويراعينى أكثر من أولاده وأبناء عمى ، وكنت أصحبه كثير عندما يذهب الى الجامع أو الى بيوت أصدقائه حينما كان يزورهم ، وانى وفاء لهذا الجد الحنون ولشبخه ، بادرت الى الكتابة عن هذا الرجل العظ والولى التقى الورع الشهم الشجاع الذى تمكن من قهر شهواته وتهذيب أخلاقه واصلاح المجتمع الذى كان يعيش فيه .

غير انى اظهارا للحق والحقيقة أعترف بأنى بعدما اطلعت عا

مؤلفات الشيخ ورسائله وأشعاره وتاريخ حياته المدون من قبل علماء عصره ، **أعجبت بهذه الشخصية الفذة اعجابا لا مزيد عليه ، لاننى تأكدت وأيقنت بأنه لو كان لشعبنا المغدور المقهور**
عدة شخصيات من طراز الشيخ ـ قدس سره ـ لتوحدت كلمته ، وجمع شمله ، وفاز بالسعادة والأمن والاستقرار والمحبة والثقة المتبادلة بين أفراده . وتحرر من الرذائل الخلقية والجشع المادى ، وتحرروا من الحقد والحسد والتباغض والتدابر والتقاتل فيما بينهم ، والاستيلاء على الأموال ، من طريق الغش والغصب والسرقة وبيع الأحرار من أبناء جلدتهم الى الأعداء ، لله در القائل :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت

وان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

فقد جمع ـ رضى الله عنه ـ بين حوالى مليون نسمة ، وآخى بينهم أخوة صادقة ورباهم **على الصدق والاخلاص والمحبة والاخلاق** الفاضلة
لقد جمع الكرد والعرب فى كل من محافظات الموصل وأربيل ودهوك وجنوب تركيا وقسم من محافظة السليمانية تحت شعار (ان اكرمكم عند الله اتقاكم) (١) ، وتحت شعار : ارتفعوا عن القرابة الطينية واعتبروا القرابة الدينية (٢) :

جمعهم ورباهم على التواضع والقناعة والشفقة والادب وحسن الخلق ، وتحمل الأذى من الناس والاحسان الى الخلق دون أن يطلبوا جزاء أو شكورا .

وليس من شك ان الذى يجمع تحت قيادته هذا العدد الهائل من البشر من مختلف الاجناس ، من غير سلاح ولا عتاد من غير خوف ولا رهبة ، لابد أن يحمل قلبا يسعهم كلهم ، وأن يملك خزينة من الأنوار والأسرار تملأ عيونهم ، وتشبع رغباتهم ، وتسد حاجاتهم ومطامحهم الشريفة .

---

(١) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢) اشارة الى ما كتبه الشيخ فى اجازة تلميذه الشيخ سليمان بك الموصلى راجع ص ...

ولو كان لنا عدة أشخاص من طراز الشيخ نور الدين – قدس سره لكان للعلماء والصلحاء والأمراء من هذا الشعب تاريخ يخلدهم ويبقى ذكرهم الى الابد (٣) . ولكان لنا تاريخ حافل بالامجاد والمآثر والمواقف البطولية ، ولم يستطع الأغيار أن يطمسوا معالم تراثنا ، أو يخفوا بطولات رجالنا ، أو يسرقوا شخصياتنا الافذاذ ويلحقوهم بتأريخ رجالهم .

الشيخ نور الدين – رضى الله عنه – يستحق أن يخلد بكتابة ترجمته ؛ لانه خلد الناس بكتاباته القيمة ، وخدمهم بأحياء اثرهم .

ويستحق أن نبذل الجهود فى نشر مؤلفاته ، لأن كتاباته كانت خالصة لوجه الله ولخدمة الصالحين من أبناء شعبه .

يستحق أن يفوز باحترام أبناء شعبه ، لأنه وقف مواقف مشرفة ، وضحى بكثير من المطامع المالية فى سبيلهم كما يظهر جليا من رده على على رضا باشا بهذا الاسلوب ، ونقده ليحيى بك الجليلى والى الموصل ، وامتناعه من ذم مير محمد الكبير الرواندزى الشهير (باشاى كوره) .

وفضلا عن ذلك فان مؤلفاته مصدر نور وهداية لأربابه ، وآية فى الفصاحة والبلاغة لمن يدقق فى معناها ومغزاها .

اللهم لا تحرمنا من الرجال الصالحين المخلصين الذين يخدمون دينهم ووطنهم ، الذين يتحملون الأذى والمشقة فى سبيل اسعاد الآخرين ، الذين يقودون شعبهم الى شاطىء العز والسلامة والكرامة .

محمد الملا احمد الكزنى
قرية كزنة محافظة اربيل
٥ – ١ – ١٩٨٠

---

(٣) هذا اشارة الى كتاب « حجة اللهجة » الذى يشتمل على تراجم معظم أولياء وصلحاء الكرد . وهو من تاليف الشيخ نور الدين .

احوال المنطقة السياسية فى عهد الشيخ نور الدين

قرية بريفكان تابعة لقضاء شيخان ، وهى من قرى عشـــيرة مزورى (زيرى) السفلى ، ومنطقة شـيخان حسب قول المؤرخين كانت منطقة مضطربة ، حيث تقع مرة تحت سيطرة البادينانيين ، وتارة تحت سيطرة السورانيين ، وأحيانا كانت تقع تحت سيطرة امراء شيخان أنفسهم (أى اليزيديين) لأن أغلب أهالى المنطقة من اليزيدية (١) ، وعشـيرة المزورى التى يعتبر الشـيخ من ضمنها كانت تقع فى صراع مستمر مع اليزيديين حيث قتلوا على اغا البالاتى عم العـــلامة ملا يحيى المـــزور فى حوالى سنة ١٢٤٦ فى قرية بالاته وهى على مقربة من بريفكان من جهة الغرب فجاء الملا يحيى المزورى الى (محمد باشا) الرواندزى وطلب منه الثأر لعمه وأصر على ذلك وأصدر فتوى باباحة دم اليزيدية وحكم بكفرهم فعند ذلك اضطر (محمد باشا) الى اجابة طلبه فسار بجيش كبير الى اليزدية فهجم عليهم هجوما شديدا وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وذلك سنة ١٢٤٧ هـ ١٨٣١ (٢) وفى سنة ١٢٤٩ استولى على مدينة (عقرة) وطرد حاكمهـا اسماعيل باشا ، ثم سار الى (الزيبار) التى كانت خاضعة لـ « سعيد باشا » أمير « العمادية » فأخرجه من تلك البلاد وأقام مكانه فى الحـكم موسى باشـا » الذى كان لاجئا اليه وكا ادينـــان) ومنافسا لـ « سعيد باشا » لكنه بسبب عدم تمكن « موسى باشـــا » من السيطرة على الوضع استبدله بـ « رسول بك » أخى مير محمد (٣) .

وبالنسبة الى (عمـادية) و (عقـــرة) و (زاخو) بعـــد وفاة « اسماعيل باشا » بن « ســـعيد خان » سنة ١٢١٣ هـ انقسم أولاده على أنفسهم ، وهم « قباد بك » و « محمد طاهر » و « مراد خان » و « عادل »

---

(١) القومية الكردية تأليف هادى رشيد جاوشلى ص ١٠٥ .

(٢) انظر خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ج ١ ص ٢٢٩ .

(٣) انظر المصدر السابق ص ٢٣٠

وراجع أيضا ما كتبه هزار على شرفنامه ص ٥٠٨ .

ء « زبير باشا » حيث عين (مراد خان) فى مكان أبيه ، فقاتل مع أخويه: محمد طاهر ، وقباد بك سنة ١٣١٤ حيث تدخل والى الموصل لوقف القتال ، وفى سنة ١٢١٥ هاجم الجيش العثمانى عليهم فسلخوا (العقرة) من ولاية « العمادية » وسلموها لاخيه « قباد بك » ثم سيطر « قباد بك » على « العمادية » أيضا ، وفى سنة ١٢١٨ هاجمت عشيرة مزورى « قباد بك » وأسروه وفى سنة ١٢٢٠ حدث هجوم عام من قبل والى بغداد ، وأمير السوران ، والبابان ، ووالى الموصل على قلعة العمادية ، وبعد الاستيلاء على القلعة واختلاف الامراء حول مصير القلعة ، سلمت الى « عادل باشا » وبعد وفاته سنة ١٢٢٣ عين أخوه « زبير باشا » فى مكانه ، ثم ان أمر قلعة العمادية الى « سعيد باشا » ثم ال الى « أمير محمد الرواندزى » ، وكانت العلاقة بين أمراء العمادية وولاة الموصل فى توتر دائم (٤) .

فهذه الحروب والمشاحنات والتقاتل على المناصب كانت بمرئى ومسمع من الشيخ ، وربما أثر على مشاعره ، لذلك ترك الدنيا وكره الولاة والامراء ، وابتعد عن السياسة، وأوصى أتباعه بالابتعاد عن هؤلاء الامراء واعتبرهم ظلمة .

لذلك فان ما قاله صديق الدملوجى : « كان من الافضل للشيخ نور الدين أن يعيد اليزيدية الى الهداية والاسلام » قول : مردود ، لانه لو دخل مع اليزيديين فى صراع مسلح كان من الصعب أن يصدق أن جراعه معهم كانت لغاية نزيهة ، حتى ولو كانت غايته نزيهة ، ويمكن لولاة الموصل وأمراء السوران والباديان أن يستغلوه لاغراضهم الدنيوية ، لذلك أعتقد بأن ما قام به الشيخ فى تلك الفترة ، وهو الحياد والابتعاد عن السياسة ، والاستقلال ، واتهام المتقاتلين بانهم مفرقو الشعب الكردى ،

---

(٤) أنظر ما كتبه هه زار فى هامش شرفنامه ص ن ٢٧٠ ، وغرائب الاثر لياسين العمرى من ٨١ .

ومضعفوا الامة الاسلامية ، كانت سياسة حكيمة نابعة من الضمير الحى والاشفاق على الشعب ، وما قام به هو الهام من الله ، والا فان الرجل المقدس الذى يطيعه ويقدسه ٧٥٠ر٠٠٠ مريد لو تحرك بالاتجاه المعاكس كما يريده الدملوجى وامثاله صارت المنطقة بحرا متلاطما من الدماء ، لان جيوش الامراء الذين كانوا يدوخون المنطقة انذاك لاتزيد على ١٠٠ر٠٠٠ نسمة فكيف بـ ٧٥٠ر٠٠٠ مريد متفانين فى سبيل اطاعته ٠

* * *

الحالة العلمية فى عهد الشيخ

لقد كانت الحالة العلميـــة مزدهرة الى حد ما فى تلك الفترة حيث كان امراء الاكراد يقومون بخـــدمة المساجد والمدارس والعلماء ويهتمـــون بشئونهم ويحترمونهم خاصة منهم مير (محمد الروانـدزى) المشـــهور بـ « باشاى‌كوره » فكان هناك فطاحل العلمـــاء مثل أبى بكر الاربيلى ، **والشيخ هداية الله الاربيلى ، ومحمد القاضى الماورانى ، والعـلامة على** الوسانى ، وقاضى داود الدبرى الذى هو من اجداد الاسـتاذ الملا طـه الكورى ، **والعلامة ملا محمـد الهرشمى ، وهو** جـد الشيخ مصطفى النقشبندى ، **والفاضل البيتوانى ، والعلامة الملا محمد الخطى** ، والعـلامة الملا حسين **البشدرى ، والعلامة محمد فيض الزهاوى** . والعـلامة الملا محمد **بن آدم ، والعلامة عيسى صفاء الـدين البندنيجى** (المنـدلى) . والعلامة الشيخ **طه السورسورى ، والعـلامة أسعد المجلى ، وهو** جـد العلامة الملا محمد الكوبى الشـهير بـ (مـلاى كه ره) العـام الكبير ، **والعلامة عبد الرحمن الروز بهانى** ، والعلامة **يحيى المزورى** ، والعـلامة **محمود بن محمد العمر كنبدى** ، **والعلامة المعمر عبد الله الكلالى** . والعلامه أحمد المبركى ، **والعلامة محمد أمين الشيخانى** ، والعلامة أحمـــد العمر كنبدى ، والعـــلامة **عبيد الله الحيـدرى** ، والعـــلامة ابراهيم فصيح الحيدرى (١) وغيرهم من العلماء .

* * *

---

(١) راجع عنوان المجد من ص ١٤٠ الى ص ١٥٠ .

نسبه :

هو الشيخ العارف نور الدين بن السيد الشيخ عبد الجبار بن السيد الشيخ نورى بن السيد أبى بكر بن السيد زين العابدين بن الشيخ شمدين المشهور بكونه قطب وقته وشمدين بلغة الكرد بمعنى شمس الدين (١) ابن السيد الشيخ عبد الرحمن بن السيد الشيخ شمس الدين بن السيد الشيخ عبد الكريم بن السيد الشيخ موسى بن السيد الشيخ سليمان ابن السيد الشيخ عبد الغنى بن السيد الشيخ اسحاق بن السيد بابا منصور قدس سره بن السيد الشيخ حسين الاخلاطى الحسينى الذى توفى سنه ٦١٦هـ بن السيد الشيخ على الموحد بن السيد الشيخ حاجى نظام الدين بن السيد الشيخ احمد بن السيد الشيخ زين العابدين على المشهور **بزورداني الخراساني قدس سره ، وهو خلف الملا محمد الجهلتاتانى** والشيخ الخراسانى المذكور أخذ الطريقه من الشيخ زين الدين الخوافى (٢).

الى هنا اتوقف ، لان كلا من **الشيخ نور الدين قدس سره** ، والشيخ **عبد الحميد قدس سره توقف هنا** . **وهذا لا يعنى اننى أشك فى** أن الشيخ **نور الدين ينتمى نسبه الى الامام حسين بن على بن أبى طالب** ، **ولا يعنى** أن الشيخ نفسه **كان فى شك من هذا النسب** . بل يعنى أن ما بعد الشيخ على الخراسانى لم يضبط على وجه الدقة . ويعنى أيضا أن الشيخ قدس سره لم يكن مهتما بالنسب بل كان مشغولا بالطاعة والعبادة ، وكان همه الفضل والعزة من العبادة وتقوى الله ، لا فى الانتساب الى الحسن والحسين - رضى الله عنهما - وكان - قدس سره - يعتبر سلسلة الآباء القرابة دينية ، وسلسله أسانده الطريقة القرابه الدينية . ويعبر

---

(١) انظر مرآة حقائق الطريق ، ورقة ١١٦ و ١١٧ .

(٢) كما ورد فى كتبه الشيخ العارف عبد الحميد بن الشيخ شمس الدين بخط يده سنة ١٣٠٠ وفى قصيدة الشيخ نور الدين نفسه التى مطلعها :

طـــال شوقى وحنـ كـــل فؤادى

وغـــرامى قـــد ثار للأجـــداد

القرابة الدينية أفضل وأقرب الى الرسول (ص) من النسب الطينى حيث ورد فى الاجازة التى كتبها الى تلميذه الشيخ سليمان بك بن عبد الرحمن بك الموصلى (٣) **(ثم اعلم أن الأقربين على نوعين قرابة طينية وقرابة دينية . والأولى قرابة النسب ، والثانية وهى المعتبرة فى الشرع هى** القرابة الدينية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يتوارث أهل الملتين (٤) » فلولا قرابة الدين ما ورث قرابة الطين شيئا) وقد أطال فى بيان ذلك .

ويحضرنى هنا ما سمعت مرات عديدة من فضيلة الأستاذ عبد الرحيم البرخى كان يقول : ان العلامة المفضال الاستاذ ملا عبد الرحمن البينجوينى كان ينتمى نسبا الى الشيخ شمس الدين القطب أى انه أبناء عم مع شيوخ **أتروش** ، وكان يزوره الشيخ سعيد والد شيخ محمود الحفيد وكان يلح عليه أن يعرف نفسه بسيد البينجوينى والشيخ ، لا الملا البينجوينى ، وكان يجيبه ويقول : يا شيخ ان كان المقصد الشهرة ومنافع الدنيا فان علمى يكفينى وان كان المقصد القيامة فالله يعرف كل شىء . ومما ينسب الى الأمام على كرم الله وجهه قوله :

الناس من جهة التمثيل أكفاء
أبوهم آدم والأم حواء
نفس كنفس وأرواح مشاكلة
وأعظم خلقت فيهم وأعضاء
فان يكن لهم من أصلهم حسب
يفاخرون به فالطين والماء
ما الفضل الا لأهل العلم انهم
على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدر كل امرىء ما كان يحسنه
والجاهلون لأهل العلم أعداء (٥)

---

٣ ــ انظر مبض الجمال ، ورقة ١٠٧

٤ ــ هذا الحديث رواه الترمذى عن جابر انظر سنن الترمذى أبواب **الفرائض رقم الحديث ١٩١ .**

٥ ــ أنظر تفسير القرطبى به ١٦ ص ٣٤٢

وعن ابن عمر رضى الله عنه ان رسول الله (ص) خطب الناس يوم فتح مكة قال : « أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم عبيـــة الجاهليـة وتعاظمها بآبائها ، فالناس رجلان : رجل بر تقي كريم على الله ، وفاجر شقي هين على الله . والناس بنو آدم وخلق الله آدم من التراب » (٦) .

وعن مالك الأشعرى : أن رسول الله (ص) قال : « ان الله لا ينظر الى أجسادكم ، ولا الى أنسابكم ، ولا الى أجسامكم ، ولا الى أموالكم ، ولكن الى أجسامكم ، ولا الى أنسابكم ، ولا الى أجسامكم ، ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليـــه ، وانمـا أنتم بنو آدم ، وأحبكم اليه أتقاكم » (٧) وروى البخارى عن أبى هريرة رضى عنه : قال : سئل رسول الله (ص) أى الناس أكرم ؟ قال : « اكرمهم عند الله أتقاهم » (٨) وروى الامام أحمد ـ رضى الله عنه عن ابى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « أنظر فانك لست بخير من أحمر ـ ولا اسـود ـ الا أن تفضله بتقوى الله » (٩) وروى الطبراني ان رسول الله (ص) قال : « المسلمون اخوه لا فضل لاحد على أحد الا بالتقـوى » (١٠) وروى البزار فى مسنده عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب ، ولينتهين قوم يفخـــرون بآبائهم ، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان » (١١) وروى الطبرى عن ابى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : رسول الله (ص) « لينتهين أقوام يفتخـرون بفحم من فحم جهنم او يكونوا شرا عند الله من الجعلان التى تدفـع النتن بأنفها ، كلكم بنو آدم وآدم من تراب » (١٢) .

---

٦ ـ أنظر سنن الترمذى أبواب تفسير القرآن رقم الحـديث ٣٣٢٤ . وتفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤١ .

(٧) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤٢ .

(٨) رقم الحديث ٤٦٨٩ تفسـير سورة يوسف ، فتح البـارى ٨/٣٦٤ .

(٩) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٧ .

(١٠) نفس المصدر السابق .

(١١) المصدر السابق .

(١٢) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٩٤ .

وروى الامام أحمد عن عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ قال رسول الله (ص) : « ان انسابكم هذه ليست بمنسبة على أحد ، كلكم بنو آدم طف الصاع لم تمنعوه ؟ ليس لاحد على احد فضل الابدين وتقوى ، **وكفى بالمرء أن يكون بذيا بخيلا فاحشا »** (١٣) **وروى عن ابن عباس** ان رسول الله (ص) قال : « ما بنو هاشم بأولى الناس بأمتى ، ان أولى الناس بأمتى المتقون ، ولا قريش بأولى الناس بأمتى ، ان أولى الناس **بأمتى المتقون »** الحديث (١٤) **وروى المسلم عن عبد الله بن عمر وقال :**

سمعت رسول الله (ص) يقول : « ان آل أبى ليسوا لى بأولياء انما **ولىى الله وصالح المؤمنين »** (١٥) . **وقال تعالى « ان اكرمكم عند الله اتقاكم »** (١٦) **والاحاديث والآيات فى هذا الموضوع كثيرة جدا ، ولكنا** اكتفينا بهذا القدر لضيق المجال . وغرضنا الاساسى من ايراد هذه الاحاديث ، ان نؤيد ونستدل على ان الشيخ نور **الدين قدس سره كان محقا فى عدم اهتمامه بسلسلة النسب ، وان قوله :** « والثانية وهى المعتبرة فى الشرع هى القرابة الدينية (١٧) . وان الذين **يتهمون الشيخ قدس سره باهمال سلسلة النسب ، هم متهمون بالخطا** والاسراف فى العناية بشىء نهى الشرع الشريف عن العناية به ، لله در **القائل :**

نحن بنو الاسلام والكل واحد

وأولى عباد الله بالله من شكر

اننا ذكرنا هذه النبذة المختارة من أحاديث الرسول (ص) لعلنا افدنا القراء الكرام ، غير اننا مصرون على أن الشيخ ـ قدس سره ـ **هو ابن الرسول (ص) ونحن فى ذلك نستند الى اقواله ، لأنه ثقة ثبت**

---

(١٣) انظر تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٢١٨ .
(١٤) انظر تفسير القرطبى جـ ١٦ ص ٩٤ .
(١٥) انظر تفسير القرطبى ج ١٦ ص ٣٤٦ .
(١٦) سورة الحجرات ـ الآية ١٣ .
(١٧) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٠٧ .

بل حجة ، وصرح مرات عديدة بأنه من اولاد الرسول (ص) منها قوله :

تسلل بالعرفان منـه عبودتى
فيجمعنى فى الله من أصلى الصلب

فالشراح كلهم على أن مراده بـ (أصلى) القرابة الروحيـة الدينية الفاضلة من رجال سلسلة الطريقـة الى رسول الله ، مع القربة السلالية الفرعية الجسمية الحسية الى رسول الله (ص) ، أى أنه - قدس سره - حائز على النوعين من القرابة ، لذلك يجمعه فى الله من أصلين (١٨) وقال أيضـا :

وجادت على أثر الرسـول شريفـة
وظنت حقيقا ما تقـدمت الصحب

ويقول قدس سره :

يا ابنى فقم الجرىء الرعـا ب عـداك بأعـداد السلح

وقد نقل الشيخ حسن الدرعزلى عن الشيخ نور الدين - قدس سره - أنه قال :

رأيت فى منامى الجد الامام حسن العسكرى يقبـل وجهى ويقول ترغيبا فيما أنا بصـدده من الذهاب الى الله : يا بنى فقم الجـرىء ، البيت (١٩) ، ويقول - قدس سره - أيضا :

نورى بريفكى (أصـل) ى نه و
به لكى (حسين) ه (نسل) ى نه و
تير ل دلدا (صل) ى ئه و
ره ش نوزه كا كا (مسكه) ى

فانه يقول : نورى ويقصد نفسه أصله من قرية بريفكان فهى مسكنه ومسقط رأسه ، لكنه من نسل الحسين رضى الله عنه من حيث النسب .

---

(١٨) انظر فيض الجمال ، ورقه ١٤٨ .
(١٩) انظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١١٦ .

ويقول - قدس سره - أيضا :

خه ليفـــه ى ناصرى سنت
توى هەر ره هبه رى (أمة)

نه هى به ر (طالبى) (منت)
ز نەسلا شـــاهى (عدنان)

فانه يخاطب نفسه ويقول : أنت خليفة ناصر السنة ، وأنت هادى الأمة ، ولست طالب منة من أحد ، وأنت من نسل سيد ولد عدنان . فهذه الأقوال من الشيخ نور الدين - قدس سره - تدل على أنه متبقن من انه ينتهى نسبه الى الامام حسين بن على رضى الله عنهما .

كما أن هذه الأقوال لا تدل على انه كان يفتخر بالنسبة ، وهو الرجل المؤمن التقى المصدق لقول الرسول (صلعم) « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه » (٢٠) بل هو اجل من أن يفتخر بالانساب انه الرجل الشهم الذى صارع نفسه فصرعها وقاوم شهواته فقهرها ، انه يستحق أن يفتخرَ بهِ لا أن يفتخرِ هو بشيء ليس له فيه كسب ولا جهد . ويصرح الشيخ فى البدور ، فيقول : « فأنا الحقير السيد نور الدين ابن السيد عبد الجبار البريفكاني أصلاً ومولدا ، والأيتونى مسكنا ، والحسينى سلالة » (٢١) . ويقول - فى قصيدة أخرى - :

ب ئه صلى خوبربنكبمـــــــه
ب نه سـلى خـو حوبـه ينيمـــه
تيمـــــام وقوتبى وه ختيمـــــه
ده ليل و ربيـــــــه رم يارب

يعنى أنا أصلا من أهالى بريفكان لذا نسبتى بريفكى لكننى أنتمى من حيث النسل والسلالة الى الحسين بن على (ص) وانا قطب الوقت وامامه .

---

(٢٠) رواه مسلم فى صحيحه فى كتاب الذكر فى حديث طويل أوله « من نفس عن مؤمن كربة » رقم الحديث (٢٦٩٩) .

(٢١) انظر البدور الجلية ، الباب الثالث .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع غشاوة الغمة عن بصائر اهل الوداد بنور اصطفائه
الى اقوم مناهج الرشاد، وزكى نفوسهم عن الميل الى الدنيا حتى سلكوا
اعدل طريق الزهاد، وحلى قلوبهم عن الشرك بالاسنى المرضية بصحيح
الاعتقاد، واوردهم صفو اليقين حتى انحسمت في بواطنهم مادة الريب
والعناد، واترعت لهم كؤس الانام من كوثر غرائب العلوم بما تراد فيضه من
من الامداد، نعرف في وجوههم نضرة نعيم المعرفة وبشر التفكر بالمراد،
ونودي في سرائرهم ان هذا الذي عرفناه الله من نفاده هو الله ذو
الملكوت الموبده والجبروت السرمده والاسم المجده الدائم في ملكه وبقائه
المتفرد في ارضه وسمائه، الموحد في علوه وكبريائه، الذاكر من ذكره من اوليائه
المجيب من املة دعائه، المجزل وامتنانه وعطائه، المتطول بنعمه وآلائه،
المتفضل على خلقه يوم عرضه وجزائه، احمده على ما منح من السداد،
واشكره على ما منع من موجبات الابعاد، واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له شهادة دائمة التوابل الابد، واشهد ان سيدنا محمدا عبده
ورسوله المبعوث الى كافة العباد، فهم الهادين الذين يعلون باحكام الكتاب
والسنة ويتأدبون في الاقوال والافعال بكامل الآداب، ويلوذون بالصوم والصلاح
ترك المكروه والمباح، فيا اسعد من تدثر باذيال اهل الصلاح، ولا يبلغ الكمال الا بنفس

اهل الفلاح، فطرقتهم الراضية المرضية، من لوائح بوارق الاصطفائية، من بهآء حضرة
الولاية والجمالية، فهم العلماء العاملون، وهم الاتقياء الاكرمون، لهم الحال الوافي، والنظر
الصحيح الصافي، هم الانقياء الاولياء، هم ورثة الانبياء، اهل الذوق والكشف والفهم،
قال صلى الله عليه وسلم من عمل بما يعلم اورثه الله علم مالم يعلم فانوار طرقتهم على القائمين
بحقوقها لائحه، وانفاس طهاراتها من شمائل المتخلقين باخلاقها بائحه، ومعارف
التوحيد لصدورهم شارحه، وعوارف الصدق بقبول مواهبه على قلوبهم سارحه
اللهم فصل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله واصحابه الطيبين الطاهرين الى يوم التناد،
وبعد فهذا تلقين الذكر الشريف والباس الخرقة المباركة نفعهما عام للمسلمين الموحدين
اذ كانت شعار الاتقياء التائبين، ولم تزل العلماء الراسخون من الفقراء لها بالعناية
ينتقلون، اذ هي خرقة العناية من الله، ولباس الهداية في الله، واشارة الولاية
بالله، وهي حاملة روح الايمان وريحان الاحسان، ومتعبد صدق العرفان فاذا ذكر
وليسها المريد الخالص عاد له بها من صدق الوصال، وكامل الاتصال بصر يشهد الجمع الاول
فقد فاز من عليه عول، ولما كان تلقين الذكر والباس الخرقة علما للاسرار، وثارا
للمقربين الاخيار، وسلما لنيل الامانى والاوطار، ومنهجا للمريدين وسبيلا للمتعبدين
وكان التوصل الى ذلك بواسطة المشائخ الصوفية اهل المراتب السنية والمقامات العلية
والاحوال المرضية المشتغلين بالاذكار والافكار المتحلين لزيهم بالعفاف والابكار،
قال الشيخ الاجل السيد عبد الرحيم القادري اعلم ان اجازة المشائخ نعمة ابدية ودولة
سرمدية فمن اتبع امرهم فقد هدى وصار اهلا لها، فاقول وانا الفقير الى الله سبحانه وتعالى
المتطفل على موائد فضله وكرمه الجزيل العبد الضعيف محمود بن الشيخ عبد الجليل الموصلي
جعل الله يومه خيرا من امسه وبصره بعيوب نفسه، بانى قد لقنت الذكر الشريف والبست الخرقة
المباركة لاخي وقرة عيني السالك الناسك الزاهد في الدنيا والمحب للعفيف المتوجه الى ربه تعالى

بجميع مقاصد السيد الحسيب والطالب للنجيب والعالم النسيب الشيخ نور الدين بن
الاجل السيد عبد الجبار الحسيني واجزت له ان يلبسها وان يلقن الذكر الشريف
ويخلف من شاء من المسلمين التائبين الورعين وان يفتح باب الزاوية
لخدمة الفقراء الصادقين ويقبل الفتوحات ويصرفها في حوائجه وحوائج الفقراء
واجزت له ايضا دامت بركاته ان يتوب من طلب تلقين الذكر وان يأمر ويوصيه
بما يقربه عند مولاه عز وجل من انواع العبادات واصناف القربات ويعلمه شرائط
التوبة والوصلة ويعلمه السلوك ورعاية الاوراد وذلك بحسب حاله وقدرته وان يأخذ
على الشيخ المرشد سلطان العارفين سيدي الشيخ عبد القادر قدس الله سره يثبت الله الذين
آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة واذا اراد الله تعالى لعبده الثبات والعزيمة على
الخير رزقه حسن الاختيار وصحة الاعتبار وصدق الافتقار وهو ملاك الامر كله
فالصدق في الافتقار هو ان يكون امامه كل حين يقول وكل فعل يفعل يليق الى الله تعالى
وبه تعالى ويحذر كل الحذر من اتباع الهوى ومصاحبة النفس وكل ما تميل عليه الطرف
فانه ان شيطان يلعب به حتى قطع عليه وقته واشغله بكثير مما يفنيه وخدع النفس كثيرة
وشهواتها كامنة خفية تدق عن كل وقوف عليها والصادق يستيقن بالخلوة والعزلة على تبيين
ما يشتبه مزالم قبل ادوار الادب الوقوف عند المجمل وغاية الادب الوقوف عند الشبهة ويعني بالمجمل
ما يجمل هل فيه رضى الحق اما لا والمراد بالشبهة انه يعلم ان فيه رضى الله تعالى ولكن عنده فيه شائبة
تريبه فيقف في الشيء حتى يتبين له الرشد وذلك بدوام الالتجاء والتضرع بين يدي الله تعالى واذا
دعت النفس الى شيء ومالت اليه والعبد يتاومها والنفس تأبى الاحتراز فليخرج العبد الى الصحراء
ويخلو بربه ويمرغ خده في التراب حتى يعينه الله تعالى على ترك ما يريبه الى ما لا يريبه
ومبدأ الامر صحة التوبة وتقييد الجوارح عن المناهي والمكاره قولا وفعلا ثم بعد هذا صحة
الامر في الزهد في الدنيا وغاية الزهد الاياس عن الخلق واستواء قبولهم ورده وعند الياس
دوام الروح وصحة العبادة ووجدان اللذة فيها ونعم المعين بعد العزلة خفة المعدة
وقيام الليل فاذا استقام قلب العبد بالتقوى والزهد لا يتخلف قلبه عن لسانه في الصلوة
والاذكار ويمكنه الله تعالى على حسم مادة النفس قال بعضهم من انتقل من تنفيس النفس

من غير ذكر فقد ضيع حاله لاشتغاله بما لا يعنيه، ويحفظ العبد الصادق الجمعة والجماعة
ويبكر الى الجامع ويشتغل بانواع الطاعات، ويحذر من مجالسة الخلق الا مع مفيد
او مستفيد قال الامام سفيان الثوري رحمه الله تعالى سمعت الامام جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنهما يقول عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فان تكن في شيء فيوشك ان
تكون في الخمول، فان لم توجد في الخمول فيوشك ان تكون في التخلي وليس كالخمول، فان لم توجد
في التخلي فيوشك ان تكون في الصمت وليس كالتخلي، فان لم توجد في الصمت فيوشك
ان تكون في كلام السلف، واوصيه ايضا بوصايا التي اوصاني بها سيدي من كونه يقف
على حدود الشريعة المنورة والعمل بعزائمها وترك الركون الى الدنيا والرضا باليسير منها من
جهة حل، ولزوم العزلة عن الناس الا لمصلحة دينية والعزلة عن الفكر والوساوس في غير مصلحة
دينية، ودوام مراقبة الله تعالى ودوام التوكل عليه، ودوام الرضا فيما يسوي الله عز وجل
والرضا عن الله تعالى عند تشديد ونزولها والصبر على الملمات ظاهرا وباطنا، وشهود
النقص في نفس دائما، وعدم الانتصار لها اذا اوذيت، والتيقظ فيما طلب التيقظ له
ومرجع هذه الوصايا الى الاقتداء بمن جعله الله تعالى على خلق عظيم، وكان خلقه القرآن يرضى
لرضاه ويسخط لسخطه صلى الله عليه وسلم، وسئله ان لا ينساني من دعائه في خلواته وجلواته
ولا ينسى والدي واشياخي واخواني واولادي وتسليم، ثم اذا اعده التوفيق وتحقق بسلوك
الطريق، وعمل بانصائح المودعة في هذه الكلمات، والتزم هدايته وسلوكه صحبة قلق
اهل الصدق وتوجهت اليه طلبا للاقتباس والاستفادة وتعلم شروط الاصول والفروع
مكتسبة من اداب الشريعة ثم من صحبة المشايخ واذا توجهت القلوب اليه وطلبت منه كما تقدم
والباس الخرقة ماذون له ان يتدارك خواطرهم ولا يردهم فان الباب مفتوح والفضل

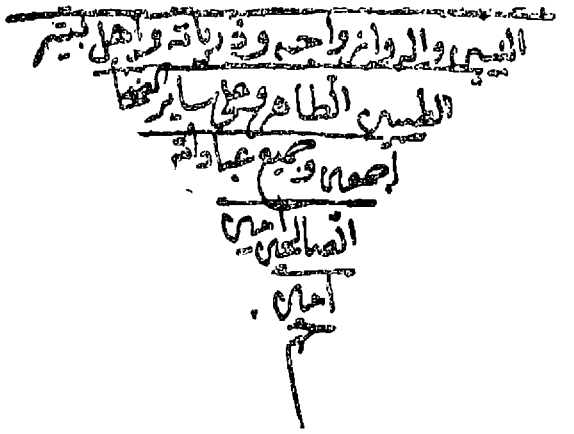
ممنوح ويكون اخي وصديقي في حماية النية الصالحة بعون الله تعالى اللهم صل وسلم وبارك
على سيدنا ومولانا محمد وعلى جميع اخوانه من الانبياء والمرسلين وآله وصحبه اجمعين
وانا الفقير اخذت الذكر ولبست الخرقة من شيخي ومرشدي العارف بالله تعالى الحاج ابو بكر بن
الآلوسي قدس سره والموصلي سكنا سنة الله تعالى ضريحه صوب الرحمة والرضوان واسكنه بحبوحة الجنان
وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة القادرية من الشيخ المرشد العارف بالله تعالى السيد عثمان القادري
وهو اخذ الذكر ولبس الخرقة من الشيخ الكامل السيد ابي بكر القادري وهو اخذ من والده السيد يحيى
القادري قال السيد يحيى اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد حسام الدين القادري
وقال السيد حسام الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد نور الدين القادري
وقال السيد نور الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد ولي الدين القادري
وقال السيد ولي الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد زين الدين القادري
وقال السيد زين الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد شرف الدين القادري
وقال السيد شرف الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد شمس الدين القادري
وقال السيد شمس الدين اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد الشيخ محمد الهتاك
القادري وقال السيد الشيخ محمد اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي السيد الشيخ
عبد العزيز قدس سره وقال الشيخ عبد العزيز اخذت الذكر والخلافة من ابي وسيدي ومرشدي
الامام العالم العامل قطب الوجود مالك ازمة المتصرفين الغوث الاعظم البازل الاشهب
السيد محي الدين الشيخ عبد القادر الحسني الحسيني الجيلاني قدس الله سره ورضي الله عنه
ابن ابي صالح جنكي دوست بن السيد عبد الله الجيلي بن السيد يحيى الزاهد بن السيد محمد
بن السيد داود بن السيد موسى بن السيد عبد الله بن السيد موسى الجون بن السيد عبد الله
المحض بن سيدنا الامام الحسن المثنى بن الامام الهمام حسن السبط بن الامام الهمام البطل
الضرغام ليث بني غالب اسد الله الغالب علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه ونفعنا به
وقال سيدنا الشيخ عبد القادر اخذت الذكر والخلافة من يد رفيع المقام العارف بالله تعالى
العليم العلامة ابي سعيد المبارك المخرومي الحنبلي وهو اخذ من الشيخ ابي الحسن علي بن محمد
القرشي الحكاري وهو اخذ من الشيخ الحسن بن علي وهو اخذ من الشيخ ابي الفرج الطرسوسي وهو
اخذ من ابي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز التميمي وهو اخذ من الشيخ ابي بكر الشبلي وهو

عن شيخ الصوفية ابي القاسم بن محمد البغدادي وهو عن ضياء الدين السهروردي يستفيض وهو عن
اسد الدين ابي حفوظ معروف الكرخي وهو عن قبلة الباطن علي بن موسى الرضى قال حدثني
ابي موسى الكاظم عن ابيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين
عن ابيه الحسين عن ابيه الشهيد علي بن ابي طالب رضي الله عنهم قال حدثني حبيبي وقرة عيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حدثني جبريل عليه السلام قال سمعت رب العزة تبارك
يقول لا اله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني امن من عذابي وبالسند
وقال معروف الكرخي اخذت الذكر والخرقة من داود الطائي وهو اخذ الشيخ حبيب العجمي
وهو اخذ من حسن البصري وهو اخذ الذكر والخرقة من امير المؤمنين علي ابن ابي طالب كرم الله
وجهه وهو عن سيد الرسل حبيب رب العالمين رسول الله ابي القاسم محمد المصطفى صلى الله عليه
عن جبريل الامين عليه السلام عن رب العزة تبارك وتعالى اللهم اهدنا وسددنا الهدى اسيدنا
واعذنا من شر وساوس انفسنا اللهم اهدنا بنور اليقين واقمنا بصدق العبودية بين يديك
فلهم الى شاكلة تتولى صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين
ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى
بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله
العلي العظيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

امضيتها وانفذتها لاخي وحبيبي وروح عيني
السيد الشيخ نور الدين بن شيخ السيد عبد الجبار
وانا الفقير الحقير تراب اقدام السادات
والفقراء العبد الضعيف محمد بن
الشيخ عبد الجليل القادري
الخلوتي عفا الله
عنه وتقبل
منه
آمين

وهذه وصية الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله عنه فقد سئله بعض اولاده كوصية فقال يا ولدي اوصيك
بتقوى الله تعالى وطاعته ولزوم الشرع وحفظ حدوده وتعلم يا ولدي وفقنا الله تعالى واياك والمسلمين
اجمعين ان طريقنا هذا مبنية على الكتاب والسنة وسلامة الصدور وسخاء اليد وبذل الندا وكف الخطا
وحمل الاذى والصفح عن عثرات الاخوان واوصيك يا ولدي بالفقر وهو حفظ حرمات الشايخ وحسن العشرة
مع الاخوان والنصيحة للصغار والكبار وترك الخصومة الا في امور الدين وتعلم يا ولدي وفقنا الله واياك
ان حقيقة الفقر ان لا تفتقر الى من هو مثلك وحقيقة الغنى ان تستغني عن من هو مثلك وان التصوف
عمل لا يؤخذ بالقيل والقال لكن اذا رأيت ولقيت الفقير فلا تبتدئه بالسلام واياه بالتحية واذا اعدته حشمه
والرفق بنفسه واعلم يا ولدي وفقنا الله واياك والمسلمين اجمعين ان التصوف مبني على ثمان خصال وهو
السخاء الثاني الرضا الثالث الصبر الرابع الاشارة الخامس الغربة السادس لبس الصوف السابع السياحة الثامن
الفقر فالسخاء لنبي الله ابراهيم عليه السلام والرضا لنبي الله اسحق عليه السلام والصبر لنبي الله ايوب عليه السلام
والاشارة لنبي الله زكريا عليه السلام والغربة ليوسف عليه السلام ولبس الصوف لنبي الله يحيى عليه السلام والسياحة
لنبي الله عيسى عليه السلام والفقر لسيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم واوصيك يا ولدي ان تحب الاشياء
بالتعزز والفقر اياك والتذلل وعليك بالاخلاص وصرف همك بمراقبة خالقك ومداومة رؤية الخالق ولا تتعلق
برياك واستكن اليه تعالى في جميع الاحوال ولا ترفع حوائجك الا اليه ولا تعلق قلبك بغيره ولا تنظر
والصيانة زال بقاء وعلى الله فتوكل ان كنت مؤمنا وعليك بمتابعة النبي بثلاثة اشياء احدها ان تحب
والثاني بحسن الادب والثالث سخاء اليد وليت نفسك حتى تحياه واقرب الخلق الى الله تعالى اوسعهم خلقا
وافضل الاعمال دوام اية السر عن الالتفات الى سوى الله عز وجل وعليك اذا اجتمعت مع الفقراء بالتواضع
والتواصي بالصبر والمحبة ولا تدع شيئا من سنة فقير ومعرفة حاله واعلم يا ولدي ان الفقر لا يتم
سري الله تعالى وتعالى واعلم يا ولدي ان الصوفية على امور دونه مضمضة وهي من هو مثلك فقير الى الغنى والتصوف
فلا تخالطه بشيء من الهوى وهذه وصيتي لك وبلسمها من الذين كرمهم الله تعالى وهو بين ذلك واياك اذكرنا
وجعلنا ممن يقتفي اثار السلف الصالح ويتبع اثارهم بحرمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهذه شجرة اصلها

اصيل وحاملها راسخ فضل وفقه الله سبحانه وتعالى اليه ويرضاه
بمنه وكرمه سبحانه وتعالى وصلى الله على سيدنا محمد خاتم
النبيين والمرسلين وعلى اله واصحابه وذريته واهل بيته
الطيبين الطاهرين وسلم تسليما كثيرا



مولـده ووفاته :

هو العـلامة الملهم ، مدافع حقوق الكادحين ، وحـامى مصـالح الفقراء والمساكين ، السـيد الشـيخ نور الدين بن السيد عبد الجبار الحريفكانى ـ قدس سره ـ

ولد فى قرية بريفكان ، وهى قرية جميلة كثيـرة الأشجار لـذيذة الثمار وعينها عيون تجرى ماؤها عذب وجوها مغنى عن المبردات فى فصـل الصيف ، وهى تشبه الجنّة فىكثرة تنوع الثمار ، وطيب الهواء ، وعذوبة الماء تحيطها سلاسـل الجبال شرقا جبل (بانك) وشمال الشرقى جبـل (ناومسـك) و (دبستى) وجنوبا جبـل (دودرەش) وشمالا جبـل (كزمافوك) حيث هناك مغارة اتخذها الشيخ للخلوة وعين ماء اسمه (كزمافوك) فسمى الجبل باسم تلك العين (١) .

اما تاريخ ولادته فقد اختلف فيه ، فذكر انور المـاني فى كتابه الاكـراد فى بهدينـان ص ٨٣ انه ولد سنة ١٢٠٥ هـ وقال صـديق الدملوجى فى كتابه امارة بهدينان ص ٦٣ انه ولد سنة ١٢٠٠ هـ

---

(١) وهى تقع فى كردستان العراق شمال شرق مدينة الموصل ، تابعة لقضاء شيخان الذى مركزه قرية (عين سفن) وهى تبعد عن الموصل ٤٤ كيلو مترا ، وبين عين سفن وبريفكان لا تزيد على عشرين كيلو مترا ، وكانت القرية معمورة الى سنة ١٩٦٢ وفى ١٩٦٢/٣/٢٣ خربت القـرية وشرد أهلها ، وفى ١٩٧٩/٩/٢٣ ذهبنا الى بريفكان فوجـدنا القرية مهدمة والمنطقة خالية من السكان عدا الجيش ، وبعض البدو من العرب ، واننا حين ذهبنا من أربيل الى بريفكان ، ذهبنا بطريق شيخان ومن شـيخان توجهنا شمالا بطريق أتروش ومررنا بجنب مضيق لالش الذى فيـه قبـر الشيخ عدى بن مسافر وعندما وصلنا الى محـاذاة بريكفان ، تركنـا الشارع وتوجهنا بطريق الجبل الوعر الـذى لم تصل اليه يد الاصـلاح ويبقى على ما كان عليه ، ولا يمكن أن تسير فيه الا سيارات (لاندروفر) وأمثالها ، ولما وصلنا الى القرية وجـدناها خاليـة من السكان ليس فيها بيت معمور ولا بناء سليم فالمسجد لا أثر له والتكية مهدمة ، وقبـر الشيخ نور الدين فى العراء هدم عليه البناء وفى جانبه الشمالى غـرفة بنى فيها قبر الشيخ على الكلى رمانى وقبر بنت الشيخ صافية خانم وعدة قبور أخرى لم اتعرّف على أصحابها . وقد صرح بأنه ولـد فى بريفكان فى البدور الجلية فى بابى الثالث والرابع وعدة أبيات من أشعاره ،

ويقول الشيخ حسن الحبار الدركزلى أحد خلفاء الشيخ نور الدين: انى بعد وفاته احتجت الى معرفة ولادته ، وقد اخذتنى سنة نوم قبالة ضريحه ، فرأيته فيها ، فقال لى : أنا عمرى من الظلمات .. وهى ظلمات كسوف الشمس أثناء النهار وصيرورته كالليل وبدت الكواكب فى السنة التى هى تمام المائتين بعد الألف (٢) من الهجرة (١٢٠٠) . ويقول فى مكان آخر : توفى سنة ١٢٦٨ وله من العمر ٧٤ سنة تقريبا (٣) . وهذا يعنى أنه ولد سنة ١١٩٤ .

غير أن الذى أميل اليه هو ما جاء فى هامش كتاب فيض الجمال حيث جاء فى الهامش المذكور نقلا عن خط الشيخ نور الدين نفسه فى آخر قصيدته المسماة بنظم الدرر حيث يقول : « قد فرغ ناظم هذه القصيدة المسماة بنظم الدرر لأسماء النبى المفتخر نور الدين بن السيد عبد الجبار البرفكى بعد صلاة العصر يوم الاثنين فى نصف ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف من الهجرة النبوية فى مسجد قرية أيتوت فى مدة اقامتى فيها ، وعمرى فى مقدار ثلاث أو أربع وعشرين سنة » (٤) . فاذا كان الشيخ عمره أربع وعشرون سنة ، فى عام ١٢٣١ تكون ولادته ١٢٠٧ واذا كان عمره ٢٣ سنة آنذاك تكون ولادته عام ١٢٠٨ . فبناء على هذا التأريخ الذى هو أولى بالقبول لأنه يستند الى خط الشيخ ، وهو أعرف الناس بتاريخ ولادته ، يكون تاريخ ولادته عام ١٢٠٧ أو ١٢٠٨ هـ .

أما تاريخ وفاته فان معظم من أثبتوا تاريخ وفاته قالوا : توفى سنة ١٢٦٨ ، غير أن الشيخ حسن الحبار دقق أكثر فقال : كانت وفاته آخر ليلة السبت من أوائل شهر ربيع الآخر من شهور سنة ١٢٦٨ هـ (٥) وهو يصادق شهر كانون الثانى سنة ١٨٥٢ ولد - قدس سره - فى التأريخ المذكور من أبوين شريفين ، حيث كان والده السيد عبد الجبار

---

(٢) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٨٠

(٣) انظر مرآة حقائق الطريق ، ورقة ١٥١ .

(٤) فيض الجمال فى شرح كرب الحال ، ورقة ١ و ٨٨ .

(٥) راجع فيض الجمال ، ورقة ١٥٨ .

البريفكانى رجلا تقيا ورعا فاضلا ورث العلم والمشيخة من ابيه كابرا عن كابر كما يقول العلامة الكردى الشهير عبد الله البيتوشى :

ذو نسب كالعـــلم المنصوب والرمح انبوبا على انبـــوب

قام السيد عبد الجبار بتربية ولده اللبيب تربية صالحة وعندما وصل الى سن الدراسة ، درسه القرآن الكريم وبعض الكتب المعتادة في قرية بريفكان ، ثم غادر القرية متوجها الى الموصل فدرس هنـاك على عدة علماء منهم العـلامة الفاضل ابو بكر عبد الرحمن الدباغ (٦) ثم لحق بمدرسة العلامة المفضال فريد الدهر ابى عبد الله يحيى بن خالد المزورى (٧) ودرس على غيرهما من العلماء . كما انه عندما كان في الموصل طالب علم ، كان ذا حظ وافر من الفهم والذكاء ، وكان مجدا في تحصيل العلوم المتداولة فيما بين العلماء آنذاك . وكان عفيفا نزيها كريم النفس متمسكا بحقوق الله والاقبال عليها ، ومراعيا لحقوق المشايخ الكرام .

وكان يحضر مجلس العلامة العارف حسن الحبيطى ، والشيخ العارف العلامه سلمان الكردى الرويني ساكن الموصل بكل ادب واحترام (٨) .

---

٦ ـ لم أحصل له على ترجمة حياة

(٧) قال ابراهيم فصيح الحيدرى : ان الشيخ يحيى المزورى - قدس سره - من أكابر هذه الأمة المحمدية ، وقد بلغ درجة الترجيح في الفقه مع كونه بحر جميع العلوم العقلية والنقلية والرياضية ، كما اعترف بذلك حضره مولانا خالد وكافة علمـاء العراق ، وهو شـيخ الكل في الكل ، قرأ على عاصم الحيدرى وصالح الحيدرى ، عاش نحو مائة سنة ، وقد دخل عليه مولانا خالد مرة وهو نائم ، وقبل فمه وهو في حال نومه وقال : « متعنا الله بحياتك » المجد التالد ورقة ٢١ وقال خليل مردم الشيخ يحيى المزورى العمادى أستاذ الشهاب الالوسى توفى سنة ١٢٥٠ هـ أعيان القرن الثالث عشر ص ١٨٤ .

ترجم له محمد أمين السويدى في (السهم الصائب) ومن مؤلفاته حاشية مدونة على تحفة المحتاج ، وثماني رسائل رد فيها على الشيخ معروف النودهى وهى مطبوعة في هامش بغية الواجد من ص ٢٥٩ الى ٢٩٧ .

شـــيوخه :

فقد ذكرنا شيوخه فى العلم فيمـا سبق ، أما شيوخه فى الطريقـة الصوفية ، فانه أخذ كلا من الطريقة النقشبندية والقادرية ، وكان انتسابه الى الطريقة النقشـبندية فى وقت مبكر جدا ، حيث كـان فى حدثة سنه حينما كان يبلغ من العمر حوالى عشرين سنة تقريبـا وكان حينئذ طالب علم فى الموصل ، **حيث أخـذ الطريقة من الشيخ عبـد الوهاب بن على** الكردى العمادى العقراوى السوسى (٩) وهـو أخـــذ من مولانا خالد

= وقد احد الاجازة من الشيخ محمد الكزبرى الدمشقى سنة ١٢٠٦ أثناء قدومه الى دمشق الشام مارا بها الى الحجاز لأداء مناسك الحج ، كمـا أجيز فى نفس السنة من الشيخ أحمد بن عبيـد العطار الامام بجـامع الأموى بدمشق ، وقال الأستاذ العطار فى وصفه : « ألا وان ممن جد فى ذلك واجتهد ، وحصل بحمد الله ماله قصد ، الأوحـد النبيه ، والأمجد الذى قرت بهعيون الفضل وذوبه ، العالم الذى عمل بما علم ، وتجـرد عن علائق الدنيا فسلم وسلم، عـلامة الأكراد ، ووحيـد كمل الأفراد ، مولانا الشيخ الملا يحيى بن الملا خالد الكردى الشهير بالمزورى » كمـا اجبر من قبل الشيخ العـلامة محمد بن أحمد الشهير ببدير القدس سنه ١٢٠٧ حيث قال فى حقه : « عمدة علماء العظـام ، وامام ائمة الفضلاء الكرام ، مولانا وسيدنا الملا يحيى بن الملا خالد الكوردى » كمـــا ورد فى نسخة الاجازةالى أجيز بها الشيخ عبيدالله بن عبيد الله افندى بنصبغةالله افندى الحيدرى سنة ١٢٣٥ هـ .

وهذه النسخة موجودة فى مكتبة الاوقاف المركزية ببغداد تحت رقـــم ٦٧٤٢) ، كما أخذ الاجازة من فضيلة النـــيخ العـــلامة جرجيس الاربلى المتوفى سنة كمـــا ورد فى اجازته للشيخ علاء الـدين الموصلى (ونسخها فى مكتبة الأوقاف المركزية تحت رقم ٢٤٣٦٢) .

٨ ــ راجع فيض الجمال ورقة ١٥٨

(٩) هو عبد الوهاب بن على السوسى العمـادى العقراوى الكردى كان مقربا عند مولانا خالد ثم طرد لان مولانا خالدا لمـا أراد أن يرسل الى دار الخلافة خليفة من خلفائه الكرام وشرط على من يقبل القيام بأعبـــاء تلك الخدمة سبعة شروط :

الكردى الشهير بمولانا ضياء الدين السليمانى النقشبندى (١٠) ، اكنه

١ - كل من يتصدى للارشاد فى تلك الأصقاع عليه أن لا يتردد على رجال الدولة ووزرائها ممن بيدهم زمام الامور فى الاحكام ومحظور عليه أدبا أن يتداخل معهم ويستأنس فى مجلسهم .

٢ - ان لا يطالب لا بالذات ولا بالواسطه معاشا ولا نعتا ولا صله لا باسمه ولا باسم التكية التى يقيم فيها تعففا ورفقا ببيت مال المسلمين اتكالا على فضل الله .

٣ - ان لا يخالط على زوجته الواحده ممن نساء الاسانه خشية من التوغل فى اللذائذ المعوقة عن الوصول الى ثمرة ارشاد الخلق .

٤ - أن لا يتوغل فى شؤون المريدين والمترددين عليه المتعلقة فيما بينهم وبين الناس سواء كانت بين أمير أو وضيع ولا يقبل منهم صلة باسم المشيخة أو الانابة التى يمشى عليها التشيخ .

٥ - أن لا يدع مجالا لتردد النساء على زاويته ولا سيما اذا كن فتيات متبرجات بداع أخذ انابة الطريقة وذلك اعتصاما بآدابها الشرعية فرارا من مكائد الشيطان وأحبولاته درءا للمفاسد التى هى أولى من جلب المنافع .

٦ - أن يكون ذلك الخليفة مرتبطا أشد الارتباط منقادا لحضرة مولانا خالد وان يراجعه فى القطير والنفير قل أو جل .

٧ - ان لا ينهمك فى أمور الدنيا ويسع خطاها تشبها بالكبراء والزعماء بل يقتصر على القناعة ..

فلما سمع الخلفاء الحاضرون تلك الشروط العظيمة ثقل عليهم وأشفقوا منها وأبوا قبولها الا عبد الوهاب فانه قبل القيام بها وتعهد بالعمل بموجبها فكتب بذلك صكا ووقع عليه ومهر بخاتمه وأشهد من حضر على نفسه ودفعه الى مولانا خالد - قدس سره - وقام معودعا لرفاقه وذهب الى دار السعادة فلما وصل اليها استقبله اخوان الطريقة من

دى الشيخ محمد صالح الذى كان أرسله حضرة مولانا قبلا الى القسطنطينية وجرى عليه ما جرى من سوء التفاهم فى أمر غلق باب المسجد أثناء ختم خواجكان والتوجه بوجه من أراد الدخول اليه لأجل أداء فريضة الصلاة مما يطول شرحه ، والحاصل أن المريدين الموجودين فيها اذ ذاك

بعد مدة وقع بينه وبين الشيخ عبد الوهاب وحشة ومنافرة ، لذلك ترك

قد تعلقوا بعبد الوهاب امتثالا لأمر مولانا خالد تعلق الرضيع بأمه فتصدر للارشاد وأعلن خلافته فاقبلت عليه الخلق من كل فج عميق فى أمره وغظم صيته وعلمه وصلاحه وانتسب الى الطريقة بواسطة كثير من وزراء وكبراء الدولة حتى شيخ الاسلام مكى زاده مصطفى عاصم افندى وصاروا من مريديه ولا زال أمره يعلو شيئا فشيئا الى أن عم ارشاده الى بلاد الاناضول (١) .

حتى بلغ اقصى بلاد الروملى وصار مصدرا عظيما فى الطريقة الخالدية فتخبطه الشيطان من المس فأصبح من الغاوين .. وحكمت عليه نفسه الامارة بالسوء فخالف الشروط المقررة وابتدع بعض أمور فى الدين مفكرة واعلن استقلاله بين مريديه فى الارشاد حتى امرهم أن يرابطوا فيه ويسقطوا مولانا خالدا ويطرحوا واسطته .

فلما بلغه ذلك أمر فورا بجلبه الى دمشق فحضر الى أعتابه فقبله ولم يظهر له عتابه وأدخله فورا الى الخلوة التى أعدها له لعل الله يمنى عليه بالجلوة ولما اختبره وأحس بصحة مانسب اليه من التمرد وكفران النعمة زجره ونهاه عما اقترفه رفقا بحاله وتهذيبا لباله فحلف له الايمان المؤكدة ببراءة ساحته مما نسب اليه مدعيا أن ذلك عليه من حساده فأصر حينئذ أن يكتب كتابا بخط يده الى خلفائه ومريديه بحقيقة الحال وينهاهم عن كل عمل يخالف أصول الطريقة وأن يسلك بهم سبيل الكمال فأظهر بذلك الرضا والقبول وأقنعه بدهائه ومكره بضروب من المحال وكتب لجماعته فى الاستانه العليه كتابا وارسله اليهم مع من جاء معه من أتباعه ففتح الكتاب المذكور ودفعه الى الشيخ اسماعيل الانرانى والشيخ عبدالقادر الديملانى فظهر منه عكس المأمول ولما عرض على أنظار مولانا خالد ووقف على حقيقة أمره غضب غضبا شديدا فطلبه اليه وأطلعه على ماجنته يديه وقال له قد ظهرت الارادة الالهية بطردك عن طريقنا يا عبد الوهاب فأصبح مطرودا محروما ...

ثم أن عبد الوهاب قام من عنده مخذولا مردودا ورحل من دمشق الى الحجاز فلما وصل مكة المكرمة طلب أجازة من الشيخ محمد جان أحد خلفاء الشاه عبد الله الدهلوى فرده ولم يقبله محافظة على شروط الطريقة ثم ذهب مع الحجاج الى البلاد الهندية حتى وصل الى أعتاب مولانا الشاه عبد الله الدهلوى فى (جهان أباد ووقع عليه متطلبا منه تجديد الخلافة فرده قائلا « خالد كردبرد » يعنى أخذ خالد ماعندى . ثم لما فرغ عنده من

الطريقة النقشبندية وهاجم الشيخ عبد الوهاب فى بعض مقالاته ، ولكنه

الحيل والدهاء ويأس من أمره رجع الى الحرمين الشريفين بخفى حنين وأقام فى المدينة المنورة مدة واشتغل بتأليف رسالة مدح فيها الطريقة النقشبندية وطعن فى مولانا خالد ناسبا اليه استخدام الجن مدعيا انه لما كان يحضر عنده يسمع أصواتا خفية ولم ير أشخاصا جلية الى غير ذلك من الأقاويل ... ولما وصلت تلك الرسالة الى دمشق انتدب للرد عليها تلميذه العلامة السيد محمد أمين الشهير بابن العابدين بتأليف كتاب سماه (سل الحسام الهندي لنصرة مولانا خالد النقشبندى وهو مطبوع . ثم أن مولانا كتب الى كل من له علاقة مع عبد الوهاب كتابا أعلمهم بحقيقة حاله وسوء مآله وامرهم بالبراءة منه فلم يتخلف منهم أحد وتركوه هملا (٢) الرسائل التى كتبها مولانا خالد الى بعض الفضلاء لقطع العلاقة بعبد الوهاب

١ - رسالة الى الملايحى المزورى ويقول فيها وأخبر الكل بأنى كنت أتفرس بعض الدسائس فى عبد الوهاب السوسى قبل هذا بسنين وقد أدرك بعضكم هذا من شواهد حالى وعرض مقالى مرارا ... وأمرته مرارا أن يقول لهم أن مرشدكم فلان وكل من يقدمه هو لينقطعوا عنه ... الى أن ظهرت الاراده الالهيه بطرده من طريقنا فطردنه وانت مكاتيب جميع المخلصين فى الدولة العلية وغيرها بالتبرىء منه وقطع العلاقة عنه ومحو اسمه من السلسلة والختم (٣) .

٢ - رسالة الى نجيب باشا والى بغداد يقول فيها أمّا بعد فليكن معلوما لديكم أن عبد الوهاب رجل أخل بكثير من أصل الطريقة والشريعة .. انّى لا أرضى بعد وصول هذا المكتوب اليك أن تخاطبه بتقرير وتقطير والا فلا يبقى لك علاقة مع ائمة السلسلة ولا مع هذا الفقير (٤) .

٣ - رسالة أخرى الى بعض الطريقة فى استانبول يقول فيها ليس من عادتى ان اكتب بنفسى طرد أحد لكن بسبب كثرة دسائس عبد الوهاب .. فاخبرتكم بخطى لئلا يبقى عندكم ريب وكل من بقى له أدنى علاقة معه حسا أو معنى فقد برىء من امداد هذا الفقير ومشايخه .

[1] - بغية الواجد فى مخطوطات مولانا خالد تأليف محمد أسعد صاحب ص ١٢١ - ١٢٦

بعد ذلك أخذ الطريقة النقشبندية مرة أخرى على يد الشيخ نور محمد الهندى ومدح سادة طريقة النقشبندية بقصيدة بليغة .

وأخذ الطريقة القادرية من الشيخ محمود بن الشيخ عبد الجليل الموصلى ، وهو أخذ من الشيخ أبى بكر الالوسى وأخذ الاذن للارشاد وتربية المريدين للطريقة القادرية من الشيخ محمود سنة ١٢٣٢ هـ — وقد وجدت النسخة الأصلية للاجازة التى أعطاها الشيخ محمود للشيخ نور الدين وعليها ختمه لدى فضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد الاتروشى قاضى بغداد الأول سابقا حفظه الله ، وأخذت عليها الصورة الفوتوغرافية وهى مدونة فى ملحق صفحات وهو موجوده فى ص (١٧ — ٢٤)

ثم سافر الى بغداد وزار ضريح الشيخ عبد القادر الكيلانى — قدس سره — وأخذ الطريقة القادرية مرة أخرى بسند آخر من رجل اسمه الشيخ عبد القادر على مرقد جده الشيخ عبد القادر الكيلانى ، وهذه السلسلة متصلة بابنه الشيخ عبد الرازق ، كما أخذ الطريقة القادرية

---

٤ — رسالة الى عينى أفندى فى اسطنبول يقول فيها من العام الاول تبرئت من عبد الوهاب بسبب ما ظهر منه من الأمور المخالفة للطريقة والشريعه وانه صار سببا للدسائس التى اختلقها المتشيخون حتى توهم كثير من الناس فى حقنا امورا لا تليق باراذل العوام (٥)

٥ — رسالة كتبها الى أتباعه المخلصين فى المدينة المنورة اعلاما بارسال العلامة السيد عبد القادر السركلو البرزنجى عوضا عن الشيخ اسماعيل الزلزلوى الذى أغراه عبد الوهاب وجاء بالرسالة التى رد عليها ابن عابدين (٦)

٤ — المصدر السابق ص ١٢٨ .
٢ — المصدر السابق ص ١٢٥
٥ — المصدر السابق ص ١٢٩
٦ — المصدر السابق ص ٢٢٥

(١٠) مولانا خالد أشهر من أن أعرفه ، فهو كالنار على علم ، وقد ترجم له مئات العلماء ، وهناك أكثر من عشرين كتابا يبحث عن سيرته ، راجع كتب (الشيخ معروف النودهى) تأليف محمد الخال ص ٣٨ الى ٥٣ وحلية البشر فى أعيان القرن الثالث عشر .

مرة أخرى بسلسلة متصلة بابنه الشيخ عبد الوهاب ، صرح بذلك الشيخ نور الدين نفسه فى شرحه على قصيدته المسماة بالحقائق عند قوله :

من يبغ الطرق القيمة يسلك فى الدين المتضح (١١)

ومدح سادة الطريقة القادرية بقصائد رائعة ، بالاضافة الى انه أخذ الطريقة الخلوتية من والده الشيخ عبد الجبار ، حيث كان أجداده من شيوخ تلك الطريقة ، ومدحهم أيضا بقصيدة بديعة ٠

***

مسكنه

لقد سكن الشيخ ـ قدس سره ـ ونشر علومه واتخذ الزاوية ، بعد رجوعه من تحصيل العلم والحقيقة فى قرية أيتوت ، وبقى فيها الى ما بعد سنة ١٢٣٩(١) ثم انتقل الى قرية أتروش وبقى فيها مدة ، ثم انتقل الى قرية براش وبقى فيها مدة ، ثم رجع الى قرية بريفكان مسقط رأسه ، وهى القرية التى سكنها جده الكبير الشيخ شمس الدين القطب وبقى هناك الى أن توفاه الله سنة ١٢٦٨ هـ (٢) وهذه القرى الاربعة متقاربة تقريبا ٠

***

أولاده

لم يعرف من أولاد الشيخ نور الدين ـ قدس سره ـ الا ثلاث بنات وذلك لأنه لم يكن له أولاد الا تلك البنات ، أو أنهم ماتوا صغارا ٠

أما البنات الثلاثة فهن :

١ ـ صافية خاتم : وهى كانت عفيفة نزيهة قرأت القرآن على والدها ، وتعلمت منه واجبات الدين وسلوك الطريق والزهد والقناعة ،

---

(١١) راجع مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ٢٨ الى ٣١ ٠

١ ـ راجع البدور الجلية الباب السادس ٠

٢ ـ انظر فيض الجمال ، ورقة ١٠٩

وهي تعتبر من النساء الفاضلات الخالدات ، وكان الشـــيخ يكنى بأبى صافية ، بقيت فى خدمة والدهـــا ولم تتزوج الى أن توفيت ، ودفنت فى غرفة مع الشيخ على الكلى رمانى فى تكية بريفكان

٢ ــ فاطمه خانم ، وهى نزيهـــة قرات القرآن على والدها ، وزوجها الشيخ من خليفته المحترم الشيخ عبد الحميد خان الأتروشى ، وهى جدة السادة الأتروشيين ٠

٣ ــ ببروز خانم : وهى عنيمة نزيهة تعلمت القرآن من والدها ، تـم زوجها من خليفته وابن أخيه الشيخ محمد نور بن الشيخ عبد الله ، وهى جده السادة البريفكانيين .

***

علمـــه

فهو معمر أماكن الطاعة ، المتخذ زوايا المساجد من خير البضاعة ، صاحب الرياضيات النفسية ، والعبادات الراقية الرئيسية ، تشرق من طلعته شموس ، وترباح بمجالسته النفوس ، فيده فى الصـــلاح قد اشتد زندها ، وقد خدمه المجد ، ولم ير مثله الدهر ، فكم مفيد أملى ، وكم فاه أحلى باذاقته طعـــم الحقيقة ، حتى أقر له الدهر بأنه الفريد فى العصر وصار مقتدى السادة الصوفية ، وامام تلك الزمرة الصفية ٠

وكان قدس ــ سره البحر الزاخر ، والغمام الهاطل ، ربيع العلوم والحكمة ، وصاحب المجد والكرم ، روض الافادة للطلاب ، وغصن ساحة الكمال ، أحيا أموات العلوم ، وعمر ديوان المنثور والمنظوم ، ونشر لواء فضله ، وبسط مائدة علومه العقلية والنقلية ، وجال فى ميدان التدريس ، فقد درس الكتب القيمة مثل : المطول ، وجمع الجوامع ، وتفسير القاضى البيضاوى ، وتحفة المحتاج ، وشرح الروض لقاضى زكريا ، وشرح بهجة الوردية ، وشرح النور الزيادى على المحرر ، والوضوح على المحرر ، والأنوار ، وحواشى الكردى ، وغيرها من الكتب المتداولة بين العلماء فى وقته ٠ وقد صرح بتدريسه لهذه الكتب وغيرها الشيخ حسن الدركزلى عند شرحه لقول الشيخ قدس سره :

وشـــأتى الحسنى تشـــاهد بالغـــنى
فتوتى الكبـــرى تعـــاهدها الـــكتب (١)

وهذا ليس بغريب على الشيخ قدس سره فقد درس بدوره على اكابر علماء العصر ، ولازم حلقة تدريس نوابغ زمانه ، مثل العلامة الشـــهير أبى بكر عبد الرحمن الدباغ الموصلى ، والعلامة العارف الشيخ سليمان الزردى البرونى ســـاكن الموصل (٢) والعلامه العـــارف الشيخ حســـن الحبيطى ، وعلامة العصر وفريد الدهر ، فارس ميدان المعقول والمنقول ، وأستاذ الكل فى الكل أبى عبد الله يحيى بن خالد المزورى (٣) غير أن الذى يدعو الى الأسف أننى لم أعثر على الاجازة العلمية التى أجيز بها الشيخ من قبل أساتذته ، ولا الاجازات التى منحها الشيخ لتلاميذه ، ومن المعتقد أن الشيخ أخذ الاجازة من شيوخه ومنحها لتلامذته غـــير أن ما جرى على مكتبة بريفكان من الحرق والتخريب جراء محنة الشعب الكردى وابتلائه بالحروب ، وتعرضه للهجمات العدوانية ، ضيع ما فى المكتبة من الكتب القيمة والثروة الغالية النفيسة .

***

ســـخاؤه وكرمه :

لقد اشتهر ـ قدس سره ـ بكثرة اطعام الطعـــام للضيوف واهدائه لاهل الأماكن البعيدة ، لتأليف قلوب من يهديه اليهم لمصلحة دينية أو دنيوية مع قلة ماله ، وعدم تمكنه من الكسب لانشغاله بالعـــبادة ، وكان مضيفه مفتوحا للواردين دائما ، ولم يأب من ضيافة أحد فى حال الرخاء والشدة والعسر واليسر ، ويذكر كل من الشيخ حسن الحبار والشيخ محمد النورى فى وصف ضيوفه وكثرة عددهم : أن عدد ضيوفه لم يكن يقل عن عشـــرة أشخاص يوميا بل كان يزيد أحـــيانا على المائتين وقد يصل عددهم الى الالف نفر (١) ويمد الكل بروحه ، ويأكلون ويشربون من عنده ، وكـــان عنده ناس يقومون بخدمة الضيوف ، بعضهم وظيفتهم الاتيان بالخشب من الجبل ، ناس يأتون بالماء بالراوية من عيون الماء ، وناس يخبزون ، وناس

---

(١) انظر فيض الجمال ، ورقة ١٢٥ .
(٢) المصدر السابق ، ورقة ١٥٨ .
(٣) فيض الجمال ورقـــة ٩٩ .
(١) فيض الجمال . ورقة ١٠٩ وشرح القصيده البائيـــة . ورقه ٦

يطبخون ، وناس يقدمون الطعام للضيوف ويتفقدونهم صباحا ومساء ، ولبلا بالسحور فيصلون الطعام لمن يريد صياما داودا او دهريا ، أو صيام الخميس والاثنين ، ويقدمون للضيوف الفاكهة من عنب أو غيره — عند موسم الفواكه — بعد العشاء خصوصا من يريد صياما . ويقول فضيلة الشيخ محمد نورى عند شرحه لقول الشيخ :

عبدتك حتى الكون أصبح طائعى
فرزقى على كل العباد عطاية

قال : الرزق على نوعين : رزق محسوس : وهو ما يتغذى به الابدان والأجساد من الطعام والشراب ، ورزق معنوى : وهو ما تتغذى به الأرواح من الامدادات والفيوضات والتجليات ، وكلا النوعين موجود عند الشيخ — رضى الله عنه — فمن الرزق المحسوس أن كل يوم يأكل عنده فى زاويته مائات الناس وقد يصل فى بعض الأيام الى الالف ، فيطعمهم من غير تكليف (٢) كما انه — قدس سره — حصنا منيعا لأبناء شعبه ، وأبا رءوفا رحيما لفقراء أمته فانه كان سخيا بجاهه كما كان سخيا بماله ، لذلك كان يتوجه اليه أبناء شعبه على اختلاف طبقاتهم ، فبعضهم يتوجه اليه تبركا به ، وبعض آخر يتوجه اليه لفقره وعوزه رجاء ان يعطيه ما يسد به حاجته من المال والبعض يتوجه اليه هربا من جور الحكام رجاء شفاعته لهم . والبعض يتوجه اليه خوفا من عدو قوى رجاء توسط الشيخ له وحمايته اياه ، وبعض الناس يتوجه اليه لمجرد سؤال شرعى ، وبعض الناس يتوجه اليه هربا من الدائن لعل الشيخ يساعده على ايفاء الدين ، وبعض الناس يتوجه اليه طلبا للاستشفاء بدعائه ، أو لأخذ العهد والمبايعة فى سلوك الطريق ، وكان — قدس سره — يكرم الكل ويبذل قصارى جهده فى قضاء حوائج الكل ، وهو الذى يقول :

---

(٢) انظر شرح القصيدة النائية ، ورقة (٦) .

فـــــوقرت ضيفى مذ وضعت سريرى
الذى سجدا خروا وأبقـــن يعقـــــوب (٣)

وخلاصة الكلام فى هذا المقام : ان الشيخ بلغ فى الكرم منتهاه وفى السخاء أقصاه ، فكان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر ، وينفق انفاق من ملك خزائن الأرض والدنيا ، حتى قيل عنه : انه يعرف الأسماء الحسنى ويملك خزائن سر (بسم الله) (٤) ومع سخائه فانه كان لا يمنّ على أحد ولا يفاخر فردا ، بل يعتبر من الله والى الله المال الموجود ، لابد من صرفه للضيوف والفقراء الذين هم عيال الله المعبود ، ومع هذا السخاء والمصروف فانه يمتنع من أخذ الصلة من والاغنياء والحكام باسمه أو باسم التكـــــة والمقام تعففا ، وخوفا من الوقوع فى مصيدتهم ، واتكالا على الله ، بـــل كان انفاقه من أصـــل ماله ، وما يجود به الفقراء الصـــالحون من أتبـــاعه ومريديه ، فهو كما قال القائلون :

ونكرم ضـــــيفنا مـــادام فينـــا ونتبعـــــه الكـــرامة حيث ما لا
فتى كملت خيـــــراته غيـــر أنه جواد فما يبقى من المال باقيـــا
ابى الجود فى الدنيـــا سواك لأنه تفرع من جود وأنت أبو الجـــود

وكما قال الشاعر :

لو أشبهتك بحـــار الأرض فى كرم لأصبح الدر مطروحا على الطرق
أو أشبه الغيث جودا منك منهمـلا لم ينج فى الارض مخلوق من الغرق

وكما قال الشاعر أيضا :

من قاس جدواك بالغمـــام فمـــا أنصفَ فى الحـــكم بين شكلين
أنت اذا جـــدت ضـــاحك أبد وهو اذا جـــاد دامـــع العـــين

---

(٣) انظر فيض الجمال ، ورقة (١٠٥) .
(٤) المصدر السابق ، ورقة (١٠٨) .

وكان الشيخ مع جوه وبذل ماله ، وكرمه المفرط ونواله كان قليل الأكل بعيدا عن البذخ ، كثير الصبر على الجوع ، قانعـا بخشن المأكول ، تكفيه لقيمات يسيرة من الاكل ، حيث كان ممن أكرم باقامة بنيته بالاقتصار على اللقمة الواحدة ، أو الاثنتين ، أو الثلاثة فى أكثر الأوقات ، وبيقى عليها مدة طويلة ، كاليوم واليومين والثلاثة والأكثر (٥) ٠

***

تواضـــــعه :

لقد كان الشيخ نور الدين ـ قدس سره ـ متواضعا سمحا لينا حيث يرى نفسه متواضعا ، ويرى الناس بعين التعظيم ، لذلك كان يجلس حيث ينتهى به المكان ، ولم يكن يضايق الناس على الجلوس فى صدر المجلس ، حتى كان فى بعض الاحيان يقدم مريديه واتباعـــه على نفســه ، فقـــد ذكر الشيخ محمد النورى الذى هو أحد مريدى الشيخ فقال : كنت آتى لخدمته بعض المرات ، وهو بزاويته جالس على سجادته بعظ الناس ، فحين برانى يقوم لى وينزل عن السجادة ويجلسنى عليها ويجلس هو على الحصـــر مع جلالته ورفعة قدره ، فكنت أمتنع من ذلك ، فيعزم على ويأبى الا ذلك ، فأكاد أن أذوب حياء وخجلا منه رضى الله عنـه ٠ وربما أقدم عليـــه من الموصل ، لأجل الزيارة فينزل من الزاوية مع جملة من المريدين ويتلقـانى من مسافة ميل ، وكذلك اذا رجعت من الزيارة يمشى معى بهـذه المسافة ، وما ذاك الا لتواضعه هو ، لا لاستحقاقى لهذه المعاملة (١) ، وقال ـ قدس سره ـ :

فجعلت أجلس دون صدر المجلس ورفعت قدر الناس من جلسائى

---

(٥) أنظر فيض الجمال ، ورقة ١١١ .
(١) انظر تحفة السالكين ٠

وقال الشيخ محمد النورى أيضا : ان الشيخ نور الدين تفوق على شيخه الشيخ محمود الجلبلى ، وصار أعلى مقاما وأرفع مرتبة منه بكثير بالاتفاق ، ومع هذا كان كثير التأدب معه ويتواضع له ويحترمه فى حياته وبعد وفاته (٢) .

وكان متواضعا ومتسامحا حتى مع أولئك الذين يأتون لايذائه فقد ذكر الشيخ حسن الحبار : أن يزيدبا جاء الى تكية الشيخ ليجد فرصة ويقتل الشيخ ، فسمر عليه الشيخ وأحسن اليه أربعة أيام ، حتى رجع ولم ينل منه نيلا سوءا ، وهو عالم بما أضمره فى حقه من الشر وقادر عليه بأى وجه شاء من وجوه القدرة عليه ، ولم يخبر عنه ، الا بعد ذهابه من عنده ،وعجب الناس من سمره وصبره (٣) .

ويقول الشيخ محمد النورى : كان من جمله اطاعة الناس لحضرة هذا الشيخ رضى الله عنه ومحبتهم له مانشاهدته وراسه بعينى (**كان اذا خلع نعله تسارعوا اليه وقبلوه ووضعوه على رؤوسهم تبركا بنعله الشريف ، ويعدوه أعظم مغنم ، ويرجون بذلك أجزل ثواب**) ... ومع ذلك كان رضى الله عنه متواضع للكبير والصغير والغنى والفقير ، ولم يعد نفسه من الأكابر ، بل يرى نفسه (٤) أضعف من كل ضعيف وكان مع تواضعه عظيما حيث لم يخرج من منطقه ولم يطف بالبلاد ليلتقى بالأمراء والحكام ليظهر لهم علمه وفضله، كما يفعله بعض المتصوفة ، لأجل الشهرة وجمع المال .

فلم يكن من طراز أولئك الشيوخ الذين يترددون الى الحكام فيتقربون منهم ، ثم يفرضون أنفسهم على الفقراء قهرا ، او من أولئك الذين يخدمون الأجانب ، فيفرضون أنفسهم على شعبهم جبرا ، بل من أولئك الذين يترددون الى الفقراء ويخدمونهم ويحصلون على رأيهم ، ثم يفرضون أنفسهم على الحكام والأمراء بقوة الفقراء

زهده وقناعته

***

كان الشيخ رضى الله عنه ممن طلق الدنيا البتة ، وركب فرس

---

٢ ــ أنظر شرح المعشرات ، القصيدة الخائية

٣ ــ ضوء الجمال ، ورقه ١٠٥

٤ ــ بحقة السالكين .

الزهد ، وتسلح بمدافع القناعة ، ورضى من العيش باليسير لنفسه ، والكثير لغيره، فكان يشبع ضيفه بأنواع الطعام،ويشبع نفسه بلذة التعبدوالصيام، يكتفى بلقيمات تسد رمقه للسحور والافطار ، ويصون ماءوجهه منالانقطار، ويبتعد عن الشبهه فضلا عن الحرام ، ليكون فى تجلى مع ربه على الدوام ، حتى وصل الى أعلى عليين ، وصار خليل رب العالمين وهو الذى يقول وقوله صدق :

كل المعالى حظ هذا السالك
نور ليل الظلام الحالك
كشف عظيم فى شهود دائم
ملك جسيم فى جوار المالك
كانت له الدنيا وما فيها ، وما
بالى بذ (ى) الجيف القبيح الهالك
كفرت بها ناس ، وناس آمنت ،
نبأ لقوم آمنوا بمهالك
كثرت لدى بثغرها فنهرها
زهدا ، فقلت : بباعدى بجمالك

الى أن يقول :

كوعى بسلسلة المليك معلق
فيجرنى عن ساحر كمثالك
كسى على بالقناعة لس لل-
-نورى ثمة حاجة بمنالك

ويقول قدس سره :

هذا مقام نلته بالشكر وهو
بقبة الاقطاب والبدلاء
فجعلت حظى فى الزهادة ، والصفا ،
والبذل ، فهى مراتب الخلصاء
ذكر الصباح ، وتحررى (١) من عائقى ،

---

١ — وتجردى فى نسخة (ج)

ورد المســـــاء ، مـــذلة الفقـــراء
ترك الاكابـــر من بنى الدنيـــا التزمـ
ـــت ، فصـــار طبعى نفـــره الـكبراء
وسخوت بالموجـــود مـــؤثر عائـــل
ونحـــوت فيـــه اســـوة الـكرماء

وروى خليفته الشيـــخ محمد نورى القادرى خطيب الجامع الكبر فى الموصل : ان الوزير الأعظم على باشـــا وزير بغداد حين جاء الى الموصل اشتاق الى رؤية الشيخ رضى الله عنه ــ فأرسل اليه بعض الأكابر يلتمس منه ذلك ، ويخبره بأن يرسم له خمس عشرة قرية من قرى الجبل طعامة للتكية النوريه بعد المواجهة معه ، فأبى ذلك ولم يقبلها ولم يواجهه ، وقال : انا لا اواجه ظالمـــاً بسبب عرض من الدنيـــا ــ رضى الله تعالى عنـــه وأرضـــاه ــ (٢) .

***

شيوخه وآدابه ومريدوه :

ان الشيخ ــ قدس سره ــ بعد أن وصل الى سن التعلم بدأ بدراسة القرآن الكريم ، كما هو المعتاد فى أسلوب الدراسة الدينة فى كردستان ، ودرس الكتب الصغار فى قريته ، ثم ارتحل فى طلب العـــلم الى العمادية والموصل وغيرها من المدن العلمية ، حتى اتم دراسته على كبار علماء عصره، وفى سن التحصيل اتصل بالشيخ عبد الوهاب السوسى العقراوى واخـــذ الطريقة النقشبندية فى حوالى سنة ١٢٢٠هـ ثم ترك الشيخ عبـــد الوهاب وفارقه لأسباب سوف نذكرها بعون الله ، وبعد ذلك أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ محمود(١) بن الشيخ عبد الجليل الخدرى الكردى الموصلى سنة ١٢٣٠ وأخذ منه الأجازة لنشر الطريقة القادرية كخليفة عنه سنة ١٢٣٢ هـ وقد نشرنا أصل الاجازة بخط الشيخ محمود نفســـه فى هـــذا الكتاب ، ومدح شيوخ سلسلة الطريقة القادرية بعده قصائد رائعة باللغات الثلاث : العربية ، والكردية ، والفارسية .

---

٢ ــ أنظر تحفة السالكين ، ورقة (٦)

١ ــ وبأتى تفصيل كاف عن حياة الشيخ محمود فى القصيدة الالفية اللامية

ثم اخذ كلا من الطريقه القادرية والطريقه النقشبندية مره اخرى على يد الشيخ نور محمد الهندى اللاهورى ، ومدح شيوخ سلسلة الطريقة النقشبندية بقصائد بليغة .

وايضا اخذ الطريقة بسلاسل اخرى عن عدة شيوخ غير هؤلاء . وكذلك اخذ الطريقة الخلواتية عن والده الشيخ عبد الجبار البرزنكانى ، لأن الطريقة الخلواتية انتشرت فى تلك البقعة على يد جدهم الشيخ شمس الدين القطب .

وبعد الرجوع من الدراسة ، اخذ ينشر العلم والطريقة معا ، وكان دائبا على نشرهما ، عدا المده التى يسميها هو بالفترة ، حيث ترك فيها معاشرة الناس ولاذ بالفرار الى الجبال والكهوف ، وبقى حوالى عشر سنوات بعدا عن الناس بفر من أبيه واخيه ، ومصبلته التى تؤويه ، ومن فى الأرض جميعاً ، حتى أفاض عليه ربه نعمه الرضوان ، وأغدق عليه من الواردات والمقامات ، ما جعلته منبع العلم والعرفان ، فخرج من الكهف بعد أن صفى ونهذب وزاول معاشرة الناس ، واظهر ولايه ، وتصدر لارشاد الناس وتربية المريدين ، فأقبل عليه الناس من كل صوب وحدب ، ونشر الطريقة القادرية فى معظم مناطق كردستان ، قال الشيخ حسن الحبار فى شرحه على حائنة الناظم :

فانه قد نشأ فى العلم والعمل ، والدعوة فيهما ، وترويجهما فى الناس ، فى اول القرن الثالث عشر الهجرى ، مع وجود شروط المجددين فيه وزيادة ، وكان جمله من انتفع بعلومه وارشاده قبل وفاته بنحو ثلاث سنين تقريباً من الأنس فقط سبعمائة ألف نفر . وله من الخلفاء جم غفير أكثرهم كانوا علماء فى العلوم المعقولة والمنقولة منتشرون فى آفاق الدنيا والبلاد ، وأكثرهم اهل كشف وأهل أهوال ودعوة وارشاد واستمساك بالسنة النبوية (٢) الشريفة .

وقال أيضا :

واذا علمت هذا كله علمت مقام الناظم (الشيخ) على الاجمال ، لأن مقامه لا نعلمه على التفصيل الا الله تعالى ، ومن يكرمه ربه ،فانه من خواص

---

٢ — أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٥١

الأفراد ، وقطب من خواص اكابر الأقطاب بلا شك **(وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) (٣)** والحمد لله ذى الفضل العظيم (٤)

وقال ايضـــــا :

واما بيان حال مقامه ، وحاله ، وخلقه ، فأقول بطريق الاجمال ، لأنى لم يكن معى اذن فى بيانها نفصيلا : ان حاله : الجلوات فى الحضرات، والخلوات والجلال الصرف تارة ، والجمال الصرف أخرى ، والجلال الممزوج بالجمال الصرف مرة ، الجمال الممزوج بنوع جلال أخرى ، وكل ذلك بمقتضى الحوادث السمائية والارضية . وخلقه : الكتاب المجيد والسنة النبـــوية الشريفة .

ومقامه : الاستقامة على اتباعهما ، والعمل بهما ، وحمل النـــاس على التمسك بهما ، ولم أر أحداً من المشايخ المذكورة فى الكتب على وفق أخلاقه ومقامه ، الا الشيخ السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه ، فمن أحب الاطلاع على أخلاق الناظم (الشيخ) تفصيلا ، فعليه بمراجعة كتاب جلاء الصدى فى مناقب امام الهدى ، فانه جامع لاكثر أخلاف الشيخ السيد أحمد الرفاعى التى هى عين أخلاق الناظم ، فانه فرد من أكابر أفراد زمانه كما لا يخفى على من أكرم بالفراسة والكشف ، وقد أكرم بكثره المريدين ، والسالكين على يديه كثره خارقة للعادة ، وبزيد عددها على سبعمائة الف جدا ، وقد صرح هو بالسبعمائة ألف سنة أربعة وستين بعد المـــائتين والألف تحديثا بنعمة الله بسبب داع عظيم دعاه الى ذلك ، وفتح الله على خلق كثير على يديه ، وخلف منهم أناس كثيرون متفرقون فى البلاد لنفع العباد، ولكنه مستور المقام الخاص، الذى بينه وبين الله تعالى بكثرة استعماله كتب الشريعة الظاهرة وتعاطيها ، كالفقه والحديث والتفسير وكتب التصوف وغيرها ، وشأنه الترقى فى حال الى حال ومقام الى مقام فى المعانى والمكارم ــ نفعنا الله به فى الدارين آمين ــ والحاصل أنه فرد من خواص الأفراد الذين قال فيهم رسول الله (ص) : **((سيروا فقـــد سبق المفردون))** (٥) وان مقام الفردية مقام عزيز من أعـــــز مقامات أكابر

---

٣ ــ سورة الحديد ، الآية ٢١

٤ ــ مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٥٧

٥ ــ رواه مسلم بلفظ « سيروا ــ هذا جمدان ــ سبق المفردون » قالوا : وما المفردون يارسول الله ، قال : « الذاكرون الله كثيرا والذاكرات » وجمدان اسم جبل فى طـــــريق مكة . صحيح مسلم كتاب الذكر رقم ٢٦٧٦ .

الخواص (٦) وقال الشيخ محمد نورى الموصلى مدرس وخطيب جامع الكبير حينئذ والذى كان أحد خلفاء الشيخ : فهذا الشيخ هو من اكابر الأولياء، بل هو قطب وقته ، ولا يعرف حقيقته الا آحاد افراد من الناس ، بل غالب اصحابه ومريديه لا يعرفون كنهه ، بل يعتقدون فيه مجرد ولايته فقط ... ويقول ايضا : فقد بلغ من مريديه جم غفير مرتبة الولاية الكبرى فضلا عن الصغرى (٧) .

وبقول الشيخ اسلام ، الشوبشى : وكان (الشيخ) بقول — قدس سره — فى حكاية عن ابى يزيد (٨) البسطامى — قدس سره — كان له بيت يتعبد فيه ، يسمى بيت الأبرار ، فلما مات ابويزيد بقى البيت محفوظا محترما لا يفعل فيه الا (ما) يليق بالمساجد ، فاتفق أنه جاء رجل فبات فيه وكان جنباً ، فاحترقت عليه ثيابه من غير نار معهودة ، ففر من البيت ، فما كان يدخل أحد ، فيفعل فيه مالا يليق ، الا راى آية فيبقى أثرها ، مثل هذا الشخص مثل هذا الفقير (يقصد نفسه) بعد موته ، فيفعل مثل ما كان يفعل فى حياته سواء ، فاذا مات الفقر (اى الشيخ نور الدين) فما كان يدخل معبدى أحد ، فيفعل فيه مالا يليق الا راى آية ، فجربه بعد موتى مراراً فجدها بلا خلاف . وكان يقول ايضا : هذا الفقير (يقصد نفسه) لا فرق فى حقه بين حياته وموته ، فانه كان فى زمان حياته فى الدنيا فى صورة الميت حال الموت ، فجعله الله تعالى حال موته كمن فى حال حياته جزاء وفاقاً .وكان يقول ايضا : رأيت عجائب لا تحصى فى حال عزلتى فى جبل (ماهه سين) وعجائب أخرى عند عزلتى فى مكان آخر (٩) .

***

بداية ارشاده :

وكان بداية ارشاد الشيخ سنة ١٢٣٠هـ فى قرية ايتوت وبقى فى القرية المذكورة الى ما بعد سنة ١٢٣٨ حيث الف كتابه البدور الجلية فى هذا التاريخ فى القرية المذكورة (١٠)

---

٦ — المواهب الالهية ، ورقة ٢٤٥

٧ — شرح القصيدة النائية ، ورقة ٦—٧

٨ — تأتى ترجمته

٩ — أنظر ملحم الأكباد

١٠ — البدور الجبلية ، الباب السادس .

اسلوبه فى اخذ العهد على المريدين :

وكان اسلوبه فى اخذ العهد على المريد ان يوصيه بالسؤال من العلماء ؛ وبحرم ما حرمه الشرع وبحل ما أحله ، وسنعمل ما بأمره به قدر المستطاع، وبأمره بترك المعصية ان كان ملتبسا بها ، وبالتحفظ منها ما استطاع ، وكان بمنح اجازة مكتوبة لبعض المريدين .

بذكر فيها انواعا من آداب المريد المحمودة ، وأحكام الشرع والنصائح ، كما انه من عادته التباعد عن موجب لاعتراض العلماء تعظيما للشريعة وأهلها وحماية للطريقة من لحوق الشين بها ، لذلك لم يأتى بالذكر المسمى بالنهجة وهو الذكر بقصبة الرئة والقلب واللسان مع بعض تحريف لكلم الذكر مع التصنع والتزين غالبا فى أدائه فى حال القيام (٨) ونجد فى هذا الكتاب نص الرسالة التى بعث بها الشيخ الى بعض مريديه بعدم الاتيان بهذا النوع من الذكر

***

أشهر خلفاء الشيخ نور الدين :

لقد كان للشيخ عدد كبير من الاتباع والمريدين بلغ قرابة مليون انسان، ولكن أشهرهم هؤلاء الذين نذكرهم ، كما ورد فى كتاب فيض الجمال ، ورقة ١٠٠ تأليف الشيخ حسن الحبار .

١ ــ خليفته العارف بالله الشيخ عبد الغفور ، الذى كان من عادته نزوله عن ظهر دابته عند دنوها من صعودها مرتفعا من طريق الجبل رحمة بها وشفقة عليها .

٢ ــ ابو محمد الشيخ طه بن الملاطيب بن يحيى السليفانى ، الذى هو العارف الفرد المتخلق بأخلاق الشيخ نور الدين، الحافظ للقرآن عن ظهر القلب، النالى له حق تلاوته المكثر منه أكثر أوقاته ، العارف بمعانيه ودقائقه ، القائم بطب أبدان الناس وطب قلوبهم بأرشاداته وامداداته ، المسخر له قلوبهم ، الفقيه المكاشف ، المفقود الحظوظ النفسية الذميمة ، المستعمل لاخلاق الملكية، والمطلع على الاسرار اللدنية ، المقرب المراد .

٣ ــ الشيخ على الكلى رماني : هو العارف المكاشف ، الناشيء في طاعة

الله وخدمة الشيخ ، وارشاد عباد الله فى اقطار الارض من أيام صباه وشبابه، والحافظ لكلام الله عن ظهر القلب ، التالى له حق تلاوته فى أكثر أوقاته ، الفقيه الشريف ، المقرب المحظوظ فى صغره وكبره وهو مدفون فى غرفة بتكية الشيخ ، وقبره معروف هنالك يزار .

٤ — العلامة الشيخ عبد الحميد بن الشيخ شمس الدين البربكانى الانروشى : هو العارف المكاشف ، الحافظ للقرآن عن ظهر القلب ، التالى له حق تلاوته فى أكثر الاوقات ، الكرار الفرار ، العامل بكتاب الله وسنة رسوله ، المرشد علما وعملا وحالا وارشادا واستقامة ، فهو آخر خلفاء الشيخ وقام بالارشاد فى محله فى بريفكان بعد وفاته ، وزوجه بنته الصالحة فاطمة خانم ، وخلع عليه خلعة الولاية والخلافة على رؤوس الاشهاد ، ثم انتقل الشيخ عبد الحميد الى قرية أتروش ، وبقى مداوما ومواظبا على التدريس والارشاد الى أن توفى هناك سنة ١٣٠٥ ودفن هناك وقبره معروف يزار .

٥ — ابو عبدالله الشيخ محمد بن السيد جرجيس النورى الموصلى : هو العلامة فى المعقول والمنقول ، العارف بربه ، المكاشف المحظوظ ، الناشىء فى طاعة الله تعالى من صباه ، الحافظ للقرآن عن ظهر القلب التالى له حق تلاوته فى اكثر الاوقات ، المصنف فى كلام القوم والتفسير وغيرهما ، الخطيب المدرس ، المقرب الفرد ، السالك المجذوب ، الناسك المحبوب ، المسخر له الدنيا والقلوب ، التام النافع علما وعملا وارشادا ، شرح قصيدة الهمزية والتائية والنونية للشيخ نور الدين ، وألف كتاب تسلية الاخوان فى مواعظ شهر رمضان ، واخذ الاجازة من الشيخ عبد الرحمن افندى مفتى الموصل ومن عبد الله افندى الفيضى النورى ، وتوفى سنة ١٣٠٥ .

٦ — الشيخ عبد الكريم العقراوى .

٧ — الشيخ مصطفى العمادى

٨ — الشيخ أسلام الشوشى ، هو ابن الشيخ عبد الرحمن الشوشى ، وهو من أحفاد القطب العارف الشيخ شمس الدين الشوشى كان الشيخ اسلام رجلا تقيا ورعا عارفا بالله ، وكان عالما بارعا ومؤلفا جيدا الف عدةكتب منها كتاب (راحة الفؤاد) من انتخابات كلام جده العارف الشيخ شمس الدين الشوشى ، وقد اكمل تاليفه يوم الخميس ١٥ جماد الآخرة سنة ١٢٨٤هـ كما

الف كتاب (ملحم الاكباد وكيماء الانوار) وهذا الكتاب يشتمل على عدد كبير من رسائل الشيخ نور الدين البريفكانى وقصائده باللغتين العربية والفارسية ، كما يحتوى على نبذة من حياة الشيخ نور الدين ، فرغ من تأليفه سنة ١٢٨٣هـ والكتابان لازال مخطوطين .

٩ ــ العلامة الفقيه أبو الحسين الشيخ عبد القادر الفاضلى .

١٠ ــ العلامة أبو عبد الله الحسن الحبار بن اسماعيل بن عبد الله الدركزلى الموصلى ، كان رجلا تقيا ورعا ، وعالما وفاضلا ، الف رسائل عديدة فى التصوف ، كما الف رسالة جمع فيه الاحاديث الواردة فى بيان أصناف الاولياء . وشرح القصيدة البائية المسماة بكرب الحال ، والقصيدة النائية ، والقصيدة الحائية ، والقصيده الالفية اللامية للشيخ نور الدين ، وأسلوبه فى تلك الشروح يتسم بالتطويل وكثرة الاسطراد ، توفى سنة ١٣٢٧هـ .

١١ العلامة المدرس الخطيب الشيخ عبد الله الخضراوى الموصلى الحنفى .

١٢ ــ العلامة الشيخ على المغربى صاحب الرياضات والسياحات .

١٣ ـ الفاضل الورع التقى سليمان بك بن عبد الرحمن بك الموصلى .

١٤ ــ العلامة الفاضل الملاحامد افندى بن عيسى الدوسكى البيسرى ، وكان رجلا فاضلا نقيا ورعا ، وعالما مبرزا فى فنون العلوم العقلية والنقلية وقد مدحه الشيخ بقصيدة دالية مطلعها :

ياخليلى ان نشأ ذكر المحامد	لفنى بارع فى الادب حامد
نجل مولانا ابى الحامد عسى	بلغا فى الدين اقصى بالمقاصد

١٥ ــ الشيخ عبد الرحمن الانصارى ، وهو الرجل العارف والعالم المكاشف الورع التقى البر ، وقد شرح السيد محمد النورى قصيدة الشيخ النائية بناء على طلبه ، كما ذكره فى بداية شرح القصيدة ونهايته .

١٦ ــ العلامة المفضال الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن السيد عبدالجبار ابن أخى الشيخ نور الدين ووخننتهكان رجلافاضلا تقيا ورعازوجه

الشيخ نور الدين ابنه ، مصدر للارشاد فى بربفكان بعد انتقال الشيخ عبد الحميد الى اتروشى ، وكان محبوبا محترما عند خلفاء الشيخ نور الدين ، لانه كان بمثابة الابن للشيخ نور الدين ، ثم انتقل الى دهوك وتوفى هناك .

١٧ — الشيخ محمد العزى ، كان رجلا تقيا ورعا فاضلا ، يروى عنه اهل المنطقة كرامات كثيرة .

١٨ — السيد احمد السبعاوى

١٩ — الحاج عبد الله الفيضى

٢١ — الحاج صالح جلميران

٢٢ — الشيخ سلطان خليفه

٢٣ — الحاج سليم اغوات

٢٤ — الحاج عثمان الخطيب

٢٥ — الحاج عثمان امندى الرضوانى

٢٦ — الحاج ياسين الموصلى

٢٧ — الحاجة مريم الجماسة

٢٨ — ومن خلفائه الشيخ عبد البارى الجرجاخى الوانى .

٢٩ — الشيخ عبد الفتاح الزاخولى

٣٠ — والشيخ عبد اللطيف

وغير هؤلاء كثير حيث ينتشر مريدوه فى محافظة الموصل واربيل وقسم من محافظة السليمانية ، وبين أكراد تركيا ، كما سمعت من بعض الناس: ان للشيخ خلفاء ومريدون فى الهند ، وهذا ليس ببعيد لان هناك فى ولاية كشمير حوالى ثلاثة ملايين من الكرد وفى الوقت الحاضر يتزعمهم عالم كبير ومثقف فاضل يهتم بشئون شعبه وتاريخ أمته ، حسب ماحدثنى به الثقة العدل الضابط

تدرجه فى السلوك :

ان الشيخ قدس سره كثيرا ما يؤنب نفسه ، ويلومها ، ويوبخ مشاعره ،

ويذم سلوكه، ويتهم روحه بانباع الشهوات ، ومرافقة الهوى ، ومصاحبة الشيطان حيث يقول :

فـــواعجبا لآغر وصـــافحنى الهـــوى
وضـــاقت الأحشـــا حينَ انثنى العَجْب
على مـــــذهب الأرجاف والفتى عـــــابر
بقسطاس عيى المرجفـــين الى الوسب

ويقول أيضـــا :

لذاك اصـــطفانى فابتلانى ســـوى الأولى
فنلت بـــلا هـــذين التوب والذنب

ويقـــول ايضا :

فنحلت احشـــائى لتـــاهبل وحشـــها
لـــذا عفرت فيهـــا الخنـــازيرَ والـــكلبَ

وبقول ايضـــا :

فالورد يظل بلا سجف والمسك بلا ضـــوع الرشـــح
الشحرور البستان ميل الى اصـــفاء نبح النبـــح
أم تـــأكل من شجر نتن أم تنزل مـــع ذى المنطـــرح
أمتسفك مهجة محترم أم تقعـــد فى ســـكك الروح

حيث يقول الشيخ قدس سره فى شرحه المسمى « بابراز الدقائـــق » فى شرحه لهذه الابيات :

فانقلب الزمان فى المـــاضى حالا عندى ، فرأيت فى صفحاته أن هذا العبد **بارقة من وجه الله ، أو لمعة من شعاع الله ، أو مرآة من مراى الله ، أو** فانقلب الزنا فى المـــاضى حالا عندى ، فرأيت فى صفحاته أن هذا **العبد قطب من اقطاب الله ، فغشينى انوار الجلالة سبع سنين بعد صلاة المغرب،** وفى بعض الاوقات الآول من النهار والليل ، ورأيتنى وردا فى حديقة وقـــت الربيع وأتاه الخريف فانتثرت أوراقى .

وكان يفوح منى المسك الى أقطار أطوار أخذ عهد الميثاق ، فى حضرة

الجمع والرؤيه واللاق ، فى ميعاد « الست بربكم » فضاع من خمره التكليم ، رائحة طيبة دخلت الخياشيم . فأسكرها لذه سمع الخطاب .

خدرنهم راح الخندرس من الاكواب . عن ايدى الحضرة وأنامل الاحباب فلا برحيق هادية بكمال التوفيق . اخذه بيد القلب الى الصواب الطريق . حتى مال القلب وصبا ، لقبول الغوائل . وانخدع بقبول الرذائل ، فنسى الوطن الاول ، ولم يعلم ان حب الوطن من الايمان ، والف الى سجن الجبف مع عدوه الشيطان ، فيبقى الورد بلا سجف يفوح ، والمسك بلا ضوع يضوع ، وهما القلب ، فرابت فى بعض المناجى قائلا بقول : الشحرور البستان يميل الى اصغاء نبح النبح ، فاشتكيت الى الله تعالى فى ذلك التقدير ، اذ جرى على فهمى وخاطبنى بهذا الكلام فيما يراه النائم ، وقال : انت لا تتأسى بأبيك آدم (٤) .

هذا ما قاله الشيخ حول انحرافه الجزئى عن طريق الصواب . ورجوعه الى الحقيقة ، وهو ما يسمى عند اهل السلوك بالفترة اما سبب وقوعه فى هذه الفترة ، وتاريخ وقوع هذه الفتره منه ، فشراح كلامه متفقون على أن سببها ، أخذه الطريقة النقشبندية من الشيخ عبد الوهاب السوسى ، لكن كيف يكون اخذ الطريقة والسلوك سببا للانحراف فبعضهم يقولون : لم يكن اخذ الطريقة سببا للفترة ، بل سببها وقوع شيخه الشيخ عبد الوهاب فى فترة أوجبت له غضب شيخه الكبير مولانا خالد ، لان الشيخ نور الدين اخذ الطريقه من الشيخ عبد الوهاب ، وهو أخذ من مولانا خالد ، فلما طرد عبد الوهاب بسبب فترته ، أثر طرد عبد الوهاب على تلميذه الشيخ نور الدين (٥) .

وبعضهم يقولون : ان سلوكه فى الطريقة النقشبندية التى اخذها من الشيخ عبد الوهاب ، ومصافحته له بالنسبة له — موافقة روحه لنفسه الشهوانية ، وتحكمها عليها بتمييلها اياها الى مادعتها اليها من الراحة بترك بعض النوافل والاوراد والتلبس بالفترة (٦) .

---

٤ — انظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩

٥ — انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٦

٦ — انظر فيض الجمال ، ورقة ٢٠٢ و ٢٠٣

وبقول الشيخ قدس سره : فانى ايضا دخلت طريقه الشيخ عبد الوهاب المذكور مقدار خمسة أيام ، فشاهدت منافعها وخصوصياتها ،لانى كنت بالعزم الصادق ، والنية الخالصة ، فترائت لى انوارها كثيرا ، ولكن وقعت فى الحظوظ النفسانية ، وأبغضت الناس ، ووقعت منى الالفاظ القبيحة فى حقوق المنكرين ، ولو كانوا لنا من الناصحين (٧) .

ويقول فى مكان آخر :

ودخلت فى الطريقة النقشبندية مقدار أيام على يد ناقص مدعى الكمال ، فرأيت فى الرؤيا والواقعات أكثر من خمسين مره ما حملنى على الرجوع من عنده (٨) . وبهذا يتبين أن وقوعه فى هذه الفتره ، كان فى وقت مبكر جدا ، اى فى بداية سلوكه .

الخلاصـــــة :

نظهر مماسردنا من النقول عن الشيخ ، وعن شراح قصائده من المريدين، أن الشيخ قدس سره أخذ كلا من الطريقة القادرية والنقشبندية فى وقت مبكر عندما كان طالب فقه فى مدينة الموصل ، وبسبب كثرة مطالعاته فى كتب التصوف ، وذكائه المفرط ، وذهنه الوقاد ، وفكره الثاقب ، وفطرته السليمة، ونيته الخالصة ، ونفسه الطاهرة ، وروحه الزكى ، برز فى ميدان المعنويات ورقى سلم الكمالات ، وغاص فى بحار الملكوت ، بسرعة البرق الخاطف ، والصاروخ العابر للقارات ، غير أن هذه السرعة لم تكن من صالحه اذ أصبح كمن يتوصل الى النتيجة بدون المقدمات ، أو مثل من يقلد سلطة دولة شاسعة بدون خبرة سابقة فى السياسة والادارة ، أو مثل من يقلد قيادة جيش كبير لخوض معركة ضارية فى مكان وعر ، لذلك لم يتمكن من حمل تلك الاعبـاء ، فأصيب بداء العجب والتكبر واهانة الناس

كما صرح به بقوله : (ولكن وقعت فى الحظوظ النفسانية الخ) ووقوعه هذا هو السقوط والفترة عند أهل القلب . لكن لحسن الحظ كان انتباهه سريعا فقد انتبه من رقدته وبدأ بالرياضة والسلوك والعبادة والطاعـــة والزهد وترك الدنيا ، والابتعاد عن الناس ، حيث سكن حوالى عشر سنوات

---

٧ ــ انظر البدور الجلية ، ورقة ١١

٨ ــ انظر البدور الجلية ، ورقة ١٩

فى الجبال ومغارانه لا يألف الناس حتى أبويه ، وهو مجذوب حاكم عليه انوار حاله الى أن امر بالرجوع الى الناس لنفعهم بتوسط شيخه ابى على الحاج محمود بن الشيخ عبد الجليل الخدرى الموصلى — قدس سره كما نقل عنه (٩) .

وكان رجوعه الى الناس حوالى سنة ١٢٣٠هـ حيث يقول: (وكان تاريخ البدايه فيها سنة ثلاثين ومائتين والف .. الخ) (١٠)

وبهذا يظهر انه اخذ الطريقة فى حوالى سنة ١٢٢٠ ، ووقع فى الفترة مدة يسيرة ، ثم انتبه وندم عن حاله وسكن الجبال وأخذ بالزهد والمجاهدات حوالى عشر سنوات ، ثم رجع الى قرية أيتوت لنفع الناس والارشاد،وزوده الشيخ محمود الموصلى باجازة عامة للارشاد سنة ١٢٣٢ ، وفى **حوالى سنة ١٢٣٩ صرح بانه صار من الاقطاب ، وبعد مدة صرح بانه غوث زمانه ، وفى أواخر حياته صار فردا ، وهو رئيس اولياء الدنيا واقطابها وغوثها .**

ويقول الشيخ محمد النورى عند شرحه لقول الشيخ .

قد سمى نورا والى الدين مضافا
وفى الدهر على الخلق لقد نلت علانا

يقول : يعنى اسمى نور مضاف الى الدين ؛ فصار نور الدين حقيقة ، لان الله نور به حياة المسلمين فى وقته . فكان مجدد عصره وزمانه بلا شك ولا شبهة ، ولا ينكر هذا الا من أعمى الله قلبه وبصيرته ، وبه ظهرت الطريقة القادرية بعد خفائها واندراسها ، وهو ظاهر كالشمس فى رابعة النهار . . . . (١١)

***

آراؤه حول افضلية الطرق الصوفية :

يقول : طرق المشايخ كثيرة ، اذ كل وصل الى الله بنوع من انواع طرق الدين ، الا ان أفضل الطرق طريق شيخنا الامام قطب العارفين الشيخ

---

٩ — انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٨
وتأتى ترجمة الشيخ محمود فى قصيدة اللامية الآلفية
١٠ — انظر البدور الجلية ، الباب السادس
١١ — انظر شرح الشيخ محمد النورى على القصيدة النونية

عبد القادر الكيلانى — قدس سره — كما ذكره ابن حجر فى الفتاوى وقال بعضهم كالعارف على القارى افضلها طريق شيخنا الشيخ محمد الاوسى البخارى قدس سره (١) .

وانه يرى شيخ الطريقة القادرية فى زمانه افضل من شيخ الطريقة النقشبندية وهو الشيخ عبد الوهاب السوسى ، لان الشيخ الطريقة القادرية كثير التواضع حسن الخلق لا يؤذى المسلمين ، والمنتسبون للطريقة القادرية لا يكرهون غيرهم ، ويبتعدون عن الحكام والسلاطين ، ولا يأخذون منهم صلة ، لان اموال الحكام والامراء مشبوهة بقننا ومحرمة ظنا ، وفى طريقنا التسبيح والتهليل والتحمد مع مافى طريقهم ، وفى طريقنا ماليس فى طريقهم ، فلذلك فضلتها ، وفى طريقنا الحلق للسماع ، والضرب بالدفوف وهما شيئان محبوبان لا مكروهان ، لكن الخطر لا يخلو من كثيرين فاعلين لها، فضارب الدفوف قد لا يخلو من الغفلة واجتماع النساء والمرد ، وهن محرمات الحلقة قد لا يخلو من الرياء والتصنع ، ورؤية النساء والمرد ،وهن محرمات يبتلى بها كثر من اهل الطريقة القادرية (٢)

اما اتباع الشيخ عبد الوهاب فانهم لا يقصرون فى اخذ اموال الامراء ؛ وانهم يتحصنون بالسلاطين فيداهنون ، وانهم يحقرون غيرهم (٣)

وعلى كل حال فان رأيه هذا قد جره الى صراع مع اتباع الشيخ عبدالوهاب كما ان رأيه فى شروط أهلية الشيخ للارشاد ، اثر على مصالح كثير من المتمشيخين،فعادوه . وربما نزاعه مع اتباع الشيخ عبدالوهاب كان راجعا ايضا الى رأيه حول شروط أهلية التصدى للارشاد ، والا فانه يمدح الطريقة النقشبندية مدحا مستفيضا ، حيث يقول : اعلم ان من محاسن الطريقة التى جددها الامام العارف والولى المكاشف الشيخ محمد بهاء الدين النقشبندى — قدس سره — الذى سن الذكر الخفى ، وفضائلها وعجائبها كثيرة ، وذلك لمن وفق على العزائم الشرعية .. فمن محاسنها الذكر الخفى والمراقبة والخنمة المشهورة ، وكذلك الذكر الذى ينتقلون اليه بالاوطار ، وحسن فيهم

---

١ — أنظر مرآة حقائق حق الطريق ، ورقة ٢٨و٢٩
٢ — أنظر البدور الجلية ، ورقة ٨
٣ — أنظر البدور الجلية المقدمة

رابطتهم بشيخهم ، وهو التأدب بين يديه حاضرا وغائبا ، وهو أصل عظيم فى جميع الطرق (٤)

وقد بلغ فى احترامه الطريقة النقشبندية منتهاه حيث روى عن كثير من مريدى الشيخ ابى بكر (٥) غياث الدين بن الملا محمد الهرشمى — قدس سره — انه قال : توجهت الى بريفكان وقصدت الشيخ نور الدين قدس سره لاخذ الطريقة منه فى بداية الامر ، فلما وصلت المقصد وبقيت هناك أياماً ، لاخذ السلوك منه ..

---

٤ — انظر البدور الجلية ، ورقة ٧

٥ — هو العلامة الملهم ، والشيخ الفاضل ، والولى الكامل الشيخ ابو بكر — غياث الدين — بن العلامة الملا محمد الهرشى ولدفى قرية هرشم ، وهى الان تابعة لقضاء شقلاوة وكانت فى ذلك الوقت تابعة لدير حرير .

فدرس على والده ، وعلى العلامة عمر افندى الخيلانى ، وغيرهما من كبار علماء عصره ، وارتقى فى سلم العلم والعرفان حتى صار ربيع العلوم والحكمة ، وصاحب المجد والكرم ، روض الافادة للطلاب ، أحيا أموات العلوم بذهنه الثاقب وذكائه المفرط . وانتسب الى الطريقة القادرية فى بداية أمره على يدى الشيخ نور الدين البرزنكانى ، وصار من المقربين المحبوبين له .

ثم اخذ الطريقة النقشبندية على يدى الشيخ عثمان — سراج الدين — الطويلى ، وهو من خلفاء مولانا خالد البارزين .

فعمر أماكن الطاعة ، واتخذ زوايا المساجد من خير البضاعة ، فصار عالما عاملا وعاملا عالما ، حيث جمع بين العلم والسلوك ، ووزع أوقاته بين التدريس والتقديس ، حتى أصبح تشرق من طلعته شموس ، وتتهذب بمجالسته النفوس ، ونشر لواء فضله وعلمه فى ربوع مدينة أربيل ، حيث أسس مسجده المعروف بخانقاه الشيخ أبى بكر » وتوجه اليه طلاب العلوم والسلوك من كل حدب وصوب ، واستفادوا من علمه الغزير واخلاقه الرفيع ، وقد درس عليه وتخرج على يديه فطاحل العلماء أمثال : العلامة الملا ابراهيم الدوغلمه جى البير بابى والملا عبد الرحيم الزيارى والملا أحمد بن الملا محمد الانشوكانى ونجله العلامة الشيخ — كمال الدين — مصطفى النقشبندى المولود سنة ١٣٠٦هـ الذى نعتقد انه من بقايا السلف الصالح فى زمننا ومن =

= الشيوخ الكاملين علما وحالا — متعه الله بالصحة والعافية — والملا سيد كريم الاورامى (الهورامى) ودرس عليه الاستاذ الملا عبد الرحيم الجرستانى والشيخ محمد أمين الاربلى حيث درس عليه بعض الوقت

وكان الشيخ محمد أمين — قدس سره — ولد فى قرية (سعداوة) وهى قرية تقع غرب مدينة أربيل على بعد حوالى خمسة عشر كيلو مترا،قرب التل الشهير بقصر شمامك بدأ دراسته فى محافظة أربيل وقرأ وقرأ مدة على الشيخ ابى بكر الهرشمى المذكور ، لكنه أخذ الاجازة العلمية من العلامة عمر افندى الاربيلى والد « ملا افندى » المشهور بكجك ملا ، ثم ارتحل الى محافظة السليمانيه ودرس هناك على كثير من العلماء ، وأخذ الطريقة النقشبندية من الشيخ «عمر ضياء الدين » ثم ارتقى فى سلم الكمالات علما وعملا وحالا وصلاحا وزهدا وتقوى ، حتى صار من أعظم خلفاء شيخه ، ثم ترك الاهل والعشيرة ، وتوجه الى الحجاز وبقى هناك مدة فى الحرمين الشريفين تاركا الدنيا وأهلها ، وانقطع للعبادة والرياضة وسلوك الطريقة ، ثم توجه الى القاهرة واستقر فيها الى أن توفى ١٢ ربيع الاول سنة ١٣٣٢ ودفن هناك فى مقبرة الدراسة وقبره معروف مزار ، وعليه مسجد يعرف بمسجد الشيخ الكردى ، وكان فانيا فى حب الله ويعتبر من كبار أولياء عصره وأشبه مشايخ النقشبندية ، بمولانا خالد ، حيث أنه كما أن مولانا خالدا لما رجع الى كردستان بالطريقة النقشبندية لم تكن الطريقة معروفة هناك ولم تكن هو معروفا ، فأظهره الله فجأة ، كذلك مولانا الشيخ الكردى حيث لم يكن هو معروفا بالقاهرة ولم تكن الطريقة النقشبندية معروفة أيضا فأظهره الله فجأة على خلاف العادة ، لأن العاده أن لا يظهر الانسان ولا يشتهر الا اذا كان ثريا ، أو يعتمد على منصب دنيوى رفيع ، أو عشيرة قوية أو حزب قوى ، والشيخ محمد أمين الاربلى لم يعتمد على شىء من ذلك ، بل اعتمد على الله فقط ، حيث خرج على قدم التجريد من عند أهله متوجها الى الحرمين الشريفين، وربما ظن بعض أقاربه أنه أكله الذئب فى الطريق ، فظهوره وشهرته من غير اعتماد على الاسباب يعتبر كرامة له من أعظم كرامات الاولياء ، ويدل دلالة واضحة على أنه كان من كبار أولياء الله — قدس سره — ولا زال نجله المبارك ، وأحفاده الفضلاء فى القاهرة يعيشون معززين ومكرمين ببركة أنفاسه الطاهرة .

كما ربى كثيرا من المريدين تربية صالحة ، حيث نال بعضهم رتبة الولاية، ومن اشهرهم السيد عبد الله النوغرانى .

توفى رحمه الله فى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٣٢٨هـ وقيل فى بداية =

قال : يا أبا بكر ان خبزك ليس عندى ، فاذهب الى الشيخ عثمان سراج الدين فى الطويلة ان خبزك هناك فعند ذلك توجهت الى الطويلة واخـذت العهد من الشيخ عثمان سراج الدين قدس سره (٦)

***

رايه فى شروط أهلية الشيخ الذى يجوز أن يؤخذ منه الطريق .

يقول : لا تصدق أحدا نصدر للمشيخه الا من سلك زمنا طويلا فى الخلوات، وعلمت منه انه خالف نفسه فيها بأنواع الرياضيات . وان تبعته فصـار شيخك ، وهو ليس كذلك ، فقد هلكت أنت وهو ، فاجتنبه ، ولا تقرب منه مع العقل وعدم ابذائه .

ولا تقل : انى أحسن الظن به لان من اعتقد بحجر نفعه ، لان ذلك انما هو ظن البراءه من الظلم والفسق والفساد من المسـلمين ، وكلهم فى ذلك سواء ، لا ان المراد أن العبد اذا راى من صار شيخ جماعة ، او قال : انى صرت مرشدا يظن له هذا الكلام صادقا ، لان من صدق بكل فهو احمق ، فلا تدخل تحت يد من يدعي المشيخة ، حتى ترى فيه مالا يعترض عليـه الشرع ، ولو فى مثقال ذرة ، والا فكان ذلك الشيخ وبالا على نفسه وعلى نفس مريده — أعاذنا الله منهم — وربما ابتليت بالمتابعة له ، وصرت مريدا له ، وجاز لك الخـروج من عنده ، بشرط أن لا تؤذيه بخلقك ، وقـل له بالمعروف : انى لاأقدر أن أكون موافيا لما لك على من العهود فلا طاقة لى على المرتدة ، وانما قلنا : أن الشيخ يجب أن يكون على كمال ، لان الشـيخ اذا لم يكن من الاولياء ،

يمكن أن يكون ممقوتا ، لا يؤيده الله ، فاذا لم يقوه الله تعالى ، ربمـا دعته نفسه الى مطلوبها ، فيفعل بمقتضى نفسه من الشهوات ، والغفلات،

محرم سنة ١٣٢٩ ، وسألت نجله العلامة الشيخ مصطفى النقشبندى عن تاريخ وفاة والده فقال : ما كتبه الملا خليل مخلص هو الصحيح ، اى سنة ١٣٢٨ ، وسبب هذا الاختلاف أن الشيخ — قدس سره — توفى أيام الثلج الكبير ، وكان وقوع الثلج المذكور فى أواخر ذى الحجة سنة ١٣٢٨ واستمر الى أوائل محرم سنة١٣٢٩هـ وحسب جدول مقابلة السنوات القمرية بالسنوات الشمسية يظهر أن اليوم الاول من محرم سنة ١٣٢٩ يصادف ١٩١١/١/٢م أى أن وفاته فى أواخر شهر ١٩١٠/١٢ أو بداية شهر ١٩١١/١ .

٦ — هكذا شاع بين الناس ، والله أعلم بالصواب .

فيظلم قلبه ، ثم يركب المحظورات اذا اخلى عن الناس ، فيسود قلبه ، فيمشي على غير سبيل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فان اتبعته هلكت ، وان لم تتبعه غضب عليك ، وقال لك : انت مريدي وانت تعترض علي ؟ فلا تتبعني فلست مني ، فتحصل العداوه والبغضاء بينك وبينه ، هذا حال من لم يكن على الشريعة وصار شيخا للمريدين ، فاجتنبوه ولا تتبعوه .

واذا احببتم الطريق ، فاستعملوا آداب الشريعة ، وهو عين الطريق ، والسلامة لك وانت بعد حينئذ من الهلاك ، ولا تنظر الى قول من يقول : من لم يكن له شيخ فالشيطان شيخه ، لان الشيخ هو الذى يعلمك دينك وايمانك ، سواء اباك او امك وغيرهما .

ولا شك من لم يسأل احدا فى أمور دينه صار بفعل مالبس بحق ، وذلك مراد الشيطان ، وحينئذ صار هو شيخه ، وقد يكون للانسان مائه شيخ او أكثر ، بأن يعلمه كل واحد منهم شيئا فى الدين ، وليس الشيخ من نقول له : انت شيخى ، بل كل من علمك دينك كان شيخك .

وانا اقول : فى هذا الوقت لا يوجد على وجه الارض احد يمشي على ما يمشي عليه الاولياء ، وهؤلاء الذين يسمون بالمشيخة الآن ، وهو عرى عن المشيخة الحقيقية ، ولا يجوز لاحد الانتماء به من حيث رسم المشيخة المعروفه بين القوم على حصول الوصال ، وفى الخروج من امر النفس ، هذا حاصل ما قرر الفضلاء اهل الطريق . (٧)

ويقول : ان طريق القوم اصعب شيء فى الدنيا ، ومن ثم اندرس من زمن بعيد ، فوجب على كل احد أن لا يدخل تحت يد احد ممن يسمى باسم المشيخة ، وهو على خلاف الشرع ، بل يجب على كل من اهل الزمن ان يهتموا بأمور دينهم من غير سبيل الارادة المعروفة بين القوم (٨) .

وكان قدس سره يعتقد أن أى شيخ لا يصل الى المستوى الذى يكون فيه اهلا لارشاد الناس ، الا بعد ان نجح فى اجراء امتحان اربع موتات :

---

٧ — انظر البدور الجلية ، ورقه ١٨ ، تحت المشيخة .
٨ — انظر البدور الجلية ، ورقة ١٩

وهى الموت الابيض ، والموت الاخضر ، والموت الاسود ، والموت الاحمر ، وقد نظم الموتات فى هذه الابيات :

فالموت الابيض : بيض المجاعة ... فالقلب يضحى بالجوع أزهر
والموت الاخضر : لبس المراقع ... فالعيش أخضر بالبذل أنضر
والروح من فيه الازهار نجمع ... ثم الكلا والعيش المكثر
مثل الرقاع فوق النباب ... ثم القناعة فى القلب أخضر
والموت الاسود : حمل الأذايا ... والقلب فيها للحمل يصبر
ان الأذايا كالقار أسود ... فحاملوها بالصبر أجدر
ظلم العباد كظم المسيء ... ذو الحلم يعفو وهو الميتر
والموت الاحمر : ذبح النفوس ... عما تقول اذ ذاك أكبر
مهما يخالف ماالنفس ترضى ... فاعلم يقينا ذا الموت الاحمر

***

الشيخ بين الحكام والفقراء :

كان قدس سره ، بعيدا عن الحكام بعده من الظلم ، وجمع المال المشبوه والحرام ، ولم يثبت انه راسل حاكما ، او اميرا ، او توجه الى الاستانة ، او طلب من الباب العالى شيئا ، او بعث اليهم برسالة أو قصيدة فى مدحهم ، عدا رسالة واحدة ، وهى رسالة وعظ وتوبيخ ونصريح بالحق عند الظلمة ، وسوف ننشرها .

ولم يكن اضرابه عن مدح الحكام ومراسلتهم راجعا الى عدم مدحه للناس، فقد كان يمدح الناس وبراسلهم ، فقد مدح شيخه الشيخ محمود ، ومدح كثيرا من الاولياء والشيوخ الكرام ، كما مدح العلامة الشيخ حامد بن عيسى الدوسكى حيث مدحه بقصيدة داليه بليغة ، لانه كان عالما تقيا ، وكان من تلامذ الشيخ قدس سره ، ونفرة الشيخ من حكام زمانه له ما يبرره

حيث قال :

ترك الأكابر من بنى الدنيا التزمت ... فصار طبيعى نفرة الكبراء

وبقول ايضا :

كيسى ملىء بالقناعة ليس للنورى ... ثمة حاجة بمنالك

ويقول ايضا :

يألف الـــوحش من أراد نجـــاة
زاهـــدا فى الطـــريق العبســـوى
يا عبـــاد البطـــون انتـــم كســـالى
كل شر يـــأوى لبطـــن ملى

ويقـــول :

فلزمت اركـــان الخمـــول فانـــه
اولى واســـلم من دخـــول خـــلائى

وقد بقى الشيخ قدس سره بعيدا من الحكام والامراء ، يعيش مـــع الفقراء الى أن ذاع صيته ، وملأت الآفاق شهرته ، وكثر اتباعه ، وعظـم خطره ، فعندئذ خطب جميع الناس وده ، واشتاق الحـــكام والامراء الى ارضائه ، حتى أن بعضاً منهم دعوه لتزوجوه نساء من اسر الحكام فأبى ان يصاهرهم او أن يتزوج من نسائهم (١) ، ولكنه مع هذا لم يجابه الحكام ، وذلك لانه كان يريد قضاء حوائج الناس ، ورعاية الحقوق بصورة سلمية ، فقد نقل عنه الشيخ حسن الحبار قوله : (ولمـــا أصبح لى هـــذا المقـــام (أى لمـــا أذن الله لى بالمدارات) واتحدت بالملوك والسلاطين ما قضيت لاحد من الناس حاجة ، الا من طريق المدارات ، ولذلك ماردوا لى شفاعة قط ، وذلك أنى كنت ابسط للملك بساطا أسندرجه فيه حتى يكون السائل فى قضاء تلك الحاجة ، فيقضها على الفور بطيب نفس ، لما يرى فيها من المصلحه(٢)

***

اما مع الفقراء :

فقد كانقدس سره لصقا بالفقراء واحداً منهم ومحباً لهم ، وهذا ليس غريبا عنه لانه نشأ على الفقر ، وأسس طريقته على الفقر ، وقعد قواعـــد سلوك طريقته على ايثار الفقر على الغنى ، وارتقى سلم الكمالات فى الدنيا والآخرة بالفقر والفقراء .

اننى لا أمدحه لانه عاش مع الفقراء ودافع عن الفقراء فى بداية الأمر ، لان جميع الدهاة والقواد وذوى الطموح يعتمدون على الفقراء عادة فى بداية

---

١ ــ انظر فيض الجمال ، ورقة ١٢٨
٢ ــ انظر فيض الجمال ، ورقة ١٥٠

امرهم حتى يصلوا الى مقصدهم ، وأن جميع من رقى سلم الكمالات ، ارتقى اليها على اكتاف الفقراء ، لكن الذى أعجبنى منه وجعلنى أحبه انه بقى وفياً لهم الى آخر حياته ، وانه دافع عنهم دفاع المستميت الى آخر حياته ، حتى انه — رضى الله عنه — لا يزال الى يومنا هذا يتحمل نصيبا وافرا من آلام شعبه وشقائه ، فقد تعرضت قريته وضريحه وتكيته الى هجمات مدمرة مرات عديدة ، والآن فى الوقت الذى أكتب فيه هذه الرسالة لم تبق من قرية بريفكان ومرقد الشيخ الا الاسم وان الخراب والدمار قد عمها وطرد الأهل وشردت العشيرة ، وان الذى يذهب الى بريفكان وتقع عينه على هذا الخراب والدمار والشريد ، يتيقن بأن هذا مرقد زعيم كردى فى منتهى الاخلاص والشهامة لذلك توفرت له جميع المزايا والاوسمة والاحترامات التى يستحقها مخلصوا هذا الشعب الكادح من قبل الاعداء ومما يدل على منتهى اخلاصه للحق وحبه للفقراء ، ان على باشا والى بغداد حينما جاء الى كردستان لتدمير امارة رواندز ، اتصل بالعلماء وشيوخ الطرق ليهيىء تأييداً دينياً للعثمانيين ضد مير محمد الرواندزى ، فاتصل بعدد كبير منهم ومنحهم اراضى واسعة لاطعام الطعام ، وهم منحوه التأييد بالمقابل ، ومن جملة من اتصل بهم الشيخ نور الدين قدس سره

حيث أرسل اليه بعض الأكابر يلتمس منه مقابلة على باشا ويخبره بأن يرسم له خمس عشرة قرية من قرى الجبل اطعامية لتكيته بعد المواجهة معه.

هكذا أرسل اليه على باشا ظنا منه ان الشيخ يعبد الله للطمع ، وانه من طراز أولئك الذين غرهم بالمال ، لكن خاب ظنه ورجع رسوله بخفى حنين حسثرده الشيخ قائلا (انا لا اواجه ظالماً بسبب عرضى من الدنيا) (١) .

هذا ماقاله ، وهو يستحق أن يكتب بماء الذهب ، ويستحق أن يكون قوله : هذا حكمة وعظة لكل أبناء هذا الشعب ، كما يستحق هذا الرجل العظيم أن يكون موضع احترام وتقديس شعبه بسبب هذه الكلمة الجبارة ،

---

١ — أنظر تحفة السالكين ، ورقة ٦

وان هـــذه الكلمه احب كلمة الى الله تعالى ، لانها كلمة حـــق عند سلطان ظالم (٢) .

ومن المعلوم ان «به يى كولى» ملحمة الجـــراد و «به ينى به قالاموسلى» ملحمة بقالى الموصليين، لا تقلان فى الاهمية عن هذا الكلام الجرىء فى زهق الباطل وسحق الظلمةواحقاق الحق والدفاع عن الفقراء .

---

٢ — ومما يؤسف له أن معظم الكتاب الذين كتبوا عن (مير محمد الكبير) لم يتطرقوا الى موضوع جوله على رضا باشا وتوزيعه القرى على العلمـــاء والشيوخ والأغوات مقابل تأييدهم له ، كما لم يذكروا الذين برزوا وربحوا وصارت لهم الكلمة المسموعه بعد انهيار دولة رواندوز ، ولم حصلوا على هذه الأملاك المنسوبة ولم حصلوا على هذا الدور المرموق ؟ وبدلا من تحقيق الموضوع ، تشبث الكثير بفتوى منسوب الى العلامة الملا محمد الخطى، علماً بأنه لم يحصل على شيء من الأملاك والأراضى ، واغلب الظن ، أن الذين حصلوا علىالامتيازات، هم قاموا باصدار الفتوى ، ثم اظهروا امام الناس ان الفتوى كان من الملا الخطى ، وبما أن الخطى توفى فى السنة التى القى القبض فيها على (مر محمد) وهى ١٢٥٢ هـ لم يتمكن من الرد على خصومه. وحتى لو اصدر الخطى فتوى بحرمة محاربة العثمانيين ، لم يكن فتواه سببا فى اخماد الثورة ، والاضرار بالشعب الكردى ، بل ربما كانت لصالح الكرد كما تدل على ذلك هذه القصـــــة وقد سمعت من « مام وســـــمان » عثمـــان خجى وكان رجـــلا يحب مخالطـــــة العلمـــــاء كثيرا ، قال : كنت جالســـــا فى مجلس كان يضـــــم كلا من فضيلة العلامة محمد الجلى الكوبىوالاستاذ عبد الله البيتواتى امام ومدرس جامعالحاج عبدالقادر الدباغ ، وكانوا يتباحثون فى موضوع فتوى العلامة محمد الخطى ، فقال : أحد الجالسين : نعم كان الخطى اصدر فتواه لكن بطلب من المير محمد ،وذلك بعدما تأكد المير أنه لامجال لمحاربة الجيش العثمانىحيثتم الاتفاق بين الدولة التركية والدولة الايرانية — وكان الاتفاق بتشجيع من روسيا وبريطانيا — على محاربة المير ، فكانت دولته محصوره من جميع الجهات ، ولم يبق له اى اتصال بالعالم الخارجى ، وبدأ العتاد ينفد دون أن يستطيع من تعويضـــه بسبب الحصار من جهة وبسبب امتناع روسيا عن بيع السلاح لمير محمد ، وكان الاكثرية الكاثرة من المحاربين لا يعرف هذا الموضوع بل كـــان اكثرهم لا يعرفون هذه الاجراءات السياسية ، فتيقن مر محمد أنه ان اســـتمر فى الحرب سوف يهلك الشعب بالجوع والقتل حيث ينفد المؤن والعتاد ، وحاول اقناع المحاربين بالكف عن الحرب والاستسلام ، فلم يقتنعوا ، بل خالفوا

أســـــفاره

سافر الشيخ نور الدين قدس سره الى بغداد لزيارة الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره سنة ١٢٣٤ هـ عن طريق المـــاء حيث ركب السفينة من الموصل الى بغداد

حيث يقول : انى جهزت سنة أربـــــع وثـــــلاثين ومائتين والف من الهجـــــرة فى سفر بغداد زائرا حضرة سلطان الاولياء الشيخ محيى الدين عبد القـــادر ـــ رضى الله عنـــه ـــ وأنا بين جمع كثير من الأصحاب والآخذين منى عهد التربية ، فركبنا السفينة وأسرينا فى الدجلة ، فلما وصلنـــا قرية سر من رأى (السامراء) .. شاهدنا قبابا مشرفة فيها ، فسألت على من هى؟ فقيل هى على مراقد الشرفاء الحسن العسكرى وعلى الهادى ومن معهم من اقربائهم ، فخيلت فى نفسى ان هؤلاء اجدادى فكيف أمضى عليهم بلا اهـــداء شىء من القرآن لهم ، فقمت على قدمى والسفينة تجرى فقرأت من القـــرآن ما شاء الله ، وجعلته هدية الى أرواحهم الطاهرة ، ثم جلست فغلبنى النوم فنمت فأتانى حينئذ فى المنام رجل ذو شيبة بيضاء ولباس بيض وهيئة جميلة، وهو سيدى على الهادى ، فجاء وسلم على وقبل وجهى مرتـــــين ورحبنى وكرمنى بقوله : يابنى مرات ، ثم قال : يابنى ارم نفسك فى المـــاء ، وعلمت انه ترك المنام والطعام والكلام والأنام ، فاستيقظت (١) .

فمن كلامه يظهر ان سفره هذا كان أول سفر الى بغداد لذلك استفسر عن قباب مراقد على الهادى والحسن العسكرى .

كما أننى قد بحثت بحثا مستفيضا حول سفره الى الحجاز فلم أعثر على كلام يدل على ان الشيخ سافر الى الحجاز لاداء فريضة الحج ، وهذا راجع

= أمره ، وكاد أن يعزلوه من الامارة ، لذا لجأ الى المفتى باصدار فتوى تقضى بحرمة المحاربة مع الجيش العثماني وتسليم المير اليهم بعد مفاوضة بـــــين الطرفين والاتفاق على بقاء الامارة السورانية على حالها ، فوافق العلامة محمد الخطى على ذلك بالحاح مير محمد ، كما قدم المير نفسه كبش فـــداء لشعبه ، حيث ذهب الى اسطنبول وبعد صدور العفو عنه ، نكلوا بوعدهم ونكثوا ايمانهم فقتلوه ، وهكذا فدى بنفسه فى سبيل عـــــدم تدمير الامارة والشعب وكان ضحية كبيرة وذبحا عظيما .

١ ـــ أنظر ملحم الأكباد .

الى عدم ادخاره المـال حسب اعتقادى ، وذلك لأن الشيخ كان كثير الضيفان يصرف عليهم مصرف من لا يخشى الفقر فلا يبقى شيئا من ماله حتى يتمكن من سفر الحجاز فلم يجب عليه الحج قط ، لانه لم يكن مستطيعا الاستطاعـة المـالية ، فكان حجه وزكاته فى اشباع فقراء شعبه وقضاء حاجة المعوزين منهم .لبث عمرى هؤلاء الذين يسافرون الى الحجاز مرات عديدة ولايساعدون منكوبى شعبهم ، يفهمون انهم مخطئون ، ويقتدون بالشيخ العلامة ، وهـو جدير بأن يقتدى به ، وان كانوا مغرورين لا يرون منه القدوة الحسنـة ، لبتهم يسمعون كلام رسول الله (ص) حيث يقول : « بالمة محمد والذى بعثنى بالحق لا يقبل الله صدقة من أحد وأقرباؤه بحاجة الى صلتها الى غيره والذى نفسى بيده لا ينظر اليه يوم القيامة » (٢) وممن لم يستطيعوا اداء فريضة الحج مع شهرتهم بالعلم والغنى العلامة الملا افندى الاربلى ،والعلامة محمد الجكى الكويى ، حيث لم يستطع كل منهما اداء فريضـة الحج بسبب انفاقهما الكثير وعدم زيادة المال عن الحاجة .

آثار الشيخ نور الدين :

لقد ألف الشيخ قدس سره عدة كتب ورسائل نشهد له بالفضل الكبير والعلم الواسـع نذكر لكم ما اطلعنا عليه أو سمعنا به من مؤلفاته .

١ ــ ابراز الدقاق وهذا الكتاب شرح للقصيدة الحائية التى مطلعهـا كشفت حجب فوق الجنح عن سعد العبد على النجح .

وفرغ الشيخ من تأليف هذا الشرح سنة ١٢٣٣ فى قرية ايبوت وهو كتاب مهم ملىء بالحكم والأشعار ، ومع اننا لم نعثر على هذا الكتاب لكن الشـيخ حسن الحبار ذكر انه نقل جميع هذا الكتاب فى كتابه مرآة حقائق حق الطريق الذى هو شرح لنفس القصيدة .

٢ ــ كتاب البدور الجلية ، وهذا الكتاب من أشهر كتب الشـيخ على لسان الناس وتوجد منه عدة نسخ فى بعض المكتبات الخاصة ونسخة فى مكتبة أوقاف الموصل ، لكن ما رأيته من النسخ غير مرتب وفيها نقص وسقطات كثيرة كما أن المعلومات الواردة فيه لا تعتبر قوية لأن المؤلف تراجع عن كثير مما ورد فى هذا الكتاب وللتأكيد من ذلك يمكن مراجعة الرسالة التى بعث بها الشيخ الى السيد أحمد وهى الرسالة رقم (٢٠) وكذلك مراجعة مرآة حقائق

---

٢ ــ انظر الترغيب والترهيب للمنذرى ٣٨/١

حق الطريق للشيخ حسن الحبار ،وقد الف الشيخ كتاب البدور سنة ١٢٣٨هـ في قرية أيتوت أيضا وهذا الكتاب لم يطبع بعد .

٣ — بغية الصوفية ، وهو كتاب مهم يعتبر من امهات المراجع في سيرة وتاريخ حياة المشايخ الذين عاشوا في كردستان كما يحتوي على النصائح والآداب والاذكار، وهذا الكتاب شرح للقصيدة الدالية التي مطلعها .

سألتك بسم الله ياواحد الأحد ويا من يجيب المستجيب اذا قصد

وهذا الكتاب لم أعثر عليه بتمامه لكن الشيخ حسن الحبار ينقل عنه كثيرا في كتبه : فيض الجمال ، ومرآة حقائق حق الطريق ، والمواهب الالهية ويلاحظ من تلك النقولات عظمة الكتاب .

٤ — بهجة السالكين ، هذا الكتاب سمعت بنسبته الله من الناس المقربين المرتبطين بتكية بريفكان ، وبما انني لم أر الكتاب ولا شيئا منقولا منه في الكتب لذا لا أستطيع التحدث عنه .

٥ — تلخيص الحكم وهذا الكتاب منظومة جمع فيها الشيخ شرح الحكم العطائية وهو كتاب لطيف للغاية ، وللحصول على المعلومات الكافية حول هذا الكتاب يمكنك مراجعة ماكتبناه في مقدمته .

٦ — تنبيه النيام وهو من مؤلفات الشيخ لكنني لم أعثر عليه بل سمعته من بعض الناس الذين أثق بهم .

٧ — الجوهر المكنون ، هذا الكتاب لم أعثر عليه أيضا لكن ذكره شارح المعشرات في شرحه للقصيدة التائية وذكر هذا الكتاب على أنه شرح لاحدى قصائده .

٨ — حجة اللهجة وهذا الكتاب يمكن اعتباره من أهم مؤلفات الشيخ لأنه كتاب سير وتراجم يحتوي على تراجم معظم مشايخ الطرق الصوفية منذ نشأت الطرق الى أيام المؤلف ، وهذا الكتاب وان لم نعثر على نسخته الأصلية لكن الشيخ . محمد على الاتروشي — وهو ابن بنت الشيخ — ينقل صفحات بأكملها منه في كتابه نهجة السلاك .

٩ — ديوان شعره ، وهو باللغات الثلاثة العربية ، والكردية ، والفارسية ولمزيد الاطلاع عليه يمكن مراجعة ما كتبناه في مقدمة الديوان .

١٠ — رسالته وهي كثيرة ومنوعة ، ولمزيد من الاطلاع يمكن مراجعة ص٦٧

١١ — فتح الأرحم ، وهو شرح لحزب ملا على القاري وهو كتاب

مخطوط وتوجد منه نسخه فى احدى المكتبات الخاصة .

١٢ — مرام الاسلام ، وهو شرح لقصيدة الخباز فى مدح الرسول (ص) والخلفاء الراشدين والكتاب مخطوط وتوجد منه نسختان .

١٣ — نظم الغنية ، هذا الكتاب لم اعثر عليه ، ولكننى سمعت أن الشيخ نور الدين نظم كتاب الغنية للشيخ عبد القادر الكيلانى — قدس سره — .

١٤ — وأما « المناجاة النورية » وهى اسم لقصيدة وليست كتابا مؤلفا، وكذلك « كرب الحال » ايضا اسم لقصدة ، كمـــا أن هناك ذكرا لبعض مؤلفات الشيخ لكن تبين لنا أنها أسماء قصائد وليست أسماء كتب

***

مدح الناس له والاشادة بفضله :

لقد مدحه كثير من العلماء والشعراء باللغتين الكردية والعربية ، نذكر هذه النبذة كتمثيل فقط .

قصيدة الملا حسين البزار الذى هو من خلفاء الشيخ محمد النورى الموصلى يمدح بها الشيخ نور الدين .

قم واطرب القوم حادينـــا بنـــادينا ... فان داعى الهوى اضحى ينادينـــا
هذا النسيم نسيم الوصل فينا سرى ... هذا الحبيب اتى يسقى المحبينـــا
لا بعجب الناس منـــا اننا نفـــر ... يمينا الشـــوق احيانا وبحبينـــا
نلومنا فى الهـــوى قـــوم لتر دعنـــا ... عنه ولم تدر ان اللوم يغرينـــــا
لا يستفيق ولا يصـــحو منـــادمنا ... ولا يمل من النجـــوى منادينـــا
ونفحـــة القـــدس تأتينا فتسكرنا ... من حضرة الغوث (نورالدين)حامينا
والله مادار فينا ذكره وجـــرى ... الا ودارت مسرات الهنـــا فينـــا
كلا ولا انشد الحادى مدائحـــه ... الا تحكم بالألبـــاب جادينـــا
كلا ولا نسمت فينـــا نسائمـــه ... الا وعربد بين القـــوم صاحينـــا
طابت بأخباره الارواح وانتعشت ... كان فى ذكـــره وردآ وتسرينـــا
لم لا نهيم غراما فى محبـــة من ؟ ... نلوذ حاضرنا فيـــه وبادينـــا
هو الهمام الذى امـــداد همتـــه ... من المهمـــات فى الدارين تنجينـــا
هو الولى الذى من زار حضرتـــه ... ضجت بدعـــوته الاملاك تأمينـــا
غوث الوجود سحاب الجود بدر هدى ... بنوره لطـــريق الله يهدينـــا
بحر الحقائق فى تيـــاره غـــرقت ... أولو النهى وبه هـــام المحبينـــا
يسقى رياض التقى من فيض حكمته ... ومن كؤوس شراب الحب يسقينـــا

يبرى رقاب العدى فى سبق همه ... قطعا ومن سائر الامراض يبرينا
فليهنأ الباز منه اليوم فى بطل ... أضحت به السن العليا تهنينا
لا تعجبوا من جنونى فى محبته ... انى بلبلى هواه صرت مجنونا
هذا الذى ملأ الدنيا هدى وتقا ... هذا الذى جدد الهادى به الدنيا
هذا الذى فيه نرجو الله بكرمنا ... دنيا وأخرى ويرضا ويرضينا

وقد أشاد بفضله وعلمه وزهده كثير من العلماء والشيوخ ومن الطف ما قيل فى حقه هو ماقاله المؤرخ الكردى أنور المائى : اذا جاز للفرس أن يفتخروا بمولانا جامى ، فللاكراد أن يفتخروا بمولانا نور الدين البريفكانى (١) .

***

١ — أنظر الاكراد فى بهدينان ص ٢٧

رسائل الشيخ نور الدين

لقد كان للشيخ كثير من الأحباب والمريدين يراسلونه ويراسلهم ، وتبعا لذلك فان له رسائل كثيرة غير أن الذى يؤسفنا أن معظم هذه الرسائل ضاعت

ولقد بحثنا كثيرا عن هذه الرسائل فلم نجد منها الا عشرين رسالة باللغة العربية واثنتى عشرة رسالة باللغة الفارسية ، وقد وجدنا معظمها فى كتاب ملحم الاكباد للشيخ اسلام الشوشى ، وكتاب فبض الجمال للشيخ حسن الحبار ، وتذكرة الخلان ، ونهجة السلاك للشيخ محمد على الاتروشى .

وأطول هذه الرسائل هى رسالة آداب السلوك حتى عد بعض الناس هذه الرسالة كتابا حيث ذكروا من مؤلفات الشيخ كتاب آداب السلوك وهى فى الحقيقة رسالة وهذه الرسائل تدور حول الوعظ والارشاد والنصح وتنبيه الغافل وتأنيب المعندى وتوبيخ الظالم . كما أرسل بعضها كرسائل تعزية ومواساة وفى بعضها التذكير بنعم الله وفى بعضها التنبيه بعذاب الله .

وفى بعضها آداب السلوك وآداب الخلوة وفى بعضها الاذن بالارشاد وفى بعضها الاعتذار الى الأحباب وغير ذلك من المعانى السامية التى وردت فيها .

ومعظم هذه الرسائل وجدتها فى كتاب ملحم الأكباد للشيخ اسلام الشوشى الذى هو أحد خلفاء الشيخ نور الدين وقد ألف هذا الكتاب سنة ١٢٨٣ وهو سجل كبيرا من الرسائل التى بعث بها اليه الشيخ ورسائل بعث الى غيره من شيوخ شوش . وقسم من هذه الرسائل وردت فى غير هذا الكتاب وقد أشرت فى نهاية الرسائل الى المصدر الذى أخذت منه الرسالة .

وكان فى نيتى نشر ما حصلت عليه من الرسائل العربية والفارسية ، وفى سبيل ذلك قمت بترجمة بعض الرسائل الفارسية الى العربية ، لكن بعد ذلك ارتأيت نشر الرسائل الفارسية مع الأشعار الفارسية — اذا سهل الله لنا ذلك بكرمه ومنه — ونشر الرسائل العربية فقط هنا .

وقد كان للشيخ رسائل كثيرة بعث بها الى الناس ، للارشاد والنصح، وكان يزين جرائد اجازات المريدين بالآيات والاحاديث والحكم فى الوعظ والارشاد .

الرسـالة (١)

ومن جملة رسائله ، رسالة بعث بها الى الملا حامد الدوسكى البيسرى ؛ وأمره بنفع الناس بها ، وفيما يلى نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله من سلك اليه ملك ، ومن سلك لغيره هلك ، ومن راقبه وجده ، ومن غاب عنه فقده ، ومن حاسب نفسه خشيه ، ومن أهملها نسيه .

والصلاة والسلام على افضل الخلق واكملهم محمد ، وعلى آله واصحابه الذين جاهدوا فى الحق حتى ابادوا الأباطيل واعادوا الأقاويل الى احكام التنزيل ، وصلى الله وسلم على سائر الأنبياء والمرسلين ،والملائكةوالمقربين، وعلى جميع عباد الله الصالحين ، ورحمة الله وبركاته وغفرانه على جميع المسلمين اجمعين .

اما بعد فهذه جريدة المريدين ، وبريدة الطالبين ، كانوا يكتبونها لأصحابهم ، شاملة على المنجيات ، حافلة بالمهلكات ، ينبغى لمن اهتم بأمر نفسه أن يحفظها عملا ، لان فيها النجاة والحسنى :

بسم الله الرحمن الرحيم ، يا مؤمن كن فى صباحك ومسائك ، وسائر أوقاتك ذاكرا لربك ، مراقباً له ، خائفا من غضبه ، حاذراً من سخطه ، بعيدا من معصيته ، متذكرا للجحيم والحيات والعقارب والثعابين .

اذا جالست الناس فكن قليل الكلام ، لا ضحوكا ولا ملولا ولا متحركا ، ولا هشاشاً ولا طباشاً ، ولا مشتغلا بالجليس ، ولا راكنا الى غير ذكر الله الذى هو الأنيس ، لا بخيلا ولا متكبراً ولا حقوداً ولا غضوباً ولا خفيفاً ، ولا معجبا بالكلام الفصيح ، ولا متكلفا للكلام الجميل ، ولا زائدا فى لفظ فصل ، ولاتسىء خلقك اذا سيىء اليك ، ولا مذماً ، ولامادحاً ولاقادحا ،ولا مغتابا ، ولا نماما ، ولا همازاً ولا لمازاً ، متواضعاً خشوع السمت ، كثير الصمت ، ذاكراً لله فى كل وقت ، واذا مشيت فامشى على الارض هونا ، لا مرحاً ، ولا بطرا ، ولا رياءاً .

واذا قدمت فتقدم ، واذا تقدموا عليك فارض به واذا أثنى عليك فــلا تفرح ، واذا سبك أحد فلا تبرح (١) .

وكن شفيقاً بالناس رؤوفاً رحيما ، آمراً بالمعروف وآت به (٢) ، ناهيا عن المنكر وانأ عنه ، أذكر ذنوبك ، واحذر عيوبك ، واسس عملك ، وجدد توبتك ، وكثر الاستغفار بالليل والنهار ، وأكثر من القرآن العظيم ، ومن الصلاه والتسليم ، على النبى صلى الله عليه وسلم .

قال الله تعالى فى محكم كتابه وصية جامعة : **(ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله) (٣)** فالمتقى ما أمر به الله ، وبجنب عما نهى عنه الله ، (٤) ولا ينسى ربه ، وتارة يتذكر قبره ،وظلماته،ووحشته، وعقاربه ، وحياته ، وتارة يتأمل طول قيامه بين يدى ربه ، فى أطول أيامــه (فى يوم كان مقداره الف سنة) (٥) اذ لا يوجــد فيــه نوم ، ولا ســنة . وتارة يتأمل العبور على من جهنم الذى هو كاهاله البعير . وتارة يحذر من الانهيار فى قعور النيران والزمهرير . وتارة يبكى على ماسلف من معاصيه ، وتارة يتأسف على أيام غفلته ، وعصر سيئاته والغى فيه ، يقبل على خوفه ببكائه ، وأشجانه (٦) ، مناوها بحسراته واحزانه . وتارة يطالع كتب الأئمة فى دعوى الأمة الى موجب الرحمة ، وسبيل الهداية .

وتارة يزور المقــابر بتأمل الاجساد البالية ، والعظام النخرة ،والأوصال المنقطعة ، فبذلك يعبر عن الغفلة والبطالة ، ويستعد لايام الخوف والملالة

---

١ ــ برح به الأمر تبريحا : أى جهده وضربه ضربا مبرحا ، والبرحاء : شدة الاذى .

٢ ــ كان فى الاصل (امرا بالمعروف او آت به) لكنا حذفنا الهمزة ، لان هذه الهمزة اما سبق قلم ، او كان (أو) بمعنى (الواو) .

٣ ــ النســاء : الآية ــ ١٣١ ــ ٤ ــ الظاهر هكذا (المتقى ما أتى ما أمر به الله وبجنب عما نهى عنه الله) .

٥ ــ ســورة : السجدة الآية ٥

٦ ــ الأشجان : جمع شجن : وهو الحزن

(يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم) (٧) . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ، والحمد لله رب العـــالمين (٨) .

***

الرســـــالة (٢)

وهذه رساله أخرى راسل بها بعض الحكام موبخاً لهم ، لكنها غـــير كاملة ، حيث ذكرها الناقل هكذا :

من مراسلاته اصالة ونقلا رسالة راسل بها قبل وفاته بنحو سنتين بعض الحكام موبخاً ومؤدباً له بها :

انه يرد محلى سبعمائة ألف مريد ، ومثل هؤلاء رزقهم فى بيت المـــال ، لأن من فروض الكفاية أن يقوم فى كل بلدة بأبناء السبيل ورزقهم من بيت المال ، ونحن قائمون بذلك عنكم .

والله لولا رجـــال يقومونا ولهم صـــوم يصـــــونونا
لدكت الأرض من تحتكم سحراً لأنكم قوم سوء لاتطيعونا(١)

***

الرســـــالة (٣)

وهذه رسالة أخرى كتبها الشيخ جواباً لرسالة بعث بها البـــه بعض مريديه حول الذكر المسمى باللهجة :

بعد بلاغ جزيل التحيات والتمنيات المقرونة بالتحف والمواهب والقربات ، انه وصل كتابكم الكريم ، على أحسن الأدب والتكريم ، جزاكم الله عن ذلك جنات النعيم ، وقد ذكرتم فيه الاشارة من هذا الفقير ، واستخبرتم عن رأى هذا الحقير فى أمر السماع :

---

٧ ــ سورة الشعراء : الآية ٨٨و٨٩

٨ ــ وجدت هذه الرسالة بتمامها فى فيض الجمال ، ورقة ١٠٠و١٠١

١ ــ فيض الجمال ، ورقة ١٠٠

يااخوانى أما أمر السماع،فانه لايخفى على من له نمرن على كتب الفقه الشريف، انه من الأمور العادية ، من قبيل التمتعات البدنية، لانه حركات منسقة،ونغمات منتظمة ، فالسامع ان كان صاحب النفس المطمئنة ، أعانه السماع على مزيد الشوق الى المقاصد السنية ، وبهيج روحه الى الحضرة الصمدية ، ولذا غلب على جمهور الصوفية ، أصحاب الأرواح الزكية — قدس الله أسرارهم — فستحب لمثل هذا القبيل .

واما اذا كان السامع صاحب النفس الأمارة ، فان السماع له فتنة أعظم من شرب الخمر ، لنوران شهوانه به وتوقان هواه الى الفسوق والعصيان ، ولذا عابه جم غفير من السلف والخلف ، وعابه علماؤكم الكرام .

فهذا الداعى على هذا الأسلوب ، واستصواب ترك السماع محبوب، لأن درأ المفاسد مقدم على جلب المطالب والمصالح ، وسد باب هو ذريعة لكف النفس عن عادتها ، أولى من فتح الف باب من أبواب الخير ، الا نرى الى الأصحاب — رضى الله عنهم — يهجرون الحلال مخافة الوقوع فى الشبهة فضلا عن الحرام .

فليكن اجتماع الاصحاب للذكر الشريف ، والتسبيح ، والتحميد ، وتلاوة القرآن ، الذى هو البركات الأبدية ، وبه رفع الدرجات ، والتمحصات ، والكوارث،والنفحات ، والقربات،واما السماع الذى أعادته النفوس وادعته، انه لمحض قربة(١) اليه تعالى، وانه عبادة،وأن القوم استمروا عليه من الاعصار القديمة،فانه لايخلو فى عامتنا عن امتزاج الهوى،وخصوصاً اذا صار سبباً لاجتماع الأخلاط ، وأنكرته العلماء ، فذلك لا يخلو عن المفاسد على اليقين ، انه قد صار ضحكة للشياطين وانفتحت علبكم ألسنة السفهاء والأعداء ، وصرتم فرقتين ، ووتسببتم فى طعن الناس فى حق مشايخ الطريق .
صنوا دينكم عن الخصام والشقاق ، واجمعوا كلمتكم الى أحسن الوفاق،

---

١ — وانى تركت هنا كلمة وقع عليها الحبر ، وربما هى (والشوق اليه تعالى) .
٢ — رواه الترمذى فى كتاب الفتن رقم الحديث (١٩٦٦) .

فان الشقاق نفاق ، ولا تجعلوا مشايخكم عرضة واغراض الاعتراض ، والا فهم براء منكم ، فان « يد الله مع الجماعة (٢)» تحابوا ولا تباغضوا ، وقاربوا ولا تهاجروا ولا تنافروا ، وكونوا عباد الله اخوانا . (٣)

واتقوا الله واحذروا عقوبة الله ، وكونوا انصار الله على النفس ، فانها أعدى أعادى الله ،

ونسئلين به انه هو التواب الرحيم ،

والسلام عليكم ورحمة لله وبركاته (٤)

***

الرســـــالة (٤)

رســـالة آداب السلوك

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العـــالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اما بعد : فهـــذه رســـالة وضـــعتها للفقـــراء القادرية ينقطعون الى الله تعالى ، ليعلموا كيف (١) سلوك طريق الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فانى مارست طريقه (٢) فى مدة مديدة حتى اطلعت على كيفيـــة أركانها وشرائطهاوكيفية آدابها المستعملة فى أثناء السلوك .

---

٢ — رواه الترمزى فى كتات الفتن رقم الحديث (٢١٦٦)

٣ — وقد ورد فى هذا المعنى عدة أحاديث منها قوله آص) « لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله اخواناً » صحيح مسلم كتاب البر والصـــلة ، باب تحريم التحاسد ، رقم الحديث (٢٥٥٩)

٤ — هذه الرسالة نشرها الشيخ حسن الحبار ، فى شرحه المسمى بفيض الجمال ، ورقة ٢٣١

١ — ليعلموا كيف يكون سلوك نسخة (أ)

٢ — طريقتـــه (أ)

فأقول وبالله التوفيق : اعلم ياأخى الفقير القادرى انك اذا أردت(٣) السلوك بالكيفية التى كان يتمسك بها امامنا القطب الاكبر سلطان الأولياء الشـــيخ عبد القادر ــ رضى الله عنه ــ وقصدت شيخك ، ينبغى أن تعتقد فيه كمال الولاية ، وبلوغ مقام الارشاد لينفعك ، فان لم تكن بهذه العقيدة فلا ينفعك ، ثم اذهب اليه وتمثل (٤) له واقبل ما يلقيه (٥) فى الآداب الظاهرة والباطنة، ثم اذا وردك وادخلك فى بيت (٦) الخلوة ، ينبغى أن يكون امره لك بهـذه الآداب والشروط (٧): فاغتسل كغسل الميت أولا ، واذا دخلت الخلوة ، فاعلم أنها قبرك فتب الى الله من جميع الذنوب (٨) وانو ان لا ترجـع اليها أبدا ، فاذا جلست فلازم الاشتغال بقول : لا اله الا الله بلا احصاء وفى كل مره تلاحظ معنى الكلمة من نفى (لا) واثبات الا الله (٩) ، فاذا جـاء وقت صلاه الصبح تصلى سنة الصبح تقرأ فى الركعة الاولى (قل يأيها الكافرون) (السورة) بعد الفاتحة ، وفى الثانية (قل هو الله أحد) (السورة) ثم تذهب الى الجماعة البتة (فلا تفارقهـا) ما أمكنك ، وفى المشى ننظر الى محل الخطوة ، وتردد لا اله الا الله على لسانك ، فاذا صليت الجماعة فارجـع الى الخلوة ، نردد الكلمة الى وقت الاشراق ، ثم تصلى صلاته بالسورتين المذكورتين ، ثم تقعد مستقبل القبلة ان أمكنك ، وتردد الكلمة بشدة القلب، ان لم يكن هناك أحد الى وقت الضحى ، فتصلى صلاة الضحى ثمان ركعات، ثم تنام نومة القيلولة فانها سنة ، ثم تقوم عند يقظتك وتشتغل الى وقت صلاة الظهر ، ثم تحضرها (١١) فترجع كما سبق ، وتقعد فى بيت الخلوة ، وتقرأ الفاتحة (١٢) عشرين مرة وآية الكرسى كذلك ، والاخـلاص أربعين مرة ،

---

٣ ــ اذا أردت ، باسقاط انك (أ)
٤ ــ وامتثل (أ)
٥ ــ واقبل ما يلقيه عليك من الآداب والشروط (أ)
٦ ــ ثم اذا أوردك وأدخلك الخلوة (أ)
٧ ــ كلمة (والشروط) ساقطة فى (أ)
٨ ــ الذنوب والآثام (أ)
٩ ــ (من نفى لا واثبات الا الله) ساقطة فى (أ)
١٠ ــ كلمه (البتة) ساقطة فى (أ)
١١ ــ ثم تحضر جماعتها (أ)
١٢ ــ الفاتحة الشريفة عشرين مرة (أ)

والاستغفار مائة مرة ، ثم تستوهبها لحضرة (١٣) أولياء الطريقة ومشايخها، ثم تقرأ القرآن الى العصر ان أحسنه ، والا فتردد الكلمة ، وعند العصر تصلى أربع ركعات ونحضر الجماعة ، ثم ترجع بالكلمة الى المغرب ، فاذا حضرها ورجعت ، تصلى الراتبة ، ثم ست (١٤) ركعات من صلاة الأوابين وتصلى على النبى (١٥) — صلى الله عليه وسلم — مائة مرة هكذا « اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بعدد علمك » ، واذا جاء العشاء وحضرت الجماعة ورجعت صليت (١٦) الراتبة ، ثم تجلس مستقبل القبلة وتردد الكلمة ، ، وقد كنت صائما ، فاذا جاءك العشاء ابتدأت بالأكل وفى بدء كل لقمة تسمى باسم الله ولا تأكل مع الشره والكثرة ، بل تأكل أقل من قدر الشبع ، ثم تردد كلمة (١٧) التوحيد مستقبل القبلة الى نصف الليل ، أو قريبه ،ثم تصلى ركعات مع كمال الخشوع ، فان كان عندك القرآن تقرأ سورة يس ، والم تنزيل السجدة ، والدخان ، والملك ، وعم ، وهل أتى على الانسان ، كل ذلك مرة ، والم نشرح لك عشرين مرة ، وقل هو الله ، احدى وعشرين مرة ، وتستوهبها ، أى توابهـا للنبى — صلى الله عليه وسلم — وسائر النبيين والصحابة والملائكة والأئمة ومشايخ الطريقة وسائر المسلمين فاذا غلبك النوم فنم (١٨) ، فاذا قمت استغفرت الله مائةمره بالانكسار(١٩) والخضوع، وتدعو حينئذ دعاءطويلا(٢٠) للدارين لك ، ولوالديك،ولمن أحببتهم من الاقارب والمسلمين الى الصبح أى x بالاستغفار والتضرع والدعاء وكلمة التوحيد ، ثم تصلى صلاة الصبح كما مر ، وهـذه عادتك كل يوم وليلة ، وتجتهد جدا فى استحضار معنى الكلمة ، ولا تكلم أحداما استطعت ، ولا يكلمك من يأتيك بالعشاء ، فان للكلام مضرة عظيمة على السالك ، فى اذهاب

---

١٣ — لحضرات (أ)
١٤ — ستة ركعات فى (ب) لكنها خطأ حسب القواعد
١٥ — وتصلى على النبى — صلى الله عليه وسلم — هكذا «اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه عدد علمك » مائة مرة ، فى (أ)
١٦ — وصليت الراتبة تجلس ، (أ)
١٧ — ثم نردد الكلمة ، (أ)
١٨ — نمت ، (أ)
١٩ — بالانكسار والتذلل والخضوع ، (أ)
٢٠ — دعاء طويلا للوالدين ، (أ)
x الظاهر (أى تشتغل بالاستغفار)

بهجة قلبه ورونق نوره ، ولا تغفل عن رابطة شيخك ،واستحضارشكله(٢١) ما أمكنك ، وفى كل يوم وليلة تسمد من الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فيكون ذلك بعد قراءة شىء من القرآن كما سبق ، وتنادبه يا شيخ الطريق الغوث الغوث ، يا قطب العارفين ، ساعدنى فى هذه الطريقة ، فأنتوسيلتى الى رب العالمين ، وفى اليوم الثانى تسمد من الشيخمعروف الكرخى — رضى الله عنه — وتنادبه وتقول : يا امام العارفين ! وياسبدى(٢٢)! وياوسيلتى الى ربى ! يا شيخى ! ويا ابى ! وياساعدى ! انت الغوث القريب ، وملجأ البعيد ، ساعدنى فى هذه الطريقه عند رب العالمين ، وفى اليوم الثالث تسمد من حضرة الشيخ جنيد البغدادى — رضى الله عنه — وتقول : يا امام العارفين ! وياسيد الطرائق (٢٣) ! ويا ناظر الحضرة ! ويا رفيع الدرجه ! الغوث الغوث ، ساعدنى فى هذه الطريقة ، فأنت وسيلتى الى رب العالمين

وفى اليوم الرابع تسمد من خاله الشيخ سرى السقطى — رضى الله عنه — وتقول : يا شيخى ! ويا مرشدى ! ويا امامى ! ويا حاضر المريدين ! ويا ضياء الدين ! أنا من فقراء طريقتك وضعفاء أتباعك ، فانظر الى نظر الشفقة ، فأنت أبى ووسيلتى فى هذه الطريقة الى رب العالمين ، فكذلك مع كل يوم وليلة ، لا تغفل عنهم فانهم قريبا ينظرون اليك ويقرب الله ببركة دعائهم لك فتحك وحضور مطلوبك . وما مطلوبك الا زوال الغفلة ،ومشاهدة رب العزة (١) .

فاذا انتهت أيام السلوك لا تقصر ذكر الوحيد من مائة وسنة وسنين مرة بعد كل فريضة ، وقراءة : الفاتحة مائة مرة كل يوم وليلة ، وتلازم دوام الوضوء والنوم عليه ، مع الاذكار — المشروعة بعد المكتوبات ، وقراءة آية الكرسى والاخلاص والمعوذتين وذكر الله الى النوم ، وعليك فى كل وقت بمراقبة الله تعالى. وقلة الكلام ، ومعاشرة الخلق بالمعروف ، وحمل أذى الناس ، ولا تذكر أحدا مع داعية النفس الى مدحه أو ذمه أو غيبته ، واصبر على الفقر والحلم والرضا بالمقدور ، والصبر على البلاء ، والتوكل على الله،

---

٢١ — واستحضار شبحه وشكله ، (أ)

٢٢ — تناديه يا سيدى .... أنت غوث القريب وملجأ البعيد ، (أ)

٢٣ — يا سيد الطوائف ، (أ)

١ — هنا تنتهى الرسالة فى تذكرة الخلان لكن بقية الرسالة وجدناها فى نهجة السلاك فقط

ومحبة المسلمين ودعوتهم الى الحق ، وعدم بغض الظالمين والدعاء لهم بالتوبة، وكن شفيقا بالعصاة ، رحيما بالعامة ، قريبا الى الفقراء ، بعيدا من الاغنياء وابناء الدنيا ، مع أنك شفيق بهم تدعو لهم بالمغفرة والتوبة ، ولا تسأل الا عند الضرورة ، ولا تتكلم الا عند الداعية اليه . وان أمكنك يامن لبس بداخل الخلوة ، فالزم هذا الطريق الكيماوى ، وهو أن تتلو بعد صلاة الصبح : ياحليم الف مرة ، وبعد الضحى ، يارحيم الفاً ، وبعد الظهر ، ياروف الفاً ، وبعد العصر ، ياغفار الفاً ، وبعد المغرب ، ياستار الفاً وبعد العشاء : يا الله الفاً وخمسمائة مرة ، وبعد التهجد : استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه مائه مره . فهذه طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى ــ قدس سره ــ وتصلى على النبى (ص) يوم الجمعة بهذه الصلوات الف مرة « اللهم صل على سيدنا محمد عدد مافى علم الله صلاة دائمة بدوام ملك الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما » كذلك ، واجتهد أن تقرأ كل يوم بعد صلاة الصبح الفاتحة ، ومن أول سورة البقرة الى «المفلحون» وآية الكرسى، و « آمن الرسول » الى آخرها ، و «شهد الله» من آل عمران الى « بغير حساب »و« انربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام » الى « قريب من المحسنين » من الاعراف ، و « لقد جاءكم رسول » الى آخرها سبع مرات من التوبة،و **« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن »** من بنى اسرائيل الى آخرها ، وعشر آيات من أول الكهف ونحوها من آخرها ، ومن الروم « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » الى «تنتشرون» ، ومن أول الصافات الى « لازب » ومن آخرها « فاذا نزل بساحتهم » الى آخرها ، ومن سورة حم الغافر ثلاث آيات من أولها ، ومن الرحمن « يامعشر الجن » ثلاث آيات ، ومن سورة الحديد ستا من من أولها ، ومن الحشر «لايستوى» الى آخرها ، والواقعة جميعها ، وتبارك الملك ايضا جميعها ، وعم ، وألم نشرح لك ، واذا جاء نصر الله ، وقل يأيها الكافرون ، والاخلاص ، والمعوذين ، فهذه وظيفة الصباح من طريق الشيخ عبد القادر ــ قدس سره العزيز ــ ، فلو دورت شرقا وغربا ماترى نظيرها فى الثواب والنوال ، وما دامت لك نفس كن مستقيما على أحكام الشريعة ، والا فكيف تستقيم أنوار الطاعات مع ظلمة السيئات . فياراغباً فى طريق الشيخ الذى كتبه بيده المباركة للمريدين ، فان كنت من المريدين فخذه .

وأنا الفقير الى رحمة الله وحسن تأييده سيد نور الدين بن السيد عبدالجبار البريفكانى القائم على سجادة طريقة القادرية .

والله ان من اسمسك بهذه الرسالة يكون معدودا من زمره السادات القادرية .

وأنا الغريق فى بحر الذنوب والعصيان ، الراجى عفو ربه المنان متوسلا بمن أنزل عليم أم القرآن محمد على (١) بن السيد الشيخ عبد الحميد خان ، اللهم أمته على الايمان والسعادة ، وأصلحه واهده ، واجعل التقوى زاده .

* * *

---

١ ــ الشيخ محمد على : هو العالم الفاضل ، والشيخ الكامل ، معمر أماكن الطاعة والعبادة ، حيث كان تشرق من طلعته شموس ، وترتاح بمجالسته النفوس ، كما كان روض الافاده للطلاب ، وغصن ساحة الكمال ، أحيا أموات العلوم ، تصدر للارشاد والتدريس فى قرية أتروشى بعد وفاة والده .

وكان واعظا بليغا ومرشدا نزيها تروى ظمأ القلوب العطاش من زلال علمه وسلوكه ، كما كان فى نفس الوقت مؤلفا بارعا الف عده كتب ، وقد رأينا له كتابان هما :

١ ــ نهجة السلاك وهو كتاب نفيس يحتوى على مناقب وتراجم معظم الاولياء والصالحين ، كما يحتوى على أكثر أبواب الآداب الاسلامية ، وهذا الكتاب مخطوط ورأيت نسخة منه .

٢ ــ تذكرة الخلان فى بيان فضل ذكر الرحمن ، وهو مخطوط أيضا ، ورأيت نسخة منه .

٣ ــ وله كتب ورسائل غيرهما .

لكنه كان قصير العمر حيث لم يعش بعد وفاة والده الا حوالى ثلاث عشرة سنة حيث توفى سنة ١٣١٨ ، وكان والده قد توفى سنة ١٣٠٥ .

وقبره فى قرية سليفان الكائنة فى الحدود الايرانية التركية حيث توفى هناك عندما كان فى طريقه الى ايران للتداوى اثر مرض الم به .

ومن غريب الصدف أن أخاه الشيخ محمد أنور الذى خلفه فى القيام بالتدريس والارشاد فى تكية أتروشى قام بزيارة لقبر أخيه الاكبر فى قرية سليفان عندما كان فى طريقه الى ايران للمعالجة أيضا ، فوافته المنية فى نفس المكان ودفن بجوار أخيه هناك . صدق الله العظيم حيث يقول: (وما تدرى نفس بأى أرض تموت ان الله علىم خبير) .

آمين بالنبى الامين انتهى (٢)

***

الرسـالة رقم (٥)
فى رسـالة جوابيـة الى ابن عمه

أسلم على ابن عمى لازال لسانه يذكر الله لاهجا (١) ، وجنانه بنـوره باهجا (٢) ، واركانه بكليته سالكا ناهجا .

اما بعد فان من عزوتم الى مابه هزوتم ، لم يزل بمدرجة (٣) ولكن نوى مناوبه بدم ، حبه ، وله فى كانون الفياهب (٤) اكنان ، فمن المسكان يكتن بمصان (٥) تقوى الجبروت ، فكلت مراشيق كل كاشح(٦) ، وعاد حسام المسىء ادبه عطبه مولاه كانبه (٧) ، ولكن وقع بحضرة كيد شانيه ، وكم من فراريش تقحم ، حتى تفحم ، فلا مطيس ومريش (٨) .

---

٢ ــ هذه الرسالة هكذا بتمامها نشرها الشيخ محمد على الاتروشى فى كتابه نهجة السلاك فى الباب الاول فى بنات آداب السلوك

١ ــ لاهجاً : اى والعاًومغرى به

٢ ــ ناهجا : أى سالكاً ومبيناً .

٣ ــ عزوتم : أى نسبتم ، يقال : عزا الرجل الى أبيه : أى نسب اليه ــ به هزوتم : أى سخرتم منه .
المدرجة : ممر الأشياء على الطريق وغيره : ومدرجة الطريق : معظمه وسننه . وهذا الأمر مدرجة لهذا : منوصل به الله (لسان العرب) .

٤ ــ (الفياهب) جمع غيهب : وهو شدة سواد الليل والجمل ونحوه.
(اكنان) جمع كن : وهو مايرد الحر والبرد من الابنية والمساكن

٥ ــ (بكنن) أى يستتر ويصان . (بمصان) ، مصدر نص : اى بصون تقوى الجبروت .

٦ ــ (كلت) : أى اعيت ، يقال : كل السيف : اى لم يقطع .
(مراشيق) جمع مرشوق ، ومراشق : وهو مايرمى به ، لأن الرشق: الرمى (كاشح) : العدو الباطن العداوة ، كأنه يطويها فى كشحه .

٧ ــ (مولاه كالبه) : أى مولاه ساتره .

٨ ــ (مريش) يقال : فلان لا يريش ولا يبرى : أى لا يضر ولا ينفع،وقولهم: ماله أفد ولا مريش : أى ليس له شىء . (مطيس) الطيس : هو الكثير من كل شىء .

يا أخى العزيز : لا تقبل بقلبك على الاغيار ، طهر قلبك بمياه الاستغفار، وسبعه من هذه النجاسات بدراب الذلة والانكسار ، ولا تقبل بقلبك الا على ربك ، ولا تنطرح بذلتك وانكسارك الا بين يديه ، فليس للقلب الا وجهـــة واحدة ، فمتى توجه اليها حجب عن غيرها ، فوجه قلبك لقبلتك الحقيقة ، واشهد مقام الاحسان ، بر أحوال سيد ولد عدنان ، ونكون عبداً لمن هو كل وصحح صلاه سرك ، واستغن عن البريه ، واجعل قيامك استقامه فى الطاعة وركوعك خضوعا لعظمته ، وسجودك فناءا فى حضرته ، وغب عن الاكوان، بوم فى شأن .

يا أخى العزيز : فاعرف آداب الطريق ، واصحب من يرشدك الى ذلك، يزيل من قلبك النعوبق ، نافخ الكير ان لم يحرقك بناره أذاك بشرره ،وحامل العطر ان لم يحذبك من عطره متعك بنشره (٩) فكذلك صحبة الاشرار ، ان لم تحرقك بنار أقوالهم اذاك وجرك الى الفحشاء ، بقبح أفعالهم ، والابرار ان لم يعطوك علمهم وأنوارهم ، منحوك (١٠) بنشر عطـــرهم وأسرارهم ، اذ النفوس جبلت على الاقتباس بالمرء . وكان بعض الاولياء اذا مر فى مجاهدته زار محمد بن الواسع فنشط الى مدة ، وهكذا شأن الصحابة فى حق النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، فرؤية وجه الكامل أشد تأثيرا من الذكر ، وهذه طريقه معروفة تسمى بالرابطة ، وهى رؤية الشيخ ، فانها أنفع من الذكر : اذا كان الشيخ فانيا عن نفسه .

يا عزيزى : شرف النازل وعيشه وحبوره بحسب المنزول به ، عليك

---

٩ ـ هذا اقتباس من قول الرسول (ص) « مثل الجليس الصالح والسوء ، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك اما أن يحـــذيك ، واما أن تبتـــاع منه واما أن تجد منه ريحا طيبة ، ونافخ الكير اما أن يحرق ثيابك ، واما أن تجد ريحا خبيثة » البخارى ، كتاب الذبائح ، باب المسك ، رقم الحديث (٥٥٣٤) .

١٠ ـ كان فى الأصل (والابرار ان لم يعطك فيض وانواره ، منعك بنشر عطره وأسراره) .

بآداب الأولياء واعمالهم ، لأن عيش الاولياء ، فى الدنيا عيش أهل الجنة ، واستدل على ذلك بما هو محقق الوقوع ، أبدانهم تتمتع بأمره ، ان المحبة تجعل المحنة منحة فلذة الابدان نابعة للذه الأرواح ، وأرواحهم تتنعم بشهوده ونصره اى نصره اياها على كل عاشق عن شهوده ، اذ حقيقة الولى فعيلا او فعولا بتولى خدمة الله بالوفاء ، فيتولى الله كفاية أمره كما شاء بلا خفاء ، ثم مراتب الأولياء الموصوفين متفاوتة : وأول مراتب الأولياء ، الفقر الذى هو ايثار الحق على الخلق ونسيان الخلق ، ولكل مقام لذة وفرح وفخر ، والفقر انما هو فخر أى فخر ، لان افتقار غيره بالمخلوق أيا كان ، وافتقاره (١١) بالخالق ، اذ لا يفرغ الى غيره أبداً .

وثانى مراتب الولاية — العلم الذى غناء ، والمراد به العلم النافع من كتاب الله تعالى وسنة رسوله وكلام اوليائه ، فهو غناء فى الدارين ، ومن لم يعلم هذا العلم فهو أبداً محتاج الى الخلق فى التعليم والدلالة على صواب امره.

وثالث المراتب — المذكورة — الصمت اذ هو نجاة (١٢) ، مادام صمتا معتبراً بأن كان مع فكر ، والا فهو وسوسة .

ورابع المراتب — اليأس عن نفع الخلق لا بالحق ، فلارتفاع كلفتهم عن ظهر اليأس بالشكر والمكافأة كان راحة لما ذكرنا من خفة الوزر حينئذ ، واندفاع كلفتهم .

وخامس المراتب — الزهد اذ هو عافية عن الأمراض والعلل الناشئة من طلب الأغراض وسد الخلل .

وسادس المراتب — الاكتفاء بالله ومراقبته وذكره ، اذ الغيبة خيبة ، وقد بقى من مراتب الولاية كثير . (١٣)

***

---

١١ — فى الأصل (افتخاره) .
١٢ — فى الأصل تجاه .
١٣ — وجدنا تكملة لهذه الرسالة فى مجموعة تعود الى الاستاذ الملا محمد أمين .

رسالة (٦)

وهذه رسالة بعث بها الى ملا عبسى اليسرى الدوسكى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الف تحية الهية وضوعها من التسليمات الزكية الى (من) هو السند المجتهد فى العلوم الدينية ، والاخ الصفى الامجد محط (١) العناية القدسية قره العيون ، أعنى به : مولانا حضرة ملا عيسى — زيد ورعه وتقواه —

وبعد يا اخا الصادق لا تحزن على ما جرعك الله كأس الجفاء ، لانك ذقت فى الدنيا لذة العيش والصفا ، فبدلك الله بالنكد والعنا ، لمدخلك الله ذلك ساحة الغنى ، وبعد سجنك من هذه الدنيا لا يبقى عليك ذنباً ولا درناً ، والله حسبنا وعمدنا فى سائر عسرنا ويسرنا ، ويا أخى مثلك ومثل ابنك كمثل يعقوب ويوسف (ياأسفا على يوسف) (٢) وضيعتك (٣) (صبر جميل والله المستعان على ماتصفون) (٤) فتأسى بذلك النبى الكريم لما هجرعن ابنه الذى عنده عظيم ، وفراقه عليه اليم .

والسلام عليكم والحاضرين (٥) .

***

الرسالة (٧)

هذه رسالة بعث بها الى ملا عبد الرحمن :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين ، أبهى التسليمات الزكية ،

---

١ — فى الأصل (محظ العناية) .
٢ — سورة يوسف الآية ٨٤ .
٣ — فى الاصل (وضيفتك) .
٤ — سورة يوسف الآية ١٨ وأصل الآية فصبر جميل .
٥ — وجت هذه الرسالة فى كتاب ملحم الاكباد .

وازكى التحيات النامية نحف بها الى الاخ الصادق ، والعزيز الموافق لله ، السالك الناسك الفاضل الكامل ، ملا عبد الرحمن — ايده الله على مايحب ويرضى ، وجعله ممن تقرب الى ربه بالنوافل سنة وفرضا . لا زالت عناية الله محفوفة لديه ، ومواهب السنية منحوفة اليه .

ثم الوصية الالهية والموعظة النبوية علينا وعليكم وعلى سائر الاخوان والأصدقاء والخلان ، وسلام عليكم ورحمة ورحمة الله وبركاته .

ثم يا اخى عليك بالصبر على سموم البلاء والمحن الدنيوية ، فانها تزول عنا وعنكم ، اعتبروا بمن قبلكم ، فالموت فرق بينهم وبين مراداتهم ، وجاهدوا انفسكم ، فالمجاهدون ينالون مرتبة المشاهدة .

يا اخوانى : واظبوا على وصيات الاستاذ ، فمخالفة الاستاذ موجبة للطرد والابعاد ، ونسأل الله تعالى ان لا يسلبنا التوفيق بمنه تعالى وفضله وكرمه ، ونسلم على سائر المريدين والمحبين ، نسأل الله لنا ولهم مرافقة الأولياء والمقربين ، طوبى لمن كان انيس أولياء الله ، وخادم فقراء الله ، وصاحب اهل الله ، وجليس عباد الله .

يا اخوانى : عليكم بمراقبة ربكم ، ولا تركنوا الى غيره بقلوبكم ، فمن ركن بقلبه الى ماله وولده أو داره وزوجته ، فهو أسير ذلك ، وهو عبد ، لذلك لا يكون عبدا حقيقيا صادقا لله ، فالعاقل يشتغل بربه فى الليل والنهار ، والجاهل يرضى باللذات الفانية عن دار القرار *

***

الرسالة (٨)

وهذه رسالة اخرى بعث بها الى ابى بكر اغا :

بعد ابلاغ السلام والدعاء الى المحب المخلص المشفق صاحب العقل المستقيم والقلب السليم ابى بكر (١) اغا المحترم :

---

* وجدتها فى ملحم الاكباد .

١ — فى الاصل (ابو بكر اغا) .

اولا — أوصيكم — وانى لكم من الناصحين — بتقوى رب العالمين — وانى لكم من الأمناء المخلصين — أوصيكم ان تعملوا بأمر الله تعالى فى كتابه العزيز ، وسنة سيد المرسلين ، فان من خرج من السنة وقع فى البدعة ، واذا وقع فيها استولى عليه العدو الرجيم ، وصار قلبه أسود، ونفسه قوية، وروحه ضعيفة ، وغلبت ظلمة القلب ، وضعف نور اليقين ، فحينئذ هلك مع الهالكين ، فصار قريبا الى نار الجحيم وهو لا يدرى قول الله تعالى (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالداً فيها وله عذاب مهين) (٢) .

يا أخوانى : فانظروا الى من يتعد حدود الله ، ويتبع هواه كيف يعذبه الله (٣) بالنار ؟ .

كما قال تعالى وهو أصدق القائلين : وانى لكم من المحبين المشفقين ، لا اريد منكم أن تخرجوا من كتاب الله ، وتعملوا بغرور الشيطان الرجيم ، اتق الله اتق الله ، واصلح فيما بينك وبين الله ، وكن خالصا مخلصا لوجه الله ، حتى يحبك الله .

ويا أخى : قد سمعت أنك اخذت البرىء بذنب المسىء ، وعملت بهوى النفس الأمارة ، وتركت اتباع الكتاب المجيد ، هذه من حمية الجاهلية وعلامة الشقاوة . لا تخرج من الشرع الشريف ولا تأكل مال الرجل الفقير ، واتق الله واحذر على هذا الفعل (٤) القبيح ، الا تخاف من عذاب الله ذى الجلال والانتقام ، أتق عقوبة الظلام ، فى نار وقودها الناس والحجارة ، فان قبلت نصيحة الناصح الأمين ، كنت من العقلاء ، والا فلسوف تكون من النادمين . فواعجباً لكم تتركون الشرع الشريف ، وتعملون بأمر الشيطان الرجيم ، ليدخلهم النار مع الداخلين ، فارجع الى التوبة والتقوى قبل أن يغضب الله عليكم وينتقم ، ويجعلكم من الممقوتين ، قال الله تعالى : (فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين وجعلناهم سلفاً ومثلا للآخرين) (٥) ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

---

٢ — سورة النساء الآية ١٤
٣ — هذه الجملة اقتباس من القرآن الكريم .
٤ — فى الأصل (العقل القبيح) .
٥ — سورة الزخرف الآية ٥٥ .

الرسـالة (٩)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ اسلام الشوشى :

بسم الله الرحمن الرحيم — ذى الجلال والاكرام ، لا حول من الغفله والآنام ، ولا قوة فى اليقظة والمنام الا بالله العلى العظيم عن ملاحظ الافهام ، الحمد لله الذى ربك بالانعام ، وأسدى وعم وزاد وأتم علينا من غير استحقاق منا ، فله الحمد والشكر منه اليه فى كل حين ومقام ، وصلى الله وسلم على من أبرزه من غيب الأحدية وكنز الصمدية ، فجعله المحيط بالاسماء الالهيـــة محمد عليه وعلى آلـــه وأصحابه أفضل الصلاة والسلام .

أما بعد فقد وردنا كتاب عزيز ، وتحرير من الذهب الابريز (من) الأخ الاكرم الفاضل الاشهم الاشبم شبخ الاسلام ، فاذا فيه من الادب ما أتنى عليه الرب ، وبين من صـــــدق الوداد والاخلاص ، ما يوجب مـــزيد العنـــــاية والاختصاص ، من العليم العلام . جعله الله من العلماء الأتقياء وختم لنا وله بالحسنى والزبا دة ، والمعرفة والمراقبة ، والدوام الى الاقبال التام ، وقـــد سألنى عن شىء يقربه عند ربه ويدله على طريقة قربه بلفظ حسن الأداء وعبارة محررة عن الابهام ، (١) فأجبته مع غاية جهلى وغفلتى مقتبســـــا من كتب علماء الأعلام .

فياأخى : ان اردت النصيحة ، فعليك بمتابعة الكتاب والسنة الصحيحة ، والتمسك بهما فى الليالى والايام ، فان من خاض فى لجج بحرهما ، أمده الله تعالى والهمه من درر الافهام ، وجواهر الاحكام ، ما يدهش الباب أفـــكار العالمين عن الاحصاء بالاقلام ، فاذا أصبحت وصليت الضحى ، فافتح كتاب ربك بالصدق فى العبودية ، لأداء حقوق الربوبية ، والتمتع بالمخاطبـــــات الربانية ، واعلم انك اذا تلوت كتابه بالصدق والاخـــلاص ، فتح لك بابه ، وأقبل بوجهه الكريم عليك من الرحمة والغفران والفضل والاحسان عما يليق به ويمن به ما دام العبد متلوه ويناجيه فى ذلك المقام ، وقـــــد قال تعـــالى

---

١ — فى الاصل (فاذا أجبته) .

« فضل كلامى على سائر الكلام كفضلى على خلقى » (٢) وكفى بذلك شاهدا لذوى العقول والافهام ، واوصيك فى عموم الاوقات بالذكر على الدوام ذكراً مقرونا بالمراقبة والهيبة والاعظام ، والحياء فى السربة (٣) والغيبة عن جميع الانام ، واوصيك بقلة الكلام ، وقلة الطعام ، وقلة المنام ، وقلةمعاشرةالانام، فمن تمسك بهذه الآداب تجلى عليه ربه ، وادخله فى بحر النور ، وأخرجه من ظلمة الاجرام ، وجعله بحرا لا ساحل له **(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)** (٤) والحمد لله ختام الكلام ، وصلى الله على سيد العالمين محمد وعلى آله واصحابه البررة الكرام ، وارجو الدعاء من الشيوخ الكرام وبلغ منى عليهم الف تحية وسلام .

***

الرســـــالة (١٠)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ اسماعيل الساكن فى أطراف الشونى سم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اما بعد فاعلم يا اخى العزيز الشيخ اسماعيل أيدك الله الملك الجليل ، ورزقك الكرامة والعناية ، ورمع مرتبتك الى سواء السبيل ، ووفقك لما يرضى به ربك . وأمرك به ، انه بالاجابة جدير (١) ، وبالقبول كفيل .

با اخى : لو دار الانسان من المشرق الى المغرب فى طلب المرشد والشيخ العارف ، فلا يراه حتى يتصف بهذه الاوصاف ، ولا يظفر برؤية الأولياء ،

---

٢ — اخرجه الترمذى عن أبى سعيد الخدرى بلفظ قال رسول الله (ص) « يقول الرب تبارك وتعالى : من شغله القرآن عن ذكرى ومسألتى ، أعطيته افضل ما أعطى السائلين ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه » هذا حديث حسن غريب رقم ٣٠٩٤ نهايةابواب فضائل القرآن .ج٤ ص ٢٥٦ الترمذى .

٣ — الاصل « والحباء والسربة »

٤ — سورة الحديد الآية ٢١ .

١ — فى الاصل «بالاجابة جزبل» .

حتى يتأدب بهذه الآداب ، قال العلماء العارفون : من أراد أن يرزق المحبة والرضا وسلوك طريق الاولياء ، فعليه بالافتقار الجميل والاختيار الحميد ، ومعنى الافتقار الجميل : أن لا يفعل فعلا ، ولا يقول قولا مالم يعلم أن فيه رضى الله تعالى ، بالتأمل والتفكر فيه ، والرجوع الى الشرع المطهر ، والسنة المرضية النبوية — عليه الصلاة والسلام — ومعنى الاختبار الحميد : تجريد النية وتفريد الهمة فى طلب رضى المولى ، واختبار طاعته على هوى نفسه، وايثار زاد الآخرة على اللذه الفانيه والحطام العاجل ، ولا يتم حسن الاختيار الا بهذه الاوصاف ، وقال رسول الله (ص) موتوا قبل أن تموتوا (٢) » ومعناه : أن تموت نفسه عن مرادانها وشهواتها فهو الموت الأحمر ، فكأنه ذبح نفسه ، وعن مقابلة السيئة بالسيئة ، فلا ينتقم ، ويعفو عن من ظلمه وآذاه ، وسبه ، وشتمه ، فهو الموت الأسود ، لأنه شديد على النفس كالليل المظلم ، وعن الشبع وهو الموت الأبيض ، لأن الجوع يجعل الباطن أبيض أنور مشرقا كالشمس ، قالوا :

ان شمس النهار تغرب بالليل وشمس القلوب ليست تغيب (٣)

وعن الثياب الجديدة ، فلا يلبس الا

الثوب الناقص المرقع ، فهو الموت الاخضر ، لأن الباطن يصيره كالرياض والأزهار فى كثرة الأنوار .

يا أخى العزيز يا قرة عينى : لا يصل العبد الى هذه الدرجة ، حتى يطهر قلبه عن الرياء ، والكبر ، والعجب ، والحسد ، والبغض ، والبخل ، وطول الأمل ، واليأس من رحمة الله ، والأمن من غضب الله . فاذا طهر باطنه منها ، فيجب أن يزكيه من بعد ذلك بأضدادها ، وهو الاخلاص لله وحده ،

---

٢ — هذا الحديث بهذا اللفظ ذكره السخاوى ، وقال قال شيخنا انه غير ثابت المقاصد الحسنة ص ٤٣٦ ، لكنه فى سنن ابن ماجه ، كتاب الفتن باب شدة الزمان ، قال — صلى الله عليه وسلم — « لينتقون كما ينتقى الثمر من اغفاله ، فليذهبن خياركم ، ويبقين شراركم ، فموتوا ان استطعتم » وفى احياء العلوم ٤/٤٥٠ « شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات » أخرجه ابن أبى الدنيا .

٣ — فى الأصل (ليس تغيب) .

والتواضع للصغير والكبير ، والخوف من طرد الله وعدم قبول العمل ، وأن يحب للمسلمين مايحب لنفسه ويكره لهم مايكره لنفسه ، وأن يترك البخل بالاحسان الى أهل الحوائج ، وأن يقطع طول الأمل بمراقبة الموت ، والقبر ، والحشر ، والميزان ، والصراط ، والحساب ، والجنة ، والنار ، فى كل يوم وليلة ، وأن لا ييأس من رحمة الله ، ولو عظمت معاصيه ، ولا يأمن غضب الله تعالى ، ولو كثرت طاعته وعلومه وحسناته .

ثم يا أخى يفتح له باب المشاهدة مبرى ربه بقلبه ، ويعطيه ربه سيف المجاهدة ليقاتل بها نفسه وهواه وشيطانه ، فيكتب له ثواب الشهداء ، فتارة يغلب نفسه والهوى ، ويرجع الى حربهما ، فينال أجر الكرار والفرار . وبعد هذا الحال يسمع خطاب الكريم من غير حاسه سمع ، بل يسمع من جانب الروح من غير جهة ولا مكان ، فيأمره ربه بهذه الآداب : منها الصفا والوفا والقيام فى خدمة المولى ، ثم يعطيه خلع الكرامة والرضا ، لأن الأجر عنـــد تمام العمل .

ومنها التسليم والرضا ، فبحسب أنه مبت بين يدى مولاه يفعل فيـــه مايشاء ، كالميت بين يدى الغاسل .

ومنها المراقبة لله تعالى والحياء منه ، فيرى ربه على نفسه رقيبا ، ويرى نفسه وقبائح نفسه ، فيستحى منه ويخجل بين يديه ، فهو عبـــد معيب فى حضرة ملك عظيم قريب . ومنها التوكل ، فلا يختار لنفسه فعلا ولا تدبيراً ، بل يحمل أموره الى ربه العليم الخبير ، لأن من تأدب له تعالى ، فهو يحفظه ويعينه ويتصرف فيه بمعاقبة محمودة . ومنها اليقين ، فيتحقق عندك أن ربك لا يصرف عنك قسمتك الى غيرك ، ولو تركت الطلب ، ولا يصرف قسم غيرك اليك ، ولو طلبت وأكثرت الطلب والتعب . ومنها الصبر والتحمل والتجلد عند نزول الاقدار ، وبعد مرارة الصبر نذوق حلاوة الحكم . ومنها الخوف من الطرد والحرمان . ومنها الرجى فى العفو والغفران . ومنهـــا الخشـــوع والذلة والانكسار بين يدى الملك الجبار . ومنها الشوق الى لقـــاء مولاه . ومنها صدق المحبة لربه ، والسعى فى كسب ما يرضيه ويدنيه ، والبعد عما يسخطه وينهاه : ومنها الاخلاص ونسيان الخلق أجمعين .

ومنها دوام الذكر والفكر ، فبذكر رب العالمين لقوله تعالى (**فاذكرونى أذكركم**) (١) فاذا ذكرته ذكرك ، وعفى عنك وغفر لك ، وأعانك ونصرك ،

---

١ — سورة البقرة الآية ١٥٢ .

وحفظك من المخلوقين . ومنها الفكر ، تتفكر فى تقصيرك مع ربك ، وتستغفر من ذنبك ، وترجع عن ماأساء من فعلك وقولك فى مرضات ربك ، وتتفكر فى احسانه تعالى ونعمه عليك ، وفى عدم شكرك ، وعدم قيامك بحقوق ربك ، فترجع الى الشكل والخدمة ، متداركا لزمان الغفلة والجهالة فى مولاك ، وتتفكر فى فناء الدنيا وبقاء الآخرة ، وقلة الزاد ، وطول السفر ، وشدة الأهوال ، وعظيم العقوبات والعذاب ، وتتفكر فى قرب الموت ووحشة القبر ، وترجع الى عقلك ، وتنتبه من نومك قبل موتك .

ومنها العلم والحلم والقناعة والرياضة والمجاهدة والمعرفة والقرب ، لعلك تحظى بالوصال ، فاذا فعلت هذه الخصال فاترك اختيارك ، وارضى باختيار ربك ، فما فعل معك ربك ترضى به ، ولا تريد مع ارادته ، ولا تختار مع اختياره ، فحينئذ ينادى من جانب الازل .

ياعبادى: ذهب عنك العنا فهاموا مرحاوتاهوا طربا ، ثم خرجوا من وصف الثبوتية ، وغابت نفوسهم عن نعت النفسانية ، وطارت قلوبهم فى عوالم الملكوتية ، بأجنحة العناية الالهية ، والبسوا حلل العلوم اللدنية ، من زخائر خزائن الغيبية ، حتى خرجوا من حجاب العالم الحادث ، وانتهوا الى مقام الأزل ، ووقفوا على بساط العرش ، فنظروا فوقهم الى الملائكة الكروبية والروحانية ، فأخذتهم الغيرة ، فأخذتهم الى مقام الحيرة ، فطاشوا وعاشوا وأجاسوا فسويروا ، ونسوا فقربوا ، وكوشفوا فوصلوا ، ثم نسوا انفسهم فغابوا عن ذواتهم ، فنظروا وعرفوا ، فسقاهم الحبيب جل جلاله من شراب محبته بكأس وده على بساط قربه ، فلما شربوا طاشوا ، حتى اذا بلغوا (**مقعد صدق عند مليك مقتدر**) (٢) فناداهم الجليل جل جلاله يا عبادى : لاخوف عليكم الموت ولا أنتم تحزنون . اللهم خذ بيدى واجعلنى من المحبين والمحبوبين بحرمة محمد سيد المرسلين — صلى الله تعالى عليه وسلم — وبحرمة خلفائه الراشدين ، وبحرمة آله الطيبين الطاهرين ، الهى وبحرمه جميع الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين آمين (٣)

***

٢ — سورة القمر الآية ٥٥ .
٣ — نقلت الرسالة من ملحم الأكباد .

الرســـالة (١١)

وهذه رسالة بعثها الى بعض مريديه فى ناحية زيبار .

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين .

اما بعد : فأبلغ السلام والدعاء الى جميع المريدين المخلصين ،ثم اوصيكم بتقوى الله وطاعته فانه من داوم على تقواه وطاعة مولاه واخلص لله ، فهو يوم القيامة مع سيدنا محمد — صلى الله تعالى عليه وسلم — ومع آله واصحابه والتابعين ، ومع العلماء والاولياء والمقربين — رضوان الله تعالى عليهم أجمعين — فهو ينجو من عذاب النار وعذاب القبر والحشر والحساب فى يوم كان مقداره خمسين الف سنة هو يوم عظيم وفيه عذاب شديد ، وقد ورد فى الحديث الصحيح «ان الناس يقفون على أقدامهم تحت حر الشمس،حتى ان الشمس تنزل على رؤوسهم قريبا منهم كمقدار ذراع كأنما يكون الانسان فى سجن من نار، وكل انسان يجد العذاب والغوص فى عرقه ورشح جسده على قدر ذنوبه(١) وذلك الرشح بصير حاراً مثل حر النار ، واهل المعاصى والفساق والظلام والفجار جياع عطاش عراة كأنهم فى ثوب من نار ، وهذا جزاء من مات مصرا على الكبائر ، ولم يتب من الكبر ، والعجب والفخر ، والرياء ، والنفاق ، والحسد ، والبخل ، والبغض ، والخيانة والشح ،والحرص ، والغفلة ، والغرور ، واتباع الهوى ، والقتل ، والظلم ، وشهادة الزور ، واليمين الكاذبة ، واكل مال اليتيم ، واكل الربا ، والسرقة ، وقذف المحصن ، وقطع الطريق ، والزنا ، والغيبة ، والنميمة ، وترك الصلاة ، ومنع الزكاة ،وافطار رمضان بغير عذر ، وسوء الجوار ، وقطع الرحم ، وعقوق الوالدين ، والى غير ذلك من المعاصى . فيا اخوانى توبوا الى ربكم وخالفوا هواكم وحاربوا شيطانكم واقتلوا انفسكم وكونوا من اهل الرحم والشفقه ، وكونوا من اهل السخاء والانصاف والرحمه بالفقراء ليرحمكم الله كما قال : « الراحمـــون

---

١ — هذا الحديث صحيح من حيث المعنى لانه وردت أحاديث كثيرة تفيد هذا المعنى ، غير أنى لم أعثر عليه بهذا اللفظ .

برحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء(٢)» «فمن عفى عن الناس عفى الله عنه واجره على الله »(٣) « ومن أعطا ماله للفقراء والمحتاجين فان الله تعالى يعطيه مال يوم القيامة يكون فى ظل صدقته » (٤) « من حسن خلقه مع الناس كان حمن صام نهاره وقام ليله ومن ساء خلقه مع النـــاس أفسد الله أعماله » . (٥)

يا اخوانى ، قال المشايخ الكرام — رحمهم الله — : من لم يكن له أستاذ فالشيطـــان اســـتاذه وبســـوقه الشيطان الى تـــرك السنة والجمعة والجماعة ، وقد ورد أيضا فى الحديث الشريف « مامن قرية او بدو اجتمع فيه ثلاثة أو اكثر ، ثم لم يقيموا الجماعة **الا اســـتحوذ عليهم الشيطان** » **(٦)** يعنى غلب عليهم وصاروا تابعين لمراد الشيطان خارجين من أحكام القرآن ، فكيف يفلح يوم القيامة من اغتر بغرور الشيطان وسحر الدنيا !

يا اخوانى : من قال لاستاذه : لم ؟ لا يفلح ، يعنى من لم يعمل باشارة أستاذه لا يفلح ، يعنى لاينال مراده ، ومن سمع كلام أستاذه حشره الله تعالى مع رسوله — صلى الله عليه وسلم — لان الاستاذ وارث رســـول الله — صلى الله عليه وسلم — ولا يقول لكم شيئا من عنده ،بل يبلغكم أوامره ونواهيه.

ويا اخوانى : قال الله تعالى : « **والذين جاهدوا فينا لنهـدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين** » **(٧)** فان الله تعالى يعطى العبد بقدر اجتهاده وسعيه،

---

٢ — رواه الترمذى فى كتاب البر والصلة ، باب رحمة المسلمـــين رقم الحديث (١٩٢٤)

٣ — هذا المعنى صحيح لانه مفاد الآيات والاحاديث ، لكننى لم اجده بهذا اللفظ وكذا حديث (٤و٥) معنـــاهما صحيح ربما متواتر المعنى ، لكن لم أجدهما بهذا اللفظ .

٦ — رواه أبو داود بلفظ « ما من ثلاثة فى قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة الا قد استحوذ عليهم الشيطان » كتاب الصلاة رقم الحديث (٥٤٧) وفى سنن النسائى ١٠٦/٢

٧ — سورة العنكبوت الآية ٦٩

فمن أراد أن يفتح الله عليه ويرزقه التوفيق ويحفظه من شر ابليس وسحر الدنيا فليعمل بأوامر الشرع الشريف ويبتعد عن نواهيه ، ومن لم يعمل بذلك فليعلم انه يقع فى يد الشيطان اللعين ، قال تعالى « **افرايت من اتخذ الهه هواه واضله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون** » (٨) والمعنى انه من اتبع هوى نفسه خرج من نور الهداية ووقع فى كيد الشيطان الرجيم فاتقوا الله وارجعوا الى موعظة الناصح الامين .

لتكونوا يوم القيامة من الآمنين والسالمين الفائزين المفلحين ، فاتقوا الله يا أولى الألباب لعلكم تفلحون ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

***

الرسالة (١٢)

وهذه رسالة أرسلها الى المريدين فى قريه من ناحية زيبار .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين .

اما بعد : فأوصيكم أيها الاخوان بترك المحرمات ، واجتناب المنهيات ، واداء الواجبات ، ولزوم الجمعة والجماعات ، ودوام الوضوء عند الامكان ، والنوم عليه ، وعلى الذكر ، وقراءة القرآن ، والتوبة من العصيان ، ونومكم على جنب الايمن مستقبل القبلة ، واذا قمتم الليل فعليكم بالوتر احدى عشرة ركعة ، ثم اشتغلوا بذنوبكم السابقة والتوبة منها ، وتفكروا فى شدة الوقوف تحت حرارة الشمس خمسين الف سنة فى العرق ، وذلك للعاصى والأشرار ، وللتائب يكون مقدار صلاه معتدلة ، فاذا جاء السحر فالاستغفار أحب الأذكار

---

٨ — سورة الجاثية الآية ٢٣

« استغفر الله العظيم الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه » واذا صليتم صلاه الصبح ، فان أمكن فالجلوس على المصلى الى وقت الاشراق بصلاة ركعتين ، فذلك بحجة تامه،ثم صلاة الضحى وصلاة الأوابين والرواتب المؤكدة ، وصوم الاثنين والخميس وغيرها من صوم السنه ، كالعاشوراء والتاسوعاء وستة من شوال وايام البيض وغيرهم على حسب الطاقة ، وادكاركم بعد كل فريضة أكثر من مائة مرة ، والاخلاص الشريف ، والصلاة « اللهم صلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد » فالاستغفار المذكور ، والتسبيح « سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم »والفاتحةالشريفةمائة فى اليوم والليلة،والصلاة وكلمة التوحيد فى يوم الجمعة وليلتها ألف مرة، وقراءة القرآن الشريف العظيم كل يوم ما استطاع ، وان كان فارغاً من الأشغال فيقرأ كل يوم جزءين ، ولا يكون اقل من جزء ، وأيضاً ان كان فارغا فالتسبيح والاخلاص بعد فريضة الصبح الى الضحى ، وقراءة القرآن والفاتحه من الضحى الى العصر ، والصلاه والاستغفار من العصر الى الغروب ، فان لم يستطع (١) لاشتغال فكل وقت بمكن فى اليوم والليلة كما ذكرنا مائة مائه أو أكثر، فانه أثقل فى الميزات من سبع أرضين وسبع سموات ، وبعد العشاء الاشتغال بالقرآن كسورة (يس) و (الم) للسجدة ، و (حم) السجدة ، وكسورة (دخان) و (تبارك الملك) و (الواقعه) ، وأيضا صلاه العشاء وقت محاسبه الأعمال ، بل محاسبة الانفاس ، بل وقت محاسبة الافكار ، وبعده النوم على الوضوء وقت محاسبة القبر وملاحظة القبر ، ووقت الندم والتوبة فقد ينام ويموت فى الليلة ، وبعد صلاة الليل ملازمة البكاء ، والخشوع والتضرع ، والاستغفار ، والتذلل بين يدى الملك الجبار بالضعف والافتقار ، واشتغل فى يوم الجمعة أعمال القلوب لا محبة الدنيا ، واشتغل بمحبة الله وترضى بالقضاء والبلاء ، وتقنع بالقليل من الحلال وتحب للمسلمين كأخيه ، واذا ظلمك أحد فاعف عنه ، واذا شتمك أو خاصمك أحد فلا تشتمه ولاتخاصمه ، وكن سخياً بمالك ، ولا تخاف ولا ترجوا أحداً الا الله ، وتوكل عليه ، وتخاف من غضبه الشديد ، وتطمع فى رحمة الله الكثيرة ، هذه وظيفتكم أيها الاخوان ، جعلكم الله من أهل الله وحفظكم واحبكم ووفقكم ، ورزقكم محبته آمين .

---

١ — فى الاصل «لا لاشتغال » .

الرســـالة (١٣)

وهذه رسالة بعثها الى الشيخ اسلام الشوشى

بعد ابلاغ الدعوات والتسليم الى الاعز الاكرم قرة عينى ، المحب المخلص المشفق الحميم: شيخ الاسلام — جعله الله وابانا من الصالحين؛ ووفقنا واياه على اتباع السنة ، وهو الصراط المستقيم — يا اخى : عليك بتقوى الله وطاعته ودوام ذكره وشكره ومراقبته ، والسلوك على طريق السلف الصالحين ، فانه من تابع طريقهم كان على المنهاج القويم ، وله النفس الزكية والقلب السليم ، يا أخى يوم القيامة يوم شديد عسير يوم عبوس قمطرير ، يوم كان مقداره خمسين الف سنة ، والناس تحت حر الشمس تدنو من رؤوسهم قدر ذراع فيكون الاضراس جمرا ، ويغلى الدماغ من شدة الحر ، فعليك بالقلب السليم ، ولا يكون سليما حتى يتوب من البدعة ،والرياء والهوى والعجب ، والكبر والكذب ، والحسد ، والبغض ، والفخر ، والجهل ، والاسراف ، والسخط ، وكفران النعمه ، والجزع ، والاصرار ، والبأس ، والامن ، وحب المدح ، والعداوة ، وخوف الذم ، والحقد والغش، والغدر ، والمداهنه ، والشمانة ، وخلف الوعد ، والخيانة ، وسوء الظن ، والشراهة ، والتهور ، والعناد ، وحب الدنيا ، وحب المال ، والمرد ، والجبن ، والحزن على الدنيا ، والانس بالناس ، والفظاظة ، والوقاحة ، والسفاهة ، والبطالة ، والطمع وبغض الابرار ، والذلل للدنيا ، والطمع ، وتسويف العمل والتوبة ، والنفاق ، ومحبة الجاه ، وفتنة الناس ، وحب الفساق ، وتقليد الناس ، والجسارة ، وتعلق القلب بالاسباب ، والامل ، والعجلة ، والبلادة ، والحلف . ويجب أن يكون موصوفا بالاخلاص ، والاحسان ، والتواضع ، والنصيحة ، والغبطة ، والسخاء ، والايثار ، والغيرة ، والمروءة ، والفتوة ، والصبر ، والرضا ، والشكر ، والخوف من الله ، والحزن للآخره ، والحب فى الله ، والبغض فى الله ، والخمول ، ومخالفة النفس ، واستواء المدح والذم ، والتفويض ، والتوكل ، والتسليم، والتحقيق ، وقصر الامل ، وذكر الموت ، وسلامة الصدر ، وطلب العلم ، والحلم ، والشجاعة ، والرفق ، والانابة ، والوفاء بالعهد ، وانجاز الوعد، وحسن الظن ، والزهد ، والقناعة ، والرشد ، والصدق ، والسعى ، والمبادره ، والحياء ، والاناءة ، والصلاة فى الدين ، والشفقة ، والرقة ، والانس بالله تعالى ، والشوق الى الله تعالى ، وحب الله تعالى ، والذكاة ، والفقه ، والاستقامة ، والأدب ، والفراسة ، والتفكر ، والخشوع،والوقار،

والمرابطة والمحاسبة ، والمعابة ، والمراقبة ، والحرية ، وكظم الغيظ ، والعفو ، ونية الخير ، ودوام العبادة ، وارادة الأفعال الحسنة ، ولين الجانب ، والتوبة ، واليقين ، والعبودية ، وغير ذلك من الأخلاق والأعمال المندوبة .

ومن استعمل خمسة أشياء صفا قلبه ، واتصف بهذه الخصائل الحميدة وزكى من الخصائل المذمومة : الأول — قراءه القرآن بالتدبر . والثانى — خلاء المعدة على الدوام . والثالث — صحبه الصالحين . — والرابع — كثرة السهر . والخامس — دوام الضرع والانكسار فى الأسحار . غفر الله لنا ولكم ولجميع المسلمين أجمعين آمين ، والحمد لله رب العالمين .

***

الرسالة (١٤)

وهذه رسالة أخرى الى الشيخ اسلام الشوشى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاه والسلام على خير خلقه سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه اجمعين .

أما بعد فأوصيكم يا شيخ الاسلام أن تعرف حرمة ابن عمك الشيخ يونس المحترم ، فانه لا تعرف حكم الله ولا نعلم ما عند الله اذا لازمت حرمته وحرمة قرابتك كلهم ، وخدمتهم بحسب الطاقة والقدرة ، وأديت حق قرابتهم وحق جوارهم ، وواصلت الرحم وصبرت على الأذى أبدك الله وطال عليك امداده ، وبارك الله فى عمرك وزادك من اكرامه وبره . فياأخى أنت ماتعرف احكام الله فأما اذا أردت منى المبايعة والاذن والاجازة ، فقد اجزت لك بذلك الشرط والقيام بحقوق قرابتك ولزوم حرمتهم ، حتى يكونوا منك راضين بقلب طيب — والله يحب المحسنين — ثم أوصيك بالتقوى ، وهو حب الله وأداء شكر نعمته ، وخوف غضبه ونقمته ، وأوصيك بدوام ذكر الله وذكره حصن حصين وحرز من الشياطين ، ودرجات مقربات ومعارف ، وأسرار ، ونور القلب ، ويقظة الروح ، وبهجة السر ، وموت النفس ، وكمال

العقل ، وأوصيك بتلاوة القرآن ، فانه نعم الشفيع ونعم الدليل ونعم المرشد، وانه من كان فى خدمه القرآن ولزوم الحرمه له والعمل به ، كانتله الملائكة مستغفرين فى طبقات السموات والأرضين . يا أيها الاخ المبارك : أوصيك بما أوصانى به الشيخ المرشد العارف بالله تعالى العالم العامل حاجى محمود ابن الشيخ عبدالجليل الموصلى (+)ـرحمه الله تعالىـعن مشايخه أعاد الله علينا وعليكم وعلى المسلمين نفحات الرحمة والرضوان ، والتوفيق من بركاتهم

+ـ هو الشيخ محمود بن الشيخ عبد الجليل بن مصطفى الكردى الشافعى القادرى النقشبندى الموصلى وهـو شيخ الشيخ نور الدين ، وقـد نشرنا الاجازة التى كتبها للشيخ نور الدين فى ص ١٧ من هذا الكتاب .

ولد الشيخ محمود فى الموصـل سـنة ١١٨٣ هـ كما ورد فى أبيات فى التاريخ الشعرى فى ولادته حيث ورد فى قصيدة :

هبت يا عبد الجليل بمولد فيه السرور على الأنام يعود وجاء فى آخرها:

ولمـا تبدى وجهه أرخته « بالنظـر أشرق طالعا محمـود » وجاء فى قصيدة أخرى .

ومذ بدا ولسان الحال ارخه « بالخير جاء ونعم الولد محمود » وهـذا بالحساب الابجدى ساوى ١١٨٣ هـ .

وكان والده الشيخ عبد الجليل عالما فاضلا وزاهدا تقيا يتمتع بسمعة مرموقة لدى علماء الموصل .

وقد أخذ الشـيخ محمود اجازة الانتساب الى الطريقة القادرية من الشيخ أبى بكر بن خضر الألوسى حوالى سنة ١٢١٩ هـ

كما أخذ الاجازة فى تلاوة كلمة التوحيـد ولبس الخرقة القـادرية من والده الشيخ عبد الجليل .

وللشيخ محمود عدة مؤلفات منها .

١ ـ تعليقه على مقدمة علم الهدى وأسرار الاهتداء .

٢ ـ تذكر الألباب ونصيحة الاحباب .

٣ ـ كيفية آخذ العهد على طريقة الشيخ عبد القادر الكيلانى .

وكان يلقب بالخضرى ، وبالخدرى .

وكان له أخ فاضل اسمه ملا يوسف بن عبد الجليل .

هذه المعلومات البسيطة نقلناها من مجموعة مخطوطة كتبهـا الشيخ بخطه سنة ١٢٢٤هـ والمخطوطـة موجودة فى مكتبة أوقاف الموصل تحت رقم ١٦/١ وفهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة فى الموصل ٩٥/٥ـ١٠٤ .

ورزقنا واياكم معرفة حق خدمهم ولزوم الأدب والقيام لهم ، بما وجب على المريدين لمشايخهم — فانه قال فى وصية لهذا العبد الحقير : أوصيك بتقوى الله وطاعته ، وملازمه آداب الشرع الشريف ، والوقوف على حدوده (**ومن يتعدى حدود الله فأولئك هم الظالمون**) (١) وأوصيك بالعمل بعزايم الشريعة المطهرة قال الله تعالى (**وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولاتتبع السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) (٢) وأوصيك بترك الركون الى الدنيا ومحبتها قال تعالى (**فلا تغرنكم الحياة الدنيا الآية**) (٣) وأوصيك بالرضا والقناعة بالسير من الحلال قال تعالى (**أفرأيت من اتخذ الهههواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون**) (٤) وقال الله تعالى (**يأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم**) (٥) فلا تكاثر فى هذه المنزلة الخبيثة ولا تفرح بها ،وأوصيك بالعزلة ، وترك مخالطة الناس الا لمصلحة دينية (**شياطين الجن والانس يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا**) (٦) وأوصيك بترك وساوس الدنيا والافكار الفاسدة الغافلة الباطلة التى ليس لها منفعة ، وأوصيك بدوام مراقبة الله تعالى قال تعالى (**ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم أولئك هم الفاسقون**) (٧) وأوصيك بالتوكل على الله قال تعالى : (**وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين**) (٨) وأوصيك بالزهد فيما سوى الله قال تعالى (**أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام** (٩) وأوصيك بالصبر والرضا عند الشدائد ونزولها قال تعالى (**وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الأمور** (١٠) وأوصيك بالنوم على الطهارة ، والتوبة

---

١ — سورة البقرة الآية ٢٢٩ .
٢ — سورة الانعام الابه ١٥٣
٣ — سورة لقمان الاية ٣٣
٤ — سورة الجاثية الاية ٢٣
٥ — سوره محمد الاية ١٢
٦ — سورة الانعام الآية ١١٢
٧ — سورة الحشر الآية ١٩
٨ — سورة المائدة الآية ٢٣
٩ — سورة الزمر الآية ٣٦و٣٧
١٠ — آل عمران الآية ١٨٦

والندامة على ما مضى من الذنوب قال تعالى : (**ومن لم يتب فأولئـــك هم الظالمون) (١١)** واوصيك بشهود النقص فى النفس دائما قال الله تعـالى : (**فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى (١٢)** واوصيك بعدم الانتصار للنفس اذا أوذيت قال الله تعالى (**فمن عفا واصلح فأجره على الله انـــه لا يحب الظالمين (١٣)** واوصيك بالاهتمام بجميع امور الدين واليقظة والانتبـاه من الغفلة ، والسعى فى كل مافيه خير ورضا الله تعالى ، فان كان عندكم قليـلا فعسى أن يكون عند الله عظيما . والله يعلم وانتم لا تعلمون .

***

الرســـالة (١٥)

وهذه رسالة اخرى الى فضيلة الشيخ اسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وافضل الصلاة والتسليم على اشرف المخلوقات اجمعين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

اما بعد فنبلغ جزيل السلام والتحيات ، ونخص بوافر الدعاء والخلات جناب اخى وحبيبى وقرة عينى : اعنى به شيخ الاسلام ـ ايده الله تعـالى بالمحبة والاكرام ، وافاض عليه دايم الآلاء والانعام ، ليكون امام الهـــدى بالتأييد والالهام ـ ثم انه قد وصل الى كتابكم العزيز ، واطلعت على مافيه من حسن الادب الجميل ، وقد اردتم ان اخبركم بصوم الداود ـ على نبينا وعليه الصلاة والسلام ـ فلكم الاجازة من الله ان شاء الله مقرونة بتحف مواهب الله وكرامته ، واذا وقع يوم الاثنين والخميس ، او ست شوال ، او تســع

---

١١ ـ سورة الحجر الآية ١١
١٢ ـ سورة النجم الآية ٣٢
١٣ ـ سورة الشورى الآية ٤٠

ذى الحجة ، أو تاسوعاء ، أو عاشوراء فى نوبة الافطار فأسردوه ولا تفطروه، لأنه مستحب بنفسه مؤكدة فلا يفطر فيه ، وان وقع فى نوبة الافطار (١) — دون يومى العيد وثلاثة أيام التشريق ويوم الشك والسفر والمرض ، أو غير ذلك من العوارض — بارك الله تعالى لكم فيه فتوكلوا عليه وأشرعوا فيه ممنونا عليكم فيه . وأما دخولكم فى بيت الأربعين ، فكان لكم فى كل حين ، فان فعل الله بكم هذا الفضل العظيم الذى يمن به على المحبوبين ، فأولا — توبوا من كل مايخالف رضاءه تعالى ، وأخلصوا النية لرضاه من دون سواه ، وآثروا رضاه على غيره ، ثم جردوا قلوبكم وأقبلوا بهممكم الى ربكم ، واقطعوا الآمال والأشواق من المال والأهل والعيال ، هذا علامة الاقبال الكلى على الواحد القهار العزيز الغفار . فاذا سكنتم الخلوة فتفكروا فى قوله تعالى (وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير) (٢) فاذا كان ربكم ومولاكم سامعاً لكلامكم ناظراً لأعمالكم فالواجب عليكم أن تفعلوا شيئا يليق بأن ينظر اليه ربكم وليسمعه منكم ، وهذا علامة أهل الحياء والأدب ، الذى يحب الله ويحبه الله ، ثم كونوا مستقبلى القبلة ، وغمضوا عيونكم ، واذكروا ربكم ، واعلموا أنه حاضر عندكم ، فاذا لم تغب عندك ربك لحظة ، فلا تغفل عن ذكره ومراقبته ساعة ، فاستأنسوا بالله ، لأنه حسبكم وكافيكم ان كنتم تعلمون ، وهذه آداب المريدين فى الخلوة والجلوة : جوع معتدل ، وسهر معتدل ، وخلوة الا لحاجة ، والصمت كذلك ، ودوام ذكر الله ، ودوام مراقبة الله تعالى ، وشغلكم فيها ما يجذب قلوبكم من القرآن العظيم والذكر الكريم ، وغير ذلك من التسبيح والتحميد لرب العالمين .

ويا اخوانى لا تتركـ (ـوا) الجماعة فى الخلوة ولا غير ذلك من الاوراد والسنن — وفقنا الله تعالى الرحمن الرحيم واياكم والمسلمين، والهمنا واياكم طريق المحبة والقربة برحمته انه أرحم الراحمين — وارجو منكم ان لاتنسونا فى الخلوة والجلوة ، ولا المشايخ والمريدين والمسلمين اجمعين . واسلم على الاخ الاكرم الشيخ اسماعيل والشيخ يونس وجميع أهل القرابة وأهل الجماعة

---

١ — فى الاصل (وان وقع فى يوم الافطار) — اى دون الايام المذكورة ودون يومى العبد الخ . أما أيام العيد والتشريق فيجب الافطار فيه سواء وقع فى نوبة الصوم أو فى نوبة الافطار .

٢ — سورة الحديد الآية ٤

المباركين ، ونرجو منكم حسن الدعاء (**ومن يتق الله يجعـــل له مخرجاً . ويرزقه من حيث لا يحتسب . ومن يتوكل على الله فهو حسبه**) (٣) و (**حسبنا الله ونعم الوكيل**) (٤) (**نعم المولى ونعم النصير** (٥) وصلى الله على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، والحمد لله رب العالمين . ×

***

الرســـالة (١٦)

وهذه رسالة بعث بها الى الشيخ يونس من طرف الشوش

بســـم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه : ســـيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد فالسلام من الرءوف الرحيم ، وتحية مشحونةبالاجلال والعظيم، الى الاخوان الصادقين ، والاصدقاء الموافقين أعنى بهم الشـــيخ الاكرم : شيخ يونس الاشيم ، وجميع القرابة من ذرية المحبوب الربانى : الشـــيخ شمس الدين — قدس سره ونور ضريحـــه — يا اخوانى : أولا — نســـأل عن حالكم ، ونسأله تعالى أن يجعل الى السعادة مآلنا ومآلكم .

وثانيا — يا اخوانى : قد سمعنا أنكم أبطلتم الذكر مع الحلقة والاجتماع فى الاوقات الفاضلة للعبادة ، يا اخوانى : ان كان كما سمعنا ، فارجعـــوا الى الاخلاص والتقوى والطاعة ، ولزوم الجمعة والجماعات ، والاجتمـــاع

---

٣ — سورة الطلاق الآية ٢و٣
٤ — سورة آل عمران الآية ١٧٣
٥ — سورة الأنفال الآية ٤٠
× ملحم الأكبـــاد

فى بعض أوقات الاسبوع للذكر الشريف ، يا اخوانى : حبذ (على) أهـــل بيوت المشابخ والصالحين أن يتركوا طريقة آبائهم باتباع الهـوى واللعب والغفلة والاسترسال على الدنيا الساحرة والشيطان والغرور ، يا اخوانى : أوصيكم بما وصى به رب العالمين حيث قال فى كتابه المجيد **(ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم واياكم أن اتقوا الله)** (١) وعن أبى سعيد الخدرى — رضى الله عنـــه قال قال رســول الله صلى الله عليه وســلم — **« ان لله** ملائكة سياحين فى الأرض ، فاذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا هلموا الى حاجتكم ، فيجيؤون ، فيحفون بهم ، فاذا صعدوا الى السماء يقول الله تبارك وتعالى : على أى شىء تركتم عبادى يصنعون ؟ وهو أعلم بهم ، قالوا : تركناهم يحمدونك ويمجدونك ويذكرونك ، فيقول : أى شىء يطلبـــون ؟ فيقولون : الجنة ، فيقول الله عز وجل : وهل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول الله : كيف لو رأوها ؟ فيقولون : لو رأوها لكانوا أشد منها طلباً واشد عليها حرصا فيقول : فمن أى شىء يتعوذون ؟ فيقولون : يتعوذون من النـــار ، فيقول : هل رأوها ؟ فيقولون : لا ، فيقول : فكيف لو رأوها ؟ فيقـــولون : لو راوها لكانوا أشد هرباً منها ، وأشد خوفاً منها ، فيقول : انى أشهدكم يا ملائكتى أنى قد غفرت لهم ، فيقولون : ان فيهم فلانا لم يردهم وانما جاءهم لحاجة ، فيقول : وله قد غفرت ، هم قـــوم لا يشقى جليسهم (٢) »

يا اخوانى : هذا فضل الذكر مع الجماعة ، فالواجب عليكم أن تنصحوا أهل القرية ، وتأمروهم بانباع السنة والجماعة ، قال بعض العلماء : العالم اذا فســـد فسد لفساده العالم ، واذا صلح صلح لصلاحه العالم ، وقال آخر : ينبغى للعالم عشرة أشياء : الحسبة ، والنصـــيحة ، والشـــفقة ، والاحتمال ، والصبر ، والحلم ، والشكر ، والتواضع ، والعمل ، والعفة فى أموال الناس ، وفى الحديث ان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — قال :

---

١ — سورة النساء الآية ١٣١

٢ — رواه البخارى عن أبى هريرة بلفظ « ان لله مـــلائكة يطوفـــون » الحديث فى كتاب الدعوات ، باب فضل الذكر رقم الحديث (٦٤٠٨) ورواه مسلم بلفظ « ان لله ملائكة سيارة » الحديث كتاب الذكر ، باب فضل مجالس الذكر ، رقم الحديث (٢٦٨٩)

« من أحيا سنتى فكأنما أحيانى وكان معى فى الجنة » (٣) فالمأمول من الله تعالى أن يجعل قلوبنا مقبلة على الله ، وبجعلنا من عباده الصالحين ويختم لنا بالخير ونسلم على أهل الجماعة . يا اخوانى : انتبهوا من نوم الغفلة بملازمة الخدمة والمجاهدة فى الطاعة ، اذا أقبلتم على طاعة الله اقبلت عليكم الدنيا ، واذا أعرضتم عن طاعة الله تعالى تعسرت الدنيا عليكم، والله يعلم وأنتم لاتعلمون . ×

***

الرسالة (١٧)

وهذه رسالة بعثها الى الشيخ حسن الحبار جوابا على رسالته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاه وأكمل التحيات والتسليم على أشرف المخلوقين : محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وبعد فقد وصل الى كتاب الاخ الأكرم العالم العامل ، أبى الفضل والمنن أخى وحبيبى وتاج رأسى ملا حسن الموصلى — أيده الله تعالى فى الدارين ويسره لما يحبه ويرضاه ، وألهمه الرشد والعزيمة فى كل مايتعاطاه — ولما قراته فاذا هو مشير بحسن حالكم وطيبة مزاجكم — لا زلتم بعافية الداربن ، وكمال العنابة وقرة العين — ثم انه قد أشرتم الى المحبة ان اكشف عن وجوه الفاظ من نظم قصيدنى « اللامية الالفية » فى الالتجاء بالمحابيب القادرية — رضى الله تعالى عنا وعنكم ببركاتهم السرمدية ، ونفعنا بهم والمسلمين انه مجيب السائلين — لا يخفى لديكم أن كثيرا من الفاظها محكى على لسان التوحيد والجمع والفنا ، ولو كان المتكلم غير ذائق قطرة من بحار ذلك المعنى،

---

٣ — رواه السجزى وفى رواية « من أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة » الفيض القدير ٦/٤٠ رقم الحديث ٨٣٤٩

+ ملحم الاكباد

ولا حام بعمره لحظة حول ذا الحمى ، لكن ادخلها فى النظم ، لبعر عليهـــا الناظر ، فتشكل‌علمه فيراجع كتب القوم ، ويواظب على مطالعتها ، لأنهـا بحار الأنوار والمعارف ، لا يشم رائحة الكمال من لم يقف على آثارهم ولم يغترف من بحارهم المغارف ، لأن حقيقة العيشة الطيبة لهم ، هم القـــوم لا يشقى جليسهم فكيف يضيع محبهم وأنيسهم ؟ — رضى الله عنهم أجمعين وعنا وعن المحبين ببركاتهم — لايخفى لديكم ؟ ان النسخة التى بيدكم ليست عندى ، بل كنت كتبت على ســـبيل الاستعجال مســـودة ، وهى الآن عندى ، وقد بدلت وزدت وغيرت بين النسختين ، فالآن أشرح لكم الفاظا مما فى هذه النسخة ، والتى وجدت فى‌نسختكم ،فأنتم اذا أحببتم أن تشرحوا عليها فلكم الاذن مستعينا بربكم مستجيرا به مخلصا لوجهه ، خاليا عن غير النفع الدينى . (١) ضميركم

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه ، غفـــر لنا ولكم ولآبائنا ولجميع المسلمين ، جعلنا الله واياكم من المتقين الذين لاخـــوف عليهم ولاهم يحزنون الذين استغرقوا جميع أوقاتهم فى طاعة مولاهم المقبلين على ذكره وفكره ومراقبته ، معرضين عن الدنيا حتى أحبهم وقربهم‌وأناهم تقواهم (٢) .

***

الرســـــالة (١٨)

وهذه الرسالة كتبها لبعض المريدين بعدما عرضوا عليه فاقتهم

بســـــم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

---

١ — هذا كان بياضا فى الاصـــل .

٢ — وهذه الرسالة مكتوبة فى الصفحة الاولى فى شرح الشيخ حسن الحبار على القصيدة اللامية الالفية .

أما بعد فان هذ (ين) المريد (ين) الصادقـ (ـين) صوفى محمد وصـوفى يحبى مريدان لحضرة الغوث الأعظم الشيخ عبد القادر الجيلى ـ قدس الله سره العزيز ورضى الله عنه ـ فالمرجو من جملة المريدين والمسلمـين أن لا يبسطوا اليهما أيديهم ، ولا يظلموهم «فان الظلم ظلمات يوم القيامة» (١) والظالم يحشر يوم القيامة تحت اقدام الخلائق أمثال الذر ، ويسقون من طينة الخبال ، وهى عصارة أهل النار يغشاهم الذل والصغـار من كل مـكان **(فاعتبروا يا أولى الأبصار) (٢)** وانظروا الى هذا الوعيد الشديد ، ثم أوصى المسلمين باكرامهما ، والاخذ بيدهما ، ونفعهما بحسب الطاعـة والمستطاع والقدرة ، فان من نفع ولد الرجل يكون محبـوبا مكرما عنـد الرجل ، وهذا (ن) من اولاد الغوث الاعظم ، الم تفهم الم تعلم ؟ والله أعلم أن الرجـل يحشر فى زمرة حبيبه ، ومن خدم قوما يحشر معهم **(ان الله لا يضيع اجـر المحسنين) (٣) (ان الله عنده أجر عظيم) (٤)** والحمد لله رب العالمين .

* * *

الرسـالة (١٩)

وهذه رسالة اخرى بعثها الى خليفته السيد أحمد

فلما كتب الشيخ نور الدين القصيدة المسماة بالمناجاة النورية لاجـل السيد احمد المذكور بعثها اليه مشفوعة بهذه الرسالة والقصيدة أولها :

الهى ورحمانى عظيم العطيات	حلما وستارا لكل الخطيات
الهى أتاك المسـتجير بـربه	يلوذ بلطف الرب حال المناجاة

---

١ ـ رواه البخارى فى كتاب المظالم ، رقم الحديث (٢٤٤٧) ورواه مسلم أيضا فى كتاب البر والصلة رقم الحديث (٢٥٧٨)

٢ ـ سورة الحشر الآية ٢

٣ ـ سورة التوبة الآية ١٢٠

٤ ـ سورة التوبة الآية ٢٢

وكتب فى نهاية القصيدة : انتهت مناجات السيد نورى — قدس سره — وهو يأمر أخاه الامجد السيد احمد أن يتلو هذه المناجات لتعود اليه بركات أسماء من فيها ، ولان الرحمة تنزل عند ذكر الصالحين وأيضا ليزدادالرغبةفى محبتهم ، وهو أعلى كل مرتبة .

فيا أخى : قد نظمت هذه النظمات ثنتين بالفارسية وهذه بالعربية وكلها صالحة للتوسل بها الى الله تعالى ، فأنت تكتب أيضا أيتها تحب للمريدين ، وان شاء الله تعالى تكون امام السالكين فى هذا الدهر ولو بعد حين ، وهـذا العبد الحقير يدعو لك ويرجو انك تقوم مقام شيخه ، وان لم يقم هو مقامه ، ولاشىء أعظم للتوسل به الى حصول السعادة ، وقبـول الموعظة ، واتباع المسلمين ، وكون العبد اماما ومرشدا ، من الافتقار الى جميع المشايخ لاسيما مشايخ طريقه ولا سيما شيخه ، وذلك الافتقار حاصل بتعظيم قدرهمواجلال شأنهم ، ومن شاء أن يكون شيخا يجتمع عليه المسلمون كثيرا فعليه بخدمة شيخه ، فمن خدم بالصدق ذا حرفته نال من حرفته حظا عظيما ، وهـذه النصائح بلغنى من الشيخ فأنا أيضا بلغتها اليك ، وانت تبلغها الى المريدين. والحمد لله رب العالمين ونسلم عليكم وعلى أعمامكم كثيرا ، ونسلم علىالشيخ عبد الرحمن ، والشيخ شمس الدين ، والشيخ محمد ، وجميع من عنـدكم ونرجو دعاءكم .

ويا أخى تأمر ابن اختك وشمس الدين ابن خالك ، حتى يكتبا هـذه المناجات فانها نافعة لكل شىء ×

***

الرسـالة (٢٠)

وهذه رسالة بعث بها الى السيد أحمد مع قصيدتين نظم فى احـداها سلسلة الطريقة القادرية التى أخذها من الشيخ نور محمد الهندى . ونظم فى الثانية سلسلة الطريقة النقشبندية التى أخذها من الشيخ نور محمد أيضا

× فى ملحم الاكبـاد

والقصيدتان فارسيتان نظمهما بطلب من السيد أحمد وبعثهما اليه مشفوعة بهذه الرسالة .

نبزدماآمد ومراطريقت داد وسلسلة رانوشت ، يكى قادرية ، وسكى نقشبندية ، وازجناب‌او وكالت وخلافت بافتم ، بس أذكار وشروط طريقت هم فرمان دارن بنزاى سلسلها براى برادر مبارك خود سيد احمد خلفه ناح سرخود فرستاديم تاكه بخود عمل بديشان كند ومريدان راهد ، واكر امكان دارد هەرروز اين سلسلة رابخواند فيض زياده شود ، اعلم يا أخى سيد أحمد أن هذه أوراد الشيخ عبد القادر — رضى الله تعالى عنه — التى واظب عليها وأمر المريدين بالمواظبة عليها : بعد صلاة الصبح الف مرة ، وهو الحى القيوم ، والف مرة ، لا اله الا الله الملك الحق المبين . وبعد الظهر ، وهو العلى العظيم الفا ، والصلاة الفا . وبعد العصر ، وهو الرحمن الرحيم الفا ، واستغفر الله ربى ألفا . وبعد المغرب ، وهو الغنى الحميد الفا ، وايضا لا اله الا الله الفا . وبعد العشاء ، وهو اللطيف الخبير الفا ، وأيضا سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ألفا .

ومن الاوراد المتوسطة ذكر التوحيد بعد كل فريضة مائة وستا وستين مرة . ومن شرط المريد أن يكون مستقيما على عزايم الشريعة ولا يأخذ بالرخص ، ولكن المريد اذا كان ضعيفا لم يقدر على اتباع عزايم الطريقة المعهودة بين القوم كما تتلى عليك ، يكفيه مجرد الانتساب الى المشايخ بالمحبة .

واعلم ياأخى سيد احمد : أن أعظم شيء فى هذه الطريقة محبة المسلمين سواء كانوا مذنبين أو ظالمين أو غير ذلك من العصاة وأهل الكبائر ، لينحقق اخوة الاسلام ، ولكن يظهر البغض والعداوة فى حق العاصى ظاهرا رجاء صلاحه ، وتركه المعصيه ، ولكن القلب عند اظهار الكراهية يكون شفيقا ورحيما على العاصى ، قال — صلى الله عليه وسلم « لاتكون مؤمنا» اى كامل الايمان « حتى تحب لاخيك ما تحب لنفسك » من الخير « وتكره له ماتكره لنفسك » (١) من الشر . ومن شرط المريد أن يكون صفوحا يعفو عمن أساء

---

١ — رواه البخارى ومسلم بلفظ « لا يؤمن أحدكم حتى يحب ، لاخيه ما يحب لنفسه » بخارى كتاب الايمان .

اليه ، لا حارا . ومن شرط المريد أن ينظر الى كل أحد بعين الشفقة ، وكلم الناس على قدر عقولهم . ومن شرطه ان يكون حسن الخلق،وأن يكون لبنا صابرا على أذيات الاخوان والجيران ، وأن يكون ناصحا للمسلمين . ومن شرط المريد حفظ حرمات المشايخ والعلماء والصلحاء بحفظ الادب وتعظيمهم ، وان يكون رحيما بغيرهم من الصغار والكبار ، ويأخذ على نفسه بالاحوط والاشد فى كل شيء ، مثلا اذا دعتك نفسك الى نوم الليل كله ، ينبغى أن تخالفها فتقوم جزءا من الليل ، واذا دعنك الى مقابلة الخصم بمثل ما صنع معك ، ينبغى أن تخالفها وتحسن الى الخصم ، واذا دعتك الى افطار جميع الشهر ، ينبغى أن تخالفها فتصوم منه قدرا ، واذا دعتك الى البطالة ، ينبغى أن تحمل عليها ثقل الكلفة من نشر العلم وتلاوة القرآن ، ومراقبة الرب عز وجل . ويا أخى سيد احمد تأمر المريدين من هذه الطريقة : أن من لم يحبسه (٢) قواطع الكد لاهله ، فتأخر عن الخلوات فقل له : لست على طريق الشيخ عبد القادر — رضى الله عنه — فان مبنى هذا الطريق على الخلوة ، والصيام وتلاوة القرآن ، ومراقبة الله سبحانه عز وجل ، وقيام الليل ، وحضور الجمعة والجماعات ، وذكر الجهر مع مواطات القلب واللسان ، والنوم على الوضوء ، والاذكار السابقة ، وعفو الظالم اذا ظلمه ، وصلة القاطع اذا حرمه ، والاعراض عن الجاهل اذا جهل عليه، فاذا قابل المريد من جهل عليه بمثل كلامه انحط عن درجة الطريق ، وهكذا فى جميع أبواب العزايم ، فمن تمت فيه هذه العزايم كملت طريقته ، ومن لا فلا ، ولكن من انتسب الى أهل الطريق لا يحرم من بركاتهم ، ولو كان ناقصا .

واعلم يا أخى سيد احمد : أن الله تعالى قد جعلك عالما وخليفة فى هذه الطريقة فاشكر ربك دائما ، واستغفره على المخالفات ، واياك اياك من ذكر الخلق الا بخير ، من كانوا وحيث كانوا ، فقد جاء فى الخبر « يا معشر من آمن بلسانه ولما يدخل الايمان » أى الكامل المتكفل (الذى) يجعل صاحبه آمنا من كل عقوبة « فى قلبه لا تغتاب المسلمين » (٣) فثبت أن الغيبة وما شاكلها من أذيات المسلمين تخالف الايمان الكامل ، وقد قلت ذلك مع انى

---

٢ — فى الاصل (من لم يحسبه قواطع) .
٣ — رواه أبو داود ، كتاب الادب ، باب الغيبة : رقم الحديث (٤٨٨٠) .

متلبس به ، لكن استغفر الله وارجو أن يكفنى ويحمينى من موبقات نفسى. وياأخى : قلت ذلك كى تأمر المريدين وتؤكد عليهم ذلك الامر ، فانه أكثر شىء فى الخواص والعوام فى زماننا .

ويا أخى سيد احمد : احفظ هذا الكلام واصغ اليه ، ان الله تعالى قد قدر على بأن جعلنى تحت عهد الشيخ محمود — أكرمه الله تعالى — فلا يسعنى الا أن أعظمه ، وأحترمه ، واوقره ، وأن لا أخالفه على حسب طاقتى ، والا كنت ناقض عهده ، ونقض العهد خطر عظيم ، فلا يمكننى الا الموافقة ، وحفظ الادب فى حقه الى الممات ، وهكذا جميع التابعين لمتبوعهم ، وأنت كذلك بالنسبة الى ، ولو لم اكن من اهل الولاية .

وياأخى سيد احمد : لله درك قد رأيتك حافظ العهد فى حق الشيخ عبد الوهاب، فطوبى لى لو كنت كذلك ، لكنك أصبت ، وانى اخطأت ، لكن تبت ورجعت الى حفظ عهده ما استطعت .

وياأخى : اعلم أن أمرك قد آل الى الطريقة القادرية فى خلافتك عنى(٤)، فلا يسعك الا القيام بحقوقى ، كما لا يسعنى الا القيام بحقوق الشيخ محمود، فكن على حفظ العهد والحرمه بالقلب عاضا بالنواجذ،نفز بالسعادة الاسنى، وكل مريد يحفظ حرمة شيخه بجعله الله شيخا ، حتى يحفظ المريدون حرمته ، وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ؟ والجزاء من جنس العمل .

---

٤ — الظاهر أن السيد احمد هذا ، كان مريدا للشيخ نور الدين عندما كان الشيخ مريدا للشيخ عبد الوهاب ، لذلك قال له الشيخ نور الدين: ان أمرك قد آل الى الطريقة القادرية .

ومن خلال هذه الرسالة يظهر لنا أن السيد احمد هذا كان رجلا فاضلا مستقيما صامدا ، لكننا للاسف لم نعثر له على ترجمة

لكننى أعتقد أنه من شيوخ الشوش حيث أن الشيخ ذكر فى خاتمة رسالة (١٩) التى بعثها الى السيد أحمد أيضا سلاما لبعض المشايخ لنشابه أسماؤهم مع أسماء شيوخ شوش ، والله أعلم .

وبا اخى انى انصحك نصيحة احفظها وأمر بها المريدين : با اخى لا تقل فى حق رجل اذا غاب عنك : الا ما تقول فى حال حضوره ، فقد رأيت الناس **اذا حضرهم المرء : يقولون ما يسره ، واذا غاب وقعوا فيه ، وهل هـــذا** الا عين النفاق ؟

والحمد لله الذى ألهمنا الصواب ونسأله أن يسهل علينا العمل به،وينوفى خاتمة آجالنا وآجالكم عليه وبحشرنا واياكم فى زمرة سادتنا واخواننا فى هذه الطريقة من الاولياء ، والحمد لله رب العالمين . ×

× فى ملحم الاكباد

تلخيص الحكم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين .

وبعد .. فان هذه الرسالة المسماة ـ « تلخيص الحكم » نظم ملخص ومستقاة من شروح كثيرة على كتاب « الحكم » لابن عطاء الله الاسكندرانى ـ رضى الله عنه ـ وكتاب الحكم غنى عن التعريف لشهرته ولما يحتوى من المعلومات القيمة والأسلوب البارع البديع ، فهو مجموعة من الحكم صفيت من ناحية التعبير والأسلوب ، فكانت مثالا عاليا للأدب الرفيع ، وصفيت من حيث الفكرة ، فكانت متلا رائعا للفكر الصوفى . ونظرا لأهمية الكتاب فقد أغرم بالحكم كثيرون ، أغرموا بها تدريسا وأغرموا بها شرحا فقد شرحها الشيخ العلامة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم النفرى الرندى المعروف بابن عباد المتوفى سنة ٧٩٥ هـ أو ٧٩٢ هـ وشرحها الشيخ أبو القاسم الرماح ، وكذلك شرحها الشيخ أبو المواهب المعروف بابن زغدان التونسى ، وشرحها ابن الصابونى الشامى ، وشرحها الشيخ ابراهيم الاقصرانى سنة ٩٠٣ وسماه أحكام الحكم ، وشرحها الشيخ عبد الرؤوف المناوى وسماه الدرر الجوهرية ، وشرحها الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد الفاسى المعروف بزروق حوالى ثلاثين مرة وطبع من شروحه الشرح السادس عشر والسابع عشر ، كما شرحها الشيخ أحمد بن محمد بن عجيبة وسماه ايقاظ الهمم ، وشرحها الشيخ عبد الله بن حجازى الخلوتى الشرقاوى ، وكذلك الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الأزهرى ، وكذلك الشيخ محمد بن مصطفى بن أبى العلا ، وغيرهم كثر .

كما أشاد بعظمة وأهمية الحكم كثير من العلماء ، فقد نقل الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر سابقا عن العلامة محمد عبده قوله : « كاد الحكم يكون قرآنا » (١) .

---

(١) انظر مقدمة لطائف المنن ص ٢٣ .

وفى سنة ١٢٣٩ هـ أعجب بالحكم الشيخ نور الدين البريفكانى ، فقام بنظم الحكم باسلوب بديع ورصين ، واضاف الى كتاب الحكم كثيرا مما ورد فى الشروح ، وقد اضاف بعض التوضيحات من عنده ، أو يقال : انه شرح الحكم العطائية نظما وهو يقول :

مرادنا بنظمها تيسير ... من الكلام ما هو العسير
وربما ضمنت للتتميم ... تبيان شارح لها عليم
أحمد بن محمد بن عيسى ... من فارس مغرب بها رئيسا

فقد جاء نظم الشيخ نور الدين قويا فى اسلوبه بديعا فى صياغته شاملا لمعانى ما يحتوى معظم الشروح وافيا بمراد صاحب الحكم ، وهذا ليس بعيدا عن قلم الشيخ نور الدين الشاعر الموهوب ، والعلامة الملهم والولى المكاشف ، والعارف الذى يعرف كيف يعبر عن دقائق الأمور وما يختلج فى الصدور ، ويعرف كيف يسيطر على المشاعر ، وكيف يصرف الألباب .

* ● *

نسخ الكتاب وتاريخ تاليفه :

وجدت مخطوطة هذا الكتاب عند الأستاذ الملا محمد أمين فى الموصل ، وكانت المخطوطة مكتوبة بخط جيد ويظهر أن المؤلف فرغ من تأليفه يوم الاثنين غرة ذى الحجة سنة ١٢٣٩ هـ حيث يقول الشيخ فى أواخر الكتاب :

فاغفر لنور الدين ذا الأيتوتى ... ووالديه باسمك اللاهوت
من بعد الف وثلاثين اتت ... ومائتين ثم تسع قد مضت
الف ذا الكتاب يوم اثنين ... غرة ذى الحجة نور العين

اما تاريخ نسخ المخطوطه فان الناسخ لم يذكر تاريخ نسخه الكتاب ، وانما اكتفى بعد ذكر قول المؤلف فى نهاية الكتاب وهو هذا البيت :

والحمد لله هو اختتام ... وههنا قد ختم الكلام

اكتفى بنظم هذين البيتين :

ربِّ بـذا التأليف والمكتـوب فاغفر لهذا الكاتب المعيـوب
كاتبـه الهجـرى للأحبـاب بحر الذنوب خادم الطـلاب

* ● *

عملنا فى هذا الكتاب :

بما أن النسخة التى حصلنا عليها هى النسخة الوحيدة للكتاب — وان كانت نسخة جيدة ونظيفة — احتجنا أن نراجع كتاب الحكم وعددا من الشروح ، فقد راجعنا ايقاظ الهمم للشيخ احمد بن محمد بن عجيبة ، وشرح الشيخ محمد مصطفى ابى العلا ، والشرح السادس عشر والسابع عشر للشيخ احمد زروق وشرح الشيخ محمد بن ابراهيم النفرى ، وعدة شروح أخرى للتاكد من سلامة المنظومة من الأخطاء ، كما كتبنا أصل الحكم فى المكان المناسب من النظم ، وبذلنا ما فى وسعنا فى سبيل تحقيق المنظومة وتدقيقها ، وكتبنا ملاحظاتنا حول بعض الأماكن من الكتاب ، وترجمنا للاعلام الواردة فيها ، وكذلك بينا مواضع الآيات والأحاديث الواردة فيها ، وقد وجدنا فى بعض الأماكن كلمات صعب علينا فهمها وانسجام معناها مع المعنى العام للموضوع فاضطررنا الى ابدالها بكلمات من عندنا منسجمة مع المعنى العام بعد مراجعة عدة شروح للحكم ، لكننا احتفظنا بالكلمة الواردة فى الأصل فى الهامش واشرنا الى أن فى الأصل كانت هذه الكلمة موجودة أمانة للعلم ، ورجاء أن يأتى الذى من بعدنا يجد لها مخرجـا .

نرجو الله أن يتقبل منا ما قدمنا عليه من عمل بقبول حسن ، ويلهمنـا الصواب فى امورنا ، والاخلاص فى عملنا ، وهو على ما يشاء قدير .

* ● *

ترجمة مؤلف الحكم الشيخ ابن عطاء الله الاسكندرانى .

هو الشيخ الفاضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله ، تاج الدين ، ابو الفضل ، وابو العباس الجذامى الاسكندرانى ، الامام المتكلم ، الشاذلى .

كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير ، وحديث ، ونحو ، وأصول ، وفقه ، وغير ذلك ، وله عدة تآلف مهمة ومفيدة منها :

١ — التنوير فى اسقاط التدبير — وهو مطبوع .
٢ — لطائف المنن — وهو مطبوع أيضا .
٣ — تاج العروس .
٤ — مفتاح الفلاح — طبع بمطبعة دار السعادة سنة ١٣٣٢ هـ .
٥ — القول المجرد فى الاسم المفرد .
٦ — الحكم العطائية ، وهى أصل هذا الكتاب ، وفيه نجد نص كتاب الحكم موزعة حسب ترتيب النظم .

وكان اعجوبة زمانه فى كلام التصوف ، وله نظم جيد فى الوعظ ، وكان — رحمه الله — متكلما على طريقة أهل التصوف ، وواعظا انتفع به خلق كثير ، وسلكوا طريقه .

وكان شاذلى الطريقة ، حيث أخذ الطريقة عن الشيخ ابى العباس المرسى — رحمه الله — وهو أخذ عن الشيخ ابى الحسن الشاذلى .

وابن عطاء الله يذكر قصة اخذه الطريقة من الشيخ ابى العباس المرسى فى كتابه لطائف المنن ص ١٩٤ — يقول : كنت لأمره (اى لأمر الشيخ ابى العباس) من المنكرين ، وعليه من المعترضين ، لا لشىء سمعته منه ، ولا لشىء صح نقله عنه ، ولكن جرت المخاصمة بينى وبين أصحابه ، ثم قلت فى نفسى : دعنى اذهب انظر هذا الرجل ، فصاحب الحق له آمارات ، لا يخفى شأنه ، فأتيت الى مجلسه ، فوجدته يتكلم فى الأنفاس ، ومسألة درجات السالكين الى الله ، ومدى معرفتهم به ، وقربهم منه ، فقال :

الأول اســـلام : وهو درجة الانقياد والطاعة والقيام بمراسم الشريعة .

وثانيها الايمان : وهو مقام معرفة حقيقة الشرع بمعرفة لوازم العبودية .

وثالثها الاحسان : وهو مقام شهود الحق تعالى فى القلب .

وان شئت قلت : الأول عبادة ، والثانى عبودية ، والثالث عبودة .

وان شئت قلت : الأول شريعة ، والثانى حقيقة ، والثالث تحقق .

فمازال يقول : وان شئت قلت ، وان شئت قلت ، الى أن بهر عقلى ، وسلب لبى ، فعلمت أن الرجل يغترف من فيض بحر الهى ومدد ربانى ، فأذهب الله ما كان عندى ثم أتيت تلك اللبلة الى المنزل فلم أجد فى شيئا يقبل الاجتماع بالأهل على عادتى ، ووجدت معنى غريبا لا أدرى ما هو ، فانفردت فى مكان انظر الى السماء وكواكبها ، وما خلق الله فيها من عجائب قدرته ، فلمس قلبى أشياء لم أعرفها من قبل ، فحملنى ذلك على العودة اليه مرة اخرى ، فأتيت اليه ، فاستؤذن لى عليه ، فلما دخلت اليه قام قائما ، وتلقانى ببشاشة واقبال ، حتى دهشت خجلا ، واستصغرت نفسى أن أكون أهلا لذلك ، فكان أول ما قلت له : أيا سيدى انا والله أحبك ، فقال : أحبك الله كما أحببتنى ، ثم شكوت له ما أجده من هموم وأحزان ، فقال : أحوال العبد أربع لا خامسة لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية ، فان كنت فى النعمة فمقتضى الحق منك الشـــكر ، وان كنت فى البلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منته عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار ، فقمت من عنده وكأنما كانت الهموم ثوبا نزعته ، ثم سألنى بعد ذلك بمدة ، كيف حالك ؟ فقلت : افتش عن الهم فما أجده ، فقال :

ليـــلى بوجهـــك مقمـــر وظلامـــه فى الناس ســـارى
والناس فى ســـدف الظـــلا م ونحن فى ضـــوء النهـــار

الزم ، فو الله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين ، يريد : مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ، ومذهب اهل الحقيقة أهل العلم الباطن .

توفى ابن عطاء الله ـ رحمه الله ـ بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ ، ودفن بالقرافة ، وقبره مشهور ، يزار (١) .

وقال الشيخ نور الدين فى تعريف ابن عطاء الله فى نهاية الكتاب :

حكيم حكم وترجمان ... اعجوبة أتى بها الزمان
امام دهره الهمام العارف ... محقق العصر له مصارف
قاوب كل عارف وسالك ... قدوة كل سالك وناسك
ذلك تاج الدين والاسلام ... أحمد بن محمد الهمام
عبد الكريم جده وبعده ... عبد الرحمن صار بعد جده
وبعده قد كان عبد الله ... هو ابن أحمد من الأشباه
هو ابن عيسى بن الحسين بن عطا ... ء الله قسطاس الطريق مقسطا
هو الجذامى نسبا ومالكى ... بمذهب أسكندرى مسلكى
اى سكن ومات فى القاهرة ... فى سبعمائة وتسع سنة
جمادى الآخر زاد فضلا ... من ربه سبحانه وجل
وشيخه قطب الامام المرسى ... ذاك أبو العباس يا ملتمسى
وشيخه هو الامام الشاذلى ... أبو الحسن ذو الطريق الأكمل
حفهم الرحمن بالاجلال ... أجلهم برحمة الافضال

محمد أحمد مصطفى الكزنى

---

(١) انظر : الديباج المذهب ٢٤٢/١ ، والدرر الكامنة ٢٧٣/١ ، وشذرات الذهب ١٩/٦ ، والنجوم الزاهرة ٢٨٠/٨ ، وكشف الظنون ٦٧٥ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه العون

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فهذه أرجوزة وضعتها على « حكم » الامام المحقق العارف بالله تعالى شيخ المشايخ ، وصدر المجالس ، وبحر المعارف ، امام الصديقين ، وقدوة العارفين ، وبرهان المحققين : احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله : الجزامى نسبا ، المالكى مذهبا ، الاسكندرانى دارا ، القاهرى قرارا — قدس سره — .

فقد اردت ان انظمها بعون الله سبحانه وتعالى بعبارة يسيرة الحفظ ، سهلة الفهم ، جامعة لمراده ، رجاء أن تعود على بركته فى الدارين ، وسميته « تلخيص الحكم » وعلى الله سبحانه الاعتماد ، واليه التفويض والاسناد ، اقـــول :

لا حولَ إلاّ بالإلـهِ السَّرْمَدِي ... فباسم(١) اللهِ المجيـدِ أبتـدى

سبحانه مِنْ ماجـدٍ مَنّـانِ ... ذى الجُودِ والإكرامِ والإحْسانِ

أحْمَدُهُ حمداً يُوافِي نِعَمَهُ ... أشْكُرُهُ شكراً يُـكافِى كرمه

أسـألُه العصمةَ فى الدارين ... والفَوْزَ بالرؤية رأى العَيْنِ

هو المرادُ والمريدُ والحـكم ... هو الذى أتْقَنَ تأليفَ الحكم

لا يجدُ العبدُ الضعيفُ غـيرَهُ ... مِن فضلهِ المسكينُ يرجو خيرَهُ

يا مَنْ تجلّى باسمـه اللاهُوتِ ... أظْهَرَهُ فى برزخ الناسوت

فـلا إلَـهَ فى الوَرَى إلاّ هو ... وكلُّهم فى كُنْهِهِ قد تاهوا

---

١ — فى الاصل « فباسمه الله » .

أســأله مِنْ فُقِــدَةِ العُبُودَةِ ... آلاؤُهُ فى فاقتى مَوْجُودَةِ
جميلُ وصفــهِ لوصفى جابِرُ ... باطفهِ الواســعِ وهو القاهرُ
إن لم يكن منّى له فَمِنْه لى ... هــذا الذى هوّنَ منّى وَجَلى
ثم الصــلاة والســلام أبــداً ... على الذى سمّيته محمــداً
أرسلتَهُ من أكرم الأصــلابِ ... أيّدتَه بمُعْجزِ الــكتابِ
جعلتَه الــبرزخ بَينَ العلما ... وقبلةً فى أهــل أرضٍ وسما
وهو من الأعيانِ عــينُ العينِ ... زيتونةُ المصباحِ فى الكَوْنَيْنِ
أدْنَيْتَهُ بالذاتِ من ذاتِكَ لا ... كقابَ قَوْسَيْنِ (١) غدا مُتّصِلا
وبالّــغِ الشيخين من رضوان ... والحَسَنَيْنِ باهر الإحسان
أعْظِمْ بهم أصحابَ نورٍ وصفا ... أولئك السادةُ نعمَ الخلفــا
ومَنْ قفــا أولئــك المــوالى ... فَشَفّهم بالفضــل والإجْلالِ
من أهلِ بيتِ المصطفى الأمجادِ ... وســائرِ الصحابةِ الأسيادِ
وألْطَفْ بمن قفَاهُمُ من تابِعِ ... وأحْشُرْ بهم عبدَكَ ذا ياسامع

* ● *

---

١ — وهو اقتباس من قوله تعالى : (ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أوادنى) ٩ النجم .

البـــاب الأول

١ ــ من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل :

أشـــارَ سيّدى الإمامُ الأوحدُ تاجُ الكرامِ العارفينَ أحمدُ(١)
فى قوله المرشـــدِ للاخلاص : عـــلامةُ الوَلاَء وإختصاص :
أن لا يَرَى عبـــدٌ له أعمـــالاً ولا مَقَـــاماتٍ ولا أحْـــوالاً
عـــلامـــةُ إعتمـــادِهِ على العمـــل
نقصانُ ما يرجو ، ليوُجِـــدانِ الزَلَلْ
فَلْيَشْهَدْ الخالِقَ للأفعـــالِ يَنْجُ من الإشراكِ والوَبالِ
مستسلمـــاً لقهرهِ مُفَوِّضـــاً ولا يَزُغْ من أمرهِ عندَ القَضَا
فالحـــولُ والقـــوّةُ للقهّـــارِ إنّ التـــبرّى عَلَمُ الأخيـــار
وإشْهَدْ أخِى مِنَّتَهُ فيما مَنَحْ ولتَكُ مَنْ مالَ إليه وجَنَحْ
وإرضِ بما يصنعُ مولاكَ ، ولا تَسْخَطْ إذ النازلُ يوماً نزلاً
ليسَ بمحتاجٍ إلى حُسْنِ العمل عند السماحِ لايُبَالى بالزلل
أو شـــاءَ للعبـــدِ عقوباتٍ ، فَمَنْ(٢)
يَصُـــدُّه ، وليس يَرْضى بالثَمَنْ
هو الغنىُّ عن وجودِ العِلَلِ فـــكيف يحتـــاجُ إلى المعلل

---

١ ــ سبقت ترجمته .

٢ ــ هذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم : « لن يدخل احدكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا انت يا رسول الله ؟ قال : ولا انا الا ان يتغمدنى الله برحمته » .

لم تَكُ عاملا بشيءٍ وغدا
قضاؤه المَحْتُومُ قبلُ مُوجِدا(١)

---

١ — هذا دليل عقلى لم أجده فى شروح الحكم استدل به الشيخ نور الدين على أن دخول الجنة ليس لأجل استحقاق الانسان لها بالعمل الصالح ودليله يتلخص فيما يأتى : ان الله خلق الانسان ولم يكن قد عمل عملا صالحا يستحق به خلقه فكذلك يدخله الجنة دون استحقاقه لها بالعمل الصالح .

والمقصود بهذه الحكمة — والله اعلم — ان لا يغتر من كثرت أعماله الصالحة لأن أعماله قد لا تكون مقبولة عند الله ، ولا ييأس من قلت أعماله الصالحة ، لأن الله يغفر لمن يشاء ويعطى جنته لمن يشاء انه لا يسأل عما يفعل .

٢ — ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك فى الأسباب ، من الشهوة الخفية وارادتك الأسباب مع اقامة الله اياك فى التجريد ، انحطاط عن الهمة العلية :

وقال شيخى كامل الأنوار ... يدعوك للجنة خير الدار :

إذا أقامكَ الاله فامتثل ... وإصبر على مرضيه ولا تميل

فربما صفت لك الأسباب ... واستوفيت فى نورها الآداب

فههنا إعلم أنه أرادكَ ... وشاءَ فى إستيفائها إسعادكَ

علامة إستقامة الأسباب ... كونكَ مدعواً(١) لفتح الباب

وأن يرى العبد صفاءَ العمل ... عن كل ما مآله للخطل

وأن يرى التوبةَ فى المعاصى ... إنْ لم يكنْ بدٌّ من الخلاص

وأن يرى(٢) اللهَ لدى أفعاله ... معَ الرضا بالله فى أحواله

لا أن يرى الراحة من شقتها ... وراحة الدنيا بلا كدرتها

فلا صفاءَ لأمرئٍ من شغب ... ولا خلاصَ لأمرئ من عطب

ولا زوالَ من وجودِ الغصص ... وليس فى الدنيا سوى مُنغرَصِ

وحيثما صفا لك التجريدُ(٣) ... مستغرقاً لقلبك التوحيدُ

---

١ — فى الأصل « كونك مدعو » .

٢ — اشارة الى قول الرسول (ص) : « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » رواه البخارى .

٣ — التجريد فى اللغة : هو الازلة ، تقول جردت الثوب اى أزلته عنى ، وتجرد فلان : اى أزال ثوبه ، وجردت الجلد اى أزلت شعره . وأما عند الصوفية فهو على ثلاثة أقسام تجرد الظاهر فقط ، او الباطن فقط ، او هما معا . فتجريد الظاهر : هو ترك كل ما يشغل الجوارح عن طاعة الله ، وتجريد الباطن : هو ترك كل ما يشغل القلب عن الحضور مع الله ، ونجريدهما : هو افراد القلب والقالب لله ، والتجريد الكامل فى الظاهر : هو ترك الأسباب العادية ، وفى الباطن : هو تجريد القلب من كل وصف ذميم وتحليه بكل وصف كريم ، والتجريد هو التوكل على الله سبحانه وتعالى .

=

. . . . . .

=

والتوكل على الله تعالى : هو الثقة به ، والاعتماد عليه ، والاعتقاد أن الأمر منه واليه ، وهذا أمر لابد أن يتمسك به المسلم فى حياته ، قال تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام (ربنا عليك توكلنا والبك أنبنا واليك المصير) [الممتحنة ٤] وقال تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره) [الطلاق ٢] ومباشرة الأسباب بالاختيار والسعى لكسب الرزق مع التوكل على الله هو رأى جمهور المسلمين ، وهو ما وجه اليه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من قال له : أعقل ناقتى وأتوكل أم أدعها وأتوكل ؟ قال : « اعقلها وتوكل » رواه ابو نعيم فى الحلية .

لكن هل الأفضل التجريد والتوكل أم مباشرة الأسباب ؟ .

رجح جمهور المسلمين مباشره الأسباب لما فيه من كف النفس عن التطلع لما فى أيدى الناس ، وعن الخضوع لهم مع حيازة منصب التوسيع على عباد الله ، ، وصلة الأرحام ، ومساعدة الفقراء ، ومعاونة المحتاجين .

ورجح قوم التوكل مع قطع النظر عن الأسباب والتجرد عنها ، مع التمكن منها ، لما فيه من ترك ما يشغل عن الله تعالى ، والاتصاف بالرغبة الى الله تعالى مع حيازة السلامة ، من فتنة المال ، والمحاسبة عليه ، قال سليمان الخواص — رضى الله عنه — : لو أن رجلا توكل على الله — بصدق النية — لاحتاج الله الأمراء ومن دونهم ، وكيف يحتاج هو الى أحد ومولاه هو الغنى الحميد ؟ الشرح المسمى من عطاء الله ص ٦٥ .

لكن الراجح هو القول بالتفصيل كما يفهم من كتب القوم كالاحياء للامام الغزالى وكالرسالة للامام القشيرى .

وحاصل التفصيل أنهما يختلفان باختلاف أحوال الناس ، فمن يصبر عند ضيق معيشته بحيث لا يتسخط ولا يتطلع لسؤال أحد ، ولم تتعلق به نفقة لازمة ، أو تعلقت ورضى المنفق عليه بحاله ، وكان مثله فى عدم التسخط ، فالتوكل مع ترك الأسباب أرجح فى حقه ، لما فيه من التفرغ لمعاملة الحق ، وترك معاملة الخلق ، ومجاهدة النفس على ترك شهواتها ولذاتها والصبر على شدتها ، وقد قال تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق ٣] .

=

واستقرّتْ من وقتك الأسبابُ ... وهى الّتى مآلُها العذابَ
وتركْتُكَ بعدما توجهتْ ... وأدّيتْ فرائضُ وما وَهَتْ
فاعلم بأنّ اللهَ قد أرادَهُ ... منك فلا تُضِعْ له مُرادَهُ
فاخرُجْ من الأسبابِ إذ لا حَرَجُ ... فاللُبْثُ منها بعد هذا عَوَجُ
علامة إستقامة التجريدِ ... حصولُ ما أوجبَ من توحيدِ
وأن تقومَ فيه بالحقوقِ ... والشغلِ بالله عن المخلوق
فمن دَعاهُ اللهُ للتجريدِ ... فَلْيَتْرُكْ الأسبابَ مع تفريدِ
لقلبه مع كاملِ التشْمير ... من غير فَتْرَةٍ ولا تقصيرِ
وليس هذا شَهوةٌ خفيّةٌ ... ولا إنحطاطُ الهِمّةِ العليّةِ

=

ومن لم تكن حاله كذلك الصابر عند ضيق معيشته ، فالاكتساب فى حقه ارجح ، حذراً من النسخط وعدم الصبر ، بل ربما وجب الاكساب فى حقه اهتداء بقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « أعقلها وتوكل » .

واعمالا للآيات والأحاديث التى تأمر بالكسب وتحث على العمل مثل قوله تعالى (فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) [الملك ١٥] .

قال ابن عجيبة فى كتابه ايقاظ الهمم ص ١٨ : اعلم أن المتسبب والمتجرد عاملان لله ، اذ كل واحد منهما حصل له صدق التوجه الى الله تعالى ، حتى قال بعضهم : مثل المتجرد والمتسبب كعبدين للملك قال لأحدهما : اعمل وكل ، وقال للآخر : الزم أنت حضرتى وأنا أقوم لك بقسمتى ، ولكن صدق التوجيه فى المتجرد أقوى لقلة عوائقه كما هو المعلوم .

٣ — سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار :

٤ — ارح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به لنفسك :

النـــاسُ أقسامٌ ثلاثٌ فيهـــا : أوّلُهُمُ مُقَصِّرٌ مُرْدِيهـــا
فالهِمَمُ القـــواصِرُ اللّـــواتى : تأبى من العزمِ سوى النيّاتِ
تعزمُ للفعـــلِ ولا تَفْعَلُـــهُ وليس يأتى عازماً مأمَلُـــهُ
من إنفعالِ المُنْيَةِ المَرُومةِ فهى التى فى عَزْمِها مَحْرُومَةُ
ثمّ تليهـــا متوسطـــاتُ وهى لمـــا تعزم فاعـــلاتُ
لـــكنّها لا تَصِـــلُ إنفعـــالاً وإن تجـــد فى حَزْمِها إكمالاً
ثمّ تليهـــا الهِمَمُ السوابقُ(١) وهى التى آمـــالها طوابقُ

---

١ — الهمم السوابق : الهمم جمع همة ، والهمة : قوة انبعاث القلب فى طلب الشيء والاهتمام به ، فان كان ذلك الشيء رفيعا لمعرفة الله وطلب رضاه سميت همة عالية ، وان كان أمرا خسيسا كطلب الدنيا وحظوظها سميت همة دنية .

السوابق جمع سابقة : وهى المتقدمة .

والهمم السوابق أربعة أقسام :

١ — همة العاين لخبث عينه أو لخاصية جعلها الله فيها بحيث اذا نظر لشيء انفعل ذلك باذن الله كما قال صلى الله عليه وسلم : « العين حق » رواه البخارى .

٢ — همة الساحر لخبثه أو لخاصية جعلها الله فى السحر بحيث اذا توجه الى الشيء انفعل ذلك الشيء باذن الله .

٣ — همة الرياضى وهو ما يأتى به من الأفعال العجيبة بسبب ما تحمله من مشاق الرياضة .

٤ — وهمة الولى العارف بالله : وهى الكرامة ، تظهر عن تحققه فى يقينه وقوة ايمانه .

=

أقسامُها أربعـــة : فَعَـــائِنُ فَـــكَمْ خبائثٌ له كَمَائِنُ
وســـاحرٌ مؤثِّرٌ فى نَفْثِـــهِ وعقدةٌ تأثيرِهِ من خُبْثِهِ
ومُرِيضٌ لتجريد القُوى يفعلُ فى تجريدها حيثُ نوى
وذو وِلايَـــةٍ بأمـــرِ اللهِ وفعلـــه فى نَفْسِهِ كما هى
وكلّ هـــذا بقضـــاءِ اللهِ فـــلا تكنْ فى رِيبَةِ إشتباهِ
فإذ علمت أنّـــه لا يقلب وأنّـــه لـــكنّها مُسَبَّبُ

❁ ● ❁

فـــكن مُرِيـــحَ النفسِ عن تدبـــيرِ (٢)
مُفَـــوِّضَ الأمـــورِ للمُقَـــدِّرِ

=

لكننا لابد أن نعرف أن شيئا من الهمم لا تؤثر فى قضاء الله وقدره ؛ فهذه الأمور لا تأثير لها فى ذاتها أصلا ، لكنها ان وافقت قضاء الله انفعل الشىء عندها وان خالفت قضاء الله فلا تؤثر شيئا حيث قال تعالى فى حق الساحر (وما هم بضارين به من أحد الا باذن الله) [البقرة ١٠٢] ، وقال تعالى : (انا كل شىء خلقناه بقدر) [القمر ٤٩] ، وقال تعالى : (وما تشاؤن الا أن يشاء الله) [الانسان ٣٠] ، وقال صلى الله عليه وسلم : « كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس » رواه مسلم .

قال ابن عجيبة : اذا اهتم العارف أو المريد بشىء وقويت همته بذلك ، فان الله تعالى يكون ذلك بقدرته فى ساعة واحدة حتى يكون أمره بأمر الله . . ومع ذلك لا ينفعل بذلك ولا يتكون الا ما أحاط به قدر الله وقضاؤه ، فهمة العارف تتوجه للشىء ، فان وجدت القضاء سبق به كان ذلك باذن الله ، وان وجدت سور القدر مضروبا عليه لا تخرقه ، بل تتأدب معه وترجع لوصفها وهى العبودية . ايقاظ الهمم ص ١٩ .

٢ — التدبر فى اللغة : هو النظر فى الأمور وأواخرها ، وفى الاصطلاح : هو كما قا ل الشيخ زروق — رضى الله عنه — تقدير شؤون يكون عليها فى المستقبل بما يخاف أو يرجى بالحكم لا بالتفويض ، فان كان مع تفويض وهو أخروى فنية خير ، أو طبيعى فشهوة ، أو دنيوى فأمنية .

=

فما أقامَ فيــه مولاكَ فــلا تقم به إذ لاترى مُحَصِّلاَ
تدبــيرنا يَعْقُبُــهُ تــكلّفُ وقــد يكونُ بعــده تخلّفُ
فإن يــكن فيــه من المدَبَّرِ مشيئــةٌ لا خُلْفَ للمدَبَّرِ
أو لم يشــأ فــلا يكونُ أبداً وإن يكنْ كلُّ الورى مؤيِّدا
تفــوّضُ الأمــورَ بالتوكلِّ لخــالقِ الأمورِ والموصِــلِ
وقُمْ على الصالحِ من أعمــالِ بئس إمرءاً تراهُ ذا إهمَالِ
فمن أطــاعَ اللهَ بالإقبــالِ أتتْهُ دنيــاهُ من الحــلاَلِ
لــكنّما العُقبى بــلا أعمــالِ تَسَلُّمُ الانسانِ للنَــكَالِ

* ● *

=

فبناء على هذا يكون التدبير على ثلاثة أقسام : قسم مذموم ، وقسم مطلوب ، وقسم مباح ، فأما القسم المذموم — وهو المراد هنا : فهو الذى يصحبه الجزم والتصميم سواء كان دينيا أو دنيويا لمــا فيه من قلة الأدب وما يتعجله لنفســه من التعب ، اذا ما قام به الحى القيوم عنك لا تقوم به أنت عن نفسك ، قال الشيخ حسن الشاذلى — رضى الله عنه — لا تختر من أمرك شيئا ، واختر أن لا تختار ، قال تعالى : (وربك يخلق ما يشاء ويختار) [القصص ٦٨] وهو التدبير المنافى للعبودية بأن تقول : لولا فعلت كذا ما كان كذا ، ولو انى فعلت كذا كان كذا ، فان الله دبر الأشياء فى سابق علمه فقدر روى ان الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ، ولا تعجز ، وان أصابك شىء ، فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء الله فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » مسلم .

فبعد وقوع القدر المكروه للنفس ، لا سبيل الا التسليم والاعتراف به للمقــدر وهو الله .

اما القسم المطلوب : فهو تدبير ما كلفت به من الواجبات ، وما ندبت =

. . . . . .

=

اليه من الطاعات مع تفويض المشيئة والنظر الى القدرة وهذا يسمى النية الصالحة ، وقد قال — صلى الله عليه وسلم — « من هم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة » . وهو مقتضى قول الشيخ :

لكنما العقبى بلا أعمال سلم الانسان للنكال

أما القسم المباح : فهو التدبير فى امر دنيوى أو طبيعى مع التفويض للمشيئة والنظر لما يبرز من القدرة ، غير معول على شيء من ذلك ، وعليه يحمل قول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « التدبير نصف العيش » ، وقوله — صلى الله عليه وسلم — : « لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب كحسن الخلق » .

وهذا النوع من التدبير والتفكير يجب اذا كان الأمر يتعلق باختراع شيء ينفع الانسانية ، أو التخطيط لمصلحة أمة محتاجة الى التقدم والرقى ، وابتكار أسباب السعادة ، وتأليف الكتب النافعة ، مما يؤدى الى تغيير مسار الحياة الى أحسن ، فقد قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) .

٥ — اجتهادك فيما ضمن لك ، وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك :

القلبُ يخفى عن شهودِ البَصَرِ ... وليس يخفى للفتى عن أثَرِ
بصيرةُ الكاملِ فى الأنوارِ (١) ... تدعو إلى التكلانِ للجبّارِ
سَريرةُ الناقصِ عن ظلمتِهِ ... تدعوه أن يجهد فى شِقْوَتِهِ
ويكسبُ الدنيا نَسِيَّ الآخرة ... بئس إمرءاً يتبعُ داراً خاسِراً
لذّاتُها سريعةُ الفسادِ ... أينَاؤها فى وَهْدَةِ الإبعادِ
فحيثما أقبلتْ الدنيا فقط ... طَغَيْتَ والشاهدُ بالحقِّ شَهِدْ
قد ضَمِنَ اللهُ لنا دنيانا ... وطالبَ المَسْعى لما عُقْبَانا
علامةُ الجاهدِ فى المَضْمُونِ ... لغائب تلهّفُ المحزون

---

١ — البصيرة : ناظر القلب ، كما أن البصر ناظر القالب ، فالبصيرة لا ترى الا المعانى ، كما ان البصر لا يرى الا المحسوسات ، أو نقول : البصيرة لا ترى الا اللطيف ، والبصر لا يرى الا الكثيف ، فاذا أراد الله فتح بصيرة العبد أشغله فى الظاهر لخدمته ، وفى الباطن بمحبته ، فكلما عظمت المحبة فى الباطن والخدمة فى الظاهر قوى نور البصيرة ، واذا أراد الله خذلان عبده أشغله فى الظاهر بخدمة الأكوان وفى الباطن بمحبتها فلايزال كذلك حتى يطمس نور بصيرته ، فلا يرى الا الحس ولا يخدم الا الحس ، فيجتهد فى طلب ما هو مضمون من الرزق المقسوم ويقصر فيما هو مطلوب منه من الفرض المحتوم ، حيث قال تعالى : (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها) [العنكبوت ٦٠] ، قال تعالى : (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين) [الذاريات ٥٨] .

والمراد بذلك : ترك الاهتمام بالدنيا الذى يبعث على اهمال الطاعة والعبادة والمروءة ، وارتكاب المحظور فى سبيل جمع المال ، والا فان العمل والسعى لطلب الرزق الحلال بأساليب شريفة ومن غير تقصير فى حقوق الله وحقوق الأقرباء وحقوق الفقراء يعتبر من الطاعات والانسان يثاب على جمع المال وانفاقه فى الحلال ، يؤجر على العمل الحلال بل هو أفضل من النوافل بالنسبة لبعض الناس استنادا الى عموم الآيات والأحاديث التى تحث على العمل وكسب الرزق مثل قوله تعالى (وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله) [المزمل ٢٠] .

وتركُ تقوى اللهِ فى التحصيـلِ وغفلـةٌ عن واجب التعديل
ومن عـلامةِ الذى لا يَجْتَهِدُ لذلك المضمونِ بل يَعْتَمِدُ
على الوكيل طلبٌ مـع الرضا بما أرادَ اللهُ من مُرِّ القضا
وكامـلُ التقـوى بحـالِ الطالبِ
والأخـذُ بالأسبـاب(١) حفظُ الأدبِ
فـكون دنيانا لنـا مَنْعُوتُ نهرٍ أتى فى قومِهِ طالوتُ(٢)
وليس ينجو طالبٌ من رَغَدِهِ إلا الذى يشربُ غَرْفاً بيَدِهِ
مستغرقٌ فى أمـلِ دنيـاه آلَ به الطَمْسُ إلى عَمَاهُ

* ● *

---

١ — وفى تعليق على النسخة (فى الأسباب) بدل (بالأسباب) .

٢ — اشارة الى قوله تعالى : (فلما فصل طالوت بالجنود قال : ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم) [سورة البقرة ٢٤٩] ، فقد شبه الدنيا بنهر طالوت لا ينجو منها الا من لم يشرب منها أو اغترف غرفة بيده ، لا من شرب على قدر عطشه فانه يهلك .

٦ — لا يكن تأخر أمد العطاء مع الالحاح فى الدعاء موجبا لياسك ، فهو ضمن لك الاجابة فيما يختاره لك ، لا فيما تختاره لنفسك ، وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد :

الله ضامنٌ لنا إجابة ... مهما طَرَقْنَا فى الدعاءِ بابَه
إذا دَعَوْناهُ مع الإلحاحِ ... يجيبُ فى الأحاديثِ الصِحاحِ
واليأسُ عندَهُ علامةُ الردا ... إذا تأخّر العطاءُ أمَدا
ثلاثة مراتبُ الدُعاتِ : ... مُفَوِّضُ لله فى الفاقاتِ
عُبُودَةٌ آثر بالتعلّقِ ... بربّه بأحسنِ التحقُّقِ
يرضى به عندَ الوُجودِ والعَدَمْ ... إذ كان ثابتَ اليقينِ والقَدَمْ
مراده من الدعا عُبُودَةُ ... وأن يبثّ عنده معبودة
ورجلٌ ببابِ مولاهُ وقَفْ ... منتظراً نزولَ مُوهُوبِ التُحَفْ
بالوعدِ واثقٌ وناظر الحكم ... يرجعُ للنفسِ بروئيَةِ النَدَمْ
وتارةً ييأس من تقصيرِهِ ... لواثقِ الوعدِ على تأخيرِه
وتارةً يرجو وإن جاء المنى ... يعظّم الشرع العظيمُ ههنا
ورجل يدعو الإلَه بالعِلَلْ ... وصحبتُهُ عندها كلّ الفضل
مرادُه من ربّه نَيلُ الغَرَضْ ... ويعبد اللهَ لتحصيل العِوَضْ
فذاك ربّما يشكُّ فى الوفا ... وقد نأى فى يأسِهِ عن الصفا
فليعلم الإنسانُ مقصود الدعاء ... وهو إلى اللهِ إفتقارٌ بالسَجَا
فمن يكنْ عند العَطَا يُفَرَّجُ ... فاعلمْ يقيناً أنّه مستدرجُ
وقال شيخنا : إذا العبدُ دعا ... بشرطِ ما مرَّ تحقّقَ العطا(١)

---

١ — وفى الأصل (تحفف العطا) .

والحقُّ ضامنٌ لأن يجيب ... كان كما فى نَصِّه(١) قريباً
لكنّه يختارُ عَيْنَ المقصدِ ... من حيثُ علمُ عبدِه لا يهتدى
ومِثْلُهُ الزمانُ فاصطبِرْ لَهُ ... ولا تكنْ من جهلِه أعْجَلَهُ
وانظرْ لما دعا بِهِ الكَلِيمُ ... ثم أخوهُ الأفصحُ العليمُ
وصحّ مدّعيهما يقيناً ... دعاؤُهُ قد كان أربعينا
وفى الحديث : من دعا مَولاهُ ... إمّا يكونُ نائلاً مُنَاهُ
أو الثوابُ للمعادِ يُدَّخَر ... أو مثلُ مادعا لَهُ صرفُ الضَرَرْ(٢)
وحِكْمَةُ التأخيرِ فى الموعودِ ... وخيرَةُ المقصدِ للمعبودِ
عنايةُ اللهِ ورِفقٌ بالفتى ... فإنّه الجاهلُ فى عينِ العطا
فإنّه يعطيهِ ما أولى بِهِ ... حاشاهُ أن يَطْرُدَ من فى بابِهِ
وثانياً فذاك إبقاءُ لِما ... حقّقَهُ اللهُ على كلّ الورى
وهو عُبُودِيَّتُنَا لَهُ فلو ... أنْتُفِيَتْ عنْ العبادِ لعلو
وثالثاً به ظُهُورُ الفاقَة ... وقد قضى تَكْلِيفُنَا إستحقاقة

* ● *

---

١ — الظاهر انه اشارة الى قوله تعالى : (واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعان) [البقرة ١٨٦] .
(وقال ربكم ادعونى أستجيب لكم) [غافر ٦٠] .

٢ — أخرج الترمذى عن أبى هريرة ان رسول الله (ص) قال : « ما من رجل يدعو الله بدعاء الا استجيب له فاما أن يعجل له فى الدنيا ، واما ان يدخر له فى الآخره ، واما أن يكفر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا . ما لم يدع بائم او قطيعة رحم او يستعجل » قالوا : يا رسول الله وكيف يستعجل ؟ قال : « يقول : دعوت ربى فما استجاب لى » رقم الحديث ٣٦٧٧ الترمذى كتاب الدعوات ٥/٢٤٠ .

وعن جابر ان رسول الله (ص) قال : « ما من احد يدعو بدعاء الا اتاه الله ما سأل ، أو كف عنه من سوء مثله ، ما لم يدع بائم او قطيعة رحم » رقم ٣٤٤١ الترمذى ٥/١٣٠ .

٧ — لا يشكنك فى الوعـــد عدم وقوع الموعود ، وان تعين زمنه ، لئلا يكون ذلك قدحا فى بصيرتك ، واخمادا لنور سريرتك :

ولا يُشَـــكِّنَّكَ فى الوعدِ أبد ... تأخُّرُ العطا إلى طولِ الأمد
وأعلم بأنّ ذلّـــةَ العبيـــدِ ... شرطٌ لهم فى بُلغَةِ الموعُودِ
واعتبِرَنْ بقصّةِ الأحْزابِ(١) ... وفتح مكّةَ من الأصحاب(٢)
قـــد أصبحوا أذلّـــةً فنُصِروُا ... وفى حنين أعْجِبُوا فكُسِروُا(٣)
واعتَبِرَنْ بقصّـــةِ البَدْرِيّةِ ... وذاكراً لآيـــةِ النَصْرِيّةِ(٤)

---

١ — (اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الأبصـــار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنون) [الأحزاب ١٠] .

(ولمـــا راى المؤمنون الأحزاب قالوا : هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) [الأحزاب ٢٢] .

(ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا) [الأحزاب ٢٥] .

٢ — (واذكروا اذ أنتم قليل مستضعفون فى الأرض تخافون ان يتخطفكم الناس فأواكم وايدكم بنصره) [الأنفال ٢٦] .

(لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لاتخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) [الفتح ٢٧] .

٣ — (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) [التوبة ٢٥] .

٤ — (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) [آل عمران ١٢٣] .

(فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم) [الأنفال ١٧] .

حيث دعا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حتى سقط رداؤه .

ففى جميع هذه الآيات علق الله تأييده ونصره للمؤمنين بتواضعهم لربهم وفقرهم وذلهم وقلتهم ، وعلق عدم تأييده لهم فى حنين بسبب اعجابهم بنفسهم وبكثرة عددهم .

فهـذه من حِـكَمِ الإلـه ثلاثة : فخـذ بـلا تَبَاهِ
والشاكُ يهديكَ إلى بصـيرةٍ مُظلِمَةٍ ومَخْمَدِ السَرِيرَةِ
الفقرُ ، والذلّـةُ ، والبـلاءُ والمرضُ المُسْقِمُ : والعَناءُ
وما يضـاهِيهِ من الأحوالِ تعرّفٌ فى حضرة ذى الجلال
ليعلَمَ العَبدُ لـه إنكساراً إلى الإلَه الحقِّ واضطراراً
فأوجُـهُ التعريف لا تنحصِرُ والغرضُ الأكبر منها العِبَرُ
من العِبـادِ من يروا حـدوداً ولا يروا لنفسهم وجـوداً
وذاك سِرّ وجْهَـةِ التعريفِ والسَبَبُ البـاعثُ للتكاليف
حقيقةُ الناسِ غَدَتْ جَهُولاً وإن حبَـاهَا ربّنـا عُقُولاً
عرّفهم لتـبرز الخَبَـايا من جوهر الإنسـان والجنـايا
جوهره الفاقـة وإنـكسارُ وسِرُّهُ الفقرةُ واضطرارُ
وأودعَ القُوّةَ مـع صُنُوفِ نعيمـه الفـائقِ من ألوف
مع أنّـه الظَلُومُ فى الودائعِ وجاهل فى الحكَمِ البدائعِ(١)
وناظـر لظـاهرِ الوُجُـودِ يَنْسَى فعـالِ الواحد المجيد
أجهلـه فى أوّل الأمـور أظلمـه لنـاجزِ الغُرُورِ

١ — وهذا اشارة الى قوله تعالى : (انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) [٧٢ — الأحزاب] .

٨ — اذا فتح لك وجهة من التعرف فلا تبال معها ان قل عملك فانه ما فتحها لك الا وهو يريد أن يتعرف اليك ، ألم تعلم أن التعرف هو مورده عليك والأعمال أنت مهديها اليه ، وأين ما تهديه اليه مما هو مورده عليك ؟ :

ثمّ أراد العلمَ والعرفانَ ... بربه منه على ما كانَ (١)
وأن يرى حقائقَ المخلوقِ ... وضعفَهُ العاجزَ بالتحقيقِ
فآلَ أمره إلى التعريفِ ... بأوجهِ الذلّةِ والتكليفِ
أشهدَهُ عجزيّةً حتى يرى ... فى عجزه إلهَهُ مقتدرا
أشهدَهُ ذلّتَهُ ليعلم ... عزةَ مولاهُ مذلّ العُظَمَا
أشهدَهُ الفاقةَ وافتقاراً ... ليعرف الغنيَّ والقهّارَ
أشهدَهُ ضعفَ الذى لديهِ ... حتى يرى توكّلاً عليه
هو القويُّ والقديرُ والغنى ... هو العزيزُ وسواهُ مُنْحنى
فهذه خصائصُ الإلهِ ... فإعرفْ لهُ صفاتِهِ كما هى
وإعرفْ وجودَك القديمَ تفاحُ ... وقِفْ على الحدودِ حقّا تربَحُ
فبعدما اللهُ رأى إنساناً ... ما فارقَ الجهلَ ولا نسْيانَ
أشهدَهُ صفاتِه القديمة ... حتى يرى أحكامَهُ اللئيمةُ
فسلّطَ البلا عليه والغنى ... والسقمَ والصحةَ ثمّ المِحَنَ
ليشكرَ اللهَ على الغناءِ ... يصحبَ الصبْرَ على البلاءِ
وهكذا فى سائر الأحوالِ ... مختلفات الحكمِ والأفعالِ
والقصدُ منها رؤيةُ الربُوبيّةِ ... بحقّها فإنّها المقصُودَةُ
وبعدها العرفانُ بالعبُودَةِ ... بحقّها فإنّها المقصُودَةُ

---

١ — « العرفانا ... ماكانا » الأصل .

فمَنْ هداهُ اللهُ يدرى وصْفَهُ ... من حيثما بحقّه عرّفه
ومَنْ أضلّ اللهُ لا يُبالى ... بكلّ(١) ما عرّفه الموالى
فأوْجُهِ التعريف جاءتْ واسعة ... ولا يعيها غير أذُنٍ سامعة (٢)
فعارفٌ مَنْ صَرَفَ السمعَ إلى الـ ... ـوجْهَةِ تعريفاً وإن قلّ العمل
فالحقُّ لا يُعْرَفُ إذ إلاّ بهـا ... أو لا لإحـاء إلى أعْجَبِهَا

---

١ — فى الأصل « بكلما عرفه » .

٢ — ان معرفة الله تعالى هى غاية المطالب ، ونهاية الآمال والمآرب ، فان فتح الله لك وجهة من وجهات التعرف اليه — عز وجل — كالاشارة اليه تعالى عند الاصابة بالأمراض ، أو الابتلاء بالبلايا ، أو نزول الفاقات ، لسلامتك مما أصابك أو ابتلاك به ، أو أنزله بك ، وكانتباهك عن ذلك الى ان ما حصل لك بقدرة الله تعالى ، وهو دليل عناية الله بك ، وترقيك عنده تعالى ، لأنك ستصير به من أهل وده بصبرك ورضاك ، فيكون ما اصابك او حصل لك سببا لمعرفة الله تعالى بصفاته : كاللطف ، والقهر ، والرحمة ، والشفاء ، وغيرها . فقد قال — صلى اله عليه وسلم — « أشدكم بلاء الأنبياء الأمثل فالأمثل » .

والمراد بالأذن السامعة : هو العارف المتيقظ الذى يتلقى المصائب والنوازل بذكر الله تعالى ويصبر على البلاء والشدائد ، ويتأدب معها ، ويترقى بها الى مقام الرسوخ ، لأن الله اذا أراد أن يطوى مسافة البعد بينه وبين عبده سلط عليه البلاء ، حتى اذا تخلص صلح للحضرة ، كما تصفى الذهب والفضة بالنار ، فقد قال — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى : « اذا ابتليت عبدى ببلاء ، فصبر ، ولم يشكنى الى عواده ، ابدلته لحما خيرا من لحمه ، ودما خيرا من دمه ، فاذا ابرأته ابرأته ولا ذنب له ، وان توفيته فالى رحمتى » .

هذا بالنسبة الى الصابر على البلاء ، واما بالنسبة الى الذى يسخط عند نزول البلاء وينكر ، فهو يزداد بها بعدا من الله تعالى .

ولا شك ان البلاء والمصائب قد تعوق عن القيام بالعمل الصالح ، فيقل معها عمل المبتلى بها ، لكنه لا يضر لأن العمل القليل مع معرفة الله تعالى والصبر على بلائه خير من العمل الكثير ، وهذا هو مراد الشيخ نور الدين بقوله :

ولا تقـل : فعـلى حقـير قل ... كيف به أعـرف من تجـلى
فانه وجههـا اليـكا ... أو ردهـا من عنـده عليك

فانظر إلى حديثِ بطنِ الوادى فأتِ (١) صلاةَ سيّدِ الأسيادِ
وذاك حتّى يُعْرَفَ إستضعافَهُ ولا يُوارى قَدْرُه أوصافَهُ
فيا أخى إذا الإلهُ فتح وجْهَتَهُ فقد حباكَ منحاً
وقلّةُ الأعمالِ مع تعرّفِ منه إليك أنت فيها مُكْتَفِ
ليس الذى يعرفُ من أكثرها يَعْرِضُ عن وُجُوهِ من قدّرها
وإنّما العارفُ من حقّقَ فى أمرٍ أتاهُ مالَهُ من مُصْرِفِ
اللهُ يرضى أن تكونَ عارفاً بحكمه وأن تنالَ الشرفا
وكلُّ ما توجه اللهُ به لابدَّ من التعريف منه فَبِهِ
دواءُ تعريفاكَ بالخصوصِ فألجأ به لمبلغ التخْصِيصِ
وأنظر إلى آدمَ لمّا هَبَطَ (٢) حينَ على ذلٍّ وعجزٍ سقطَ
وانظرْ إليه عند أكْلِ الشجرةِ ألْهَمَهُ اللهُ لكلٍّ قَدَّرَهُ
فصارت الذلّةُ أىَّ عزّةٍ وفازَ بالتكريمَ والمَعَزَّةِ
إذ عَلِمَ الأمرَ الذى لا يُصْرَفُ وأنّ ربّه به مُستَعْرِفُ
فذَنْبُهُ أصبحَ خيرَ طاعةِ وعِجْزُهُ بُدِّلَ بإستطاعة
فكلُّ وَجْهٍ هو شافٍ داءِ وماله بالغيرِ من شِفَاءِ
وموقفُ التعريفِ بالإجْمالِ معرفةُ المعبودِ بالإجلال
مع هَوَانِ النفسِ والدُنيا وما فيها ، وأن يَعْرِفَ منها الحِكَمَا
ويَعْرِفَ الخلقَ على ما كانُوا وأنّهم للحكمِ ما إستبانوا

---

١ — فى الأصل « فائت صلاة سيد الأسياد » .
٢ — « هبطا .. سقطا » الأصل .

إن فعلوا خيراً وشرًّا فلقد ... أرشدهم أفعالُهُمْ كلّ رشد
فبعضهم يحقُّ للتقديم ... وبعضهم أجدرُ للتحريم
فانظر لخلاّقِ الفعالِ منهم ... ولاتحوِّلْ حكمَ شرعٍ عنهم
ما منَحَ اللهُ لك التوجيه(١) ... بوجهةٍ إلاّ أراكَ فيها
تعريفَهُ إيّاكَ مِنّةً فالـ ... ـأعمالُ إن قلّت فما فيه خَلَلْ
تعريفه إيّاك فيما وجّه ... أعظمُ من فعلِكَ فأهجر سفهاً
ولا تقُلْ : فعلي حقيرٌ قلّ(٢) ... كيف به أعرفُ من تجلّيَ
فإنّه وجّهها إليك ... أوْرَدَها من عنده عليك(٣)
وأنت للأعمالِ مَنْ يهديها ... إليه فإعلمْ حيثما تأتيها
فأينَ ما تهدى إليه ممّا ... هو له المَوْرِدُ فإبغِ علما
بينهما في الحُكْمِ ما بينكما ... فهو الجليلُ وهو ربُّ العظما
وأنت في غايةِ ضَعْفٍ ودَنا ... ءَةٍ ، وذلٌّ ثم عجزٍ ووَنَا
فأنت عبدٌ وهو ربٌّ فإعلمْ ... وأقْبِلْ إذا عرّفَ أمراً تحكم
ولا تقابِلْ فِعْلَهُ بفعلِكَ ... وإن فعلتَ ذا فيا لجَهْلِكَ

* ● *

---

١ — في الأصل « التوجيها » .
٢ — في الأصل « ملا » .
٣ — في الأصل « اليكا .. عليكا » .

٩ — تنوعت اجناس الأعمال لتنوع واردات الأحوال :

تَنَوّعُ الأجناس من أعمالِ ... لواردات مُقْتَضى الأحوالِ (١)
فحالُ عند القومِ مُطْلَقُ على ... مَوارِدِ القلب لقهرٍ نزلا
والعملُ : الأمرُ الذى يَصْنَعُهُ ... جِسْمُكَ ثمّ حالنا مَرْجِعُهُ
للأمْرَيْنِ ليس للأركانِ ... مَوْرِدُهُ ولا على الجَنانِ
وإنّما الأعمالُ ما عمّهما ... والحالُ إذ ذاك مُبايِنٌ لهما
فهو عبارةٌ عن التقلّبِ ... من التصاويفِ لربّ يَجْتَبِى
كالفقرِ والغناءِ والعزّ وذلّ ... ممّا عليه رتَبُ الحكم وجُلّ
والحكمُ ذو اختلافٍ بإختلافِهِ ... وليس مَصْرُوفاً إلى خِلافِهِ
لكلّ حالٍ عملٌ يخصُّهُ ... تصريفُ مُهْدِيهِ لنا يَنُصُّهُ

---

١ — الأعمال هنا : عبارة عن حركة الجسم ، والواردات والأحوال : عبارة عن حركة القلب ، فالخاطر ، والوارد ، والحال محلها واحد وهو القلب ، لكن القلب مادام تخطر فيه الخواطر الظلمانية والنورانية ، سمى ما يخطر فيه خاطرا ، وان انقطعت عنه الخواطر الظلمانية ، سمى ما يخطر فيه واردا أو حالا ، وكلاهما يتحولان ، فان دام ذلك سمى مقاما .

فتنوع اجناس الأعمال الظاهرة بتنوع الأحوال الباطنة ، لأن اعمال الجوارح تابعة لأحوال القلوب ، فاذا ورد على القلب الحال الناشىء عن العلم بفضائل قيام الليل توجه اليه وآثره على غيره ، فتقوم به الجوارح والأعضاء ، وكذلك الصدقة ، والصيام ، وباقى الأعمال ، فقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — : « ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله ، الا وهى القلب » .

فكلٌّ ما فاتَ على العافيَةِ ... أدرِكَ بالصبرِ على البليّةِ
فقد علمنا أنّ ذا الأحْوالِ ... مُدارِكٌ بكثرةِ الأعمالِ
فحيثُ أضحى شاكراً وصابراً ... وخاضعاً مُسامِحاً وغافراً
ونحوَ هذا من صُنُوفِ العملِ ... فتَمَّ بهُ بنورِ أحوالٍ جُلِي
وسوفَ يأتي ليسَ حَظُّ الذكرِ ... إلاّ لِباطنٍ كحالِ الفِكْرِ

* ● *

١٠ — الأعمال صور قائمة ، وارواحها وجود سر الاخلاص فيها .

وقال من لوحظ بالإمداد ... مُقدّسُ السرّ كبدرٍ بادِ
مُحققاً لِمـا صفى من عمل ... وإنّ حالَ الحالِ صافى الخَلَلِ
أوْلا فإنّ الحالَ قد لا يُحْمَدُ ... وإنّه فى الشرّ أيضـاً يوجد
فَمن له حالٌ من الله رَدى ... يَتْبَعُه من عملِ ذاكَ صَدَى
تَصُوَرُ الأعمـال حيثُ قامَتْ ... بجوهر الإخلاصِ فاستقامَتْ(١)
وإنّما الإخلاصُ تركُ الخَلْقِ ... فى عمـلٍ أتَيْتَهُ للحقّ
وأوّلَ الخلقِ هو النفس أجـلْ ... يتبعها الشيطانُ فاحْذَرْ من خطل
فصحِّحْ الأعمالَ بالإخلاصِ ... وصَحِّ الإخلاصَ بالخَلاصِ
من التبَرّى مِن جميعِ القُوّةِ ... هناكَ تَهدِى لمُنى الفُتُوّةِ
ثمّ كمـا الإخلاصُ حِصْنُ العمـلِ
كذلك(٢) الخُمولُ حِصنُـهُ الجَـلى
وهو إنطراحُ النفسِ فى الدَناءَةِ ... والنقصِ والذلّةِ والوَناءَةِ

* ● *

---

١ — الأعمال : جمع عمل . والصور : جمع صورة : وهو ما يتشخص فى الذهن من الكيفيات . والاخلاص : افراد القلب لعبادة الرب .

الأعمال كلها اشباح وصور لا تستقيم الا بالاخلاص فيها فقد قال تعالى : (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء) [البينة ٥] .

وقال : (فاعبد الله مخلصا له الدين) [الزمر ٢] .

والاخلاص على ثلاث درجات : درجة العـوام ، والخواص ، وخواص الخواص ، فاخلاص العوام سلامة أعمالهم من الرياء مع طلب حظوظ الدنيوية والأخروية لحفظ البدن والمـال وسعة الرزق فى الدنيا ، والجنة والحور فى الآخرة . واخلاص الخواص : طلب حظوظ الأخروية دون الدنيوية . واخلاص خواص الخواص : اخراج الحظوظ بالكلية ، فعبادتهم تحقيق العبودية والقيام بوظائف الربوبية ، محبة الى رؤية الله ، وليس فى قلبهم طمع فى الجنـة ولا خوف من نار .

قال الشيخ أبو طالب المكى — رضى الله عنه — الاخلاص عند المخلصين : اخراج الخلق من معاملة الحق ، واول الخلق النفس .

وقال بعض المشايخ : صحح عملك بالاخلاص ، وصحح اخلاصك بالتبرى من الحول والقـوة . ايقاظ الهمم ص ٣٢ .

٢ — فى الأصل « كذلك » .

١١ — ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه .

فإدْفَنْ وجودَ النفسِ فى الخمولِ
أرضٌ غدتْ مزرعةَ البُقُولِ (١)

فما بهِ تذكَرُ من كمالِ ... من عملٍ أو حالٍ أو خلالِ
فذاك للدَفْنِ بحقٍّ أجْدَرُ ... وكلّ (٢) ماضدُّ الورى تَجْتَهِرُ
فالناسُ أصنافٌ ثلاثٌ ههنا ... فواحدٌ محقّقٌ اه الفَنَا
فغابَ عن رِفْعَتِهِ بربِّه ... فلا يرَى مَنْ دُونَه بقلبِهِ
ويعلمُ الكمالَ كلَّهُ لهُ ... والنقصَ للعبدِ فما أرْذَلَهُ
وناظراً لآيةِ فلَوْلا ... فضلُ الإلهِ عندكم لضَلاّ (٣)
جميعُكُمْ وما زكى من أحَدِ ... فهو بفضلِ اللهِ حقًّا يهتدى
ورجلٌ ساعَدَهُ التوفيقُ ... وواضحٌ لقلبِهِ التحْقِيقُ

---

١ — الخمول : سقوط المنزلة عند الناس . وقال بعضهم الخمول : هو اسقاط المنزلة عند الناس وكتمان سر الولاية ، وكل ما سقط المنزلة عندهم وينفى تهمة الولاية فهو خمول .

وقد ورد فى مدح الخمول احاديث كثيرة منها قوله — صلى الله عليه وسلم — « رب أشعث اغبر ذى طمرين تنبو عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبره فى قسمه » .

وفضائله كثيرة ، ولو لم يكن فيه الا الراحة وفراغ القلب لكان كافيا .

وقال بعض الحكماء : الخمول نعمة والنفس تأباه ، والظهور نقمة والنفس تهواه . ايقاظ الهمم ص ٣٤ .

٢ — فى الأصل « وكلما ضد الورى » .

٣ — اشارة الى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ، ولكن الله يزكى من يشاء والله سميع عليم) [النور ٢١] .

فغـابَ عن محاسنَ لِنَفْسِهِ بعيبهـا لا يَسْتَوى لعكسـه
فشاهـدَ المحـاسنَ مَسَاوى وشاهـدَ الحقائقَ دَعَاوى
فنفسُهُ من عينـه سـاقطة فذا لَهُ فى حالِهِ رابطةٌ
إن مدحْتـه النـاسُ ما رآهم إلاّ كقومٍ بصّروا عما هُمُ
ورجـلٌ مُتَّسَـعٌ عليـه غرورٌ نفسٍ دائمٌ لديـه
فغلّبَ الوَهْمَ على الفَهمِ فلا يَنْجُو من النفسِ إذا ماخَمَلاَ
فحقُّـهُ الخمولُ بالتشبُّـعِ من الحـلالِ كخسيس المصنعِ
أو الذى يكرَهُ ، لا (٤)المُحرَّمِ ولا الفرَّارِ للتخلّى عنهم
فـإنّ ذاك لهم تعظيمُ يعودُ فيـه عَيْبُهُ القـديمُ
وفى اللذين(٥) مَضيَـا أشـار كلامُ قطبِ مَرْسِىٌ جِهاراً(٦)

---

٤ — فى الأصل « يكر لا المحرم » .

٥ — فى الأصل « الذين » .

٦ — هذا اشارة الى قول الشيخ أبى العباس المرسى : من أحب الظهور فهو عبد الظهور ، ومن أحب الخفاء فهو عبد الخفاء ، ومن كان عبدا لله سواء عليه أظهره أم أخفاه . ايقاظ الهمم ص ٣٧ ولطائف المنن ص ١٢١ .

الشيخ أبو العباس المرسى هو شيخ واستاذ الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء السكندرى مؤلف الحكم ، وقد ألف كتاب لطائف المنن فى مناقبه ومناقب شيخه أبى الحسن الشاذلى ، قال ابن عطاء الله : هو (أى أبو العباس) الذى بث علوم الشيخ أبى الحسن — رضى الله عنه — ونشر أنوارها وأبدى أسرارها ، وسار الناس اليه من أقاصى البلاد ، واقبلو مسرعين اليه من كل ناد ، فنشأت على يديه الرجال ، ونصرها وأظهرها بالمقال والفعال ، حتى انتشرت فى الآفاق الأصحاب ، وأصحاب الأصحاب ، وظهرت علوم الشيخ فى مظهرى لسان وكتاب ، وقال : بلغنى عن الشيخ أبى الحسن أنه كان يقول : أبو العباس شمس ، وقال : سمعت أبا العباس يقول : قال لى الشيخ أبو الحسن : يا أبا العباس ما صحبتك الا لتكون أنت أنا وأنا أنت (لطائف المنن من ص ١٦٧ الى ص ١٦٩) وذكر له كرمات كثيرة منها قال : =

عبدُ الظُهورِ والخَفَا من إعْتنى ... بواحدٍ ، وعبدُ ربِّى من فتَنى

وقد أشارَ للخمولِ تاجُ(٧) ... بغيرِ دَفْنٍ ما أتى نتاجُ

آو جاء ما تمّ فلا تُلفِى نظر ... فكلّ قصدٍ بالخمول(٨) مستقرّ

ولا فِرار نافعٌ فى الخَلْقِ ... بلا خُمولٍ وشريفِ الخُلُقِ

إلاّ إذا ألْجَأ لإعتزالِ ... وجاهرَ الخَلْقَ ، بكلّ حالِ

* ● *

=

أخبرنى الشيخ العارف نجم الدين الأصبهانى قال : قال لى الشيخ ابو العباس يوما : ما اسم كذا وكذا بالأعجمية ؟ فخطر لى أن الشيخ يحب أن يقف على لغة العجم ، فأتيت اليه بكتاب « الترجمان » قال : فقال الشيخ : ما هذا الكتاب ؟ فقلت : كتاب « الترجمان » قال : فضحك الشيخ وقال : سل بالعجمية ما شئت اجبك بالعربية ، وسل ما شئت بالعربية أجبك بالعجمية ، فسألته بالعجمية فأجابنى بالعربية ، وسألته بالعربية فأجابنى بالعجمية وقال : يا عبد الله ما اردت بقولى : ما اسم كذا الا بباسطتك ، والا فلا يكون صاحب هذا الشأن . ويخفى عليه شىء من الألسنة (لطائف المنن ص ١٨٤) ، والشيخ ابو العباس من خلفاء الشيخ أبى الحسن الشاذلى ، وتوفى الشيخ أحمد أبو العباس المرسى سنة ٦٨٥ هـ .

٧ — هذا اشاره الى قول تاج العارفين ابن عطاء الله السكندرى فى الحكمة فما نبت مما لم يدفن لا يتم نتاجه .

٨ — فى الأصل « قصد ربا بخمول » .

٩ — الظاهر « هاجر الخلق » بدل « جاهر الخلق » .

١٢ — ما نفع القلب شيء مثل عزلة يدخل بها ميدان فكرة

فعزلةُ(١) الإنسانِ للانسانِ سبقٌ له فى مَعْرَضِ الميدانِ
بفكرةٍ تَلْقى على التوحيدِ مُوَحِّداً للقلبِ ذا تَفْريدُ

---

١ — العزلة : انفراد القلب بالله ، وقد يراد بها الخلوة التى هى انفراد القلب عن الناس وهو المراد هنا ، قال بعض أهل التصوف : لا شيء أنفع من عزلة مصحوبة بفكرة ، لأن العزلة كالحمية والفكرة كالدواء ، فلا ينفع الدواء من غير حمية ، ولا فائدة فى الحمية من غير دواء ، فلا خير فى عزلة لا فكرة فيها . وقد ذكروا للعزلة عدة فوائد منها :

١ — السلامة من آفات اللسان ، فان من كان وحده لا يجد معه من يكلمه فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت » .

٢ — حفظ البصر والسلامة من آفات النظر ، فان النظر الى الأشياء يوجب تفرقة القلب .

٣ — حفظ القلب وصونه عن الرياء والمداهنة وغيرهما من الأمراض .

٤ — حصول الزهد فى الدنيا والقناعة منها .

٥ — السلامة من صحبة الأشرار ومخالطة الأراذل .

٦ — التفرغ للعبادة والذكر والعزم على التقوى والبر .

٧ — راحة القلب والبدن فان فى مخالطة الناس ما يوجب تعب القلب بالاهتمام بأمرهم وتعب البدن بالسعى فى اغراضهم وتكميل مرادهم ، وان كان فى ذلك الثواب ، فقد يفوته ما هو أعظم وأهم ، وهو جمع القلب فى حضرة الرب .

٨ — صيانة نفسه ودينه من التعرض للشرور والخصومات التى توجبها المخالطة .

٩ — التمكن من عبادة التفكر والاعتبار ، وهو المقصود الأعظم من الخلوة .

فكلٌّ معزولٍ بلا إفتكارِ ... مآلُهُ للحُمْقِ وإغترارِ
والناس فى عزلتهم أقسامٌ ... ثلاثةٌ مخصصٌ وعامُّ :
فواحدٌ منفردٌ بقلبه ... لا شَخْصِهِ وشاغلٌ بربّهِ
فذاك كائنٌ مقيمٌ قاطنُ ... وراحلٌ لربِّهِ وبائنُ
وحالُهُ حالُ العِظامِ الأقويا ... أهْلِ الكمالِ والكِرامِ الأولياء
ورجلٌ منفردٌ بشخصِهِ ... لا بالفؤادِ جابرُ لنقصِهِ
ورجلٌ منفردٌ بقلبه ... وشخصه مسالمٌ بدأبِهِ
مآلُهُ(٢) إلى الكمالِ صائرُ ... إن كَمَلَتْ شروطَهُ الدوائرُ
وهنَّ فكرٌ دائمٌ وصبرُ ... وحفظُ سِنَةٍ هناك النَّصْرُ(٣)

* ● *

=

وقال الحسن — رضى الله عنه — : الفكرة مرآة تريك حسنك من سيئك . ويطلع الانسان بالفكرة على عظمة الله وجلاله اذا تفكر فى آياته ومصنوعاته ويطلع بها أيضا على آلائه ونعمائه الجلية والخفية ، فستفيد بذلك أحوالا سنية تزول بها مرض قلبه ويستقيم بها على طاعة ربه .

وروى عن سيدنا عيسى — عليه السلام — قوله : طوبى لمن كان كلامه ذكرا ، وصمته تفكرا ، ونظره عبرة ، وان اكيس الناس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت .

٢ — فى الأصل « مناله الى الكمال » .

٣ — وقال بعض المشايخ : اذا أضاف المريد الى العزلة الصمت ، والجوع ، والسهر ، فقد كملت ولايته وظهرت عنايته واشرقت عليه الأنوار وانمحت من مرآة قلبه صور الأغيار ، والبه اشار الشيخ بقوله :

وهن فكر دائم وصبر ... وحفظ سنة هناك النصر

١٣ ــ كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة فى مرآته ؟ . أم كيف يرحل الى الله وهو مكبل بشهواته ؟ أم كيف يطمع أن يدخل حضرة الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته ؟ أم كيف يرجو أن يفهم دقائق الأسرار وهو لم يتب من هفواته ؟ .

لايشرقُ النورُ بقلبٍ طُبِعَتْ ... فيه على مرآتِهِ إذْ جَمَعَتْ
صورةَ أكوانٍ سوى اللهِ ظُلَمْ ... ضراً ونفعاً أو جمالاً مُرْ تَسَمْ
فبارتسامِ الشيءِ فى تلك الصُوَرْ ... يُحْرَمُ قلبُ العبدِ لله النظرَ
فليس للقلبِ سوى وَجْــهٍ إذا ... وُجِّهَ للكونِ إليه إنْجَبَذَ
أو للاليــهِ لايرى ســواهُ ... طوبى لِذا القلبِ فما أجْلاَهْ
ذلك حكمُ غفلةِ القلوبِ ... بظاهرِ الكونِ عن الغُيُوبِ
وكيف قلب العبد فى النهمات ... لربّه يرحل عن غفلات
فكلّما رامَ نهوضــاً صُرِعَتْ ... وكلّما رامَ ساوكا مُنِعَتْ
وكلّما رامَ سِراعاً قُطِعَتْ ... وكلّما أسرع قَهْراً ومقت
وكلّما رامَ إجتماعا مُزِّقَتْ ... عَزْمَتُهُ إذا لربّى سَبَقَتْ
فمالَهُ رحيلُهُ من طَبْعِهِ ... إلى بِساطِ الجمعِ مأوى جَمْعِهِ
أمْ كيفَ يطمعُ أمروٌ ذُو غَفْلَةٍ ... حضرةَ مولاهُ بحالِ سُفْلَةِ
وحضرةُ اللهِ هى الولايةُ ... دائرةُ الخواصِّ بالعنــايةِ
فهو مقــامٌ طاهرٌ لا يَدْخُلُ ... أهلُ جَنَابَةٍ(١) وقلبٍ يَغْفُلُ
إنّ الطُهورَ ههنــا للجُنُبِ ... ذكرٌ وفكرٌ موجبٌ للأدبِ
بالماءِ والصخرِ أو الصَعِيدِ ... فَطَهِّرُوا ياكــاملى العبيد
أمْ كيفَ يرجُو منهم سِرٌّ دقَّا ... ولم يَتُبْ من الهَفَوَاتِ حقَّا

* ● *

١ ــ فى الأصل « أهل جناية » .

١٤ — الكون كله ظلمة ، وانما أناره ظهور الحق فيه ، فمن رأى الكون ولم يشهده فيه ، أو عنده ، أو قبله ، او بعده ، فقد اعوزه وجود الأنوار ، وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار .

فظلمةُ الكونِ كما حقّقَهُ ... تاجُ الكرامِ تحتوى مُطْلَقَهُ
وإنّمـا أنـارَهُ ظُهُـورٌ ... للحقِّ فيـه وهو فيـه نُورُ
اللهُ نورُ الأرضِ والسماءِ ... والكونُ مشكاةٌ بِها مُرائى(١)
زُجاجَةُ الأفعالِ للزَيْتُونَةِ ... من الأوْصافِ دونها مَصُونَةُ
وما غدتْ شَرقيةُ الجمالِ ... وما غدتْ غربيةُ الجَلالِ
يكادُ زيتُها يضيءُ لو لم ... تَمْسَسْهُ نارُ الأثرِ الذى عمّ
مَنِ الذى مصباحُهُ صفاتُ ... أفعالٍ نَوَّرَ بـه مجلّياتِ
فَمَنْ رأى الكَوْنَ وما رآهُ ... فيـهِ فقد أعْوَزَهُ مُنَاهُ
أو قَبْلَهُ أو بَعْدَهُ أو عِندَهُ ... فهو من الظُّلْمَةِ لن يَشْهَدَهُ
وحُجِبتْ عنه شُهُودُ جَلِيَتْ ... بسُحُبِ الأثارِ(٢) منها خَفِيَتْ

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله تعالى (الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح . المصباح فى زجاجة . الزجاجة كأنها كوكب درى) الآية [٣٥ النـور] .

٢ — الكون من حيث كونيته وظهور حسه كله ظلمة ، لأنه حجا بالمن وقف مع ظاهره عن شهود ربه ، ولأنه سحاب يغطى شمس المعانى لمن وقف مع ظاهر الحس هذا بالنسبة لأهل الحجاب ، لانطباع صور الأكوان فى مرآة قلوبهم ، ثم الناس على ثلاثة اقسام فى شهود الحق : فأهل مقام البقاء يشهدون الحق بمجرد وقوع بصرهم على الكون فهم يثبتون الأثر بالله ولا يشهدون بسواه . واهل مقام الفناء يشهدون الحق قبل شهود الخلق ، وأهل الحجاب من أهل الدليل والبرهان انما يشهدون الكون ولا يشهدون المكون لا قبله ولا بعده ، انما يستدلون على وجوده بوجود الكون ، وهذا لعامة المسلمين . قد أعوزهم : أى فاتهم وجود الأنـوار .

١٥ — مما يدل على وجود قهره سبحانه ان حجبك عنه بما ليس بموجود معه .

١٦ — كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى أظهر كل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر بكل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر فى كل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الذى ظهر لكل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الظاهر قبل وجود كل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو اظهر من كل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو الواحد الذى ليس معه شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، وهو أقرب اليك من كل شيء ؟ .

كيف يتصور أن يحجبه شيء ، ولولاه ما كان وجود كل شيء ؟ .

يا عجبا كيف يظهر الوجود فى العدم ؟ أم كيف يثبت الحادث مع من له وصف القدم .

مادَلّنا على وُجودِ قَهْرِهِ ... إن كان ذا حُجُبٍ بما فى أمْرِهِ

ليس له مع ذاتِهِ وجودُ ... أكان مَعَ ذى وحدَةٍ موجُودُ

فالنّاسُ مَحْجُوبُونَ عنه بِهِمْ ... فَعَدَمٌ مُحْتَجَبٌ بالعَدَمِ

ثمّ إحتجابُ العدمِ بالعدمِ ... دلّ على ظهوره فى القِدَمِ

لنفسِهِ بلا حِجَابٍ معَهُ ... سبحانَهُ وعَزّ ما أعْظَمَهُ

فهو الوجُودُ المحضُ ، ما سواه ... فعدمٌ محضٌ أما تَراهُ

فجاءَ شَيْخُنَا بعشرِ أمْثِلَةٍ ... وغيرُ ذى لُبٍّ لذا لَنْ يَعْقِلَهُ

كيفَ وقد أظهرَ كلَّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك وَجُودُ شيءٍ

كيفَ وظاهرٌ بكلِّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك شهُودُ شيءٍ

كيفَ وظاهرُ فى كلِّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك حِجَابُ شيءٍ

كيفَ وظاهرُ لِكلِّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك ظُهُورُ شيءٍ
كيفَ وأظهرُ من كلِّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك بُرُوزُ شيءٍ
كيفَ وما كانَ مَعَهُ شيءٌ ... يَحْجُبُهُ عنك عَدِمُ شيءٍ
كيفَ الذى أقْرَبَ كلَّ شيءٍ ... يَحْجُبُهُ عنك وُصُولُ شيءٍ
كيفَ ولولاهُ أكانَ شيءٌ ... يَحْجُبُهُ عنك حُلُولُ شيءٍ
يا عجباً أيظهرُ الوُجُودُ ... فى عدمٍ فى ذاتِهِ مَفْقُودُ
كيفَ الذى ثُبُوتُهُ من عَدَمٍ ... يُوجَدُ مع ذى صِفَةٍ بالقِدَمِ (١)

* ● *

---

١ — وروى عن الامام على — كرم الله وجهه — قال : الحق تعالى ليس من شىء ، ولا فى شىء ، ولا فوق شىء ، ولا تحت شىء ، اذ لو كان من شىء لكان مخلوقا ، ولو كان فوق شىء لكان محمولا ، ولو كـان فى شىء لكان محصورا ، ولو كان تحت شىء لكان مقهورا أ . هـ .

وقيل له : يا ابن عم رسول الله — ص — أين كان ربنا ؟ أو هل له مكان ؟ فتغير وجهه وسكت ساعة ثم قال : قولكم : أين الله ؟ سؤال عن مكان ، وكان الله ولا مكان ، ثم خلق الزمان والمكان ، وهو الآن كما كان دون مكان ولا زمان .

وقال ابن عطاء الله فى لطائف المنن : ومن أعجب العجب أن تكون الكائنات موصلة الى الله ، فليت شعرى هل لها وجود معه حتى توصل اليه ؟ أو هل لها من الوضوح ما ليس له حتى تكون هى المظهرة له ، وان كانت الكائنات موصلة له فليس ذلك لها من حيث ذاتها ، لكن هو الذى ولاها رتبة التوصيل فوصلت . . فظهور الحق أجلى من كل ما ظهر .

الباب الثانى

١٧ — ما ترك من الجهل شيئا من أراد أن يحدث فى الوقت غير ما أظهره الله فيه .

وقال شيخنا الهمام الأوحد ... لب لباب العارفين أحمد

ما ترك من جهله شيئاً فتى ... أراد إحداثاً لما ما ثبتا

والله قد أوقعه فى غيره ... يسلك ذا العبد بغير سيره

فالأدب المحض هو الوقوف ... فى كل ما واجهه التعريف

معاند الوقت عظيم الجهل ... بالشرع ثم العادة والعقل

فمن دليل الجهل بالمعقول ... إرادة الرفع من المجهول

لما وقع ثم إيقاع بما ... يمتنع الوقوع منه فإعلما

دليل جهله بشرعيات ... هو إعتراضه بلا إلتفات

على الإله بالذى قضاه ... مركباً هنا على هواه

ثم دليل الجهل بالعادات ... وكونه لغير مقدورات

كان أراد الله فيه سقما ... وهو يريد صحة فما

لم يرض بالذى قضاه ربه ... زيد عليه ذاك بعد تعبه (١)

---

١ — من أراد أن يظهر فى وقت من الأوقات أمرا غير ما أظهره الله فى نفسه أو فى غيره على سبيل الكرامة مثلا ، فقد جمع الجهل كله ولم يترك منه شيئا ، حيث عارض القدر ونازع الله سبحانه حيث يقول فى محكم كتابه (ان ربك فعال لما يريد) [هود ١٠٧] ويقول (ولو شاء ربك ما فعلوه) [الأنعام ١١٢] ويقول (ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا) [يونس ٩٩] .

وروى عن ابن مسعود وابن عباس — رضى الله عنهما — قالا : لأن الحس جمرة أحرقت ما أحرقت وابقت ما ابقت ، أحب الى من أن أقول لشىء كان : ليته لم يكن ، أو لشىء لم يكن : ليته كان . ايقاظ الهمم ص ٦١ .

=

فإنّ سُنّةَ الحكيمِ فينـــا ... فى هذهِ الدارِ الذى يُؤْذِينا(٢)
فأينَ ما يتْعَبُهُ من فائدةٍ ... وليس فى تدْبيرِهِ من عائِدَةِ
فلْيَتْرُكَنْ العبدُ فى الاستسلامِ ... ليخْرُجَ القلبُ من الآلامِ
أولا فكيفَ يَبْلُغُ المقصودَ ... مع كونِهِ مختلفا مصدودا

* ● *

=

ومن تأمل الأحاديث النبوية وجدها على هذا المنوال ، لأن النبى — صلى الله عليه وسلم — كان سيد العارفين وقدوة المربين ، فكان يقر الناس على ما أقامهم الله ويرغبهم فيها ، فلذلك تجد الأحاديث متعارضة فى الظاهر ولا تعارض فى الحقيقة ، فاذا نظرت فى أحاديث الذكر قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الجهاد قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث فضل العلم قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الزهد قلت : لا أفضل منه ، واذا نظرت فى أحاديث الكسب والانفاق على العيال قلت : لا أفضل منه ، وهكذا .. فكلّ حكمة رغب النبى — ص — فيها حتى تقول : لا أفضل منها تطييبا لخاطر أهلها ، ليكونوا فيها على بينة من ربهم ، ولم يأمرهم بالانتقال عنها ، اذ مراد الله منهم هو تلك الحكمة ، فأقرهم عليها ورغبهم فيها حتى يظن من يسمع أحاديثها أنه لا أفضل منها ، وهو كذلك ، اذ لا أفضل منها فى حق أهلها . والحاصل أن العارف لا ينكر شيئا ولا يجهل شيئا . قال بعض العارفين : ليس فى الامكان أبدع مما كان .

٢ — أى القضاء الذى يؤذينا .

١٨ — احالتك الأعمال على وجود الفراغ من رعونات النفس .

إحالَةُ الأعمـــالِ للفَراغِ ... رُعُونَةُ النفس إلى المَزَاغِ(١)
وحمْقُهُ يظهر مـــن وُجُوهِ ... ثلاثةٍ : إحالـــةُ السَّفيهِ
أعْمَالَهُ إلى المُحالِ عادَةً ... فأيُّ وقتٍ يبتغِ السعادةَ
فهو يقولُ : لستُ عاملاً إلى ... فَرَغٍ وَقْتِي ، ثم آتى عملاَ
وحالُ دنياهُ يقولُ : ما إن ... تَفْرَغُ إلاّ بعدَ أعْمالٍ ، ومِنْ
وُجُوهِهِ وثُوقُهُ بغيرِ مَوْ ... ثُوقٍ وذاك النفسُ فليدرِ ، ولَوْ
زَيَّنَتْ النفسُ له مَراماً ... من عَزْمِهَا تَمْكُرُهُ مَدَاماً
وثالثُ الوُجُوه إهمالٌ لِمَا ... هو المرادُ ومرامُ الحُكَمَا
عزمٌ وحزمٌ ثمَ جزمٌ تتصِلْ ... خوفاً من الوقتِ وقطعٍ مُحْتَمَلْ
فَمَنْ رأى الدهرَ له مُطِيعاً ... وعن جميعِ كُرْهِهِ مَنِيعاً
يوجبُ هذا العارَ أخذَ الدنيا ... والجهدُ فيها دونَ أمرِ العُقْبى

* ● *

---

١ — من آداب العارف أن يكون كامل العقل ثاقب الذهن ، ومن علامة العقل انتهاز الفرصة فى العمل ومبادرة العمر من غير تسوف ولا أمل ، فقد روى ان الرسول — صلى الله عليه وسلم قال : « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » ابن ماجه .

فاحالة الأعمال وتأخيرها الى وقت آخر تكون فيه فارغ القلب أو فارغ اليد من علامة الرعونة والحمق ، وهو غرور ، ومن أين لك ان تصل الى ذلك الوقت وقد يهاجم عليك الموت من حيث لا تشعر ؟ وعلى تقدير وصولك اليه لا تأمن من شغل آخر يعرض لك ، فراغ الاشغال من حيث هو نادر لقوله — صلى الله عليه وسلم — « نعمتان مغبون فيهما كثر من الناس : الصحة والفراغ » .

١٩ — لا تطلب منه ان يخرجك من حالة ليستعملك فيما سواها ، فلو ارادك لاستعملك من غير اخراج .

لا تَطْلُبَنَّ منهُ إخراجَكَ مِنْ ... حالٍ إلى حالٍ فتَكُنْ إموءاً فَطِنْ
أترُكُ الأسبابَ أو تجريدا ... حتّى ينالَ قلبُك التفريد
فلو أراد اللهُ لإستعمالَكَ ... فيهِ بأعمالٍ وما أخرَجَكَ(١)
فكُنْ بما أقمتَ فيهِ . عبداً ... من حيثما كنتَ ولا تَعْدَّا(٢)
فَرُبَّ عبدٍ تارك لشُغْلِهِ ... يطمعُ أنْ يَعْمَلَ أوْلى فعْلِهِ
يَحيقُ بالخُسْرَانِ فيما تركَهُ ... والعملُ الآخرُ أيضا أهْلَكَهُ
فأينما كنتَ فَكُنْ مُقيمَا ... على إستقامةٍ تَكُنْ حكيمَا
وأنظر إلى المُصَنِّفِ الإمامِ ... وحالِهِ مع شيخه الهُمامِ(٣)

* ● *

---

١ — فى لاصل « اسعملكا ... اخرجكا » .

٢ — من آداب العارف الاكتفاء بعلم الله تعالى والاستغناء به عما سواه ، ماذا اقامه الله فى حالة من الأحوال فلا يستحقرها ولا يطلب الخروج منها الى حالة أخرى ، فلو أراد الله أن يخرجه من تلك الحالة ويستعمله فيما سواها لاستعمله من غير ان يطلب منه أن يخرجه ، بل يمكث على ما اقامه فيه الحق تعالى حتى يكون هو الذى يتولى اخراجه كما تولى ادخاله . قال تعالى (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق) [الاسراء ٨٠] فالمدخل الصدق : هو الذى ندخل فيه بالله ، والمخرج الصدق : هو الذى نخرج منه بالله . قال تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة) [القصص ٦٨] .

٣ — قال المصنف فى لطائف المنن ص ١٨٥ — دخلت أنا عليه (أى الشيخ أبى العباس المرسى) يوما ، وفى نفسى ترك الأسباب والتجريد ، وترك الاشتغال بالعلم الظاهر ، فقال من غير ان أبدى له شيئا : صحبنى بقوص انسان يقال له : ابن ناشى ، وكان مدرسا بها ونائب الحكم ، فذاق من هذا الطريق شيئا على أيدينا ، فقال : يا سيدى أترك ما أنا فيه وأتفرغ لصحبتك ؟ .

توقّفُ الهمّةِ عنـد حالٍ ... من سالكٍ يهدى إلى إنفصالِ
عن ربّه ، وقالت : الحقائقُ ... أمامَكَ المقصودُ نحنُ عائقٌ
فلايزالُ عارفٌ عن نَظَرٍ ... بربِه وفى هَـواهُ يَنْجَرى
مراقبـًا لهُ بكلِ حـال ... مُجَانباً عن رؤيَهِ الأحوالِ
وذُو السُلوكِ شأنُهُ تَفريدُ ... لقلبِه والذكرُ والتوحيدُ

=

فقلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن أمكث فيما أقامك الله فيه ، وما قسم لك على أيدينا هو لك واصل .

ثم قال : وهذا شأن الصديقين ، لا يخرجون من شىء حتى يكون الحق سبحانه هو الذى يتولى اخراجهم .

فخرجت من عنده وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى ، وكأنما كانت ثوبا نزعته ، ورضيت عن الله فيما أقامنى فيه .

وعلى هذا ينبغى للعارف أن لا يتمنى شيئا ، فاذا كان أعزب لا يتمنى التزويج ، واذا كان متزوجا لا يتمنى الفراق ، واذا كان فقيرا لا يتمنى الغنى ، واذا كان غنيا لا يتمنى الفقر ، واذا كان صحيحا لا يتمنى المرض ، واذا كان مريضا لا يتمنى الصحة ، واذا كان قويا لا يتمنى الضعف ، واذا كان ضعيفا لا يتمنى القوة ، وهكذا فى جميع أحواله بنظر ما يفعل الله به ، ولا بنظر ما يفعل بنفسه لتحقق زواله .

وقال فى ايقاظ الهمم ص ٦٤ : أوحى الله الى داود — عليه السلام — فقال : يا داود تريد وأريد ولا يكون الا ما أريد ، فان سلمت لى ما أريد اتيتك ما تريد ، وان لم تسلم لى ما أريد أتعبتك فيما تريد ولا يكون الا ما أريد .

٢٠ — ما أرادت همة سالك أن تقف عند ما كشف لها الا نادته هواتف الحقيقة : الذى تطلب أمامك ، ولا تبرجت له ظواهر المكونات الا ونادته حقائقها : انما نحن فتنة فلا تكفر .

يلاحظُ الذكرَ بلا تشبيهٍ ... منزهًا بأكمل التنزيهِ
وحيثما تبرَّجتْ كوائنُ ... قالتْ : جميعُنا لكَ الخوائن(١)
إنّ الكراماتِ إذا ما ظهرتْ ... للعبد حينئذ لهُ فأخبرتْ :
نحنُ الفتنةُ للتجريبِ ... أى إمتحانُ اللهِ الأريبِ
أمتيلُهُ لنا أمْ للإلهَ ... فإن يكُنْ لنا ففى متاهِ
فاشكُرْ إلهنا ولا تنظرُ لنا ... ومن وُجُودِنا توجَّهْ للفنا

* ● *

---

١ — أى اذا ظهرت للعارف ظواهر المكونات بخرق العاده وانقيادها له وتصرفه فيها بهمته كالمشى على الماء والطيران فى الهواء ونبع الماء وجلب الطعام وغير ذلك من الكرامات الحسية ، وارادت همة العارف أن تقف مع ظواهرها وتشتغل بحلاوة حسها ، نادته هواتف المعانى الباطنة : انما نحن فتنة لك نختبرك هل تقنع بها دون معرفة مالكها ومنشئها المتجلى فيها ؟ او تعرض عنها وتنفذ الى نور معانيها وشهود مالكها ومجريها ، فلا تكفر وتجحد المتجلى فتنكره فتكون من الجاهلين .

همة السالك : هى القوه الباعثة له على السير .

تبرج الشىء : ظهوره فى حال الزينة لقصد الامالة .

ظواهر المكونات : هو ما كساها من الحس والحكمة .

السالك هو الذى يشهد الأثر ، فان كان يشهد فى نفسه فهو سالك مقط . وهو فى حالة السير ، وان كان يشهده بالله فهو سالك مجذوب .

٢١ — طلبك منه اتهام له ، وطلبك له غيبة منك عنه ، وطلبك لغيره لقلة حيائك منه ، وطلبك من غيره لوجود بعدك عنه .

مقصودُ مولانا من الدعاءِ فى عبـاده عُبُودَةٌ للعارف(١)
وبالربوبيّـةِ كى يَـراه إذ فى عُبُودِيتِـهِ دَعَاهُ
وإلاّ . فلا مردَّ للمُقْتَضى(٢) وإن دعـاهُ أعْظمُ الوَلى

---

١ — طلب الانسان من الله يكون بالضرع والابتهال ، وطلبه له يكون بالبحث والاستدلال وهو ما يسمى بعلم العقائد أو أصول الدين ، وطلبه لغيره يكون بالتعرف على الناس والاقبال عليهم ، وطلبه من غير الله يكون بالتملق والسؤال ، فأنواع الطلب اذن اربعة :

١ — الطلب منه تعالى لا يجوز عند بعض أهل التصوف ، لأنه اتهام له تعالى ، لانه انما طلب منه مخافة أن يهمله أو يغفل عنه ، فانما ينبه من يجوز منه الاغفال ، وانما يذكر من يمكن منه الاهمال ، والله بعيد من هذا قال تعالى (وما الله بغافل عما تعملون) [البقـره ٧٤ — ٨٥ — ١٤٠ — ١٤٤ — ١٤٩ وآل عمران ٩٩] وقال (اليس الله بكاف عبده) [الزمر ٣٦] .

فالسكوت تحت مجارى الأقدار أفضل عند العارفين من التضرع والابتهال ، وان كان لابد من الدعاء فانما يكون على سبيل العبودية والحكمة ، لا طلبا للقسمة ، اذ ما قسم للعبد واصل اليه ، ولو سأله أن يمنعه ما أجابه وفى المسأله خلاف بين الصوفية هل السكوت أولى او الدعاء ؟ قال ابن عجيبة : التحقيق أن ينظر ما يتجلى فيه وينشرح له الصدر فهو المراد منه . ايقاظ الهمم ص ٩٨ .

٢ — اما طلبه له باستدلال فهو دليل على غيبته عنه بوجود نفسه .

٣ — أما طلب العبد لغير الله تعالى : اى لمعرفة غيره فلقلة حيائه منه وعدم أنسه به ، أما وجه قلة حيائه منه ، فلأنه يناديه الى الحضره وهو يفر منه الى الغفلة .

٤ — أما طلبه من غيره تعالى فلوجود بعده عنه ، اذ لو تحقق بقربه منه وهو كريم لمـا احتاج الى سؤال غيره .

٢ — فى الأصل « أولا فلا مرد للمقتضى » .

فإن دَعَوْتَهُ بلا هذا فقد ... توجهَ العار إليك واستَنَدْ
طلبُكَ منه لَهُ إتهامُ ... أأنْتَ عن مَوْعُودِهِ مُضَامُ
وإن ! يكُنْ طابُكَ إيَّاهُ ... لوَصْلِهِ قد غِبْتَ عن لُقْيَاهُ
طَلَبُكَ لغيرِهِ فَقْدُ الحيا ... مِنْهُ فذا شِرْكٌ خفيٌّ منك يا
طالباً غيرَهُ(١) لبُعْدٍ عنه ... فكلُّ حاجَةٍ تُرَجَّى منه
فهو الذى كوّنَ كلَّ شيء ... بِيَدِهِ مفتاحُ كلِّ شيءٍ

* ● *

---

١ — طلب الانسان لغير الله : بمعنى طلبه معرفة غير الله من رجال الدين والدنيا ، وتكوين العلاقات والصداقات مع الناس ، للأغراض الدنيوية ، والاستفادة المادية ، والشهرة ، والجاه ، والتوسط فى تسوية أموره ، وهى صفة مذمومة بالنسبة للصالحين ، لأن الذى يبذل الجهد فى تكوين العلاقات مع رجال الدولة ، يحاول دائما أن يأخذ من الدولة أكثر مما يستحقه بسبب حسن علاقته مع من بيدهم السلطة ، وفعلا هؤلاء الناس يأخذون أكثر من استحقاقهم ، وهذا يؤدى الى الظلم بالفقراء الذين لا يعرفون أحدا من ذوى النفوذ ، لأن محاباة ذوى النفوذ لأصدقائهم يكون على حساب الفقراء ، وهذا هو الفساد بعينه .

أما طلب الانسان غير الله : أى طلبه من غيره ، فانه يكون بطلبه منهم قضاء حوائجه ، والاستعانة بهم فى أموره ، وهذا مخالف لقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — « اذا سألت فاسأل الله . الحديث » .

٢٢ — ما من نفس تبديه الا وله قدر فيك يمضيه .

ففى جميع نفس تبديه مقدر فيك بك تمضيه (١)
وكل حال هو فى شأن (٢) ألا
فى كل حال لذ به مستعملا
قابلك فى مصنوعه العجيب مرافباً فى حاضر قريب
وحكمه فى صنعه فى خلقه من خلقه وخلقه ورزقه
فههنا قد كثرت طرائق بعدد الأنفاس من خلائق
فكن مراقباً له فى كل ما أوجبه (٣) عليك تلقى حكما

* ● *

---

١ — النفس : بفتح الفاء : جزء من الهواء يخرج من باطن البدن فى جزء من الزمن ، وهو أوسع من الطرفة ، والطرفة أوسع من اللحظة : وهى رمق البصر ورده .

القدر : هو العلم السابق للأشياء قبل أن تظهر ، وهو علم أوقاتها ، وأماكنها ، ومقاديرها ، وعدد أفرادها ، وما يعرض لها من كيفيات ، وما ينزل بها من الآفات .

فاذا علمت أيها الانسان أن انفاسك قد عمها القدر ، ولا يصدر منك ولا من غيرك الا ما سبق به علمه تعالى وجرى به قلمه لزمك أن ترضى بكل ما يجرى به القضاء ، فأنفاسك معدودة ، وطرفاتك ولحظاتك محصورة ، فاذا انتهى آخر أنفاسك رحلت الى آخرتك .

وحقيقة الرضى : هو تلقى المهالك بوجه ضاحك ، وحقيقة التسليم : استواء النقمة والنعمة بحيث لا تختار فى أيهما يقيم ، وهذا هو مقام أهل الكمال .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (كل يوم هو فى شأن) [الرحمن ٢٩] .

٣ — فى الأصل « أوجده » .

٢٢ — لا تترقب فروغ الأغيار فان ذلك يقطعك عن وجود المراقبة له فيما هو مقيمك فيه .

ولا ترقَّبْ(١) مفرغ الأغيار(٢) ولا يَصُدَّنَّكَ عن جبّارِ
ذاكَ التَمَنِّي عن مقامِ هولك في كلِّ حالٍ لاتُشَتِّتْ أمَلَكْ
قيل : فسيروا الالهِ عَرِّجي عَوِّجي مكاسبَ وإلاّ إلحَا
إلى البطالاتِ لمحتاجِ الدوا يقول : لاإستعمل الدواسوا
إن وُجِدَ الشفا فلا شفاءَ لَهُ ، كذا إذ مالَهُ دَواءُ
دارُ إشتغالٍ (٣) وإفتقارٍ دُنْيا فَسَاوِا راحتَهُ للعُقبى
فأشْغُلْ بشغلِ العملِ الشغُولِ عن كلِّ شُغْلٍ مانعٍ تَمْاوُلِ
وهو بِتَوْطِينِكَ نفسَكَ على ما قد تُحِبُّ النفسُ أعنِي أملا

* ❁ *

---

١ — فى الأصل « ولا ترتب » .

٢ — الترقب : هو الانتظار ، والأغيار : جمع غير : وهو ما سوى الطلب عن حاله . والمراد به عند الصوفية : كل ما يشغل عن الحضرة ويغير القلب عنها . اى ما أقامك فيه الحق تعالى من الشغل الدنيوى لا تنتظر فراغك منه بل راقب الله مع الاشتغال بعملك ، لماذا تترقب فراغه ؟ فان تأملك للوقت الثانى يمنعك من القيام بحق الوقت الذى أنت فيه ، والمؤمن الصادق يكون فى كل وقت بحسبه .

٣ — فى الأصل « افتكار » .

٢٤ — لا تستغرب وقوع الأكدار مادمت فى هذه الدار ، فانها ما أبرزت الا ما هو مستحق وصفها وواجب نعتها .

وكيفَ تَستغربُ أن تحزُنَاكَ الـ ... أكدارُ فى دارٍ بناها للخَلَلْ(١)
وكلُّ نقصٍ وخِلافِ المقصدِ ... وكلُّ همٍّ فتأمَّلْ واهتدى
فإنها ما أبْرَزَتْ إلاّ على ... شيءٍ دنيٍّ لا ترى فيها عُلا
وأنظر إلى آيةِ تلك الدارِ ... مَنْ إعتلى فيها لَـهُ بَوارِ
وخُذْ كلامَ سيّدِ الطائفةِ ... وكُنْ على ما قالَهُ رادِفةْ(٢)
قال : من المكروهِ لا أستبشعُ(٣) ... فيها إذا أمسيتُ ممّا يقعُ
فقد علمتُ أنّ دنيانا لنـا ... دارُ سقامٍ وبـلاءٍ حزنا
وأنّ ذا العالمَ شرٌّ كلُّهُ ... وكلُّ ما أكره موضُوعٌ لَهُ
وإن تَلَقَّانِي إلهى فيهـا ... بكلِّ ما أرضى وأهْوى فيها
فهو من اللهِ تفضّلٌ علىَّ ... فقد علمتُ أنّها تعبٌ وعَيُّ
والشغلُ والأكدارُ والأغيـارُ ... تذهبُ عمن قصدُهُ الجبّارُ
ومَنْ غـدا إلى الإلَهِ راجعاً ... كانَ له مِنْ الهُمومِ مانِعَا
ومَنْ رجُوعُهُ غـدا لنفسِهِ ... فحكمُه وما مَضى بعكسِهِ

* ● *

---

١ — أى لا نعد وقوع الأكدار أمرا غريبا مادمت فى هذه الدار الدنيوية ، فانها ما أبرزت الا ما هو وصفها المستحق لها ، ونعتها الواجب واللازم لهـا ، فان الدنيا من الدناءة فلا تبرز الا الدنيء .

٢ — هذا اشارة الى ما قاله الشيخ جنيد البغدادى — رضى الله عنه — حيث قال : لست أستبشع ما يرد على من العالم ، لأنى أصلت أصلا ، وهو ان الدنيا : دار هم ، وغم ، وبلاء ، وفتنة ، وأن العالم كله شر ، ومن حكمه أن يتلقانى بكل ما أكره ، فان تلقانى بكل ما أحب فهو فضل ، والا فالأصل هو الأول . انقا ظالهم ص ٧٢ . ومن عطاء الله ١٢٦/١ ، وقرة العين ١٣٢/١ .

٣ — فى الأصل « لا أتشبع » .

والمكروه : هو الأمر الذى يؤذيه ويكدر صفو راحته .

٢٥ — ما توقف مطلب انت طالبه بربك ، ولا تيسر مطلب انت طالبه بنفسك .

وكلُّ ما طلبْتَهُ بالربِّ(١) تلقاهُ أو بالنفسِ تعبُ القلبِ
فاطلُبْ بهِ لتحصُلَ المطالبُ ولا بنفسٍ فهناك الحاجبُ
ومِنْ علاماتِ الذى بربِّهِ تفْويضُهُ للهِ فى مَطْلَبِهِ
وبعدَهُ توكُّلُ التحصيلِ فقدْ رأينا رَحْمَةَ الوكيلِ
ثمّ إستقامةٌ لدى التوجُّهِ فهذه تُبْرِىءُ كُمْهَ الأكْمَهِ
ومَنْ يكنْ مطلَبُهُ بالنفسِ فإعرف له علاماتٍ بالعكسِ
حبُّ المرادِ حيثُ لا تفويضُ فهو وإن أوصَلَهُ مريضُ
وعمدةٌ على السببِ من حيثُ لا توكُّلاً على الوكيلِ إستعملا
ثمّ تهوُّرٌ بلا إستقامةِ وغيرِ تقوىً يبتغى مَرامَهْ
فهو إذا تيسّرَ المرادُ فى مطابِهِ حِرمانُهُ لا يخفى
لأنّه ذو عُمْدَةٍ بالحاقِ مفارقُ الشكرِ وحقِّ الحقِّ
فإحذَرْ إلى النفسِ من التكلاّنِ فَرِبْحُهُ يزلُ للخُسرانِ

* ❁ *

---

١ — أى اذا عرضت لك حاجة من حوائج الدنيا والآخرة . وأردت ان تقضى لك سريعا فاطلبها بالله ولا تطلبها بنفسك ، فانك اذا طلبتها بالله تيسر امرها وسهل تضاؤها ، وان طلبتها بنفسك صعب قضاؤها وتعسر أمرها . قال تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) [الطلاق ٢] ، وقال — صلى الله عليه وسلم — « اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله » .

وعلامة الطلب بالله : هو الزهد فى ذلك الأمر ، فاذا جاء وقته تكون ماذن الله ، وعلامة الطلب بالنفس هو الخوض والبطش اليه ، فاذا تعذر عليه انقبض وتغير عليه ، فهذا ميزان من كان طلبه بالله وطلبه بنفسه ، فمن طلب حوائجه بالله قضيت بمنى وان لم تقض حسا ، ومن طلب حوائجه بنفسه خاب سعيه وضاع وقته وان قضيت تهمته وحاجته .

٢٦ — من علامات النجح فى النهايات ، الرجوع الى الله فى البدايات .

الصادقُونَ فائزُونَ بالْمُنى ... يروا من اللهِ(١) مقاماً حسناً
مَنْ كانَ فى مَبْدئِه مُفَوِّضًا ... لربِّهِ من الرضاء بالقَضَا
مع التوكلِّ الذى أخْلَصَهُ ... لربِّهِ فَرَبُّهُ خَصَّصَهُ
إنَّ البدايات أساسُ المقصدِ ... ففى النهاياتِ حصولٌ سؤدَدِ(٢)
فمَنْ له بدايةٌ صالحةٌ ... يتبعُها نهايةٌ رابحَةٌ
ومن له بدايةٌ قاصرةٌ ... يلحقُها نهايةٌ خاسرةٌ
والنُّجْحُ والإشراقُ فى البدايةِ ... نجحٌ وإشراقٌ لدى النهايةِ
معناهما الرُجُوعُ والوكُولُ ... ينتجُ من بعدِهِمَا الوُصُولُ!

٢٧ — من أشرقت بدايته ، أشرقت نهايته .

مَنْ أشرقتْ بدايةُ الطريقةِ ... له فقد أشرقتْ الحقيقةُ(٣)
وقطبُ كلِّ شىءٍ الحُضُورُ ... فكلُّ نورٍ تحتَهُ محصُورُ

* ● *

---

١ — فى الأصل « يرى من الله مقاما حسنا » .

٢ — النجح فى الشىء : هو بلوغ القصد والمراد فيه ، فاذا توجهت همتك الى طلب شىء : أى شىء كان ، وأردت أن تنجح أمره ، وتبلغ مرادك فيه ، وتكون نهايته حسنة ، وعاقبته محمودة ، فارجع الى الله فى بداية طلبه ، وانسلخ من حولك وقوتك كما قال — صلى الله عليه وسلم — « فلو اجتمعت الانس والجن على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك » .

٣ — اشراق البداية : هو الدخول فيها بالله ، والاعتماد فيها على الله مع السعى فى أسبابها والاعتناء فى طلبها ، تبلما بحق الحكمة ، وأدبا مع القدرة ، وبعظم السعى فى السبب بقدر عظمة المطلب ، قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين) [العنكبوت ٦٩] .

فمن رأيناه فى بدايته جادا فى طلب الحق ، علمنا أن نهايته مشرقة ، وعاقبته محمودة ، ومآربه مقضية . ومن رأيناه مقصرا فى طلب مولاه ، علمنا أن نهايته الحرمان .

٢٨ — ما استودع فى غيب السرائر ، ظهر فى شهادة الظواهر .

ثُمَّ الذى يستودعُ السرائرُ ... يُظهِرهُ بعد الظواهرُ(١)
إن كان خيراً بانَ خيرٌ يرشَحُ ... إنّ الإنا بما حَواهُ يَنْضَحُ
فكلُّ قلبٍ عارف فتّاشِ ... قالبُـهُ يرجـعُ بالحياشِ
إلى عبادات بـلا عصيـان ... والضـدُّ بالضدِّ فـذا بيـانى
ومَنْ غـدا فى غيبه آثمـاً ... لاحتْ له شهادةٌ وثمّا
ما جَلَيَتْ ظواهرُ الأمورِ ... إلاّ على حقائقِ الصُدُورِ
وكلُّ شيءٍ خـامَرَ القلوبا ... بانَ : جميلاً كانَ أو عُيُوبا
وكلُّ سرٍّ كانَ سترا فيك ... يظهرُ من فعلك أو من فِيكَ
ظواهرُ أمُـورِنا عنـوانُ ... لباطنِ الأحوالِ إذ يُبانُ
لو خَشِيَ القلبُ من الرحمنِ ... لخضعَتْ جوارحُ الإنسانِ

* ● *

---

١ — استودع : أى وضع ، فالاستيداع : هو وضع شىء فى محل ليحفظ .
السرائر : هو القلوب والأرواح ، الظواهر : المراد به الجوارح الظاهرة .

اى ما استودع الله سبحانه فى القلوب وجعله فيها من خير أو شر ، من نور أو ظلمة ، من علم أو جهل ، من رحمة أو قسوة ، من بخل أو سخاء ، من قبض أو بسط ، من يقظة أو غفلة ، أو غير ذلك من الأخلاق المحمودة أو المذمومة ، لابد ان يظهر آثارها على الجوارح ، من أدب وتهذيب ، وسكون وطمأنينة ورزانة ، وبذل وعفو ، أو طيش وقلق وغضب وغير ذلك من الأحوال قال تعالى (تعرفهم بسيماهم) [البقرة ٢٧٣] وقال تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [الفتح ٢٩] .

فافعال الجوارح تابعة لأحوال القلوب كما يقال : الكلام صفة المتكلم ، وما فيك يظهر على فيك ، وكل اناء بالذى فيه ينضح ، وما خامر القلوب فعلى الوجوه أثره .

٢٩ — شتان بين من يستدل به أو يستدل عليه ، المستدل به عرف الحق لأهله فاثبت الأمر من وجود أصله والاستدلال عليه من عدم الوصول اليه والا فمتى غاب حتى يستدل عليه ، ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه .

شتانَ بينَ مستدِلٍ بكُمُ ومستدَلٍ بالسوى عليكم(١)
فذاك عارفٌ بحقٍّ واصلاً ومثبتُ الأمرِ لأصلٍ عاجلاً
ذلك برهانٌ ، لذى التدَلّى أوصلَهُ اللهُ إلى التجلّى
وقال قومٌ : ذاكَ غيرُ ممكن بـــلا ترقى للفتى المُبَرهِنِ

---

١ — شتان : بمعنى بعد وافترق ، ان الله سبحانه وتعالى قسم الخلق قسمين : قسم اختصهم بمحبته وجعلهم من أهل ولايته ، ففتح لهم الباب ، وكشف لهم الحجاب ، فأشهدهم أسرار ذاته ، ولم يحجبهم عنه بآثار قدرته ، وقسم اقامهم لخدمة الدين وجعلهم من أهل الحكمة والكلام ، أسدل عليهم حجاب الوهم موقفوا مع الظواهر ، فأما أهل المحبة وهم أهل الولاية والعرفان من أهل الشهود والعيان ، فهم يستدلون بالنور على وجود الستور ، وبالخالق على وجود الخلق ، فلا يجدون الا الخالق ، وأما أهل الحكمة والكلام ، فهم يستدلون بظهور الستور على وجود النور ، وبالمخلوق على وجود الخالق . والفرق بين هذين كبير ، فان من يستدل بالخالق على الخلق ، عرف الحق : وهو الله الواجب الوجود الملك المعبود القديم الأزلى ، يعنى أن من عرف الله حتى صار عنده ضروريا عرف الوجود انما هو لله ، وانتفى عنه وجود ما سواه ، وأما من استدل عليه فلبعده عنه فى حال قربه منه ، ولغيبته عنه فى حال حضوره معه ، والا فمتى غاب حتى يستدل عليه وهو أقرب اليكم من حبل الوريد ومتى بعد حتى تكون الآثار هى التى توصل اليه (وهو معكم أينما كنتم) [الحديد ٤] (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) [ق ١٦] .

كَلاَّ وذاك من دليلِ البُعدِ كان الخَليلُ ذا تَدلّى(١) عندى
والمستدِلُّ بالسوى عليه ذو حُجُبٍ ولم يصل إليهِ
كيفَ ولا غيبةَ مع وصُولِ فأىُّ حاجةٍ إلى الدليلِ
والمستدِلُّ بستدِلُّ للخَفَا والوَصْلَ بالغيبةِ والخفَا إنْتَفى

* ● *

---

١ — مثل سيدنا ابراهيم عليه السلام فى قصته مع الأنوار الثلاثة ، اذ عرض حقيقة ما عنده على ما يراه شاهدا لنفى المرئى لا لنفى الشك به : أى لاشك كما دل عليه قوله تعالى (هذا ربى) [الأنعام ٧٦] فى أول موقف ، ونعقبه بقوله (لا أحب الآفلين) فظهر صورة كلامه ما اقتضته حاله ، وهو انه يعرف ربا لا أفول له ، فاستدل به على نقص الكل لظهور أفولهم . انظر قرة العين ١٤٢/١ .

فسيدنا ابراهيم — عليه السلام — استدل بالخالق على المخلوق ، حيث كان يعرف الله حق المعرفة ، لذلك لما رأى الشمس شك فى مخلوقيتها ، ولما تأكد من صفاتها عرف أنها لا تنطبق على صفات الخالق الذى يعرفه ، فعرفه أنها مخلوقة ، فقال : (لا أحب الآفلين) .

٣٠ — لينفق ذو سعة من سعته : الواصلون اليه . ومن قدر عليه رزقه : السائرون اليه .

والحقُّ ما غابَ فما الدليـلُ فَنَدُوا الدليلِ مالَهُ وصُولُ
لِيُنْفِقَنْ ذوُ سَعَـةٍ مِنْ سَعَتِـهِ
إشـارةٌ لواصـلٍ في صِلَتِهِ (١)
والسائرُونَ للإلَهِ مَنْ قُـدِرَ عليه رِزْقُهُ فقولِي مُنْجَبِرُ
والواصلُـونَ ناظـرونَ رَبَّهُمُ
في كلِّ حـالٍ حافِظُونَ قلبَهُمْ
والسـائرون طالبون وَصْلَـهُ ولم يحققوا إليـه . وِصْلَـهُ

* ● *

١ — هذا اشارة الى حال الفريقين : الواصلين ، والسائرين أو السالكين أى لينفق الواصلون : وهم صاحب السعة فى المعرفة وعلوم الاسرار من سعتهم ، فيفيضوا على غيرهم مما آتاهم الله من فضله ويتصرفوا فى العوالم كيف شاؤوا . وأما السالكون : وهم الذين ضيق عليهم رزقهم من ذلك فلينفقوا مما آتاهم الله على قدر ما أعطاهم .

وهذه العبارة مقتبسة من قوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا) [الطلاق ٧] .

٢١ — اهتدى الراحلون اليه بأنوار التوجه ، والواصلون لهم أنوار المواجهة ، فالأولون للأنوار ، وهؤلاء الأنوار لهم ، لأنهم لله لا لشيء دونه ، قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون .

ثُمَّ بأنوارِ(١) التوجُّهِ إهتدى ... ذو رِحْلَةٍ إليه قبلَ أنْ بدا
والواصِلُونَ لهم المواجهة ... كلٌّ له معبُودُهُ قد واجَهَه
فهؤلاءِ لهم الأنوارُ ... ومنْ مَضَوْا تمامُهم أنوارُ
فالسائرون حزنوا(٢) بِفَقْدِها ... والواصِلُونَ رحلوا مِن قصدِها
وبَقِيَ المولى لهم فَريدا ... تمحَّضُوا اربّهم عبيدا
لأنّهم للهِ واللهُ لهم ... وليس شيءٌ دونَهُ قصداً لَهُمْ
وغيرُهم فى دقّةِ الأنوارِ ... تَقْبِضُهُمْ عَوارِضُ الأكدارِ
وذو الوصولِ حالُهُ سواء ... إذا أتتْ سَرّاءُ أو ضَرّاءُ
تَعْرِفُهم من آيةِ قُلْ اللهَ
وذَرْسِواهُ(٣) واعْتَمِد على اللهِ

* ● *

---

١ — أنوار التوجيه : هى أنوار الاسلام والايمان ، وانوار المواجهة : هى أنوار الاحسان . والحاصل أن المريد مادام فى السير فهو يهتدى بأنوار التوجه مفتقر اليها لسيره بها ، فاذا وصل الى مقام المشاهدة حصلت له انوار المواجهة فلم يفتقر الى شيء لأنه لله لا لشيء دونه ، فالسائرون للأنوار لافتقارهم اليها وفرحهم بها ، وهؤلاء الواصلون الأنوار لهم لاستغنائهم عنها بالله .

٢ — فى الأصل « حزنها يفقدها » .

٣ — اشارة الى قوله تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) [الأنعام ٩١] . أى (قل الله) : بقلبك وروحك (ثم ذرهم) أى الناس : أى اتركهم (فى خوضهم يلعبون) أى يخوضون فى السوى لاعبين فى الهوى .

الباب الثالث

فيما يهتم به السالك من ملاحظة عيوبه

٣٢ — تشوفك الى ما بطن فيك من العيوب ، خير من تشوفك الى ما حجب عنك من الغيوب .

تَشَوُّفُ السالِكِ للباطنِ فى ... عُيُوبِهِ أصْوَبُ من تَشَوُّفِ(١)
فيما إختفى من الغُيوبِ ثمّ ما ... عِيبَ لهُ قِسْمانِ : ظاهر كما
تراهُ فيكَ مثلُ نقصِ العَمَلِ ... وباطنٌ وهو منَ الداءِ العُضَلِ(٢)
منه إعتمادٌ وإرادَةُ سو ... أمْرٍ أقِيمَ فيهِ من أجلِ الهوَى
وبعدَهُ التدبيرُ مع مولانا ... وعَجَلَةٌ منّا لدى دُعانَا
والشكُّ فى الوعدِ أو إعتراضٌ ... بِفَوْتِ مطلوبٍ وذا أمراضُ
وفقدُ إخلاصٍ وحبُّ شهرةٍ ... والأنسُ بالخلقِ وطولُ فكرةٍ
ثم إنطباعُ الكونِ فى المرآة ... وعُلْقَةُ للقلبِ بالشهواتِ
وكونُه مُسْتَرسِلاً بغفلةٍ ... مع إشتغالٍ بوجودِ سُفْلَةٍ
وقلّةُ إهتمامِهِ بِهَفْوَةٍ ... والميلُ عن معبودِهِ بِغَبْوَةِ
وأنْ يُرِيدَ غيرَ حكمِ الوقتِ ... والأنسُ عندَ موجباتِ المقتِ

---

١ — فى الأصل « من تشوق » وهو سهو قلم .

التشوف الى الشىء : الاهتمام به والتطلع له . اى تشوف الانسان الى ما بطن فيه من العيوب كالحسد ، والكبر ، وحب الجاه والرياسة ، وهم الرزق ، وخوف الفقر ، وطلب الخصوصية ، وغير ذلك من العيوب ، والبحث عنها ، والسعى فى التخلص منها افضل من تشوفه الى ما حجب عنه من الغيوب كالاطلاع على أسرار العباد وما يأتى به القدر من الوقائع المستقبلة ، لأن تشوفه الى ما بطن فيه من العيوب ، سبب فى حياة قلبه ، وحياة القلب سبب فى الحياة الدائمة والنعيم المقيم ، والاطلاع على الغيوب ، انما هو فضول ، وقد يكون سببا فى هلاك النفس ، كاتصافها بالكبر ورؤية المزية على الناس .

٢ — والعيوب الباطنة ثلاثة : عيوب القلب ، وعيوب الروح ، وعيوب النفس .
=

وأن يُحِيلَ للفواغَ عمـلاً ... وأن يكونَ بالأمانِي شاغِلاً(١)
وطلبٌ لحالَـةٍ ليس بِهَـا ... وَوَقفَةٌ النفسِ إلى محبُوبِها
كالكشفِ ثمّ طلبُ الأشياءِ ... بالنفسِ والرجوعُ فى ابتداءِ
من الطريقِ للسوى والغيبِ ... قسمان : حسى وعاهُ قلبُ(٢)
ومعنوىٌّ ثمّ شـأنُ النفسِ ... تعملُ فى هَمِّهَا بالعكسِ
من جهلها مُهْمِلَةُ العُيُوبِ ... طالبـةٌ لرؤيَـةِ الغُيُوبِ

* ۞ *

=

فعيوب القلب : تعلقه بالشهوات القلبية كحب الجاه والرياسة والكبر والحسد والحقد ، وحب المنزلة والخصوصية وما شابه ذلك .

وعيوب الروح : تعلقها بالحظوظ الباطنية كطلب الكرامات والمقامات والحور والقصور وغير ذلك .

وعيوب النفس : تعلقها بالشهوات الجسمانية ، كالأكل الطيب ، والشراب اللذيذ ، والملابس الفاخرة ، والمراكب المرفهة ، والمساكن الفخمة ، وشهوات النساء .

١ — فى الأصل « بالأمان شاغلا » .

٢ — الغيب قسمان : حسى كالكرامة ، ومعنوى كالمقامات .

٣٣ — الحق ليس بمحجوب وانما المحجوب أنت عن النظر اليه ، اذ لو حجبه شيء لستره ما حجبه ، ولو كان له ساتر لكان لوجوده حاصر ، وكل حاصر لشيء فهو له قاهر ، وهو القاهر فوق عباده .

وليس مولاك بمحجوب ولـ ... ـكن ذلك الحجابَ عنهُ مُسْدِلا(١)
فما لَهُ من حُجُبٍ يستُرُهُ ... وجُودُها أو حاصرٌ يحصرُهُ(٢)
أولا لكانَ للإلهِ حاصراً ... وهو على العبادِ كان قاهراً
فوقيةٌ ما إن لها مكانُ ... لكنّها القوّةُ والسلطانُ
ثمّ بيانُ عيننا بهذا ... فإجعله ذا بَصيرةٍ مَلاذا
واخرُج مِن الأوصافِ أوصاف البشر(٣)
وهي الخلائقُ اللواتي تُعْتَبَرْ

---

١ — من أسماء الله الحسنى اسمه الظاهر ، قال تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) [الحديد ٣] فلا بنصف سبحانه وتعالى بالحجاب لاستحالته فى حقه ، لأنه ظهر بكل شيء وقبل كل شيء وبعد كل شيء ، فهو ليس بمحجوب ، وانما المحجوب العبد بصفاته وعيوبه النفسية عن النظر اليه بعين البصيرة ، وهو مقام الاحسان المعبر عنه بمقام المشاهدة والمكاشفه ، اذ لو حجبه تعالى شيء حسى لستره ذلك الحجاب ، ولو ستره لكان لوجوده حاصر ، اذ محال أن يستره من كل وجوه ولا يحصره ، وكل حاصر لشيء فهو قاهر له ، كيف والله تعالى يقول (وهو القاهر فوق عباده) [الانعام ٦١] لانهم فى قبضته وتحت تصريف قدرته . والفوقية : عبارة عن رفعة الجلالة والمكانة لا المكان .

٢ — فى الأصل « حاصر يحصرها » .

٣ — أوصاف البشرية : هى الأخلاق التى تناقض خلوص العبودية ، ومرجعها الى أمرين :

١ — تخلق القلب بأخلاق البهائم : وهى شهوة البطن والفرج ، وما ينعمهما من حب الدنيا وشهواتها الفانية قال تعالى (زين للناس حب

=

من طاهرٍ ودانسٍ كطاعةٍ والفيقهِ واليقظةِ أو ضراعةِ
ركالمعاصي والملاهي والهوى نقيضُ كلٍّ يدْرَءُ الضدَّ سوا
فإدْرَءْ بحُسْنى فاسداً مجتهداً
تَسعِ(١) حبيبَ الحقِّ مخطوبَ الندا
نداؤُهُ على لسانِ أحمدَ يا أيها النّاس فاصغ واهتد

* ❁ *

=

الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث) [آل عمران ١٤] .

٢ — تعلق القلب بأخلاق الشياطين ، كالكبر والحسد والحقد والبغض والبطر والقسوة والفظاظة والغلظة ، وتعظيم الاغنياء ، واحتقار الفقراء ، وغير ذلك ، فاذا خرج الانسان من اخلاق البهائم تخلق بأخلاق الروحانيين كالزهد والورع والقناعة ، واذا خرج من اخلاق الشياطين تخلق بأخلاق المؤمنين أو بأخلاق الملائكة ، كالتواضع وسلامة الصدر والحلم والسكينة والرزانة والشفقة والرحمة وتعظيم الفقراء والمساكين الى غير ذلك من الأخلاق الفاضلة ، فاذا تخلق العبد بهذه الأخلاق الفاضلة ، ناداه الحق تبارك وتعالى بقوله له : يا عبدى ، فيجيبه حينئذ بقوله : لبيك يا رب ، فيكون صادقا فى اجابته لصدق عبوديته ، بخلاف ما اذا كان منهمكا فى شهواته ، فانه يكون عبدا لنفسه وشهواته ، لأن من احب شيئا فهو عبد له .

١ — (تع) أصله تعى لكنه جزم بحذف حرف العلة لأنه جواب الأمر .

٣٤ — أخرج من أوصاف بشريتك عن كل وصف مناقض لعبوديتك ، لتكون لنداء الحق مجيبا ومن حضرته قريبا .

فمن أرادَ اللهُ إرشاداً لهَ صَيَّرَ حظَ النفسِ مُنْقَاداً لهُ
فتَعْبدَ اللهَ على حضورِ وحظها في الكَوْنِ والستُورِ
والعكسُ بالعكسِ فلا تُبالِ بطاعةٍ وحَظِّها العُضَالِ
وأصلُ كلِّ خطأ ومَعْصيةٍ (١) وشهوةٍ وغفلةٍ مُسْتَعْصِيةٍ
هو الرضا عن النُفُوسِ أبداً
والعكسُ بالعكسِ (٢) فكُنْ مجتهداً

* ● *

---

١ — في الهامش « وشهوه وغفلة مسنعلية » .

٢ — من رضى عن نفسه استحسن أحوالها وغطى مساويها ، ومن انهم نفسه ، ونظر اليها بعين السخط ، بحث عن عيوبها واستخرج مساوئها كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

٣٥ — أصل كل معصية وغفلة وشهوة ، الرضا عن النفس ، وأصل كل طاعة ويقظة وعفة ، عدم الرضا منك عنها ، ولأن تصحب جاهلا لا يرضى عن نفسه خير لك من أن تصحب عالما يرضى عن نفسه .

فإسقِها من كأسِ سَمٍّ ناقع ... أولا تَكُنْ في أوْضَعِ المَواضِع
فمن رأى سَجِيَّةً حميدةً ... لنفسِهِ أهلكها بعيدَةً
أنت عن العُيُوبِ في إغضاءِ ... ذلك تقديرٌ من إبتلاءِ
فإصحبْ إماماً عارفاً بنفسه ... مكمّلاً منه معانى قُدْسِهِ
وشرطُهُ براءةٌ من الرضا ... عن نفسِهِ لذِلَّةٍ معْترِضَا
وجاهلٌ يصحبُهُ مَوْصُوفاً ... بذاك أوْلى من غدا معرُوفاً
بِعِلْمِهِ مع الرضا عن نفسِهِ ... يظنُّ حسناً وهو عندَ طَمْسِهِ
فَدَرْهُ عالماً وجاهلاً كذا(١)
رئيسَ قومٍ قَبلَ أن تَلقى الأذى(٢)
إيَّاكَ إيَّاكَ منهم حَيّاتُ(٣) ... ليستْ لمن يصحبُهُمْ حَيَاةُ
فأيُّ عِلْمٍ عالم يرضى لها ... وأيُّ جهلِ جاهلٍ يأبى لهـا

* ❁ *

---

١ — صحبة من لا يرضى عن نفسه خير محض ، لتحققه بالاخلاص ، فيسرى ذلك فى الصاحب حتى يحلى بالاخلاص ، وصحبة من يرضى عن نفسه شر محض ولو كان أعلم أهل الارض ، لان الطباع تسرق من الطباع ، ولان الجهل الذى يوصل الى الله علم على الحقيقة والعلم الذى يحجب عن الله جهل على الحقيقة ، قال سهل التسترى : احذر صحبة ثلاثة من أصناف الناس : القراء المداهنين والجبابرة الغافلين ، والمتصوفة الجاهلين .

٢ — فى الأصل « تلقى لا ذى » .

٣ — حيات : جمع حية .

فى المراقبـــة والمعاينـــة والمشاهـــدة

٣٦ ــ شعاع البصيرة يشهدك قربه منك ، وعين البصيرة يشهدك عدمك لوجوده ، وحق البصيرة يشهدك وجوده لا عدمك ولا وجودك .

٣٧ ــ كان الله ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان .

شعاعُ قلبٍ قَمَرُ البَصيرَةِ (!) شُمُوسُها مضيئةٌ مُنيرةُ
فأشرفَ القلبُ على الأفاقِ فشاهَدَ اللهَ على الإطلاقِ
فاعلمْ إشاراتِ الإمامِ العارفِ قطبِ العظامِ باهرِ المكاشفِ
قال : إذا شَعْشَعَتْ البصيرةُ تشهدُ قربَ الحقِ بالسريرة
وكلّما الإيمانُ نارَ وإنجلى أنارَ عينَ القلبِ حتّى أذهلا
عن الوجودِ فانياً عن كلِّهِ والحقُّ موجودٌ له فى وَصلِهِ
وحقُّ شاهدِ البصيرةِ اقتضى نَفْىَ إعتبارٍ بالسوا مُنْتَفِضا
وجودُنا مع عدمٍ سيّانِ وَيَنْفَنِى الحادثُ باقترانِ
مع القديمِ وهو قد كان ، ولا شىءَ سواه ، أبداً وأزلاً

* ● *

---

١ ــ شعاع البصيرة : نور علم اليقين ، وعين البصيرة : نور عين اليقين ، وحق البصيرة : نور حق اليقين .

فعلم اليقين لأهل الدليل والبرهان ، وعين اليقين لأهل الكشف والبيان ، وحق اليقين لأهل الشهود والعيان .

البـــاب الرابـــع

٣٨ — لا تنعقد نية همتك الى غيره ، فالكريم لا تتخطاه الآمال .

٣٩ — لا ترفعن الى غيره حاجة ، وهو موردها عليك ، فكيف يرفع غيره ما كان هو له واضعا ، من لا يستطيع أن يرفع حاجة عن نفسه ، فكيف يستطيع أن يكون لها عن غيره رافعا ؟ .

لا تَتَعَدَّيَنَّ هِمَّـــةٌ إلى(١) غيرِ الكريمِ والجوادِ حيثُ لا
يخطّاهُ الآمالُ فى الإحسانِ ولا تعــدّاهُ فَعُوا بَيَانى
إيّاكَ رفعَ حاجةٍ لغيرِهِ(٢) وهو الذى عَوَّدَنا فى خيرِهِ
فإنّــه لو رَدَّهَــا علينــا فكيفَ نرجُو كاشِفاً لدينا
وأنّــه فى نفسِــهِ ضعيفُ وكاشفُ الضُرِّ هو اللطيفُ
وباسطُ الخيرِ هو الكريمُ وغيرُهُ فى نفسِهِ عــديمُ
فالجهلُ كلّ الجهلِ من يطمَعُ فى إحسانِ مخلوقٍ حقيرٍ أضْعُفِ
سبحانَ ذى المجدِ الكريمِ السَّرْمَدِى
مَنْ يَبْتَغِيهِ بالأمانى يَهْتَدِى
مَنْ لم يكن فى نفسِهِ نَفَّاعاً أتَرْتَجِيهِ حيثُ ما إستطاعا
لا تكُ كالمسجونِ بالمسجونِ مَنْ يستغيثُ فهو كالمجنُونِ

---

١ — لا تتعدين : أى لا تتجاوزن . همة ، الهمة : القوة المنبعثه فى طلب المقاصد . الآمال : قصود القاصدين ، يخطاه : أى يتجاوزه . فالانسان اذا تعلقت همته بشىء يريد تحصيله ، عليه أن يرد الهمة الى الله تعالى ؛ ولا تتعلق بشىء سواه ، لانه سبحانه كريم على الدوام .

٢ — من قلة معرفة الانسان أن يرفع الى غير الله ما انزله عليه من أحكام قهره ، مع علمه باحسانه تعالى وبره ، ولأن غيره تعالى عاجز عن اصلاح نفسه فكيف يقدر أن يصلح غيره ؟ ضعف الطالب والمطلوب ، ولاشك أن الطلب من الخلق لا يجوز اذا كان على وجه الاعتماد عليهم والاستناد اليهم ، مع الغفلة فى حال الطلب عن الله تعالى وأما اذا كان من باب الأخذ بالأسباب مع النظر الى أن المعطى فى الحقيقة هو الله الملك الوهاب فهو جائز والله أعلم .

٤٠ — ان لم نحسن ظنك به لأجل حسن وصفه ، فحسن الظن به لأجل معاملته معك ، فهل عودك الا حسنا ؟ وهل أسدى اليك الا منا ؟ .

إن لم تحسّنْ بالإلـ ـهِ ظنّكَ(١) لكونِهِ في بِرِّهِ عوّدكَ
مُعاملاً بالفضلِ والسماحةِ وقلبُكَ المحزونُ قدْ أراحه
فحسّنْ بِبِرِهِ(٢) الحقيقِ ظنّك ترشدْ أنْهجَ الطريقِ
فهل ترى إحسانَهُ الجزيلَ ألا تراهُ ماجِداً جميلا
أوْ لا تراهُ مُسْدِيَ النَعْماءِ كالدينِ والإيمانِ والآلاءِ
وإن ذكرتَ همّكَ المعترضَ قابلْهُ بالفضلِ الجزيلِ إذ مضا

* ● *

---

١ — ان تحسين الظن بالله تعالى أحد مقامات اليقين ، فقد قال — صلى الله عليه وسلم — « حسن الظن من حسن العبادة » ابو داود .

والناس في حسن الظن بالله قسمان : خاصة ، وعامة ، الخاصة ، يحسنون الظن به ، لانصافه بالصفات العلية ، والنعوت السنية ، والعامة يحسنون الظن به ، لما عودهم به من الاحسان ، وما أوصله اليهم من النعم ، فمن لم يصل الى مقام الخاصة ، فليحسن ظنه به تعالى لحسن معاملته معه وكثرة نعمه عليه ، حيث قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [ابراهيم ٣٤] وقال : (فاذكروا آلاء الله) [الاعراف ٧٤] .

٢ — في الأصل « فحسن ببره الحقيق » .

مالا بد منه العبد ومالا بقاء له

٤١ — العجب كل العجب ممن يهرب مما لا انفكاك له عنه ، ويطلب ما لا بقاء له معه ، فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

يا عجباً من هاربٍ عن ربه(١) ودارُهُ العُقبى وبعد هربه
من أنْ له عن ذلكَ إنفكاكُ كيفَ الغَبينُ فاتَهُ إدراكُ
يطلبُ ما ليس لَهُ بقاءُ وقدْ دَنَا لجنبهِ الفَنَاءُ
وداكَ من عَمى بصيرةِ الفتى وقلبُه مثلُ حديدٍ صَلَتَا

* ● *

---

١ — ما لا انفكاك منه هو الحق تعالى وقضاؤه وقدره ، وما لا بقاء له هو الدنيا أو ما تدبره النفس وتقدره ، فمن أعجب العجائب ان يفر العبد من مولاه ويتوجه بالطلب لما سواه ، مع انه لا انفكاك له منه ، ولا محيد له عنه ، اذ لا وجود له الا منه ، ولا قيام له الا به ، فكيف يهرب منه بترك طلب معرفته ؟ وبترك التقرب منه بامتثال أمره واجتناب نهيه ؟ ويطلب ما لا بقاء له من حظوظ الدنيا الفانية التى ان لم تزل عنه فى الحياة زالت عنه بالممات ، وهذا انما يحصل بسبب عدم فتح البصيرة أو عماها قال تعالى (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) [الحج ٤٦] . قال الشيخ حسن الشاذلى : عمى البصيرة فى ثلاث : ارسال الجوارح فى معاصى الله ، والطمع فى خلق الله ، والتصنع بطاعة الله .

٤٢ — لا ترحل من كون الى كون ، فتكون كحمار الرحى يسير والمكان الذى ارتحل اليه هو المكان الذى ارتحل عنه ، ولكن ارحل من الأكوان الى المكون (وأن الى ربك المنتهى) وانظر الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها ، فهجرته الى ما هاجر اليه » فافهم قوله — عليه الصلاة والسلام — وتأمل هذا الأمر ان كنت ذا فهم .

أتطمعونَ من عبادٍ مِنَحاً(١) مثلُ حمارٍ لحجارةِ الرَحى
يطيلُ سيراً راحلاً من حيثُ لا يَنْفُدُ مسراهُ كذا متّصلاً
مُرْتحلاً من موضعٍ يَعُودُ إليه كادِحاً فلا يُفيدُ

---

١ — الرحيل من الكون الى الكون : هو الرحيل من الخلق لطلب سوى الله ، وذلك كمن يزهد فى الدنيا وينقطع الى الله يطلب بذلك اقبال الدنيا عليه او اقبال الخلق عليه أو يكون له منزلة كبيرة عند الناس ، أو يزهد عن الدنيا حتى يحصل على الكرامات وخوارق العادة ، أو يرهد ويتعبد حتى يهابه الناس ويهابون ان يدعو عليهم فيبتلون بالمصائب كما هو حال بعض مشايخنا فى الوقت الحاضر . حيث يبجح بعضهم حين يذكر أن شيخه أو الشيخ فلان ضرب فلانا او قتل فرس فلان أو قتل حمار فلان ، وحتى ان بعضهم يدعون أن الشيخ الفلانى قتل رجلا او أعمى بصره او جعله عنينا الى غير ذلك ، فهؤلاء مثلهم كمثل حمار الطاحونة يسير بالليل والنهار . وهو فى مكانه ، وانه يرجع الى المكان الذى ارتحل منه . فمن كانت قصده الحظوظ النفسانية كما ذكرنا ، فانه يترك الدنيا لأجل الدنيا ، فهو فى سير دائم ولكن فى موضعه قائم ولم يتقدم شبرا ، وما زاد الا نقصا ، أما الرحيل من الكون الى المكون وهو الله تعالى فهو غاية المنى وبلوغ المنتهى والرحيل الى الله يكون بعدة أمور :

١ — قصر الهمة عليه تعالى دون ما سواه ، حتى يطلع على قلبك فلا يجد فيه سواه .

٢ — الرجعى اليه باقامة الحقوق والفرار من الحظوظ .

٣ — دوام اللجوء اليه والاستعانة به والتوكل عليه والاستسلام لما يورده عليك ..

وقال الشيخ أبو الحسن — رضى الله عنه — : اربعة من كن فيه احتاج الخلق اليه : المحبة لله ، والغنى بالله ، والصدق ، واليقين : الصدق فى العبودية ، واليقين فى احكام الربوبية قال تعالى (ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) [المائدة ٥٠] .

طلبُك من غـيرِ مولاكَ سُـوا
وصورةُ ذا الأمرِ فحسبُكَ الجوا

وارحلْ عن الأكوانِ للمكوّنِ إنّ إلى ربّكَ(١) كلاّ فإعتنى
بآيةِ اللهِ وقصّر طمعكَ عليه تلقى نصرةَ الدهرِ معكَ
وأنظرْ لقولِ سيّدِ مهاجرِ من كلّ شيءٍ للاله صائرِ
فمن تكُنْ هجرتُهُ مولاهُ ومصطفاهُ نالَ ما نَواهُ(٢)
ومن تكن مُنيتَـه دنياهُ أو النساءُ نال ما إقتضاهُ
إن كان مقضياً ولا عبرةَ بـه يا خيبةً من ربّهِ في إربِهِ
فإفهمْ مقالَ المصطفى فهجرتُهُ لِما نواهُ وإعتراه خيبتُهُ
فكرر الأوّلَ دونَ الثاني تحقيقَ ما يبقى على الفوانى
ثم إحتقاراً وتجنّاً لها فإنّها أعظمُ شيء قد لها
والاوّلانِ مستطابا ذكرٍ معظمّانِ عند أهل فكرٍ
فإن تكن ذا الفهمْ دبّرْ أمرَهُ وخُذْ إلهاً لا تخالفْ أمرهُ

* ● *

---

١ — وهذا اشارة الى قوله تعالى (وان الى ربك المنتهى) [النجم ٤٣] .

٢ — هذا اشارة الى ما أخرجه البخارى « انما الأعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة ينكحها فهجرته الى ما هاجر اليه » فتح البارى ١/٩ .

البـــاب الخامس

٤٣ ــ لا تصحب من لا ينهضك حاله ولا يدلك على الله مقاله .

مَنْ لم تجدهُ ناهضاً لك حالُهُ ... لله ما إن دَلَّكَ مَقَالُهُ

فَذَرْهُ فهو صاحبٌ لا يُصْحَبُ ... بل إنّه كالليث منه يُهْرَبُ

وهو الذى يَعْتَبِرُ الخلائقَ ... وإن تجد فى صَدْرِهِ الحقائقَ

يرضى عن النفسِ خبيثُ النفسِ ... فى قلبه الرفعةُ فوقَ الجِنْسِ

وإن تجــده عالِماً عَلُوماً ... وأصبحَ الكلُّ له مأموماً(١)

ثمّ الذى مِنْ حقّه أن يُصْحَبَ ... مَنْ كان عندَ ربِّهِ مُقَرَّباً

وليس يرضى دائماً عن نفسه ... ولا إعتلى يوماً على ذى جِنْسِهِ

وامتلأتْ فى قلبِهِ حقائقُ ... وإنْدَفَعَتْ من عنده الخلائقُ

يصبرُ حيثُ أنتَ تؤذيهِ على ... أذاكَ فى الأكوانِ لم يرضى عُلا

وذلك العبدُ(٢) إذا أذَيْتَهُ ... فاعلمْ بأنَّ اللهَ قد عادَيْتَهُ

---

١ ــ الذى ينهضك حاله : هو الذى اذا رأيته ذكرت الله ، فان كنت فى حال الغفلة ، فلما رأيته نهض حالك الى اليقظة ، أو كنت فى حال الرغبة ، فلما رأيته نهض حالك الى الزهد ، او كنت فى حالة الاشتغال بالمعصية ، فلما رأيته نهض حالك الى التوبة ، وهكذا ، والذى يدلك على الله مقاله ، هو الذى يتكلم بالله ويدل على الله ، اذا تكلم أخذ بمجامع القلوب ، واذا سكت انهضك حاله الى علام الغيوب ، فحاله يصدق مقاله ، ومقاله موافق لعلمه ، والشيخ اذا لم يكن حاله كذلك لا تأخذ الطريق منه ولا تصاحبه لأجل الوصول الى الله ، وان كان فى أوج العظمة والشهرة بين الناس ، وأما اذا تصاحبه لأجل الدنيا والاستفادة من نفوذه الدنيوية ، فكن صادقا مع الله ومع عباده وأظهر لهم أنك انما تبعته لأجل الدنيا ، والا فان شره عظيم وعاقبته وخيمة بل أصحب من ينهضك حاله ويدلك على الله مقاله .

٢ ــ فى الأصل « فذاك العبد اذا آذيته » .

وهذا اشارة الى قوله صلى الله عليه وسلم « من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب » رواه البخارى .

فاخضعْ له منكسراً مسكيناً مطاوعاً لأمرهِ مُعيناً
فاللهُ ينصرُ الذى ينصُرُهُ تحُفُّهُ الرحمنُ إذ يحضرُهُ
فهو الذى لا يَشْقَى جليسٌ جالسَهُ أو صاحبٌ أنيسُ(١)
وخصَّهُ الرحمنُ بالإكرامِ وتابعيهِ بينَ ناسٍ سامى
قد وُضِعَتْ لأجلِهِمْ منابرُ من اليواقيتِ كذا الجواهرِ(٢)
يُجْلِسُهُمْ مولاهُمْ عليها والنّاسُ حيرانٌ أسًا وتَيْهاً
طُوبى لمن أحبَّهُمْ فى اللهِ يَدْرأُ عنهم عاتياً للهِ
فأمْرُهُ للخيرِ والحُسنى نَعَمْ له الكريمُ بالكراماتِ ختَمْ
والعبدُ إن أصبحَ له نُهُوضاً مناهضِيهِ جاد لى تمحيضاً
وإنَّ ذاك العبدَ مَنْ نظرتَهُ مشتغلاً باللهِ فاعْتَبَرْتَهُ
وإسمعْ كلامَ الشاذلىّ مبصراً
لا تَصْحَبَنَّ من غدا لكَ موثِراً(٣)
على مُناهُ لا ومَنْ أرادَ أنْ يؤثِرَ نَفْسَهُ عليك وإعلمنْ
بأنّ ذاك لا يدومُ غالباً
فأطلُبْ شغُولاً بالإلهِ وإصْحبَ

---

١ — وفيه اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — كما جاء فى صحيح مسلم باب مجالس الذكر « هم القوم لا يشقى جليسهم » وفى رواية البخارى « هم الجلساء لا يشقى جليسهم » فى الدعوات ١١/١٧٩ .

٢ — وهذا مفهوم قوله — صلى الله عليه وسلم — « لينعمن الله أقواما يوم القيامة فى وجوههم النور على منابر من اللؤلؤ يغبطهم الناس ، ليسوا بأنبياء ولا شهداء » قالوا : يا رسول الله حلهم لنا نعرفهم ؟ قال : « هم المتحابون فى الله » الحديث رواه الطبرانى . انظر الترغيب والترهيب للحافظ المندرى ٢/٤٠٦ .

٣ — وهو قول الشاذلى : لا تصحب من يؤثر نفسه عليك فانه لئيم ، ولا من يؤثرك على نفسه فانه قل ما يدوم : واصحب من اذا ذكر ذكر الله ، فالله يغنى به اذا شهد ، وينوب عنه اذا فقد ، ذكره نور للقلوب ، ومشاهدته مفاتيح الغيوب . ايقاظ الهمم ص ٩٦ .

مِنْ حيثما يذكر يذكرُ ربَّهُ فاللهُ يُغْنيكَ بهِ نائبهُ
فذكرُ ذاك نورٌ للقلوبِ وإن يُشاهَد فإلى الغُيُوبِ
أى المفاتيحَ لها يقودُ وهم قليلُونَ وذا تمهيدُ
وآفةُ أمرى خلا عن مَنْهَضِ أنّ الذى يصحبُهُ ذو مَرَضِ
والكبرِ . والعُجْبِ وإعظامِ الهوَى
ورؤيةِ النفسِ على الجوَفِ حَوَا

* ● *

٤٤ — ربما كنت مسيئا ، فأراك الاحسان منك صحبتك من هو أسوأ حالا منك .

فربّما كنتَ مُسيئاً فرَا كَ ذلك المرءُ ينابيعَ المرا
إنّك محسنٌ وخيرٌ حالاً منه فجانبْهُ ودَعْ وبالاً
والنفسُ تستشعرُ بالجبلّةِ فضيلة لها لأجْلِ العِلّةِ
على الذى رأيةَ دُونَهُ هُدى فإصحبْ رشيداً بالعزائمِ إقتدى
وشرطُهُ الهمّةُ والأحوالُ صافيةٌ لا العلمُ والأعمالُ
إسمعْ كلامَ سيّدِ بن عبادِ
أعْنِيهِ عبدَ اللهِ قولٌ من جادَ(١)
إنّ التواخى فَضْلُهُ لا ينكرُ وإن خلاَ من شرطِهِ لا يُشْكَرُ
والشرطُ فيه أن تواخى العارفَ عن الحظوظِ واللُحُوظِ صارِفَا

---

١ — الصواب أبو عبد الله : هو محمد بن ابراهيم المعروف بابن عباد النفرى الرندى وهو أول من شرح حكم العطائية وهذا الكلام موجود عند شرحه لهذه الحكمة .

مقالُـــهُ وحالُـــهُ سيّانِ ومادّعى إلاّ إلى الرحمنِ
أنوارُهُ دائمـــةُ السرايَةِ فيكَ وقد حفّتْ بكَ الرعايةُ
وقاصدُ الفاقدِ هـــذا الشرطَ بصُحْبَةٍ يَعْقِدُها قد أخْطا

قـــد إنتهى كلامُـــهُ ، والشـــاذلىّ

قـــد سألَ الأستادَ والشيـــخَ الوَلِى
عن « يَسِّرُوا ولا تعسِّروا ولا
تُنفّروا(١) » حديثُ مَنْ حازَ عُلا

فقال : معنى ذا الحديثِ دلُّوا إلى الإلهِ النّاسَ لا تَدُلُّوا
على سواهُ فالذى دلّ على دنياكَ قد غشّاكَ أو دلّ على
إكثارِ أعمالٍ فقد أتْعَبَكَ أو الإلـــهِ ناصحاً قرّبكَ(٢)
والزهدُ من علامةِ المَحْبُوبِ لا العلمُ والأعمالُ فإقتدو بى

* ● *

---

١ — حديث « بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا » رواه أبو داود عن ابى موسى الأشعرى . انظر سنن أبى داود ، كتاب الأدب ، باب كراهية المراء رقم الحديث ٤٨٣٥ ، وانظر جامع الأصول ٥/٥٣٤ .

٢ — قال رضى الله عنه فى قوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » اى دلوهم على الله ولا تدلوهم على غيره ، فان من دلك على الدنيا فقد غرك ، ومن دلك على الأعمال فقد أتعبك ، ومن دلك على الله فقد نصحك . لطائف المنن ص ٢٥٤ .

٤٥ — ما قل عمل برز من قلب زاهد ، ولا كثر عمل برز من قلب راغب .

ما قلّتْ الأعمالُ من قلبٍ زهدَ ... ولا كثيرٌ مِنْ فؤادٍ إستْنَدَ
يرغبُ فى الدنيا ، ولإبن مسعود ... فيه كلامٌ فائقٌ فى الجَوْدِ
رُكيعتانِ لإمرءٍ قـد زَهَـدَ ... أفضلُ أعمالِ رَغُوبٍ سَرمَداً(١)
والشاذلىُّ قد رأى الصدّيقَ ... لَيْلاً موضّحاً لَهُ الطريقَ(٢)
فقالَ : ما علامةُ الدنيا إذا ... عن الفؤادِ خرجتْ فَنَفِدا
فقالَ : لا أعلمُ ، أخبِرْنى بها ... فقال : بَذْلُها إذا كنتَ بِها
وراحةٌ فيك إذا مافُقِدَتْ ... وتركُها الكلّى مهما وُجِدَتْ

* ● *

---

١ — روى عن ابن مسعود — رضى الله عنه — قال : ركعتان من زاهد عالم خير واحب عند الله من عبادة المتعبدين المجتهدين الى آخر الدهر أبدا سرمدا . ايقاظ الهمم ص ٩٩ .

٢ — روى أن الشيخ أبا الحسن الشاذلى رأى فى منامه أبا بكر الصديق — رضى الله عنه — وقال له : علامة خروج حب الدنيا من القلب ، بذلها عند الوجود ، ووجود الراحة منها عند الفقد . وعلامة التحقق بالانزال فى مقام التوكل السكون والطمأنينة عند محركات الأسباب ، وعلامة التحقق بالانزال فى مقام المعرفة هو الأدب ظاهرا وباطنا ، وحسن الخلق مع كل مخلوق . ايقاظ الهمم ص ١٠١ .

٤٦ — حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال ، وحسن الأحوال من التحقق في مقامات الانزال .

معرفةُ الإنسانِ أسُّ العملِ ... وحالُهَ بها كبَدْرٍ يَنْجلَى
فحسنُ أعمـالِ نتيجةُ الحسن(١)
من خالصِ الأحوالِ من شَوْبِ الفِتَن
وخالص الأحوالِ من تحقُّقِ ... بمورِدِ الإنزالِ من قلبٍ نقى
ولا يدلُّ كثرةُ الأعمـالِ ... على صلاحِ القلبِ والأحوالِ
إلاّ إذا أنزلَ فيه نورٌ ... يُغْنيهِ يُدنيهِ ويَستَنيرُ
يعتِقُهُ(٢) منْ طبعِ الأغيارِ ... يُوحِشُهُ حتّى عن الأنوارِ
فالفاهِمُ الذى يحسنُ العمل ... من كان لله بما إحتاجَ وَكَّل
ثمّ إعتنى به وكيلاً وإكتفى ... معتَمِداً عليه ذا قلبٌ صَفَا
وليس مَنْ فَهِمَ الغِنى سواهُ ... وليس دُونَهُ سوى هُداه

* ● *

---

١ — حسن الأعمال دليل على حسن الاحوال والتحقق بالحال لأن السكون فى القيام أمر باطنى ، ظهر أثره فى الجوارح حيث أن حركة الجوارح تدل على صلاح القلب وفساده لقوله — صلى الله عليه وسلم — « ان فى الجسد مضغه اذا صلحت صلح الجسد كله ، واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهى القلب » .

واذا تحقق القلب بالزهد ظهر ذلك على جوارحه من الثقه بالله والاعتماد عليه لقوله — صلى الله عليه وسلم — « ليس الزهد بتحريم الحلال ولا اضاعة المـال وانما الزهد ان تكون بما فى يد الله أوثق مما فى يدك » .

٢ — فى الأصل « يفتقه » .

٤٧ ــ لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ، لأن غفلتك عن وجود ذكره أشد من غفلتك فى وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة الى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة الى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور الى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور وما ذلك على الله بعزيز .

لا تَتْرُكِ الذكرَ إذا ما فُقِدَ ... حَضُورُ مولاكَ بِهِ واجتهد(١)
فإنّه السراجُ للقــاوبِ ... مقرّبُ المحبِّ للمحبوبِ
ذكرُك فى الأرضِ ذكرٌ فى السما(٢) ... فى مــلأ من الكِرامِ العُظَما(٣)
منشورُ مولاك مِنْ الولايةِ ... عــلامةُ العنايةِ الوقايةُ
فغفلةُ العبد عن الذكر أشــدّ ... من غَفْلَةٍ فيه ، فكُنْ فيه أبَد
عَسَاكَ أن تَنْتَقِلَ عَنْ غفلةٍ ... فى الذكرِ وصُولاً إلى يَقْظَةٍ
وربّما تُنْقَلُ عن يقظةٍ ... إلى حضورٍ وإلى قُرْبَةٍ
وعن وجُودِ قُرْبَةٍ والحُضُور ... لغيبةٍ عن غيرِ من كانَ نُورُ
من نَفَحَاتِ رحمة اللهِ مــا ... ذاكِرُهُ فى غفــلة أكْرِمَا
أتيتُ فيــه بكلامٍ وجيز ... ليسَ على اللهِ بشئٍ عزيزِ

* ● *

---

١ ــ فى الأصل « ما فقدا .. واجتهدا » .

٢ ــ فى الأصل « وذكر فى السماء » .

٣ ــ ربما هذا الكلام اشاره الى الحديث القدسى الذى يقول الله فيه : « ان ذكرتنى فى نفســك ذكرتك فى نفسى ، وان ذكرتنى فى ملأ ذكرتــك فى ملأ خير من ملئك » .

٤٨ — من علامات موت القلب عدم الحزن على ما فاتك من الموافقات ، وترك الندم على ما فعلته من وجود الزلات .

لكلّ قلبٍ ميّتٍ عــلامةُ ذنبٌ عظيمٌ مالَهُ نَدامَةُ(١)
فُقدانُ حزنِ القلبِ أىّ شرّ ما للغبيّ عنه من مَفرّ
والحىُّ أيضاً أن يُرى محزوناً من فوتِ طاعاتٍ غدا مَغْبونَا
يلتذّ بالطاعاتِ ، والمَعاصِى تُؤلِمهُ لهمّةِ إختصاص
يطلبُ هــذا ويفرُّ مــن ذا لحِرّ هــذا أو لِطَعْمِ هذا
والقلبُ إذ ماتَ كمثلِ الحجرِ وهو أشدُّ يا لَه من ضَرَرِ
يا وَيْلَهُ تابعَــهُ تلهّف زَحْزَحْهُ من قُربِه تَعَسُّف

* ● *

---

١ — صدور الطاعة من العبد علامة على رضا مولاه ، وصدور المعصية علامة على غضبه ، فالقلب الحى يحس بما يرضيه عنه مولاه فيفرح ، وما يسخطه عليه فيحزن ، والقلب الميت لا يحس بشىء فيستوى عنده وجود الطاعة والمعصية ، لا يفرح بطاعة ، ولا يحزن على زلة ومعصية ، كما هو شأن الميت فى الحس ، وفى الحديث عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — انه قال « من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن » رواه أحمد .

ولكنه مع هذا لا ينبغى للعبد أن يغلب النظر الى جانب الذنوب فيقل رجاؤه من ربه وسىء الظن بالله تعالى ، ويأس من رحمته .

٤٩ — لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى ، فان من عرف ربه استصغر فى جنب كرمه ذنبه .

يا نادماً على وجُودِ ذنبِهِ ... لا يَكُ ذا الندمُ لفضل رَبِّهِ
يُوئِيهِ(١) باللهِ حسنُ ظنٍّ ... بل أرْجِهِ يا نادماً بحُزْنِ
وخِفْهُ من عِظَمِ ذنوبٍ قُرِفَتْ ... دواؤُها إذا الدموعُ ذَرَفَتْ
وحصلتانِ فى الذنوب أعظمُ(٢) ... من الذنوبِ شؤمُها محكّمُ
إساءةُ الظنِّ بحقِ الحقِّ ... من السماح وبحقِ الخلقِ
من الصلاحِ وَوَجَدْنا خَمسةً ... عُظْمى من الذنوبُ و تتلو طَمْسَةُ
تعظيمُهُ أعظمُ من وجُودِهِ ... كذا إحتقارُهُ لدى شُهُودِهِ
ثمّ جرأةٌ كذا الإصرارُ ... على الذُنوبِ وكذا الاجهارُ
فانّ من يعرفُ حقّاً ربّهُ ... فى جودِهِ راى صغيراً ذَنْبَهُ
مُعَظِّمُ الحقِّ هو المعظّمُ ... لذنبِهِ فهو بذاك يُعْتَمُ

---

١ — الواى : الوعد . ويجوز ان يقرأ « يونبه » أى يبعده .

٢ — صدور المعصية من الانسان علامة على غضب الله للمذنب ، وسره المعصية . هى قسوة القلب والاستكبار ، وهناك عدة خصال فى بعض المذنبين أعظم من الذنب الذى اقترفوه ، وهى : الاصرار على الذنب ، والجرأة عليه ، والاجهار به ، واحتقاره ، وكذا تعظيمه ، والأسوأ من هذا القنوط من رحمة الله واليأس من عفوه ، لأن الذنب مهما كان كبيرا فان الله تعالى اكبر وأعظم .

ومن الخصال المذمومة أيضا سوء الظن بالناس ، والاعتقاد بانه لا يفيدهم اصلاح . وأنهم قد غمسوا فى الذنوب والآثام ، وان الله لا يغفر لهم ولا يقبل توبتهم . لأن هذا يؤدى الى سوء الظن برحمة الله ، وهو ارحم الراحمين فقد قال تعالى (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم) [الزمر ٥٣] .

وقال — صلى الله عليه وسلم — « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون » .

وقال — صلى الله عليه وسلم — كان رجل فى بنى اسرائيل قتل تسعا وتسعين نفسا . فى حديث طويل أخرجه مسلم ، ويذكر فى نهايته ان الله غفر له لأنه أخلص التوبة لله .

ترجُوه حتّى الذنبَ تنساهُ كذا ... ترهُبهُ رَهبَةَ مَن تَخذا
فالعارفُ الكاملُ لايميلُ ... من ذَيلك الحالبن بل يطيلُ
تسياره فى الجانبين دائماً ... بلا إغترارٍ وفُتورٍ دائما
لكنّ ذا العرفانَ من يحيد ... عن المعاصى هَرْبُهُ شديدُ
فالذنبُ لايسكنُ مهما قابَلك ... بلُطفِه الواسعِ لما عامَلكْ

٥٠ — لا صغيرة اذا قابلك عدله ، ولا كبيرة اذا واجهك فضله .

أىُّ صغيرةٍ بوقتِ عدْلِه ... أىُّ كبيرةٍ بوصف فَضْلِه (١)
فيضمحِلُ الذنبُ فى غُفْرانِه ... والعبدُ لاشِىء لدى سُلطانِه

٥١ — لا عمل أرجى للقبول (٢) من عمل يغيب عنك شهوده ويحتقر عندك وجوده .

كُنْ عامِلاً لا عاملاً وَفِكّرَ ... فى أنّه كانَ لَهُ مُقدَّر (٣)

---

١ — الصغيرة : هى الجريمة التى لا وعيد فيها من القرآن ولا من الحديث ، والكبيرة : هى التى توعد عليها بالعذاب فى القرآن أو فى الحديث ، أو الصغيرة : هى التى ليس فيها حد فى كتاب الله ولا سنة رسوله والكبيرة : هى التى فيها حد مشروع فى القرآن أو فى السنة ، كالقتل والزنا مثلا ، وقيل : الكبيرة : هى السبع الموبقات ، وقيل : غير ذلك ، وهذا بالنسبة الى ظاهر أحكام الشرع ، لكن الله تعالى ، اذا عامل الانسان بالعدل وحاسبه حسابا عسيرا فانه يعذبه على أصغر ذنب ، وكذلك فان الله اذا واجه العبد بفضله واحسانه فان كبائر ذلك العبد تضمحل وتتلاشى فى احسان الله وتتبدل بحسنات ، فاذن لا صغيرة فى مقابلة عدله ولا كبيرة فى مقابلة فضله .

٢ — وفى نسخة « لا عمل أرجى للقلوب » .

٣ — يعنى لا عمل أرجى للقبول أو لحياة القبول من عمل يكون بالله ولله غير ملاحظ فيه حظوظ النفس وهواه ، فاذا أراد الله أن يتولى عبده أنهضه للعمل =

فشاهدُ المولى وغيبٌ عن العمل ... وأخرجْ من البَيْنِ فَبَيَّ فيه نَهَل
مستوفياً شواهدَ الحُضُورِ ... مستوعباً شروطَهُ بالفورِ
تفنى بهِ سبحانَهُ عن نظرٍ ... فى عاملٍ أو عملٍ أو أثرِ
والناسُ أقسامٌ ثلاثةٌ هنا : ... فغائبٌ عنه بسلطانِ الفَنَا
ومن غدا للعملِ مُحْتَقِراً ... وجامع بينهما وأنْظُر تَرَى
ترجيحَ أوّلٍ على ثانيه ... والخيرُ منهما الذى يليه

٥٢ — انما أورد عليك الوارد ، لتكون به عليه واردا .

أوردَ مولاكَ عليكَ وارِداً(١) ... كى ترجيعَنْ منهُ له وارِداً
ووارِدُ القلبِ الذى يُزْعجُه ... وعن سِوى المعبودِ ما يخرجِهُ
وفلك السِوى لـه قسمان : ... مُعْتادُنا ونازلُ رحمان

=
وصغره فى عينة ، فلايزال جادا فى عمل الجوارح حتى ينقله الى عمل القلوب ، ومن علامات من تولاه الله فى أحواله ، أن يشهد التقصير فى اخلاصه ، والغفلة فى أذكاره ، والنقصان فى صدقه ، والفتور فى مجاهدته ، فتكون جميع أحواله عند غيره مرضية ، ويزداد فقرا الى الله فى قصده وسيره .

١ — الوارد : نور الهى يقذفه الله فى قلب من أحب من عباده ، وهو على ثلاثة أقسام ، على حسب البداية والوسط والنهاية ، أو حسب الطالبين والسائرين والواصلين .

القسم الأول : وارد الانتباه : وهو نور يخرج الانسان من ظلمة الغفلة الى نور اليقظة ، وهو لأهل البداية من الطالبين ، فاذا تيقظ من نومه وانتبه من غفلته استوى على قدمه طالبا لربه ، فيقبل عليه بقلبه وبجوارحه ، ويجمع عليه بكليته .

القسم الثانى : وارد الاقبال : وهو نور يقذفه الله فى قلب عبده فيحركه لذكر مولاه ويغيبه عما سواه ، فلايزال مشتغلا بذكره غائبا عن غيره ، حتى يمتلىء القلب بالنور ، ويغيب عما سوى الله ، فلا يرى الا النور ، فيخرج من سجن الأغيار ويتحرر من رق الآثار .

ايّهما نقولُ : دَعْهُ وإجتنِبْ حاجب قلبٍ فإنى الحقّ إقتَرِبْ
وإنمّا القصدُ لمن أوْرَدَهُ حتّى يكونَ القلبُ قد أفرده
فذاك جندٌ ورسولٌ جاءكَ وهو إلى باعثِهِ إستفاءك
فغيبةُ الوارد إن تحققتْ والنظراتُ للإلهِ إتّسقتْ
فذاك ، أولا فلتقصيرِكَ فى إليه للتقدير فوَطّنْ وإكتَفِ
وإنمّا فوائدُ الوارد أن ترجَعَ لله بتجريدكَ عَنْ
أمرٍ تراهُ من وجودِ العلل وأن تكونَ خارجاً بالجَمِيل
عن كائناتٍ عبدتْكَ ثمّ عَنْ
سجنِ الهوَى والنفسِ إذ هنّ الفِتَنْ

* ● *

٥٣ — أورد عليك الوارد ، ليتسلمك من يد الأغيار ، ويحررك من رق الآثار .

وأوسط الأقسامِ أنّ ربّى أرادَ إحتقارَ مافى قلبى (١)
من ذُونِهِ فأوردَ الواردَ لى حتّى أزيلَ غيرَهُ من عِلَلِى
يُخْرِجُنِى للقلبِ من تَرفقُ بالليل والركُونِ والتشوُّقِ
للواردات وإلى الأنوارِ ذاك هو التسليمُ من أغيارِ
فلا يكونُ لى بها إستنادُ ولا إعتمادُ وكذا إستمدادُ

* ● *

---

١ — فى الأصل « من ما فى قلبى » .

٥٤ — أورد عليك الوارد ، ليخرجك من سجن وجودك الى فضاء شهودك .

وثالثُ الأقسامِ والفوائد ... أرادَ إخراجَكَ عند الوارِدِ(١)
عليكَ منْ سِجْنِيكَ من وُجُودِ ... إلى فَضَاكَ موردِ الشُّهُودِ
وإنّما الوارِدُ كان حامِلا ... عن السِوى للهِ حَمْلا كامِلاً

* ● *

٥٥ — الأنوار مطايا القلوب والأسرار .

قال فسيحُ النورِ والأسرارِ ... شيخُ الشيوخِ كاملُ الأنوارِ
فوارِدُ الأنوارِ والأسرارِ ... هنّ مَطَايَا القلب والأسرارِ
والنورُ ظِلٌّ واقعٌ في الصدور ... من أثر الوارِدِ والظلُّ نور
مَطِيَّتُهُ القلوبُ بالإيضاحِ ... مِنْ فَهْمِهَا حَضْرَةُ ذا الفتّاحِ
ثمّ مَطَايَا وارِدِ الأسرارِ ... بيانُ عِلمِ حضرةِ الجبّارِ
سارتْ من القلب مَطَايَا فَهْمِهِ ... وطالعاً سارَتْ مَطَايَا عِلمِهِ
فالنورُ حيثُ كانَ القلبُ حامِلاً ... للهِ لا يحمِلُ شيئاً باطِلا
كرؤيةِ النفسِ ذكّتْ أو نَقَصَتْ ... أو قَرُبَتْ إلى الحبيبِ أو مَقَتْ

* ● *

---

١ — وهذا اشارة الى القسم الثالث : وهو وارد الوصال : وهو نور يستولى على قلب العبد ، ثم يستولى على ظاهره وباطنه ، فيخرجه من سجن نفسه ، ويغيبه عن شهود حسه ، الى اتساع شهود الرب .

٥٦ — النور جند القلب ، كما ان الظلمة جند النفس ، فاذا اراد الله ان ينصر عبده أمده بجنود الأنوار ، وقطع عنه مدد الظلم والأغيار .

والنورُ جندُ القلبِ مُسْتَقْوِيهِ (١)
ومُضْعِفُ النفسِ بما يُلْقِيهِ

والنفسُ من جنودِها ظلماتُ محصُورُها الجهلُ وتخبيطاتُ
والصلفُ الشَنيعُ ، ثمّ النورُ بالكَشْفِ والتحقيقِ قد ينيرُ
فمَن أرادَ اللهُ أن ينْصُرَهُ يبعثُ جُندَ النورِ كي يحضره
ويقطعُ الجندَ الذى للنفسِ أوخَذلاناً فله بالعكسِ
فمَنْ حَماه بربُوبيّتِه أوْقفَهُ عند عبوديّتِه

* ● *

٥٧ — النور له الكشف ، والبصيرة لها الحكم والقلب له الاقبال والادبار

والنورُ إذ تمّ فذو الكشف لما يُهِمُّ أولا فله حكمِ العَمى
وللبصيرةِ عليه الحكم (٢)فيقبلُ القلبُ لما يَهَمّ

---

١ — النور هو جند القلب ، لأنه يكشفُ عن حقائق الأشياء ، فيتميز الحق من الباطل ، فيحق الحق ويبطل الباطل ، فينتصر القلب باقباله على الحق على بينة واضحة ، وتنهزم النفس بانهزام جند ظلماتها ، اذ لا بقاء للظلمة مع وضوح النهار .

٢ — النور من حيث هو من شأنه أن يكشف الأمور ويوضحها حتى يظهر حسنها من قبيحها ، ومن شأن البصيرة المفتوحة أن تحكم على الحسن بحسنه وعلى القبيح بقبحه ، والقلب يقبل على ما يثبت حسنه ، ويدبر عن ما يثبت قبحه ، فقلب المؤمن العاصى لا يفرق بين مرارة المعصية وحلاوة الطاعة ، فاذا استضاء بنور التقوى عرف ما يضره وما ينفعه ، وفرق بين الحق والباطل .

قال تعالى : [يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) [الأنفال ٥٣] ، وقال تعالى : (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) [الزمر ٢٢] .

وكان عمّا لا يُهِمّ مُدْبِراً وذو التخابيطِ بنورِ مُصْبِراً(١)

* ● *

٥٨ ــ لا تفرحك الطاعة ، لأنها برزت منك ، وافرح بها لأنها برزت من الله اليك قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون .

ومنــه فرحُ القلب بالطاعاتِ من حيث كونهنّ تكرماتِ
وينبغي أن يفرحَ القلب بهــا لذاك لا لكونهـا فَعلهـا
ينشأ منه الشكر لا العُجْب ولو يعكس قوم فعلى العُجْبِ عَدَوا
وأتْلُ عليهم قُلْ بفضلِ اللهِ (٢)ليَفْرَحُوا ذاكَ من إنتباه

* ● *

٥٩ ــ قطع السائرين له ، والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم ، اما السائرون ، فلانهم لم يتحققوا الصدق مع الله فيها ، واما الواصلون ، فلانه غيبهم بشهوده عنها .

وقطعَ السائرَ والواصــلَ عن رؤيةِ أعمالٍ وأحوالٍ لأن
يشهدَ فَقْدَ الصدقِ للسائرِ وألْ فَنَا بهِ عنها لمن كانَ وصَلْ
فقَطعَ السائرَ عن أعمالِهِ وقطع الواصل عَن أحوالِهِ

---

١ ــ فى الأصل « مديرا .. قصيرا » .

٢ ــ اشارة الى قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) [يونس ٥٨] .

فللقبيلتين لاحَ الرُشـدُ طوعاً وكرهاً لصوابٍ وَجَدُوا(١)
فالسائرونَ شاهِدُون عِلَلاً والنقصَ فيما فَعلوا وزلَلاً
والواصِلونَ عن سواهُ أفنوا لحضرةِ الواحِدِ حينَ أدْنَوْا
فـلا يرونَ لهم ثواباً إن أحْسَنُوا له ولا عِقاباً
حين أساؤا بشهُودِ الفاعِلِ في الحالتينِ وزوالِ العامِلِ

* ● *

١ — قطع السائر والواصل : يعنى ان الله غيب السائرين له والواصلين اليه عن رؤية أعمالهم الظاهرة ، وشهود أحوالهم الباطنة ، أما السائرون فلأنهم يتهمون أنفسهم على الدوام ، فمهما صدر منهم احسان ولاح لهم يقظة ، راوها فى غاية الخلل والنقصان ، فاستحيوا من الله ان يعتمدوا عليها أو يعتدوا بها ، فغابوا عن اعمالهم وأحوالهم ، واعتمدوا على فضل الله ، لأنهم لم يتحققوا بسر الاخلاص فيها فلم يروها ولم يركنوا اليها .

وأما الواصلون فلانهم فانون عن انفسهم غائبون فى شهود معبودهم ، فحركاتهم وسكناتهم كلها بالله ومن الله والى الله ، اذ محال ان تشهده وتشهد معه سواه ، فان ظهرت عليهم طاعة أو صدر منهم احسان شهدوا فى ذلك ربهم — سبحانه وتعالى .

الباب السابع

٦٠ — ما بسقت اغصان ذل الا على بذر طمع .

ما بسقتْ أغصانُ ذلٍّ إلاّ ... على بُذُورِ طمعٍ تولىّ
وأصل كلِ طمع وَهْمٌ غلبَ ... يميل طامعا(١) إلى سُوءِ الطلبِ

* ● *

٦١ — ما قادكَ شيء مثل الوهم .

فذلُ وَهْمِ المرءِ لا يَقُودُهُ ... شيءٌ إلى ظَنّ فـذا يحدُهُ
عن اليقينِ للشكوكِ مطلقاً ... يغرمُ من حيثُ خيالٌ سبقا
مُقْعَد على(٢) شهُودِ السببِ ... بوَهَمِيهِ الباطلِ والقلبِ الغبي
يَرْكَن للنّاسِ وينسى رَبَّه ... فانقادَ للمطمُوعِ عبداً جنّبه
معبودُهَ المَطْمُوعُ عن مولاه ... يا خيبةَ الطامعِ يا ذُلاّه
فـن أطَعْتَه فأنتَ عبـده ... وهو أميرٌ لَكَ أنت جُنْدَه
يا عبدَ أولادٍ مع النسوانِ ... حَسْبُكَ من عبادةِ الشيطانِ
حقيقة العبـدِ هى إنقيـاد ... فإعْجَبْ لمَنْ معبودُهُ عِبَادُ

* ● *

---

١ — وفى الهامش « يحيل طامعا » .
٢ — فى الأصل « معتد على » .

٦٢ — انت حر مما انت عنه آيس ، وعبد لمـا انت له طامع .

وأنت حرٌّ ممّن أنت عنـه ... مُسْتَشْعِرِ اليأسِ فجانِبْ عنه
وأنْتَ عبدٌ من طمعتَ فيهِ ... فَدَعْ صنيعَ جاهلٍ سفيهِ
وقد رأينا العزَّ عند مَنْ قَنَعْ ... كما رأينا الذُّلَّ عندَ من طَمَعْ
ألا ترى لطائرِ العقاب ... لطمعٍ يُوقَعُ فى العـذابِ
فى شَبَكِ الصبيانِ يلعبون بِهِ ... فإعتبرنْ بذُلِهِ * وطَلَبِهْ
وأنْظر إلى إمتحانِ لأبى الحَسَنْ
أعنى علياً شَيْخَنَا البصرىّ حَسَنْ(١)
بمُفْسِدٍ ومُصلحٍ للدين ... فقالَ : ذا بطمعٍ مُهينِ
وذا بِوَرْعٍ فاسْتَدَلَّ بهما ... على كمالِ حالِهِ فخُذْهُمَا

* ● *

٦٣ — من لم يقبل على الله بملاطفات الاحسان ، قيد اليه بسلاسل الامتحان .

أرادَ ربُّ النّاسِ منهم أن يَرَى ... ذُلاًّ لَهُ منهم وتركاً للورَى
فيطمعوا فى فضلِهِ دُونَهُمُو ... طوعاً وكرهاً ذا المرادُ مِنْهُمُو
ويرجِعُوا إليـه بإختيـارِ ... أو إبْتَلاَهُمْ بِبَلاءٍ طارى(٢)

---

١ — روى أن الامام عليا — كرم الله وجهه — قدم البصرة ، فدخل جامعا ، فوجد القصاص يقصون فأقامهم حتى وجد الحسن البصرى فقال : يا فتى انى سائلك عن امر فان اجبت عنه أبقيتك والا أقمتك كما أقمت أصحابك .. فقال : ما ملاك الدين ؟ قال الورع ، وقال : ما فساد الدين ؟ قال : الطمع ، ذكره ابن عجيبة فى ايقاظ الهمم ص ١٢٠ .

٢ — سنة الله تعالى استدعاء العباد لطاعته بسعة الأرزاق ودوام العافية ليرجعوا اليه بنعمته ، فان لم يفعلوا أبلاهم بالسراء والضراء لعلهم يرجعون ، =

لأنّهم بهِ إليه عرفوا أوجهلوا أنفسَهُمْ لم ينصِفُوا
فحيثُ هم لم يرجِعُوا إليه ضَرّاؤه حقّتْ بهم عليه
فمن تَنَحّى عنهُ من تجاهُلِ قَيّدَهُ إليه بالسّلاسِلِ
ألا يَرَى سوابقَ الإحسانِ فَلْيَرَهَا بعارضِ إمتحان
أوسعَ في الأرزاقِ والعَوانى ليرجِعُوا إليهِ بالإنصافِ
وخيْرَةٍ منهم ، فإذ لم يرجعُوا أدَّبَهُمْ عندَ البَلاَ ليرجِعُوا

* ● *

٦٤ — من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقالها .

فشاكرُ النعماءِ راجعٌ له وغيرُهُ بوَجْهِهِ حقٌ لَهُ
ففاقِدُ الشكرِ عليها مُعْتَرِضْ لفَقْدِ نعمةِ الإلَهِ فإنتَهَضْ(٢)

=
لأن مراده عز وجل رجوع العباد اليه طوعا وكرها قال تعالى (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) [الرعد ١٥] .

فقوم بسط الله عليهم النعم ، وصرف عنهم البلايا والنقم ، ورزقهم الصحة والعافية ، وأيدهم بالأموال ، فأدوا حقها وقاموا بشكرها ، وتشوقوا الى معرفة المنعم ، فكانت معونة لهم على القدوم على الله ، أخرجوها من قلوبهم ، وجعلوها فى أيديهم ، وقيل ما هم ، قال تعالى (وقليل من عبادى الشكور) [سبا ١٣] .

وقوم أمدهم الله بالنعم ، وبسط لهم فى المال والعافية ، فشغلهم ذلك عن النهوض اليه ، ومنعهم من المسير اليه ، فسلب ذلك عنهم ، وضربهم بالبلايا والمحن ، فاقبلوا على الله بسلاسل الامتحان .

١ — لقد اتفقت أقوال الحكماء على أن الشكر قيد الموجود ، وصيد المفقود ، وقالوا أيضا : من أعطى ولم يشكر ، سلب منه ولم يشعر ، قال تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) [الضحى ١١] .

=

أ: فبانتهاء شكرها(١) زوالها وشكرُ مولاك لها عقالها

* ● *

=

والشكر على ثلاثة أقسام : شكر اللسان ، وشكر الأركان ، وشكر الجنان ، فشكر اللسان التحدث بنعم الله .

وشكر الأركان العمل بطاعة الله ، قال تعالى (اعملوا آل داود شكر) [سبا ١٣] .

وشكر الجنان بالاعتراف بأن كل نعمة بك أو بأحد من العباد ، هى من الله ، قال تعالى (وما بكم من نعمة فمن الله) [النحل ٥٣] .

والنعم التى يقع الشكر عليها ثلاثة أقسام : دنيوية ، كالصحة والعافية والمال الحلال ، ودينية ، كالعلم والعمل والتقوى والمعرفة . وأخروية ، كالثواب على العمل القليل بالعطاء الجزيل . وأجل النعم الدينية التى يتأكد الشكر عليها نعمة الاسلام والايمان والمعرفة ، وشكرها هو اعتقاد أنها منة من الله تعالى بلا واسطة ولا حول ولا قوة ، قال تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة) [الحجرات ٧] فلو قلب قلوبنا فى الشك والضلال كما يقلب نياتنا فى الأعمال ، أى شىء كنا نصنع ؟ وعلى أى شىء نعول ؟ وبأى شىء كنا نطمئن ونرجو ؟ فهذا من كبائر النعم ، ومعرفته هو شكر نعمة الايمان .

١ — فى الأصل « فزوالها » .

٦٥ — خف من وجود احسانه اليك ، ودوام اساءتك معه ، أن يكون ذلك استدراجا لك (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) .

فَخَفْ من إستدراجِهِ (١) عند النِعَمْ
وأنت دو إساءَةٍ فإخشَ النِقَمْ
وآذكُرْ عليه آيهَ إستدراجِ (٢) ثُمّ تأهَّبْ بعدُ بالعلاجِ
وذاكَ ذكرُ شكرِهِ والتوبةُ من المعاصِي وإليه الأوْبَةُ

* ● *

---

١ — الاستدراج : هو كون المحنة فى عين المنة ، وهو مأخوذ من درج الصبى : أى اخذ فى المشى شيئا فشيئا ، ومنه الدرج الذى ترتقى عليه الى العلو ، والمستدرج : هو الذى تؤخذ منه النعمة شيئا بعد شىء وهو لا يشعر .

فالانسان لابد أن يخاف من دوام الاحسان اليه بالصحة والفراغ وسعة الرزق ودوام الامداد الحسية أو المعنوية مع دوام اساءته معه بالغفلة والتقصير ، وعدم شكره لله تعالى أن يكون ذلك استدراجا منه تعالى حيث قال تعالى : (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [القلم ٤٤ — الأعراف ١٨٢] وقال تعالى (وأملى لهم ان كيدى متين) [الأعراف ١٨٣ — القلم ٤٥] وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) [الأنعام ٤٤] وقال تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خير لأنفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) [آل عمران ١٧٨] .

فالواجب على الانسان اذا أحس بنعمة ظاهرة أو باطنة حسية أو معنوية أن يعرف حقها ، ويبادر الى شكرها نطقا واعتقادا وعملا : فالنطق : الحمد والشكر باللسان ، والاعتقاد : شهود المنعم فى النعمة واسنادها اليه ، والشكر بالعمل : صرف النعمة فى طاعة الله ، فان لم يقم بهذا الواجب خيف عليه السلب والاستدراج .

٢ — وهى قوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) [القلم ٤٤ — الأعراف ١٨٢] .

٦٦ — من جهل المريد أن يسىء الأدب ، فتؤخر العقوبة عنه ، فيقول : لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب الابعاد ، فقد يقطع المدد عنه من حيث لا يشعر ، ولو لم يكن الا منع المزيد ، وقد يقام مقام البعد ، وهو لا يدرى ، ولو لم يكن الا ان يخليك وما تريد .

فحيثما المريدُ ساءَ فى الأدَبْ(١) ... وقال : لو أسأتُ شيئاً لَذَهَبْ
ما عندَ ربىّ لى من إمْداد ... وأوْجَبَتْ إساءتى إبْعادى
وذاك من تأخّر العُقُوبَة ... فهو جَهُولٌ جَهْلَةَ العُقُوبَة
مَسْتَدْرَجٌ لو أنَّهُ يَقْظَانُ ... رَكِبَهُ الخُسرانُ والنُّقْصَان
سوّلَتْ النفسُ لـه ظُنُوناً ... لو أنَّهُ يعْلَمُهُ مَغْبُونا
فيالَهُ مِنْ أقْبَحِ التأْوِيلِ ... يحكمُ فى غَوَامِضِ الجَمَايِلِ
يَغْتَرُّ بالصبرِ من الصَبُورِ ... ولا يخافُ نقمةَ الغَيُورِ
مَحَطُّ نظرِ العُبّادِ هذا ... على النفوسِ حيل إستحواذاً

---

١ — ومواطن الآداب التى يخل بها المريد فيعاقب عليها أربعة : آداب مع الله ، آداب مع رسول الله ، آداب مع الشيخ ، آداب مع الاخوان .

فاما الآداب مع الله تعالى ، فامتثال أمره واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره وايثار محبته ، وحفظ الحدود والوفاء بالعهود ، والرضى بالموجود ، فان أخل بشىء من هذه الأمور ، وأساء الأدب مع ربه ، فليبادر بالتوبة والاعتذار مع الذلة والانكسار ، فان أخر التوبة الى وقت آخر انقطعت عنه الامداد واستوجب الطرد والبعاد ، وقد لا يشعر بذلك فى الحين فيحتج لنفسه ، ويقول : لو كان هذا سوء أدب لانقطع عنى المدد ، وهذا منه جهالة وجهل ، أما الجهالة : هى سوء الأدب الذى صدر منه ، أما الجهل : هو مخاصمته عن نفسه وانكار أن يكون ما صدر منه سوء أدب . وأما الآداب مع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فاتباع السنة ومجانبة البدعة ، وايثار محبته ، والاهتداء بهديه ، والتخلق بأخلاقه . أما الآداب مع الشيخ : فبامتثال أمره ، والسكينة والوقار فى الجلوس بين يديه ، والمبادرة الى خدمته ، ودوام حضور مجلسه ، والاعتقاد بأنه أهل للتربية ، وحفظ حرمته غائبا وحاضرا ، وأما الآداب مع الاخوان : فبحفظ حرمتهم غائبين أو حاضرين ، ونصيحتهم بتعليم جاهلهم وارشاد ضالهم ، والتواضع لهم وخدمتهم بقدر الامكان ، وحسن الظن بهم .

إســاءة الالاءِ والتَعَــامِي ... من كلّ مِثْلَبٍ عليها نامِي
فحقُّهُ خدمةُ شيخٍ عارفٍ ... يُطيعُهُ فى سائرِ المواقفِ
أجمعتْ الشُيُوخُ أنَّ كلَّ مَنْ ... لم يخدِمِ العارفَ فهو فى المحَنْ
وسئل الدقاق(١) ، والثورى(٢) ... والواسطى(٣) وكذا النورى(٤)

---

١ — أبو على الدقاق : هو الحسن بن على النيسابورى الشافعى قال المناوى كان لسان وقته وامام عصره كان جنيدى الطريقة آخذ مذهب الشافعى — رضى الله عنه — عن القفال والحصرى وغيرهما وبرع فيه ثم أخذ فى العمل وسلك طريق التصوف وأخذ عن النصر أبا ذى وذكر له كرامات توفى سنة ٤٠٥ أو ٤٠٦ المناوى الكواكب الدرية فى تراجم السادة الصوفية للشيخ عبد الرؤوف المناوى ٦٢/٢ .

٢ — الثورى : هو سفيان بن سعيد الثورى ، قال الشعرانى فى الطبقات : كانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث توفى بالبصرة سنة ١٦١ هـ وكان رضى الله عنه عالم الامة وعابدها وزاهدها ، ترجم له معظم المؤرخين ، وأشادوا بفضله وعلمه وزهده ، وصلاحه ، وقال الشيخ عبد الحليم محمود فى كتابه « سفيان الثورى أمير المؤمنين فى الحديث » لقد كان سفيان يحث على الكسب الطيب وهو ما نكسب بيدك ويدعو الى الزهد ، ومن حثه على الكسب والعمل وصيته لعلى بن الحسن حيث قال : يا أخى عليك بالكسب الطيب ، وهو ما تكسب بيدك ، وإياك وأوساخ الناس أن تأكله أو تلبسه ، فالذى يأكل أوساخ الناس هو يتكلم بهوى (أى يتكلم بهوى من ينصدقون عليه منحرفا عن الحق) ويتواضع للناس مخافة أن يمسكوا عنه .. ويا أخى جوع وقليل من العبادة خير من أن تشبع من أوساخ الناس وكثر من العبادة .

حلية الأولياء ٣/٧ — سفيان الثورى ص ١٥٤ .

٣ — أبو بكر الواسطى : هو محمد بن موسى من كبار أتباع الشيخ جنيد البغدادى ، وهو فرغانى الأصل قال المناوى : كان رفيع المقدار عالى المنار ، وكانت جماعته الذين يحضرون ورده كل يوم خمسة آلاف ، ولم يتكلم أحد مثله فى أصول التصوف توفى بمرور سنة ٣٢٠ . الكواكب الدرية ٥٥/٢ .

٤ — النورى : هو أبو الحسين أحمد بن محمد النورى البغدادى ، قال ابن الملقن : لم يكن فى وقته أحسن طريقة منه ، ولا ألطف كلاما ، صحب السرى السقطى وأحمد بن أبى الحوارى وكان من أقران الشيخ جنيد البغدادى ، مات قبل الشيخ جنيد فى سنة ٢٩٥ هـ والنورى نسبة الى نور بليدة بين بخارى وسمرقند ، قيل يقال له : النورى لحسن وجهه وجماله . طبقات الأولياء لابن الملقن ص ٦٢ .

عن سبب يقوّمُ الرجالاَ ... من بعد إعوجاجهم مآلّ
فالتجأوا إلى الامام العارف ... عن العيوب والشلوب صارف
يا أيها المريدُ حظكَ الأدبُ ... ولا تظنّ مامضى فهو العطبْ
فالله قد يقطعُ منك المدَدَ ... من حيثُ لاتشعر وأسلكْ رَشداً
لو لم يكنْ ذاكَ إلاّ مُوضعكَ ... عن المزيد أو يِ الى وَضَعْكَ
عن المزيد فى عاوم النهّج ... ونور إيمان به مُبْتَهج
ورؤيةُ الجلال والجمال ... والقطعُ فى الأعمال بالأغلال
وأوجهُ الاخلاص بإختصاص ... ذاك مزيدٌ مُوجبُ الاخلاص
وقد يقامُ العبدُ فى مراده ... مستدرجاً وسدّ بإنطراده
يامَنْ تواترتْ له إمدادُهُ ... فى طرْدَه وقد أتى مُرادَهُ
إلْجأ إلى الله وخفْ من صدّه ... من حيثُ لايُدْرى بأقصى بعده
ذاكَ هو استدراجُهُ الحقيقى ... بل مكرُهُ فى بحره العميق
قال الجُنيْدُ : إنّ مايخادِعُ(١) ... من ألطف الإشياء ما يتابعُ
فيه الكرامات التى للاوليا ... أو المعونات لقوم أصْفيا
فقد تكونُ خدعاً ومكراً ... ولو توالتْ كلّ حينَ تتْرَى
فخشيةُ إستدراجها نجاتُهُمْ ... من مكْرها ولا لها إلتفاتُهُمْ

* ● *

١ — فى الأصل « انما يخادع » والشيخ جنيد قد سبق ترجمته .

٦٧ — اذا رأيت عبدا أقامه الله تعالى بوجود الأوراد ، وأدامه عليها ، فلا تستحقرن ما منحه مولاه ، لأنك لم تر عليه سيما العارفين ، ولا بهجة المحبين فلولا وارد ما كان ورد .

وكلّما إحتقرتَ قوماً أدْرجُوا ... فى طاعةٍ أنتَ بهِ مُسْتَدْرَجُ
ولا تُهِنْ من كانَ فى الاسلامِ ... تكونُ فى شقاوةِ الإيامِ
ومقتُ مولاك على المحْتَقِرِ ... لمسلمٍ فلا تَحِدْ عن أثرِ
إذا رأيتَ العبدَ قد أقامَهُ ... فى دائمِ الأورادِ فإستدامَهُ
فحيثما احتقرتَهُ مَمْقُوتُ ... ألا ترى قد زانَهُ نُعُوتُ
سيماً كرام عارفين إذ لَمْ ... تُشْهَدْ عليه وهو فى تكرُّمْ
فمَنْ يُدِمْ هكذا محفُوظُ ... بقُربِه ونصرهِ ملحُوظُ
وهو فى المحبوبِ ذو إختصاصِ ... فمَنْ أهانَهُ شقِيٌّ قاصِ
لا سيّما مَنْ إنتمى للأوليا ... أو كانَ فى أحوالِهِ مُتَقِيّاً
فإنّه أذاهُ سُمٌّ قاتلُ ... واللهُ فى إنتصارهِ مقاتِلُ
وربّما حلَّ بهِ التقديرُ ... فيذنبُ الكبيرَ والصغيرَ
لكنّهُ من بَعْدِهِ توّابُ ... ولا هناكَ النقصُ والثواب
فعَظِّمْ الشيوخَ والمريدَ ... ووَقِّرِ المرشدَ والرشيدَ
وإقبلْ من الجميع ما أتَوهُ ... ولا تلكُ المنكرَ مَنْ قَلَوْهُ
فمنكرُ القومِ هو الشقِيُّ ... معاتبٌ مُعَذَّبُ قَصِيُّ
فى هذه الدُنيا وفى عقباهُ ... إن لم يُسامِحْ بعده مولاه
وسَلِّمْ الأمْرَ لهم جميعاً ... واخضعْ لهم ما كنتَ مُسْتَطِيعاً
وإخدِمْهُمُ فهمْ عبادُ الكرمِ ... وأحضرهم تَفُزْ بغيرِ النِعَمِ(١)

---

١ — هكذا كان البيت مكتوبا ، لكن الاوفى للمعنى أن يكون هكذا :
واخدمهم فهم عباد كرماء ... واحضرهم تفز بفوز النعما

ولا تُبَايِنْهُمْ وعاشرهُمْ أبد ... ولا تُخالِفْ منهم قطُّ أحدْ
يحبُّهمْ فابغِ رضاء الله ... مُنْتَظِراً بهيمْ ولاءَ اللهِ
هم الذين يَسْعَدُ الجليسُ ... لأجلهم لا سيّما الأنيسُ
مَنْ نصبَ الرحمنُ شيخاً فله ... من عنده كرامةٌ خوَّلَهُ
مُنْتَسِباً لله ما إستطاعَ ... أظهر فى طريقه إنقطاعاً
يصدُقُ أمْ يكذبُ فهو أهلُهُ ... وإن يكنْ لا يستجابُ قولُهُ
لكنَّهُ تعيَّنَ إحترامُهُ ... وواجبٌ من بيننا إكرامُهُ
فإن توفرتْ شروطَ القُدْوَةِ ... فذَاكَ ، أوْ لاما إستحق أُسوةً
لكنَّه إستحقَّ تعظيماً لَه ... واللهُ لإنتسابِهِ فضَّلَهُ
بيَّنَّه له مِنْ العِنَايَةِ ... وجودَ أورادٍ له ولاية
فإنَّه لولا وُرُودُ الوارِدِ ... فكيفَ للوِردِ الشريفِ يَهْتَدِى
فهو بتعظيمِ العظيمِ مُعْتَنِى ... مفتقرٌ إلى جنَاب بِهِ الغنَى
فالحقُّ مُعْتَنٍ بِهِ فعَظِّمُوا ... من إعْتنى بِهِ الإلَهُ تَغْنَمُوا
ولا تَهِينُوهُ فإنَّهُ إنتسبْ ... لربِّهِ تَلْقَوْا بِهِ سوءَ العطبْ

* ● *

٦٨ — قوم أقامهم الحق لخدمته ، وقوم اختصهم بمحبته (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا) .

ومنهم الذى أقامَ الحقّ ... لخدمةٍ هُمُ العُبَّادُ الصُّدُقْ
وبعضهم خَصَصَهُمْ بحبِّهِ ... أجْلَسَهُمْ على كراسى قُرْبِهِ
فالأولونَ أصبحُوا أقساماً ... ثلاثة أعُدُّهُمْ تماماً
فمنهم العُبَّادُ والزُهَّادُ ... وأهلُ طاعةٍ لهم سَدَادُ

فالأوّلُ الذى يُحَقِّقُ العملْ ... لغرضٍ وهو تحصيلُ الأمـلْ
والزاهدُ المُدْبِرُ عن مَلاَمَةِ ... وجانبَ الخلقَ على السلامة
والثالثُ المكثرُ للأعمـالِ ... فى ساعةِ الغُدُوِّ والأصالِ
وهكـذا أقسـامُ أوليانا(١) ... ثلاثـةٌ بـه مخصصينـا
أعظمُهُمْ فانٍ لدى الوُصُولِ ... أهلُ إجتباءِ اللهِ والقَبُولِ
تاليهُمُ العـارفُ ناظراً له ... فى كلِّ شىءٍ فتحقَّقْ فَضْلَهُ
والثالثُ المحبُّ مَنْ آثرَهُ(٢) ... على سواهُ دائمـاً حاوَرَهُ
كُلاً نمـد(٣) هؤلاءِ بالعَطـا ... وهؤلاءِ ماهم حُجِبُ الغيطـا

* ● *

١ — فى الأصل « أولينا » .
٢ — فى الأصل « من آثاره » .
٣ — فى الأصل « كلا غدى » .

البـــاب الثامن

٦٩ — قلما تكون (١) الواردات الالهية الا بغتة لئلا يدعيها العباد بوجود الاستعداد .

الواردُ : تَنَزُّلُ العرفانِ (٢) على القلوب وهَوَى الرحمانى
يوجبُ تأثيراً و تعظيماً لها يوجبُ للقلوبِ أن تنتبه (٣)
وقلَّ أن يجيءَ ذاك الواردُ إلاّ على الفجأةِ غَيبَ واردُ
صيـــانةً للواردات النـــازلةِ أن يدّعيها القلوبُ الجاهلةُ
بعلّـــةِ القبـــولِ واستعدادِ وبثّها يُفْضى إلى الإفساد
فصانهـــا لأنّهـــا عزيزةٌ من العزيزِ أنزلتْ حَرِيزا
وكلّمـــا كان من العـــزيز فهو عزيزٌ صِينَ عن تبريز
وإنّهـــا أسرارُ إختصـــاصٍ وهو شريفٌ فى مقامٍ قاصٍ
لو بُذِلَتْ أسرارُهُ لبطلتْ أسرارُ تخصيصٍ من حيث إنجلتْ
وإنّها توجبُ تعظيماً لهـــا لأنّهـــا كرامـــة أنزلهـــا
ومنّـــةُ شُكرانُها إخفاؤها عَطيّـــةٌ كفرانُها إبداؤها
قيل : إذا النعماءُ عمّتْ كفرت وصُغِرَتْ وإن تخصّتْ شُكِرَتْ
فهى إذاً أحقُّ بالإخفـــاءِ وكَتْمُهَا أعجبُ من إبداءِ

* ● *

---

١ — وفى نسخة « قل ما تأتى الواردات الالهية » .
٢ — فى الأصل « التنزل العرفانى » .
٣ — فى الأصل « أن تنتبها » .

٧٠ — من رأيته مجيبا عن كل ما سئل ، ومعبرا عن كل ما شهد ، وذاكرا كل ما علم ، فاستدل بذلك على وجود جهله .

فمَنْ رأيتَهُ مُجيباً حَيْثُمَا ... سُئِلَ عن الشيءِ ولو قد عَلِمَ
أو ذاكراً جميعَ ما يَعْلَمُهُ ... مُعَبِّراً عن كلِّ ما يفهَمُهُ
فهو جَهُولٌ . واستدلّ عليه ... لأوجُهٍ ثلاثةٍ لديه
أحدُها قد تَرَكَ المراقَب ... فليس كلُّ سائلٍ يُجَاوَب
ولا لكلّ كلُّ عالمٍ يذكرُ ... وكلُّ مشهودٍ فلا يعبّرُ
فهؤلاء ليسَ بالوارِدِ ما ... أتَوْا بهِ والقلبُ في طيِّ العَمَا

قال(١) علىّ حدّثوا الناسَ بما
تفهمُ ، أولا كذّبوا مَنْ في سما

إنّ حقائقاً تضرُّ الجُهَّلاَ ... كما يضرُّ ريحُ مسكٍ جُعَلاَ
ثانيها(٢) تعذّرُ الإحاطةِ ... عند الجوابِ لم يكنْ بَسَاطَةُ
وإنّه إضاعةٌ للعامِ ... لبذلِهِ في غيرِ أهلِ الفَهْمِ
وإنّه لا تُدْرِكُ العبارةُ ... جميعَ ما تثبتُهُ الإشارةُ
فأدّتْ العبارةُ الخِلافَ ... من قصدِهِ فانشأتْ جِزافاً
لذا ترى جماعةً تحقّقُوا ... للهِ عندَ النَّاسِ قد تَزَنْدَقُوا
ثالثُها الأوقاتُ والمواضعُ ... مختلفانِ والمقامُ واسعُ
فربّما مسألةٌ تَليقُ ... بالذكرِ في وقتٍ ولا تليقُ

---

١ — روى عن الامام على — كرم الله وجهه — أنه قال : حدث الناس بما يفهمون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ايقاظ الهمم ص ١٤٣ .

٢ — في الأصل « نانيهما » .

فى غـــيره ورُبّ علم يخطبُ
فى موضعٍ لا دُونَه . بل يُحْجَبُ
ورُبّ مشهودٍ يصحُّ ذكرُهُ ويستحقُّهُ فتىً لا غـــيرُهُ
وفى زمانٍ لا زمان والنسَبْ
كثيرةُ الخُلْفِ لِخُلْفٍ فى السبب

* ● *

فى تأخير الثوابِ إلى يومِ القيامةِ

٧١ — انما جعل الدار الآخرة محلا لجزاء عباده المؤمنين لأن هذه الدار لا تسع ما يريد أن يعطيهم ، ولأنه اجل اقدارهم عن أن يجازيهم فى دار لا بقاء لها .

وحاملُ التعبيرِ لإستظهارِ للميلِ والإقبالِ والإيثارِ
وجهلُه بدارِهِ البـاقيّةِ وحُبّـهُ لدارِهِ الفانيـةِ
فلم يُعَظِّمْ ما الإلهُ عظّمَ فمّا أعِدَّ فى المعادِ حيثمَا
إصيّرَ عُقْبانَا محـلاّ للجزا لكونِ ذا الموضعِ شيئاً موجَزاً
لا تسـعُ الدنيـا الـذى يمنحُهُم
— فالمؤمنُونَ — جـلّ ما يَسْتَحُهُمْ
والله قد أجَلّ أقدارهُمُ عن المجازاتِ بدارٍ لَهُمُ
ليسَ لها البقاءُ والفنا لها فَفَضْلُهُ الواسعُ ليس أهْلُها

* ● *

٧٢ — من وجد ثمرة عمله عاجلا ، فهو دليل على وجود القبول آجلا .

٧٣ — اذا اراد ان تعرف قدرك عنده ، فانظر فيما ذا يقيمك .

وللجـزا مقـدّماتٌ وهي ثمرةٌ وُجْدانُها ما أخْتُفِيَا
ذاك دليـلٌ لقبولِ العمـلِ وعبّروا عن ذاك بالمعجّلِ
فكلُّ مَنْ أصبحَ واجدَ الثمر معجّلا فهو دليلٌ معتبر
على القبولِ فالحيـاةِ الطيبةِ معجّلانِ فضلهُ المستوجبَةِ
ومنه فقدُ الحُزْنِ والخوفِ له وأن يرى خِلافَـةَ اللهِ له
كمـا أتى بنصّـهِ القرآن(١) وإنّمـا عجّـلهُ الرحمنُ
حتّى يرى العبدُ مقاماً عنده فإن أردتَ أن تراك عندَهُ
قدراً فعَيِّنْ قدرَه عندك هلْ كان مقيماً لك في خيرِ العَمَلْ
فهو مُهينٌ لك إن وجّهكَ لهـذهِ الدنيا ما أجهلكَ(٢)
أو كنتَ مشغولاً بغيرهِ فمن
صَرَفَكَ عن كونِكَ إنساناً فَطِنْ
وهو معينٌ لك حيث إستعملك بالصالحاتِ حينَ أزكى عملك
وهو مريدٌ لكَ مهمـا فتحَ باباً من العرفانِ فأبْهِجْ فرحاً
وهو الذي أنتِ مقربٌ لـه إن كنتَ من عبودةٍ ناجيتَهُ

---

١ — اشارة الى قوله تعالى (الحمد لله الذي اذهب عنـا الحزن) [فاطر ٣٤] ، وقوله تعالى (الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

٢ — في الأصل « لمـا اجهلك » .

وهو الذى هداك إن وَجَّهَكَ ... إلى البلايا وبها ولَّهَكَ
إن صَرَفَكَ عن غرضٍ أدَّبكَ ... وإن رضيتَ عنه قد أحبَّكَ
ذلك قطبُ كلِّ بابٍ فإعلم ... ذلك ، تَعْرِفْ أقلاَّ أمْ أكرَمَ

* ● *

٧٤ — متى رزقك الطاعة ، والغنى به عنها ، فاعلم أنه قد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة .

خيرُ كرامات بأخذ أمرِه ... بظاهرٍ مُسْتَسْلِماً لقهرِه
وحيثما الغنى عن الطاعة قد ... مَنَّ بِهِ عليكَ فهو المُرْتَصَدْ
وأسْبَغَ النعما عليك ظاهرةً ... ووفَّرَ الآلاءَ عليك باهرةً(١)
من حيثُ لا ترجو على طاعاتِه ... إلاَّ إبتغاءً منك فى مَرْضاتِه
فهو عُبُودَةٌ تَمَحَّضَتْ ... من الـ
ـأغراضِ ، وهى فى العباداتِ عِلَلْ
فالنعمةُ العُظْمى هى التحقُّقُ ... والرحمة الكبرى هى التخلُّقُ
بما برَاكَ فيه من عُبُودَةِ ... وهى لكلِّ عارفٍ مقصودَةُ

* ● *

---

١ — الطاعة فى الظاهر : هى رسوم الشريعة ، والغنى به فى الباطن : هو شواهد الحقيقة ، فاذا جمع لك بين الطاعة فى جوارحك ، والغنى به عنها فى باطنك ، فقد أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة ، وهى سيما العارفين المقربين ، فالنعم الظاهرة : هى تزيين الجوارح بالشريعة ، وقيل : هى الكفاية والعافية وقيل : هى راحة البدن من مخالفة أمر الله ، والنعم الباطنة : هى اشراق الأسرار بالحقيقة ، وقيل : هى الهداية والمعرفة .

البـــاب التاســـع

٧٥ ــ خير ما تطلبه منه ، ما هو طالبه منك .

وإفْنِ بمولاكَ في الطاعاتِ مُنْكَسِراً له على الفاقاتِ(١)
فاللهُ قـــد أراد منّـــا ذلك وخـــيرُ ما تَطْلُبُهُ كذلك
ما هو منك طالبٌ وهو الغَنَا باللهِ عن طاعاتِهِ فابغِ المُنَا

* ● *

٧٦ ــ الحزن على فقدان الطاعة ، مع عدم النهوض اليه ، من علامات الاغترار .

ثمّ الذي الطاعـــةُ تقتضيهِ تلهّفُ القلبِ بحزنٍ فيـــه(٢)
وهو على فُقْدانِها من حيثُ لا يَنهضُ للطاعاتِ حالُ الجُهّلا
وهو إغترارٌ لم يُفِدْ تشميراً من أجلِ ما مضى له تقصيراً
ولو أفادَ الحزنُ لأستأنفه وتابَ عن غفلةِ ما أسْلَفَهُ

---

١ ــ الذي طلبه منا ربنا ــ جل جلاله ــ هو امتثال أمره ، واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره ، والاستسلام لقهره ، فالأكمل للعارف أن يستغني بعلم الله ، ويكتفي سؤال الحال عن طلب المقال ، فاذا طلب من الله فليطلب منه ما طلبه الله منه . وهو الطاعة والاستقامة .

٢ ــ الحزن : هو التحسر على الشيء ، فان حزن الانسان على شيء منع منه ونهض الى اسبابه الموصلة اليه فهو صادق في حزنه ، لكنه اذا لم ينهض الى اسبابه الموصلة فهو كاذب في حزنه ، لأن البكاء ليس بتعصير العيون ، وانما البكاء ان تترك الأمر الذي تبكي عليه ، وقيل : لا يغرنك بكاء الرجل ، فان اخوة يوسف جاءوا اباهم عشاء يبكون ، وقد فعلوا ما فعلوا .

وحيثُ لم يُفْـــدهُ فهو عُجْبُ
ورؤيةُ النفسِ مظنّ القُرْبِ(١)
ففى الحديث إنّ ذا نفاقِ يملكُ للدمعِ على إطلاقِ
فكنْ حزيناً لإنتفاءِ المعرفةِ باللهِ وإنْسِ مناك ذاتاً وصفةَ

* ● *

٧٧ — ما العارف من اذا اشار وجد الحق اقرب اليه من اشارته ، بل العارف من لا اشارة له ، لفنائه فى وجوده ، وانطوائه فى شهوده .

فحيثما أشـارَ عارفٌ إلى حقيقةِ الأشياءِ والحقُّ إنجلى
وظهر اللهُ له مِن قبلِها فليسَ عارفٌ مصيباً وإنتهى(٢)
لكنّما العارفُ من ليس له إشـارةٌ وربُّـهُ أذْهلَهُ
منطوِياً للهِ فى شُهودِهِ وفانياً باللهِ عن وُجُودِهِ
إذ الإشاراتُ إلى الحقائقِ تشعرُ بالـكثرةِ والعـلائقِ
وقلبُ كلِّ عارفٍ مكمّلِ مجـرّدٌ بالحقِّ والتبتّـلِ
وإن أشرقَ لإضرارِ فأشِر للخوفِ والرجا وإعمل تنجبرا

* ● *

---

١ — فى الأصل « فظن القرب » .

٢ — فى الأصل « فليس عارفا مصيب وانتها » .

٧٨ — الرجاء ما قارنه عمل ، والا فهو أمنية .

ثم الرجا(١) مقارن للعملِ ... أوْلا فذا أمنيَّةُ المُختَبَلِ
إذ هو عُلْقُ القلبِ بالمطْمُوعِ ... مستقبلاً لعاملِ خضوعِ
وأنظرْ لرؤيا الشارحِ الهُمامِ ... بقِصَّتِهِ مع شيخه الإمام(٢)
قال : فحيثُ قلتُ : هي أمنيَّةُ ... يقولُ شيخي : لا هي المَنِيَّةُ
فأصبحَ الشارحُ ثمّ عبَّر ... عَنْهُ فبانَ ما الإمامُ أظهر
فالشاذلي(٣) صَيَّرَ الأمانى ... أوْدِيةَ حبائلِ الشيطانِ

* ● *

---

١ — فى الأصل « ثم الرجا مقابل » .

٢ — هذا اشارة الى ما قاله الشيخ أحمد زروق شارح الحكم العطائية قال : وقد رايت ليلة كأنى اقرأ هذه الحكمة على شيخنا أبى عبد الله الغورى فى المنام ، فكلما قلت : أمنية ، قال : أو منية . فلما تأملت ذلك وجدته كما اشار اليه ، وأن الأمنية عين المنية لثلاثة أوجه :

احدها — أن كلا منهما معطل للحياه حسا ومعنى . الثانى — انهما عائدان بالخيبة فى المستقبل . الثالث — انهما يرفعان لحصول الفائدة فى الجملة . قرة العين ٢٥٨/١ .

٣ — هذا القول منسوب الى الحسن البصرى — رضى الله عنه — ونسبته الى الشيخ ابى الحسن الشاذلى خطأ ، وهذا الخطأ — والله أعلم — انما جاء نتيجة الاشتباه بين الاسمين وهما : الحسن ، وابو الحسن ، فشراح حكم العطائية كلهم ينسبونه للحسن البصرى ، لا لأبى الحسن الشاذلى ، ونص هذا الكلام : يا أيها الناس اتقوا هذه الامانية فانها أودية الشياطين ، و فى بعض النسخ : أودية النوكى ، وفى بعض النسخ أودية النلون . أنظر قرة العين ٢٥٨/١ ، وشرح الشيخ ابن عباد ٩٤/١ بلفظ فانها أودية الهلكة وايقاظ الهمم ص ١٥٨ .

٧٩ — مطلب العارفين من الله تعالى : الصدق فى العبودية ، والقيام بحقوق الربوبية .

ثمّ الحكيمُ فى بواعثِ الطلبْ لمّا إنتهى بيّنَ خيرَ مَنْ طلبْ
فطلبُ العارفِ من مولاهُ صدقُ عبوديّتِهِ كما هوُ
معبُودُهُ ثمّ قيامُهُ فى حقِّ ربُوبيّتِهِ المُستكْفى

* ● *

٨٠ — بسطك كى لا يبقيك مع القبض ، وقبضك كى لا يتركك مع البسط ، وأخرجك عنهما كى لا تكون لشىء دونه .

فبعدَ أن عرفتَ ما يَغْبِطُهُمْ
عرفتَ ما يَقْبِضُ(١) أو يَبْسُطُهُمْ

---

١ — البسط : فرح يعترى القلب أو الروح ، اما بسبب قرب شهود الحبيب ، أو شهود جماله ، أو بكشف الحجاب عن أوصاف كماله ، أو بغير سبب .

والقبض : حزن وضيق يعترى القلب ، أما بسبب فوات مرغوب ، أو عدم حصول مطلوب ، أو بغير سبب ، وهما يتعاقبان على السالك تعاقب الليل والنهار ، فالعوام اذا غلب عليهم الخوف انقبضوا ، واذا غلب عليهم الرجاء انبسطوا ، والخواص اذا تجلى لهم ربهم بوصف الجمال انبسطوا ، واذا تجلى لهم بوصف الجلال انقبضوا ، وخواص الخواص استوى عندهم الجلال والجمال فلا تغيرهم واردات الاحوال .

واعلم ان القبض والبسط لهما آداب ، فمن أساء فيهما الآداب طرد الى الباب ، فمن آداب القبض : الطمأنينة والوقار ، والسكون تحت مجارى الأقدار ، والرجوع الى الواحد القهار ، فان القبض شبيه بالليل ، والبسط شبيه بالنهار ، ومن شأن الليل الرقاد والهدوء والسكون ، فلابد للانسان المسلم أن يسكن تحت ظلمة ليل القبض حتى تشرق عليه شمس نهار البسط ، اذ لابد لليل من تعاقب

فالقبضُ والبسطُ خلافُ الأدبِ ... وفيهما كنتُ بحالِ الأدبِ

يقبضُكَ اللهُ لئلاَّ تبقى ... فى البسطِ فاستقِمْ بقلبٍ أتقى

وعقّبَ البسطَ بقبضٍ مولج ... حتّى ترىَ ضياءَ ليلٍ دلَجَ

ثمّ عنْ الحالين قد أخرجَكَ ... وفى فناهُ المحضِ إذ أدرجَكَ

كيلا ترى بعينِ قلبٍ دُونَهُ ... والصادقُونَ هكذا يبغُونَهُ

فأنت فى قبضَتِهِ البسيطةِ ... وفى مدَا قُدرَتِهِ المحيطةِ

فحيثُ لم تبقَ بما تهواهُ ... ولا بقيتَ فى الذى تخشاهُ

فقد تحققتَ الذى لهُ الفنَا ... ليس جديراً أن يكونَ مُعتنى

فالأمرُ من غيرِ الإلهِ حتْماً ... لذاكَ فى الحالين قد صُرفْنا

مآلُها لِما مَضَى العبارةُ

ولابد للنهار من تعاقب الليل ، قال تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) [الحج ٦١] .

ودواء القبض أن يقول المقبوض : الله الله لا اشرك به شيئا ، كما ورد فى الحديث .

ومن آداب البسط : كف الجوارح عن الطغيان ، وخاصة اللسان ، فان النفس اذا فرحت بطرت .

المراد بتجلى الله بوصف الجمال : اسداء النعم ، والمراد بتجليه بوصف الجلال : وجود البلاء والمحن .

١ — روى أن الشيخ جنيد — رضى الله عنه — قال : الخوف يقبضنى ، والرجاء يبسطنى ، والحقيقة تجمعنى ، والحق يفرقنى ، اذا قبضنى بالخوف أفنانى عنى ، واذا بسطنى بالرجاء ردنى على ، واذا جمعنى بالحقيقة أحضرنى ، واذا فرقنى بالحق أشهدنى غيرى ، فغطانى عنه ، فهو فى كل ذلك محركى غير مسكنى ، وموحشى غير مؤنسى ، بحضورى لذوق طعم وجودى ، فليته أفنانى عنى فمنعنى ، أو غيبنى عنى فروحنى . ايقاظ الهمم ص ١٦٣ .

والقبضُ والبسطُ لدى الفَنَاءِ بِمَعْزِلٍ لا سيّما البَقَاءِ
فأصبحا علامةً للناقصِ فاجْهَدْ صعيداً للمقامِ القالِصِ

* ● *

٨١ — العارفون اذا بسطوا أخوف منهم اذا قبضوا ، ولا يقف على حدود الأدب فى البسط الا قليل .

والعارفونَ فيهما أجْنَاسُ أعظمُهُمْ خَشْيَتُهُ أساسُ
فالعارفون الباسطُونَ أخوفُ من حالِ قَبْضِهِمْ وخيفَ الصلفُ
فحيثما واجَهَهُمْ جمالُ لم يُنْسَ فى وجُوهِهِمْ جَلالُ
وحيثما واجههم جلالُ يُدْرَكُ بعد ذلك الجمالُ
فلا يَصِلُون إلى مقامٍ ولا لحالٍ فإسمَعُوا كلامى
إنّ الذى يدومُ فى حدِّ الأدبْ فى بسطِهِ أىَّ قليلٍ ذو الأدَبْ
إذ هو موجبُ المرادات على إرسالِ نفسٍ فى مُلائِمٍ تَلاَ
فربّما تحرّكتْ لِدَعْوى ونسيتْ هو البعيدُ سهواً

* ● *

٨٢ — البسط تأخذ النفس منه حظها بوجود الفرح ، والقبض لاحظ للنفس فيه .

وغالبُ البسطِ لنفس فيه وُجُودُ فَرَحٍ مع تَرْفِيهِ (١)

---

١ — فى الأصل « وجود فرح توفيه » .

والقبضُ لا حَظَّ لنفسٍ فيـه ... فحسبُ كلَّ عارفٍ بكفيه
والبسطُ فيه زلَّةٌ لا تُحْمَدُ ... والقبضُ خيرٌ وسليمٌ ويدُ
ووطّن العبدَ الأسيرَ فيما ... قبضته(١) مولاه المحيط حكما
وأنّى للعبدِ من البَسْطِ ولا ... عِلْمَ له بحكمِهِ الذى خلا
ولا بما يَفْعَلُ فى خاتمتِهِ ... مع جَهْلِهِ بسابقٍ من قِسْمَتِهِ
والقبضُ حقُّ اللهِ والبسطُ لَكَ ... فكنْ بِحَقِّهِ هو الأفضلُ لَكْ
وإنّما بسطُكَ مِنْ عَطاءِ ... وقد يكونُ ذاكَ مِنْ بَلاءِ

* ● *

٨٣ — ربما اعطاك فمنعك ، وربما منعك فاعطاك .

وربّما أعطاكَ ثمّ مَنَعَكْ ... فلا تَحُطَّ فى سواهُ طَمَعَكْ
وربّما فى منعِهِ أعْطَاكَ ... فإقْطَعْ رَجَاكَ عن سِوى مَوْلاكَ(٢)

* ● *

---

١ — فى الأصل « قبضته مولاه » .

٢ — الغالب على نفس الانسان أنها تنبسط بالعطاء ، وتنقبض بالمنع ، لأن فى العطاء متعتها وشهوتها،وفى المنع قطع موادها وترك حظوظها،وذلك لجهلها بربها وعدم فهمها ، فلو فهمت عن الله لعلمت أن المنع عين العطاء وان العطاء عين المنع ، لانه ربما أعطاك ما تشتهيه النفوس ، فمنعك بذلك حضرة القدوس ، وربما منعك ما تشتهيه نفسك ، فيتم بذلك حضورك وانسك . وربما أعطاك اقبال الخلق ، فمنعك من اقبال الحق ، وربما منعك من اقبال الخلق ، فأعطاك الأنس بالملك الحق ، وربما أعطاك عز الدنيا ، ومنعك عز الآخرة ، وربما منعك من عز الدنيا ، وأعطاك عز الآخرة ، وربما أعطاك خدمة الكون ، فمنعك من شهود المكون أو بالعكس . فاذا فهم الانسان هذه الحقائق علم ان المنع هو العطاء . قال تعالى (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خر لكم) الآية .

٨٤ — متى فتح لك باب الفهم فى المنع عاد المنع عين العطاء .

٨٥ — الأكوان ظاهرها غرة وباطنها عبرة ، فالنفس تنظر الى ظاهر غرتها ، والقلب ينظر الى باطن عبرتها .

وصورةُ العَطاءِ فى المنعِ متى ... أفْهَمَكَ اللهُ لمنعٍ ثبت

فعادَ ذاك المنعُ عَيْنَ العَطا ... وإنْفَتَحَ البابُ وزالَ الغِطا(١)

وأوجُهُ الفَهْمِ هناكَ عشرةُ ... فكلُّ كونٍ للعباد عِبْرَةُ

ظاهرُها لِعِبْرَةِ المفتكر ... باطنُها لفكرةِ المُعْتَبِرِ(٢)

مُشْتَغِلٌ بهـا هو المصروفُ ... فـلا تَبَسَّطْ إليها ياعفيفُ

---

١ — اذا فهم العبد عن الله ، وتحقق برحمته ورافته وكرمه وجوده ونفوذ قدرته واحاطة علمه ، علم أنه اذا سأله شيئا او هم بشىء أو احتاج الى شىء فمنعه الله تعالى منه ، فانما منعه من ذلك رحمة به واحسانا اليه ، اذ لم يمنعه من عجز ولا بخل ولا جهل ولا غفلة — حاشى لله تعالى عن ذلك — وانما المنع لحسن نظر اليه : واتمام لنعمته عليه ، لكونه أتم نظرا وأحمد عاقبة (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون) [البقرة ٢١٦] فربما دبرنا أمرا ظننا أنه لنا فكان علينا ، وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد ، والشدائد من وجوه الفوائد .

ومثال ذلك : كصبى راى طعاما حسنا او حلواء او عسلا وفيه سم ، وابوه عالم بما فيه ، فكلما بطش الصبى لذلك الطعام رده أبوه ، فالصبى يبكى عليه لفقد علمه ، وابوه يرده بالقهر لوجود علمه ، فلو عقل الصبى ما فيه من الضرر ما بطش اليه ، وعلم نصح أبيه وشدة رأفته به .

٢ — فى الأصل « ظاهرها لعبرة المفتكر ، باطنها لفكرة المعبر » .

فالأولياءُ حيثُ دنياهُمْ أتتْ
تَوَسَّعَتْ قالوا : ذنوبٌ قد مَضَتْ

وإن أتى الفقرُ فقالوا : مَرْحَبَا بما غدا شعارُ قومٍ قُرَبا
والنفسُ فى ظاهرِ كونٍ ناظِرة والقلبُ للباطنِ يلقى باصِرَةُ

* ● *

٨٦ — ان أردت أن يكون لك عز لا يفنى فلا تستعزن بعز يفنى .

إذا أَرَدْتَ عِزًّا ليس يَفْنى لا تَسْتَعِزَّنَّ بعزٍّ يَفْنى(١)
وعِزّ دنيانا سريعٌ فَانِ ألا ترى لسائرِ الأقرانِ

* ● *

٨٧ — الطى الحقيقى أن تطوى مسافة الدنيا عنك ، حتى ترى الآخرة أقرب اليك منك .

ياطالبَ الكرامةِ الباقيةِ من طَيِّ أرضٍ إنّها فانية
وإنّما الطيُّ الحقيقى كو نُكَ عن مَسَافَةِ الدنيا طَوى(٢)
حتى ترى أقربَ منك الآخِرَةُ إليك كى تَفْنَى الغُرُورُ الزاهِرَةُ

---

١ — العز الذى لا يفنى : هو العز بالله ، والغنى بطاعة الله ، والعز بالله يكون بتعظيمه واجلاله ، ومعرفته ومحبته ، وحسن الأدب معه فى كل شىء ، وعلى كل حال ، والرضى بأحكامه ، والخوف والحياء منه ، والعز بطاعة الله يكون بامتثال أمره واجتناب نهيه ، والاكثار من ذكره ، وبذل المجهود فى تحصيله . أما التعزز بالعز الذى يفنى : فهو التعزز بالمخلوق .

٢ — طى الدنيا : فهو أن تطوى عنك مسافتها بالزهد فيها ، والغيبة عنها ، وحصول اليقين التام فى قلبك ، حتى تصل الى درجة يكون الآتى عندك واقعا أو كالواقع .

٨٨ — العطاء من الخلق حرمان ، والمنع من الله احسان .

ثمّ عطاءُ الخلق فى حرمانِ ومنع مولاك مِنْ الإحسانِ(٣)
لأنّ منعَ اللهِ يُوجِبُ اللَجَا إليــه بالذُلّةِ مِنّا والرَجَا
فزادَنَــا بذلك الرَجَــاءِ ما فوقَ أصنافٍ من العَطَاءِ

* ● *

---

٣ — عطــاء الخلق حرمان ، لمــا فى العطاء من حظ النفس وفرحها ، والوصول الى شهونها ، ولانه يؤدى الى الركون الى الخلق وميل القلب اليهم والمحبة لهم ، اذ النفس مجبولة على حب من أحسن اليها ، فتسترق لهم ، وروى أن الشيخ عبد السلام بن مشيش قال لأبى الحسن : يا أبا الحسن أهرب من خير الناس أكثر من أن تهرب من شرهم ، فان خيرهم يصيبك فى قلبك ، وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير من أن تصاب فى قلبك ، ولعدو تصل به الى ربك خير من حبيب يقطعك عن ربك .

وانما كان المنع من الله عطاء ، لأن الله ما منع الانسان بخلا ولا عجزا ، وانما هو حسن نظر له ، اذ لعل ما طلبه لا يليق بحاله ، ولمــا فى المنع من دوام الوقوف ببابه واللياذ به تعالى .

البـــاب العاشر

٨٩ ــ جل ربنا أن يعامله العبد نقدا ، فيجازيه نسيئة .

فحيثما أعرَضْتَ عنهم فإعْلَم ... تَوَجُّه الإكرام من ذا المُنْعِم
وجَلَّ ربُّنا من أن تُعَامِلَه ... نقداً فيُجْزِيَكَ نسيئاً آجِلَه(١)
كَــلاَّ إذا أطعَمْتَــهُ أعطاكَ ... جزاءَ دارَيْكَ الذى والاكَ

* ● *

---

١ ــ النقد : ما كان معجلا ، والنسيئة : ما كان مؤخرا ، ومن شأن الكريم اذا اشترى شيئا أن ينجز نقده ويزيد احسانه ورفده ، وقد اشترى الحق تعالى منا أنفسنا وأموالنا فعوضنا الجنة (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) [التوبة ١١١] فمن باع نفسه وماله ونقدهما وسلمهما اليه ، عوضه الله جنة المعارف عاجلا ، وزاد جنة الزخارف آجلا ، مع ما يتحفه به من أنواع النعم ، وأن الله تعالى أعظم وأجل من أن يعامله العبد نقدا فيجازيه نسيئة ، بل لابد أن يعجل له ما يليق به فى هذه الدار ، ويدخر له ما يليق به فى تلك الدار الآخرة . وما عجل له سبحانه وتعالى فى الدنيا أمور منها : ما يدفع الضرر ويجلب النفع لقوله تعالى (وهو يتولى الصالحين) [الاعراف ١٩٦] وقوله (من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) [الطلاق ٣] وقوله (الا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) [يونس ٦٢] .

ومنها ما يشرق عليهم من الأنوار قال تعالى (ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا) [الانفال ٢٩] ، وقال (واتقوا الله ويعلمكم الله) [البقرة ٢٨٢] وقال (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور) [البقرة ٢٥٧] .

ومنها التوفيق والهداية لها قبل عملها ، حتى جعله أهلا للوقوف بين يديه ،

٩٠ — كفى من جزائه اياك على الطاعة ان رضيك لها اهلا .

كَفَـاكَ من جَزائِـهِ أتاكَ كَوْنَاكَ عبداً وبِهِ إرْتَضَاكَ(١)

* ● *

٩١ — كفى العاملين جزاء ما هو فاتحه على قلوبهم فى طاعته ، وما هو مورده عليهم من وجود مؤانسته .

أما كفى العـاملُ من جَزائِهِ ما يفتحُ الإلَهُ من أسمائِهِ
على قلوبِ العـاملينَ لَذَّةٌ حـلاوةٌ لديهِ مُسْتَلَذَّةٌ
جَنَّتُهُم عـاجِلَـةٌ فيـالَهُمْ
من بَعْدِها مِن نَظَرٍ حَقَّ لَهُمْ
حَسْبُهُم ما اللهُ موردٌ لَهُ من ذلك الأنسُ الذى أرسلَهُ
إليهِـمُ ليـأنسـوا بربِّهِـمْ
ويُخْـرِجُوا ما دُونَهُ من قَالَبِهِمْ
ذلك من إشراقِ شمسِ أنسِهِ حالَ المناجاتِ ورؤيا قُدْسِهِ
فَـلاَحَ فى طاعَتِـهِ فـلاحُ بأوجُـهٍ ثـلاثةٍ تُبـاحُ
ذلك من جَزائِها مِنْ قَبْلِها وهو توفيقُكَ فى تحصيلِها
ومعهـا وذلك المؤانَسَـةُ وبَعْدَها اللقـاءُ والمجالَسَةُ
شرطُها خَلاَصُهَا من عِلَلِ عبودَةٍ لا لباوغِ الأمَـلِ

* ● *

---

١ — كفى الانسان فخرا ان الله وفقه للعمل الصالح حتى جعله أهلا للوقوف بين يديه ، لأن الملك لا يدعو لخدمته الا من يريد ان يكرمه ؛ ولا يدخل لحضرته الا من يريد أن يعظمه ؛ فالتوفيق لأن يكون العبد أهلا للوقوف بين يديه ، أعظم منة وأكبر جزاء .

٩٢ — من عبده لشيء يرجوه منه ، أو ليدفع بطاعته ورود العقوبة عنه ، فما قام بحق أوصافه .

فكلُّ مَنْ أرادَ فى أثْنَائِها وجُودَ مأمولٍ على أدائِها
أو دَفْعَ مَحْذُورٍ فما قامَ لَهَا
بحقِّ أوصافٍ لَهُ يَجْهَلُهَا
لأنّ وَصْفَ رَبِّنا حقيقٌ لأنْ يُطَاعَ لو بَدا تحقيقُ(١)
يُطاعُ لايُعْصَى ولا يُنْسَى أبد لشكرِهِ الذى يليقُ بالصَّمَد
فهو اللطيفُ والمربِّى لهُمْ بَرٌّ وذو الصفحِ ورَزّاقُهُمْ
فَسَاءَ عبدٌ عبدَ اللهَ لأن يَمْنَحَهُ على العبادةِ المِنَنْ
وأنت فى آلائِهِ غريقْ فى كلِّ حالٍ بحرُها عَمِيقُ

* ● *

---

١ — الناس فى عبادة الله باعتبار اخلاصهم على ثلاثة أقسام : منهم من يعبد الله خوفا من عقوبته : معجلة أو مؤجلة ، أو طمعا فى رحمته وحفظه عاجلا أو آجلا ، وهم عوام المسلمين . ومنهم : من يعبد الله محبة فى ذاته وشوقا الى لقائه . لا طمعا فى جنته وحفظه ، ولا خوفا من ناره ونكاله ، وهم المحبون العاشقون من السائرين . ومنهم : من يعبد الله قياما بوظائف العبودية ، وأدبا مع عظمة الربوبية ، وهؤلاء هم خواص الخواص . فمن عبد الله لشيء يرجوه منه كالثواب أو ليدفع عن نفسه بطاعته ورود العقوبة فى الدنيا أو فى الآخرة لم يقم بحق أوصافه تعالى التى هى العظمة والكبرياء والعزة والغنى وجميع أوصاف الكمال ، لأن أوصاف الكمال من الله تقتضى خضوع العبد له بالطاعة والعبادة ، أرأيت من أنعم بنعمة الايجاد والامداد ، البس أهلا لأن يشكره جميع العباد ، فليستحى العبد أن يطلب أجرا على عبادة أجراها عليه الله الواحد المنان ، ولتذكر قوله تعالى (الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) [الاعراف ٤٣] وفى الأثر : نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه .

٩٣ — متى أعطاك أشهدك بره ، ومتى منعك أشهدك قهره ، فهو فى كل ذلك متعرف اليك ، ومقبل بوجود لطفه عليك .

فحيثما أعطاكَ قد أشهدكَ ... بِرّاً له وحيثُ قد منعاكَ(١)
أشهدكَ القهرَ لهُ فيهما ... لو كنتَ ذا بصيرةٍ لدَيهما
تعرَّفْ الحقُ إليك مُقبلاً ... بوجهِهِ عليكَ لُطفاً فاعقلَنْ
وأنظر إليه فى التقلُّبات ... مُرادُهُ التعريفُ فى الحالاتِ
وفوقَ كلِّ رُتبةٍ تعريفُ ... ذاك مقامٌ فاضلٌ شريفْ

* ● *

٩٤ — انما يؤلمك المنع ، لعدم فهمك عن الله فيه .

فإنّما يُؤلمُكَ المنعُ لِما ... قَلَّ به فَهْمُكَ تلك الحِكَمْ(٢)

---

١ — من أسماء الله تعالى اللطيف والرحيم ، فهو سبحانه لطيف بعباده رحيم بخلقه فى كل وقت وعلى كل حال ، سواء أعطاهم أو منعهم ، فان اعطاهم أشهدهم بره واحسانه ، فعرفوا أنه تعالى بار بعباده رحيم كريم جواد محسن ، فتعظم محبتهم فيه فالانسان يحب من أحسن اليه ، وان منعهم أشهدهم قهره : اى صفاته القهرية ، التى تقتضى القهر ، كالكبرياء والعزه والاستغناء . فهو فى كلتا الحالين متعرف اليهم : أى يريد منهم أن يعرفوه بصفات جماله وجلاله ، ومقبل بوجود لطفه عليهم ، لان مشاهدة العبد لصفات بره ، وصفات قهره لطف عظيم منه سبحانه وتعالى به ، فانه لا سبيل لمعرفته الا بتعرفه لعباده ، وذلك لا يكون الا بمقتضى صفاته ، سواء أكان ذلك موافقا لطبعهم ، وهو الاعطاء ، أو مخالفا له ، وهو المنع ، فمن كان عارفا بالله لم يفرق بين العطاء والمنع ، لأن كلا منهما له طريق توصله الى معرفة مولاه .

٢ — من فهم عن الله تعالى أنه انما منعه من الدنيا ، ليجعله من أصاب الذين حماهم من الدنيا : كان أثر المنع عنده التلذذ به ، لا التألم منه . فان الدنيا

فإنّما المنعُ عندا عينَ العطا عندَ قلوبٍ رُفِعَت عنها غِطا
وأنظر إلى خفيّ حُكْمِهِ بنا كيفَ بأحكامٍ له أجهلتنا

* ● *

٩٥ — ربما فتح لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول ، وربما قضى عليك بالذنب ، فكان سببا فى الوصول .

فربّما يفتحُ من طاعتِهِ باباً عظيماً لعدا كثرتِهِ
لكنّها ليس لها قَبولُ لأوجُهٍ ثلاثةٍ أقولُ :
فقدُ التُقى ، والصِدقِ ، والإخلاص
إنّ المطيعَ كالمُسيءِ القاصى(١)

الى الله لا يكمل حتى يجد للمنع حلاوه لا يجدها فى العطاء ، وذلك لأن المنع فعل الله ، وكل ما يفعله المحبوب يكون محبوبا ، فان من ثمرات المحبة الصبر عند الشدائد ، ومن ثمرات معرفة الله التسليم والرضا لما يجرى به القضاء ، قيل لبعض الزهاد : ما الزهد عندكم ؟ قال : اذا وجدنا شكرنا ، واذا فقدنا صبرنا ، فقال : هذه حالة الكلاب عندنا ببلخ ، فقال : ما الزهد عندكم انتم ؟ قال : اذا فقدنا شكرنا ، واذا وجدنا آثرنا .

١ — فالانسان المؤمن لابد ان يعرف أنه لا عبرة بالطاعة اذا لم يصحبها قبول ، كما لا عبرة بالسؤال حيث لم يحصل به مأمول ، اذ الطاعة انما هى وسيلة لمحبة الله واقباله عليه ، بحيث يفتح فى وجهه باب قبوله ومحبته ، ويرفع عن قلبه الحجب المظلمة ، فاذا فتح الله للانسان باب العمل من الصلاة والصوم وباقى العبادات ، بلغ فى تحصيل الطاعات غاية المنى بضبطها واوقاتها ، لكنه لم يجد فى نفسه ثمرات تلك العبادة ، ولم يذق حلاوتها ، فلا يغتر بهذا العمل الذى اداه ، لأنه ربما فتح له باب طاعة الله ، ولم يفتح له باب قبول الطاعة ، ومثل هذا العبد عليه أن يراجع نفسه ويفتش عن نقصه فانه لابد أن يكون هناك خلل ، اما فى صدق نيته ، أو اخلاصه فى عمله ، أو خلل فى تقواه ، وأن هناك كثير من الناس نشطين فى اداء العبادة من الصوم والصلاة والحج وحضور الجمعة والجماعة .

=

وربَّمـــا قضى عليكَ ذَنْبـــاً ثمَّ أتيتَ نادماً بِعُتْبى
فَصَـــارَ سَبَبَ الوُصُولِ والرِضـــا
فأنظر لِحِكْمَةِ الحـــكيمِ والقَضَا
فـــكلُّ خـــيرٍ بَعْدَهُ تكبُّرُ أو عِنْدَهُ الإعْجابُ والتَفَخُّرُ
يَصيرُ ذنبـــاً فائقَ الذُنُوبِ كأنَّهُ الشيطانُ فى العُيُوبِ
والذنبُ إنْ قارَنَهُ النَدامَـــةُ والخوفُ والرجوعُ والمَلامَةُ
أدْرَكَهُ القبولُ مثـــلُ آدم فى ذِلَّةٍ فَزِيدَ بالتكَرُّمِ(١)
فيخرجُ الحيَّ من الميِّتِ والـ
ـميِّتَ من حيٍّ(٢) وذا حُكْمُ العَمَلِ

=

وبع هذا فانهم اذا خرجوا من المسجد ورجعوا الى مكان عملهم ، تراهم يبيعون السلع بأسعار مضاعفة ، ويحتكرون ارزاق عباد الله ، أو يتعاملون بأنواع من المعاملات المحرمة أو المشبوهة ، أو لا يفون بحقوق الناس ، أو لا يؤدون الواجبات المالية ، أو يتعاملون مع الناس بسوء خلق وسوء ظن ، او يكونوا معجبين بأنفسهم متكبرين ، أو يحقرون الناس الى غير ذلك من الصفات القبيحة ، حتى صار بعضهم مثلا سيئا للاسلام والمسلمين ، بحيث اذا قيل لاحد من تاركى الصلاة : لما لا تصلى يا أخى وتعبد ربك ؟ قال لك : أصلى واعبد الله حتى اكون مثل الحاج فلان أغش الناس .

وهؤلاء هم المراد بقول الشيخ :

يصـــــير ذنبـــا فائق الذنـــوب كأنه النـــــيطان فى العيـــوب

١ — قال ابن عطاء : كان من حسن اختيار الله لآدم اكله من الشجرة بعد أن نهى عنها ، حتى يتوب من الفعل فيكون قدوة للتائبين ، وحتى يتعرف اليه بحلمه فيعلم أنه أكرم الأكرمين ، ويوقفه على وجود ستره ولطفه ، فيعلمه أنه اللطيف بعباده المؤمنين ، وليكون أكل الشجرة سببا فى النزول ، والنزول سببا فى الخلافة ، فلذلك قال الشيخ أبو الحسن (الشاذلى) رضى الله عنه : أكرم بها معصية أورثت الخلافة : (لطائف المنن ١٧٧) .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها) [الروم ١٩] .

و (يُولِجُ الليلَ فى النهارِ)(١) لعارضِ العُجْبِ وإغترارِ
(ويُولِجُ النهارَ فى الليلِ) بما يُفعِلُهُ المذنبُ فيما نَدِمَ

* ● *

٩٦ — معصية أورثت ذلا وافتقارا ، خير من طاعة أورثت عزا واستكبارا .

مَعْصِيَةٌ للذُلِّ أوْرَثَتْهُ مع إفتقارِ العبدِ إذْ دَهَتْهُ
خيرٌ من الطاعةِ مع تكبُّرِ والعزِّ والفَخْرِ من المُسْتَكْبِرِ
وأنظر إلى حديث كون العُجبُ أعظمُ من شَرارَةٍ من ذَنْبِ إلخ

* ● *

فى تذكُّرِ نِعَمِ اللهِ العامّةِ

٩٧ — نعمتان ما خرج موجود عنهما ، ولابد لكل مكون منهما : نعمة الايجاد ونعمة الامداد .

مالَكَ طاقةٌ بِشُكْرِ النِعَمِ فإنّهُ المُخْرِجُ لَكَ من عَدَمِ

---

١ — قال الشيخ أو العباس المرسى فى قوله تعالى (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) الحج : ٦١ — لقمان : ٢٩ — فاطر : ١٣ — الحديد ٦ ، قال : يولج المعصية فى الطاعة ويولج الطاعة فى المعصية ، يطيع العبد الطاعة ، فيعجب بها ويعتمد عليها ، ويستصغر من لم يفعلها ، ويطلب من الله العوض عليها ، فهذه حسنة احاطت بها سيئات ، ويذنب الذنب ، فيلجأ الى الله فيه ويستكثر منه ، ويستصغر نفسه ويعظم من لم يفعله ، فهذه سيئة احاطت بها حسنات ، فأيهما الطاعة وأيهما المعصية ؟ لطائف المنن ص ٢٢٣ .

فنِعْمَتَانِ : نعمةُ الإمْدادِ تَتْبَعُ فضلَ نِعْمَتِ الإيجادِ
قـد عَمَّتَا الوَرَى فحقّ شُكْرُهُمْ
عليهما إذا أستُدِيمَ عُمْرُهُمْ

* ● *

٩٨ — أنعم عليك أولا بالايجاد وثانيا بتوالى الامداد .

أنْعَمَ بالتخليقِ والإيجادِ ثمّ توالىٰ لَكَ بالإمْدادِ

* ● *

٩٩ — فاقتك لك ذاتية ، وورود الأسباب مذكرات لك بما يخفى عليك منها ، والفاقة الذاتية لا ترفعها العوارض .

فاقَتُنَا لِرَبِّنَا(١) ذاتيَّةٌ سِرُّ عُبُودِيَّتِنَا الأصليَّةِ

---

١ — فاقة الانسان أصلية حقيقية لا تفارقه ساعة واحده بل لحظة واحده ؛ لأن الانسان مركب من جسم وروح ، فالجسم قائم بالروح والروح أمر من أمر الله ، كما قال تعالى (قل الروح من أمر ربى) [الاسراء ٨٥] فافتقار الانسان حاصل على الدوام حيث أن وجود الانسان مسبوق بالعدم ، فكان مفتقرا الى الله فى الايجاد ، وقال تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله) [فاطر ١٥] وكذلك مفتقر الى الله فى بقائه ، حيث يقول تعالى (ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) [ابراهيم ١٩] وأن ورود الأسباب كالفقر والمرض والشده والمحن مذكرات للانسان بما خفى عليه من الفاقة الذاتية ، لأن أغلب الناس يغفلون عن الفاقة الذاتية اذا دامت عليهم الصحة والعافية والنعمة ، وانما يلجؤون الى الله ، ويتذكرون افتقارهم الى الله عند الشدة والمحنة ، وفاقة الانسان الى ربه وان كانت خفية لكنها ذاتية حقيقية لا ترفعها العوارض : كالصحة والغنى ، فانه يجوز فى حقه تعالى أن يزيل النعم ويبدلها بضدها ، والله على كل شىء قدير ، فافتقار الانسان الى ربه فى ايجاده وبقائه ، وصحته وغناه وغير ذلك افتقار أصلى لازول فى الدنيا والآخرة .

يُظْهِرُها تواردُ الأسبابِ بشدّةِ الفاقةِ للوهّابِ
وُجُودُنا بربِّنا ضَرورِي في جَرَيانِ قُدْرَةِ القَديرِ
فلا إنْدِفاعَ أبداً لوَصْفِنا بالعِزِّ والذُلِّ وفَقْرٍ وَغِنا
إلى صِفاتٍ لا إنتهاءَ فيها تواردُ الأسبابِ ما يُبْدِيها
ظاهرةٌ باطِنَةٌ خفيّةٌ وافرةٌ باهرةٌ جليّةٌ
كنِعْمَةِ الأنفاسِ والأرزاقِ ونعمةِ الإمساكِ والإطلاقِ
فَفاقَةٌ ذاتيّةٌ لا تَنْدَفِعْ عندَ عَوارِضٍ عليها تَنجَمِعْ

* ● *

١٠٠ — خير أوقاتك وقت تشهد فيه وجود فاقتك ، وترد فيه الى وجود ذلتك .

فخيرُ أوقاتِك وقتٌ تَشْهَدُ
وُجُودَ وصْفِكَ الذى يُجَدِّدُ(١)

---

١ — ان خير أوقات الانسان وقت يشهد فيه وجود فاقته : أى ظهورها ، والا فان الحاجة والفاقة الى الله كامنة فى الانسان لحاجته الاصلية الى الخالق فى وجوده وبقائه ، فالشدة خير للانسان من ألف شهر ان عرف فيها ربه ، وخير أوقات الانسان الوقت الذى يشهد فيه ذله ، لأنه سبب عزه ونصره ، اذ الأشياء كامنة فى أضدادها ، العز فى الذل ، والغنى فى الفقر ، والقوة فى الضعف قال تعالى (ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين) [القصص ٥] ومما جرت به العادة الالهية أن الفرج يكون على قدر الضيق ، فبقدر الفقر يكون الغنى ، وبقدر الذل يكون العز ، وبقدر العسر يكون اليسر ، وقال تعالى (فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا) [الانشراح ٥ — ٦] وقال — صلى الله عليه وسلم — « .. واعلم أن النصر مع الصبر ، وان الفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسرا » .

من فاقةٍ وذُلَّةٍ ومَسْكَنَةٍ فليألَفَنَ المسكينُ دهراً وَطَنَه
وخيرُ وقتِكَ الذى تَرَدُّ فى ذلك للذِلَّـــةِ لا للشَرَفِ
بأن يكونَ اللهُ صَارِفاً لَكَ إلى البَلاَ لتشْهَدَنَّ وَصْفَكَ
فذلك الوقتُ مـــع الحُضُورِ هو الوقوفُ فى مقامِ النُّورِ
فَتَسْكُنَ النفسُ عن الدعاوى ويذكرُ العبدُ لهُ المَسَاوى
فإنْ عَلِمْتَ أنَّ غيرَ اللهَ ذوَ فاقَـــةٍ وحاجـــةٍ للهِ
فإسْتَوْحِشَنَّ أنت منهم أبداً مستأنساً بهِ وكُنْ مُنْفَرِداً

* ● *

١٠١ — متى أوحشك من خلقه ، فاعلم أنه يريد أن يفتح لك باب الأنس به .

وحيثما من خَلْقِـــهِ آوْحَشَـــكَ
فإعْلَمْ وحَقِّقْ أنَّـــهُ قَرَّبَكَ(١)
يدعُوكَ للحضرةِ من جَنَابِهِ يَمْنَحُكَ اللهُ لفتحِ بابِهِ

* ● *

---

١ — سنة الله فى خلقه انه اذا أراد أن يؤنس عبده بذكره ، ويتحفه بمعرفته أوحشه من خلقه ، وشغله بخدمته ، وألهمه ذكره ، فقد كان رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين قرب أوان النبوة والرسالة حبب اليه الخلوة ، فكان يخلو بغار حراء ، وحكمة ذلك تصفية البواطن من الشواغل والشواغب ، لتتهيأ لقبول ما تتحمله من الأسرار والمواهب ، فاذا تطهر من الأكدار ملىء بالأنوار ، فاشرقت فيه شموس العرفان ، وتمكن من حضرة الشهود والعيان ، فهذه سنة الله فى أوليائه وأصفيائه ، يفرون أولا من الناس حتى يحصل لهم منهم الإياس ، ثم يردهم الحق اليهم رغما عليهم لمقام الدلالة والارشاد - فينتفع بهم العباد ، وتحيا بوجودهم البلاد ، وهذا ابتعاد العبد من الناس ، وقد يوحش الله عبده من الخلق بابتعاد الناس عنه ، وهذا كما لو ابتلاه بمرض معد ، فان الناس يبتعدون عنه خوفا من أن يصابون بذلك المرض ، أو بجعله فقيرا معدما لا يبالى به الناس ، فهؤلاء درجاتهم لا تقل عن درجة الاصفياء ان كانوا صابرين وراضين بقسمة ربهم .

إذا إبتلاكَ بالذى أزْهَدَهُمْ
عَنْكَ فزِدْ شُكْراً لما أبْعَدَهُمْ
عَنْكَ فلا يَبْقى بِهِمْ تَعَلُّقٌ منكَ وقد لاحَ ضياءٌ مُشْرِقٌ
لولا إبْتلاكَ أنت ما جانبتهم ولا طلبت الحقَّ بل إطلبتَهُمْ

* ● *

١٠٢ — متى أطلق لسانك بالطلب ، فاعلم انه يريد ان يعطيك .

فأطالِبْهُ ما تَوَجُّهُ من كلِّ أدب
فإنّه ، مَنى دَعَاكَ للطلب
ومنك أطْلَقَ اللسانَ فإعلمْ أنّك منه فى جَلاَيَا النِعَمِ(١)

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى جعل الطلب سببا من الأسباب . فاذا أراد ان ينجز للعبد ما سبق له فى الأزل تقديره ، فتح له فيه باب الطلب ، فاذا حصل منه الطلب حصل ذلك الذى قسم له فى الأزل اظهارا لحكمته . فالدعاء من جملة الأسباب العادية لا بغير شيئا من قضاء الله وقدره الأزلى ، فهو اظهار للخاقة وابقاء لرسم العبودية ، وليس طلبا لحصول ما لم يكن ، جل حكم الأزل أن يضاف للأسباب والعلل ، كما يقول الشيخ نور الدين :

مقصود مولانا من الدعاء فى عباده عبودة للعارف
وبالربوبية كى يراه اذ فى عبوديته دعاه
والا ملا مرد للمقتضى وان دعاه أعظم الولى

فمتى أطلق الله لسان العبد بالطلب لشيء تجلى فى قلبه او احتاج اليه ، فليعلم ان الله أراد ان يعطيه ما طلب منه ، لكن عليه أن لا يحرص ولا يستعجل ، فكل شيء عنده بمقدار ، وقد قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من أعطى الدعاء لم يحرم الاجابة » .

بَعْدَ أن أعْطَاكَ ما تُرِيدُهُ فإعْطِهِ منكَ الذى يُرِيدُهُ
من بَثِّ فاقةٍ مع إضطرارِ حتّى يراك اللهُ فى إنكسارِ

* ● *

١٠٣ — العارف لا يزول اضطراره ، ولا يكون مع غير الله قراره .

فلا زَوالَ لإضطرارِ العارفِ
لوَصفِهِ الأصليِّ ما فيه خَفِى(١)
وهو مِنْ الأغيارِ فى ديارِهِ يحسْبُهُ الحقُّ لدى قَرارِهِ
ذاك الذى نَجّاكَ عن أغيارِهِ أنارَ الكونَ فى ضيا آثارِهِ
!...

* ● *

١٠٤ — أنار الظواهر بأنوار آثاره ، وأنار السرائر بأنوار أوصافه ، لأجل ذلك أفلت أنوار الظواهر ، ولم تأفل أنوار القلوب والسرائر ، ولذلك قيل :

ان شمس النهار تغرب بالليـ ـل وشمس القلوب ليست تغيب

هى الظواهرُ التى أنارَها أنوارُهُ أعنى بها أثارَها
آثارُ أفعالٍ لَهُ ظواهرُ ثمّ أنارَ أعْيُنَ البصائرِ

---

١ — العارف لا يزول اضطراره ، لأنه لا يزال فى النرض ، وهو متعطش للزياده على الدوام ، لأن العرفان لا نهاية له ، فالعارف لا نهاية لمقصوده ، لذلك هو لايزال مفتقرا للزياده على الدوام ، وقال تعالى فى حق سيد العارفين (وقل رب زدنى علما) [طه ١١٤] فالاضطرار الى زياده العلم لا ينقطع ولو جمع علوم أهل السموات والأرض ، قال تعالى مخاطبا للكل (وما أوتيتم من العلم الا قليلا) [الاسراء ٨٥] .

وأما وجه كونه لا يكون مع غير الله قراره ، فلأن قلب العارف رحل الى الله عن الكون بأسره فلم تبق له حاجة الى غيره .

تمدّكَ(١) الانوارُ من أوصافِهِ مظاهرَ الأسماءِ من ألطافِهِ
ثمّ أنارَ الحقُّ بالأسماءِ سرائرَ لِقَابِلِ(٢) الأشياء
فالشمسُ والنجومُ أفلاتٌ أنورُها بالوقتِ زائلاتٌ
دُونَ القلوبِ إذْ لَها أنوارٌ ثابتةٌ وإن تَغِبْ آثارُ
فصارتْ القلوبُ أضوى الشمسِ لأنّها مرآةُ نورِ القُدْسِ(٣)
ثمّ استدلّ الشيخُ بالبيتِ على ما قالَهُ فقالَ بَيْتاً مَثَلاً :

إنّ شمسَ النّهارِ تغربُ باللي-
-لِ وشمسُ القلوبِ ليستْ تَغِيبُ

والشارحُ العارفُ قد أتبعَهُ يَنْقُلُ بعده بِبَيْتِ مَعَهُ :

---

١ — فى الأصل « يمددك » .

٢ — فى الأصل « سرائر القابل الأشباء » .

٣ — أنوار الظواهر : هى ما ظهر على الأكوان من الأنوار من تأثير قدرة الله تعالى ، وبداع حكمته ، كتزيين السماء بالكواكب والقمر والشمس ، وما فيها من ابداع الصنع ، وتمام الانقان ، وكتزيين الأرض بالأزهار والثمار والنباتات وسائر الفواكه ، وكتزيين الانسان بالبصر والسمع والكلام وسائر ما فيه من عجائب الصنعة ، قال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) [التين ٤] وقال تعالى (انا جعلنا ما على الأرض زينة لها) [الكهف ٧] وقال تعالى (انا زينا السماء بزينة الكواكب) [الصافات ٦] فهذه أنوار الظواهر .
وأنوار الأوصاف : هى العلوم والمعارف والأسرار ، والمراد بالأوصاف أوصاف الله تعالى .

كالعظمة والعزة والجلال والجمال والكمال وغير ذلك من أوصاف الذات العلية ، والذات لا تفارق الصفات ، فاذا أشرقت السرائر بأنوار معرفة الصفات ، فقد أشرقت بأنوار معرفة الذات ، للتلازم بين الصفات والذات ، وأنه سبحانه وتعالى أنار القلوب والسرائر بأنوار أوصافه كما أنار الكون بأنوار الظواهر ، وبما أن أنوار الظواهر انما هى أنوار الأثر ومن شأن الأثر أن يتأثر ويتغير بالطلوع والغروب فتأفل بالغروب ، أما أنوار القلوب وهى أنوار الاسلام والايمان ، وأنوار السرائر وهى أنوار الاحسان ، فانها لا تأفل أبدا ولا تغيب لانها أنوار صفات الله ، وهى قائمة بذاته تعالى ، فلا تتغير ولا تتأثر ، وهى أزلية وأبدية .

طلعتْ شمسُ مَنْ هَوَيتُ بِلَيلِ
وإسْتَنَارَتْ فما تلاها الغروبُ
أتْبَعْتُهُ بنابعٍ تَذْييلاً ذلك أقْوَمُ الجميعِ قيلاً :
نورُ تلكَ النُجُومِ من ضوء شمسِ
فَلَهَا منهُ قِسْمَةٌ ونَصِيبُ
منورُ قلبِ العارفين أشرقَ
مِنْ ضَوْءِ شمسٍ فى السماءِ تَشْرُقُ
فإنَّ نورَ الشمسِ للأكْوانِ ونورُهُمْ لها وللرَّحْمنِ
وفيه قالَ الشارحُ النِحْرِيرُ لله دَرُّهُ كما يُشِيرُ
ثمّ وضعتُ فَوْقَهُ تخميساً مُرَوْنَقاً مُبْتَهِجاً سايساً :
لِتَجَلِّيكَ قَلْبُنَا مثل طورِ كلُّ حينٍ مُسْتَبْشِرٌ بِسُرُورِ
هو شمسُ حقيقةٍ لظُهُورِ « هذه الشمسُ قابَلَتْنَا بِنُورِ
واشْمَسُ اليقينِ أبْهَرُ نوراً »
إنّ ذا العرشِ فى معاقبه قاطنُ فيه من حيثُ ماله من مَواطِنِ
هو قلبٌ لذاك خيرُ الأماكنِ فرأينا بهذه النور لكنا
بهاتيك قد رأينا المنير(١)

* ● *

١ — هذان البيتان لابن عطاء الله مؤلف الحكم ، وهما موجودان فى لطائف المنن ص ٩٦ .

الباب الحـــادى عشر

١٠٥ ــ ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأنه سبحانه هو المبلى لك ، فالذى واجهك منه الاقدار هو الذى عودك حسن الاختيار .

ألا يخفــفُ البـــلاءَ والألم
عَنْكَ شهــودُ من هو المُبْــلِى ألمْ

يُعْطِيك من آلائِهِ الجزيلةِ تلكَ بــلاءٌ عنــدها قَلِيلَةُ
مــع أنّــه أبْلاكَ نافِعاً لَكَ حالَ بَلائِهِ وقد أحالَكَ
من الوَضِيعِ للرفيعِ حالاً لو أنَّك العارفُ ذا المآل(١)
فهو الذى تَوَجَّهَتْ أقدارُهُ إليكَ فِيها مُنِيحْتَ أسْرارَهُ
وإنّــه عَــوَّدَكَ إختيــاراً فإخْتَرْ عليك ما الحبيبُ إختارا

إن أعْرَضُــوا هم الذين عَطَفُــوا
كمْ قدْ وَفَوا فإصبِرْ لهم إنْ أخْلَفُوا

---

١ ــ اذا أصابتك أيها الانسان مصيبة أو نزلت بك بلية فى بدن ، أو مال ، أو أهل ، فاذكر من أنزل عليك ، وما هو متصف به من الرحمة والرافة والمحبة والعطف عليك ، لعلكتفهم ما فى طى ذلك من النعم ، وما يعقبه من ســـوابغ الفضل والكرم ، ولو لم يكن الا تطهيرك من الذنوب ، وتمحيصك من العيوب لكفى فهل نعودت منه الا الاحسان ؟ فالذى واجهتك منه الأقدار هو الذى عودك حسن الاختيار - فالذى واجهك منه ظواهر المحن هو الذى أسبغ عليك بواطن المنن .

لـــكن قَلِيـــلٌ مَنْ عليـــه يَنْجَرِي
كمـــا حـــكى الجُنَيْدُ قِصَّةَ السَّرِيّ(١)

* ● *

١٠٦ — من ظن انفكاك لطفه عن قدره ، فذلك لقصور نظره .

فـــكلُّ مَنْ ظَنَّ إنْفِكاكَ لُطْفِـــهِ
عن مُرِّ أقْـــدارٍ فـــذا لِضَعْفِهِ
وقاصرُ العـــلمِ بِشرعيّـــاتِ فعـــاديّاتِ وبِعَقْلِيّـــاتِ(٢)

---

١ — قصة السرى ، قال الشيخ جنيد — رضى الله عنه — كنت نائما بين يدى السرى فأيقظنى ، وقال : يا جنيد رأيت كأنى وقفت بين يديه (يدى الله) فقال لى : يا سرى خلقت الخلق فكلهم ادعوا محبتى ، فخلقت الدنيا فهرب منى تسعة أعشارهم ، وبقى معى العشر ، فخلقت الجنة فهر بمنى تسعة أعشار العشر ، وبقى معى عشر العشر ، فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة أعشار عشر العشر ، فقلت للباقين معى : لا للدنيا أردتم ولا للآخرة أخذتم ولا من النار هربتم فما تريدون ؟ قالوا : انك تعلم ما نريد ، فقلت : انى مسلط عليكم من البلاء بعدد أنفاسكم ما لا تقوم له الجبال الرواسى أتصبرون ؟ قالوا : ان كنت أنت المبتلى فافعل ما شئت ، هؤلاء عبادى حقا . ايقاظ الهمم ص ٢٠٠ .

٢ — من أعظم احسان الله وبره كون لطفه لا ينفك عن قدره ، فما نزل القدر الا سبقه اللطف وصحبه ، والدليل على ذلك النقل والعقل والعادة : اما النقل : فقد ورد فى نواب الامراض والاوجاع أحاديث كثيرة كما وردت آيات كثيرة فى مدح الصابرين على البلاء : منها قوله تعالى (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) [الزمر ١٠] وقوله (وبشر الصابرين) [البقرة ١٥٥] وقال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها وحتى الهم يهمه الا كفر به سيئاته

أما العقل : فانه ما من مصيبة نزل بالانسان الا وفى قدرة الله ما هو أعظم منها ، فليشكر ربه وليكن ممنونا بما به فان ما وراءه أعظم .

أما العادة : فان الانسان اذا ابتلى ببلاء مهما كان عظيما فان هناك من هو بلاؤه أعظم ، فعليه أن يشكر ربه ويتسلى بمن هو أعظم بلاءا منه .

أمّا قُصُورُهُ بعقليّاتٍ فما لِمَقْدُورِهِ مِنْ غَايَاتِ
فحيثما إبْتَلاهُ بالشرِّ فَقَدْ أنْقَذَهُ مِنْ كلِّ ما كان أشَدّْ
فذلك المَقْدُورُ كان لُطْفاً ولُطْفُهُ هناك ليسَ يَخْفَى
فأهلُ نارٍ كُلُّهُمْ مَلْطُوفٌ حتّى الرَّجِيمُ الأرْجَسُ الكثيفُ
أمّا قُصُورُهُ من الشَرْعِيِّ فَحُكْمُهُ هناك كالجَلِيِّ
كلُّ بليّةٍ لنا مُكَفِّرَةٌ من الذُنُوبِ أولنا مُبَشِّرَةٌ
بالنفعِ أو مَعْرِفَةِ الحلالِ أو لإنْدِفَاعِ سببِ النَكالِ
أو إنْدفاعِ النفسِ عن تَكَبُّرِ مقدارَ عطاءِ(١) ذا المُقَدَّرِ
أمّا قُصُورُ العبدِ بالعادِيّ فإنّ فوقَهُ من المُبْلِي
من العبادِ زُمْرَةٌ كثيرةٌ بلاؤُهُمْ فائقةٌ شَهِيرةٌ
فاللهُ ما إبْتَلاكَ ما إبْتَلاهُمْ وما جَفَاكَ مثلَ ما جَفَاهُمْ
ولا البَلايَا كلُّها مُجْتَمِعَةْ عليك يا مَنْ لكلامي سَمِعَهْ
فاشكرْ وإصبرْ للبَلاءِ والمِحَنْ
على وُفُورِ ما إليكَ مِنْ مِنَنْ

* ● *

---

١ — فى الأصل « مقدر غطاء » .

١٠٧ — لا يخاف عليك أن تلتبس الطرق عليك ، وانما يخاف عليك من غلبة الهوى عليك .

ولا يُخافُ إلتباسُ الطُرُقِ عليك فى أىّ طريقٍ تَرْتَقى(١)

أتأخُـذُ الشـكرَ على رَحمَتِهِ

أمْ تمْسِكُ الصـبرَ على حِكْمَتِهِ

وإنّما يُخَافُ سلطانُ الهَوَى عليك يُغْوِيكَ مع الذى غَوَى

ذاك هو الحـاملُ للنفسِ على رِفْقٍ بها منك فتَدْعُوكَ إلى

ضَجَرِكَ فى مواردِ البَلاءِ مِنّ نَغَصِ المِحْنَةِ والقَضَاء

صَدِّقْ إذا قلتُ : هى النَعَمَاءُ وستُبرَتْ مِنْ تحتها الآلاءُ

أعنى الخُصُوصيّاتِ والمعارِفَ لا يَعْرِفَنَّهَا وُجُودُ صارِفِ

* ● *

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى بين لنا طريق الوصول اليه على لسان الرسول — صلى الله عليه وسلم — فبين لنا أعلام الشريعة ، ومنار الطريقة ، وأنوار الحقيقة ، فقرر لنا شرائع الاسلام وقواعد الايمان ومقام الاحسان ، فما ترك رسول الله — صلى الله عليه وسلم — شيئا يقربنا الى الله الا دلنا عليه ، ولا شيئا يبعدنا عنه الا حذرنا منه ولم يأل جهدا فى ارشاد العباد واظهار طريق السداد ، فما رحل الى الله تعالى حتى ترك الناس على الدين القويم والمنهاج المستقيم ، على طريقة بيضاء لا يضل عنها الا من كان أعمى ، قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) [المائدة ٣] وقال تعالى (لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغيى) [البقرة ٢٥٦] وقال صلى الله عليه وسلم « لقد تركتكم على الحنيفية السمحة » .

وهكذا بما أن طريق الدين واضح وبين ، فلا يخاف على الانسان من التباس الطرق عليه ، وانما يخاف عليه من غلبة الهوى عليه فيصمه ويعميه ، قال تعالى (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) [النساء ٢٦] وقال تعالى (ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه) [الاعراف ١٧٦] فالاسلام واضح غاية الوضوح لكن الهوى والنفس الامارة تشوش على الانسان وتبعده عن عبادة الملك المنان ، وتسوقه الى عدم الرضاء بقضاء الله وقدره .

١٠٨ — سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور البشرية وظهر بعظمة الربوبية فى اظهار العبودية .

سبحانَ ساترِ (١) الخُصُوصيّاتِ بالبَشَرِيّاتِ الضَرُوريّاتِ (٢)
كالفَقْرِ والذُلِّ مع الضَعفِ لنا تَظْهرُ وَصْفَ اللهِ عِزًّا وغِنَا
فالعبدُ مهما شَهِدَ اللواتى مِنْ شَأْنِهِ وفَازَ بالغاياتِ
أمَدَّهُ الرحمنُ من بعدُ بما من شَأْنِهِ وهو مَقَامُ العُظَمَاء
ثُمّ الرُبُوبِيَّةُ من أوْصافِها ظاهرةٌ على خَفَا ألْطافِها
من العُبُودِيّاتِ فهى كلّمَا تَحَقَّقَتْ للعبدِ قَدْ فازَ بما
هو الخصوصيّةُ والولايةُ والنُجْحُ بالعِرفانِ والعِنايَةِ
للعبدِ أوْصَافٌ هى الضِعافُ وللإلَهِ دُونَها أوْصَافُ
فحيثما جُمِعَتْ صفاتُ العَبدِ لَهُ
أمَدَّهُ اللهُ بما قَدَّمَ لَهُ

---

١ — فى الاصل « سبحان سائر الخصوصيات » .

٢ — الخصوصية : هى نور الحق يشرقه الله تعالى فى قلوب خواص عباده المقربين ، بعد تطهيرها من الأكدار ، وتنزيهها من المساوى والأغيار ، وهذا النور يحتوى على صفات الله العلى القدير من الكبرياء والعز والقسوه والعظمة والجلال والقدرة التامة والعلم المحيط ، وسائر أوصاف الكمال ، ثم ان الحق تعالى ستر تلك الأوصاف اللازمة لذلك النور بظهور أضدادها التى هى أوصاف العبودية ، فستر كبرياءه وعظمته بظهور الذل والفقر والضعف على العبد ، وستر قدرته وارادته بظهور العجز والقهرية عليه ، وستر علمه المحيط بظهور الجهل والسهو عليه ، الى غير ذلك من أوصاف العبودية المقابلة لأوصاف الربوبية .

فبقدر التحقق من البشرية يقع تحقيق المعرفة ، اذ بقدر شعورك بأوصافك تتحقق بأوصافه فاذل ما تكون يظهر لك عزه .

وستر ذلك عن الغير لأن الناظر الى العارف فى حال جرى أوصاف البشرية عليه يقف مع حاله الظاهرة فيكون محجوبا عن خصوصيته بها .

فكانَ مَظْهَراً لِوَصْفِ الحقِّ خَلِيفَةً لِرَبِّهِ بالصدقِ
فكلّما شاء غدا مُنْفَعِلاً وإذ سَمِعْتَ ماذكرناهُ فَلاَ

* ● *

١٠٩ — لا تطالب ربك بتأخير مطلبك ولكن طالب نفسك بتأخير أدبك .

تُطَالِبْ الربَّ بتأخيرِ الطَلَبْ
أعنِي الخُصُوصِيَّةَ ما فوقَ الرُتَبْ
وطالِبْ النفسَ بتأخيرِ الأدب
حتّى تَنَالَ منه غاياتِ الأَرَبْ(١)
فأدبُ العبدِ هو إستِسْلامُهُ للهِ حيثُ وُجِهَّتْ أحكامُه

* ● *

---

١ — مطلب العارفين من الله هو سر الخصوصية ، وأدبهم فى ذلك وجود العبودية وهى دائرة على ثلاثة أمور :
١ — امتثال أمره ، ٢ — الاستسلام لقهره ، ٣ — رؤية ذلك منه دون واسطة ولا ملاحظة شيء آخر .
هذه قاعدة عامة وان كانت مناسبتها خاصة ، فاذا طلب الانسان شيئا ثم تأخر ظهور ذلك المطلب ، فانما ذلك لما فاته من حسن الأدب ، فلابد ان لا يطالب ربه أن يعجل مطلبه بسبب تأخره عنه ، ولكن عليه أن يطالب نفسه بتأخر أدبه ، فلو أحسن الأدب فى الطلب لقضيت حاجته معنى وان لم تقض حسا .
وحسن الأدب هنا : هو اكتفاؤه بعلم الله ، ورضاؤه بحكمه ، واعتماده على ما اختاره الله له دون ما اختاره لنفسه لقلة علمه فقد ضمن الله الاجابة فيما يريد هو لا فيما يريده العبد ، وفى الوقت الذى يريد لا فى الوقت الذى تريد أنت قال وهب بن منبه — رضى الله عنه — : قرأت فى بعض الكتب : يا ابن آدم اطعنى فيما أمرتك ولا تعلمنى بما يصلحك ، انى عالم بخلقى ، انما اكرم من أكرمنى واهين من هان عليه أمرى ، ولست بناظر فى حق عبدى حتى ينظر عبدى فى حقى .

١١٠ — متى جعلك فى الظاهر ممتثلا لأمره ورزقك فى الباطن الاستسلام لقهره ، فقد أعظم المنة عليك .

متى جعلتَ ظاهراً لأمرِهِ ... مُمْتَثِلاً وباطناً لقَهْرِهِ
مُسْتَسْلِماً فى الرضاءِ بالقَضَا ... ثُمَّ منيباً راجعاً مُفَوِّضاً
فإعلمْ يَقِيناً أنَّه أعظم فى ... مِنَّتِهِ(١) عليكَ ما ليسَ يَخفى
هو المحبُّ أنتَ محبوبٌ لَهُ ... وهو مُرِيدٌ أنت مَطْلُوبٌ لَهُ
فأىَّ شىءٍ لاتكونُ قَادِرا ... عليهِ بعدَ مَنْ حَبَاكَ قاهِراً

* ● *

١١١ — ليس كل من ثبت تخصيصه ، كمل تخليصه .

ولايكُنْ حَظُّكَ من رَبِّكَ أن ... يُعْطِيكَ اللهُ كراماتِ المِنَنْ
بل مُقْتَضَى الأمر مع القهرِ خُذْ ... فخيرُهُ المعلولُ عندَ الجَهْبَذِى
فليسَ كلُّ ثابتٍ تخصيصُه(٢) ... مُكَمِّلاً فى نَفْسِهِ تَخْلِيصُهُ

---

١ — امتثال امر الله فى الظاهر يدل على كمال الشريعة ، وتحقيق العبودية ، والاستسلام للقهر فى الباطن يدل على كمال الطريقة ونهاية الحقيقة ، والجمع بينهما هو غاية الكمال ، حيث ان منتهى الكمالات الشرائع ، فمتى جعلك أيها الانسان فى الظاهر ممتثلا لأمره ومجتنبا لنهيه ، وفى الباطن مستسلما لقهره ، فقد أعظم المنة عليك ، حيث أراح ظاهرك من عنت المخالفة ، العبد بالطاعة ، وزين باطنه بالمعرفة ، فالواجب عليه ان يشكر هذه النعمة ، وأراح باطنك من تعب المنازعة . فالله سبحانه وتعالى اذا زين ظاهر العبد بالطاعة ، وزين باطنه بالمعرفة ، فالواجب عليه أن يشكر هذه النعمة ، ويعرف قدرها ، حتى تعظم محبة الله فى قلبه ، وذلك أقصى مراد العبد ومتى أثبت له هذا الأمر فقد خلصه الله من نفسه ، وحرره من رق حظه .

٢ — فى الاصل « فليس كل ثابت تخليصه » .

إنّ الكراماتِ هيَ الخصائصُ ورُبّما يَنَالُهُنَّ ناقصُ(١)
إذ الخلوصُ من جميعِ العِلَلِ مع كلِّ آفاتٍ بِفَقْدِ الأملِ
وقدْ يكونُ صاحبُ الخوارقِ فى نَفْسِهِ مَذَمَّةَ الخَلائِقِ
ألا ترى الطيرَ لَدَى طَيَرَانِهِ والحُوتَ فى الماءِ وفى فَيَضَانِهِ
ألا ترى إبليسَ فى دَوَلانِهِ مع أنّه الجيفةُ فى إنْتِنَانِهِ
ثمّ الكراماتُ الحقيقيّةُ فى وَصْفِ العُبُودِيَّةِ أعلى شرفِ
وفى الذى يطلبُ منك الحقُّ ومنه وِردٌ جيء فيهِ الصِدْقُ

* ● *

---

١ — المراد بالتخصيص : تخصيصه بالكرامات الحسية ، والمراد بالتخليص : تخليصه من الحظوظ النفسية والشهوات .

ليس كل من ثبت تخصيصه بالكرامات الحسية ، كمل تخليصه من العوائد والشهوات ، بل قد يعطى الكرامات الحسية بعض من لم يتخلص من حظوظه النفسية .

وحكمة ظهورها عليه ثلاثة أمور : الأول : انهاضه فى العمل لحصول فترة أو وقعة ، الثانى : اختبار له ، هل يقف معها فيحجب أو يأنف عنها فيقرب ، الثالث : زيادة فى يقينه أو يقين الغير فيه ، لينتفع به ، روى أن سهلا — رضى الله عنه — قال لرجل قال له : انى أتوضأ فأجد الماء يسقط من يدى قضبان ذهب وفضة ، فاجابه بقوله : أما علمت أن الصبيان اذا بكوا أعطوا خشخاشة يشتغلون بها .

والحاصل أن الكرامة العظمى هى المعرفة ، والاستقامة ، ورفع الحجاب ، وفتح الباب ، فلا كرامة أعظم من هذا .

الباب الثانى عشر

١١٢ ــ لا يستحقر الورد الا جهول ، الوارد يوجد فى الدار الآخرة ، والورد ينطوى بانطواء هذه الدار ــ وأولى ما يعتنى به مالا يخلف وجوده ، الورد هو طالبه منك ، والوارد أنت تطلبه منه ، وأين ما هو طالبه منك مما هو مطلبك منه ؟

والوِردُ ذا إقامةُ الطاعاتِ بِحَقِ رَبِّه لدى الأوْقاتِ
فكلٌّ مُسْتَحْقِرٍ وِرْدٍ جَهُولُ(١)
بالوِردِ الذى هو المأمولُ
من ثمراتِ الوِردِ أوْ ثَوابِهِ لجنّةِ الرحمنِ واقِراً بِهِ
فالوِردُ للوارِدِ(٢) كان السببَ فذاك أوْلى أنْ تراهُ مَطْلَبَا

---

١ ــ فى الأصل « جاهل » .

٢ ــ الورد فى اللغة : هو الشرب ، وفى الاصطلاح : هو ما يرتبه العبد على نفسه ، أو الشيخ على تلميذه من الأذكار والعبادات . الوارد فى اللغة : هو الطارق والقادم ، و فى الاصطلاح : ما يتحفه الحق تعالى قلوب أوليائه من النفحات الالهية فيكسبه قوة محركة ، ولا يكون الا بغتة ولا يدوم على صاحبه ، فكل من أقامه مولاه فى ورد فليلتزمه ولا يتعدى طوره ، ولا يستحقر غيره ، اذ العارف لا يستحقر شيئا ، بل يصير مع كل واحد فى مقامه ، فلا يستحقر الورد ويطلب الوارد الا جهول أو معاند ، وكيف يستحقر الورد وبه يكون الورود على الملك المعبود ؟ الورد يوجد ثوابه وثمرته فى الدار الآخرة ، والوارد الذى تطلبه ينطوى بانطواء هذه الدار ، قال تعالى (وتلك الجنة التى أورثموها بما كنتم تعملون) (الزخرف ٧٢) فالانسان عليه أن يغتنم وجوده فى الدنيا ليعمل لآخرته ، فان الدنيا دار عمل لأجزاء فيها ، والآخرة دار جزاء لا عمل فيها ، فقد قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ « من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان يومه شرا من أمسه فهو محروم » ــ فأولى ما يعتنى به العبد ما هو الله طالبه منه وهو الورد ، دون ما يطلبه هو منه وهو الوارد « قضاء الله أحق وشرط الله أوثق » وقال تعالى « لئن شكرتم لازيدكم »

=

والوردُ يَنْطَوِى بِطَيِّ دارِنا لا سيَّمَا الأنفاسِ فى أعمارِنا
فواجبٌ عليك أنْ تَعْتَنِياَ بفائتٍ وُجُودُه مَنْطَوِياَ
والوردُ حقُّ اللهِ إذ يَطْلُبُهُ مِنْكَ وذا حَقُّكَ إذ تَطْلُبُهُ
مِنْـهُ وأينَ فضـلُ ما اللهُ طَلَبْ
مِن فَضْـلِ ما أصبـحَ مَطْلُوبُكَ هَبْ
فَحقُ مَوْلاكَ هو إستقامةُ وحَظُّ نفسنا هى الـكرامةُ
وحَقُّـهُ أفضـلُ مِنْ حُظُوظِنَا
فإسْمَعْ ولا تُهْمِلْ حُقُوقَ رَبِّنَـا

* ● *

١١٣ — ورود الامداد بحسب الاستعداد ، وشروق الأنوار على حسب صـفاء الأسرار .

إنَّ وُرُودَ العبـدِ من إمْـدادِهِ
بِحَسَـبِ الأورادِ وإسْتِعْـدادِهِ (١)

=

(ابراهيم ٧) وهـذا سبيل الطائفـة الجنيدية ، حيث ان الشيخ جنيد — رضى الله عنه — لم يترك اوراده حتى فى حال نزعه ، وفى ايقاظ الهمم ص ٢١٠ قيل للشيخ جنبد : ان جماعة بزعمون أنهم يصلون الى حالـة يسقط عنهـم التكليف ، قال : وصلوا ولكن الى سقر .

وقال فى كلام آخر : هذا كلام من يقول بالاباحة : والسرقة والزنا عندنا . أهون حالا ممن يقـول بهذه المقالة .

١ — المراد بالامداد : أنوار التوجه بالنسبة للسائرين ، وأنوار المواجهة بالنسبة للواصلين فهى تتولى على قلوب العباد بحسب التأهب والاستعداد ،

=

فالعبدُ مهما كَمُلَ إستِعْدادُهُ مُيَسَّراً لقَدْ أتى مُرادُهُ
إنّ شُرُوقَ السرِّ بالأنوارِ يَصْفُوهُ مِنْ صُوَرِ الأغيارِ
وذاك لا يكونُ إلاّ بِسَبَبْ
وهو إلتزامُ الوِردِ مِنْ عَزْمِ الطَلَبْ
للملكوتِ أودِعَتْ انوارُ فى كلِّ وِرْدٍ مَنْ له إستِبْصارُ
يطلبُ نورَ كلِّ طاعَةٍ ولاَ يُهْمِلُ جنساً بل يُوالى عَمَلاَ
وخيرُ وِرْدٍ أن تَكُونَ مُصْبِحاً
فيهِ إذا طَلَبْتَ أمراً مُصْلِحاً

* ● *

=

فبقدر المجاهده تكون المشاهدة ، وفائدة هذه الامداد : تطهير القلوب من الاغيار ، وتقديس الاسرار من الأكدار ، والوقوف مع الأنوار ، فلا تزال أمطار المدد تنزل على أرض النفوس الطيبة ، والقلوب المطهرة ، والأرواح المنورة ، والاسرار المقدسة ، حتى تملأ بأنوار المعانى ، فحينئذ تتعلق لها أنوار الصفات .

وشروق أنوار المعارف فى أفق سماء القلوب يكون على قدر صحوها من سحب الآثار وغيم الأغيار ، فبقدر صفائها ومحوها يكون تمام اشراق نورها ، وعلامة تروق هذه الأنوار ترك التدبير والاختيار ، والاكتفاء بنظر الواحد القهار .

١١٤ — الغافل اذا أصبح ينظر ماذا يفعل ، والعاقل ينظر ماذا يفعل الله بـــه .

ما بَثَّهُ الإمامُ فالناسُ هنا قِسْمَانِ : عاقلٌ وغافلٌ وَنَا(١)
فحيثما أصبحَ غافلٌ نَظَرَ فيما الذى يَفْعَلُ وَهُو ذُو كَدَرَ
مُسْتَشْعِرٌ فَـوَاتَ مقصودِ الأمـلِ
مُعْتَمِـدٌ على قُواهُ والعَمَـلْ
لكنّما العاقلُ ليسَ يَنْظُرُ إلاّ الذى يَفْعَلُهُ المُقَدِّرُ
هُمَا كمثلِ أوْجُهِ التعريفِ يَرضى بها وأوْجُهِ التَكْلِيفِ

---

١ — الناس قســمان : غافل ، وعاقل ، الغافل : هــو الجاهل بالله ولو كثر ذكره باللسان ، والعاقل : هو العارف بالله ، ولو قل له ذكر اللسان ، اذ المعتبر هــو ذكر الجنان ، فالغافل نفســه موجــودة ، وآماله ممدودة ، اذا أصبح نظر ماذا يفعل بنفسه ، فيــدير شؤونه ومآربه بعقله ، فهو ناظــر لفعله ، معتمد على حوله وقوته ، فاذا فسخ القضاء ما أبرمه ، وهدم ما دبر ، غضب وسخط وحزن وقنط ، فنازع ربه وأســاء أدبه ، فهو يستحق من الله البعد ، الا اذا حصل له رجــوع الى الله .

وأما العاقل وهو العارف ، ، فقد تحققت فى قلبه عظمة ربه ، وانجمع اليه بكلية قلبه ، فاشرق فى قلبه شموس العرفان ، فاذا أصبح نظر ماذا يفعــل الله به ، فلقى كل ما يرد عليه بالفرح والسرور والبهجة كما قال الشاعر :

اتبع رياح القضا ودر حيث دارت وســلم لسلمى وسر حيث سارت

واستعن على هذا الأمر بادعيته عليه الصلاة والسلام فى هذا المقــام ، كقوله : « اللهم انى أصبحت لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا ، ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، ولا أستطيع أن آخذ الا ما أعطيتنى ، ولا أن أتقى الا ما وقيتنى ، فوفقنى اللهم لمــا ترضاه منى من القول والفعل ، وفى عافية وستر ، انك على كل شىء قدير » . ويجمع هذا أربعة أمور : صدق الورع ، وحسن النــية ، واخلاص العمل ، ومحبة العلم ، وقال بعضهم من اهتدى الى الحق لم يهتد الى نفسه ، ومن اهتدى الى نفسه لم يهتد الى الله ، أى من رأى الحق غاب عن نفسه ، ومن رأى نفسه حجب عن الله .

يَطْلُبُها بغيرِ ما فُتُورِ يَفْعَلُهَا مُسْتَوْفِياً بِسُورِ

١١٥ — انما يستوحش العباد والزهاد من كل شيء ، لغيبتهم عن الله فى كل شيء ، فلو شهدوه فى كل شيء لم يستوحشوا من شيء .

وإنّما إسْتَوْحش(١) العُبّادُ عَنْ غيرِ مولاهُمْ كذا الزُهّادُ
لأنّهُمْ لمْ يَشْهَدُوهُ فيهِ فَعَنْهُ فَرُّوا غيرَ مُبْتَغِيهِ
حتّى ولو رَأَوْهُ فى الكونِ(٢) لَمَا
أوْحَشَهُمْ عن غيرِهِ وإنّما
أدْخَلَهُمْ فى ظُلْمَةٍ بنُورِ مُسْتَأْنِسِينَ فيه بالحُضُورِ

---

١ — فى الأصل « استوحشت العباد » .

٢ — العباد : هم الذين غلب عليهم الفعل ، فهم مستغرقون فى عباداتهم البدنية ، وذاقوا حلاوة العبادة ، فهم حينما يؤدون العبادة كأنهم فى متعة وفرح ، لا يتعبون فى أداء العبادة ، بل يسترحون بالعبادة .

والزهاد : هم الذين غلبهم الترك ، ترك كل شيء فى الدنيا ، فهم يفرون من الدنيا وأهلها ، ذاقوا حلاوة الزهد فوقفوا معه ، فهم يستوحشون من الأشياء لغيبتهم عن الله فيها ، ويرون أن الدنيا تحجب عن الله .

والعارفون لنفوذ بصيرتهم شهدوا الخلق مظاهر من مظاهر الحق ، فحجبوا أولا بالحق عن الخلق ، وبالمعنى عن الحس ، ثم ردوا الى شهود الحق فى الخلق ، فحين عرفوا الله فى كل شيء ، أنسوا لكل شيء ، وتأدبوا مع كل شيء ، وعظموا كل شيء ، فهم يألفون مع الخلق ويؤلفون .

فَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ
تألفهُمْ قُلُوبُ أهلِ المِحَنِ
فالمؤمنُ المألوفُ بلْ وآلِفُ مؤدِّيًا ما تقتضى المَواقِفُ

* ● *

١١٦ — أمرك فى هذه الدار بالنظر فى مكوناته ، وسيكشف لك فى تلك الدار عن كمال ذاته .

ثمّ شُهُود أوْجُهِ الخلائِقِ مستلزمٌ لرؤيَةِ الحقائِقِ
ورُؤيةُ حقَائِقِ الأكوانِ يَلْزَمُهَا زيادةُ العِرْفانِ
وهو متى زِيد بدارِ الدُّنْيا يَقْلِبُ بالرؤيَةِ وَجْهَ المولى
وإن نَظَرْتَ فى مُكَوَّناتِهِ كما أتاك الأمرُ فى آياتِهِ(١)

---

١ — أن الله سبحانه وتعالى أمر المؤمن أن ينظر اليه بواسطة مكوناته حيث قال تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) (يونس ١٠١) وقال : (فانظر الى آثار رحمة الله) (الروم ٥٠) لأن الانسان لا يقدر أن ينظر الى حقيقة ذاته المقدسة فى الدنيا لضعف نشأته ، وان كان ذلك جائزا عقلا ، ولذلك طلبه سيدنا موسى عليه السلام ، لكن حكمة الحكيم اقتضت تغطية أسرار الربوبية ، فالنظر الى مكونات الله سبحانه يؤدى الى معرفة الله ، لأنها مخلوق الله وآثاره ، والأثر يدل على المؤثر .

وأما رؤية الله فى الدار الآخرة فهى ثابتة بالقرآن حيث يقول تعالى (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) (القيامة ٢٢) ، خالف فى ذلك المعتزلة حيث انكروا رؤية الله فى الدنيا والآخرة مستدلين بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير) (الانعام ١٠٣) لكن الأكثرية من علماء المسلمين على أن رؤية الله : جائزة وان أهل الجنة سوف يرون ربهم بدون الكم والكيف ، والله أعلم . والمسألة مفصلة فى كتب العقائد فمن يريد المزيد فليراجع شرح المواقف وفيه تفصيلات دقيقة جدا بالنسبة لهذه المسألة .

تَشْهَدُ فى الدنيا عُلا صِفَاتِهِ وفى غدٍ ترى علىَّ ذاتِهِ
من حيثُ لا كيفَ ، ولا أيْنَ ، ولا
يَشْبَهُهُ شيئاً أبَداً وأزَلاً

* ● *

١١٧ — علم (١) منك أنك لا تصبر عنه ، فاشهدك ما برز منه .

إنّك لا تصبرُ عنهُ قدْ عَلِمَ ذلك مِنْكَ فأراكَ ما فُهِمْ (٢)
من بارزٍ عنهُ من الوُجُودِ علامةً على كمالِ الجُودِ
إذ الحديثُ لا يَرَى قَدِيماً ما كانَ فى حُدُوثِهِ مُقِيماً

* ● *

١١٨ — لما علم الحق منك وجود الملل ، أون لك الطاعات ، وعلم ما فيك من وجود الشره ، فحجرها عليك فى بعض الأوقات ، ليكون همك اقامة الصلاة لا وجود الصلاة ، فما كل مصل مقيم .

ولَوَّنَ الرؤيةَ فى الطاعاتِ لِمَلَلٍ عليكَ وَهْوَ ذاتىّ
وَخَصَّ أوقاتٍ بها لِشَرَهٍ فيكَ لتَعْجِيلِ دَعا وَعَمَهِ

---

١ — وفى بعض النسخ « لما علم أنك لا تصبر عنه » .

٢ — لما علم الله سبحانه وتعالى أن المؤمن لا يصبر عنه ، ولا يقدر أن يراه على ما هو عليه من كمال جلاله ونور بهاء جماله مادام فى الدنيا ، لأن الحادث لا يحيط علمه بالقديم ، فالله رحمه بأن أشهده ما برز منه من تجلياته فى مظاهر مكوناته ،وآثار صفاته ، لأن النظر والتفكير فى هذا الكون يوصل الانسان الى معرفة الله ومعرفة عظمته وجلاله ، لأن جميع المخلوقات تدل على عظمة الخالق .

إذْ إنْـــدِفاعُ مَلَـــلٍ وفـــترة
يحصـــلُ مِنْ تَلْوِينِهـــا فى كـــثرة(١)

وشَرَهٍ بحجرِها فى وقتٍ خُصَّ بهـــا فَخُذْهُ بالتَّقَى
والحِجْرُ والتَّلْوِينُ من أمورٍ ثلاثة إعانَـــةُ المَيْسُورِ
وحجةٌ أنت على المَخْذُولِ تكرمـــةُ المحقِّقِ المَقْبُولِ
من العبوديّـــةِ فى تَيْسِيرِ فهـــذه الثـــلاثةُ الأُمُورِ
ثمّ ليكُنْ هَمُّكَ فى الصلاةِ إقامَـــةً لهـــا بشرطٍ آتِ(٢)
دُونَ وُجُـــودِها فيانَـــدِيمُ ما كلُّ مَنْ صَلَّى هو المُقِيمُ
إقامـــةَ الصـــلاةِ بالخُشُوعِ مـــع إسْتِكانَةٍ وبالضُّرُوعِ

---

١ — ان الحق تعالى هو خالق الانسان ، والعارف بما فى نفس الانسان وخلجات صدوره ، وبما ان الانسان يثقل عليه التكرار فلذلك نوع العبادات الى الصلاة والصوم والحج والذكر الى آخرها حيث أن انتقال النفس فى انواع الطاعات وأعيانها ، يقتضى لها وجود استراحة من لون الى لون ، وهذا يفيد تنشيط الجسم بالنسبة للمسلم الكسلان ، ويفيد كرامة على كرامة بالنسبة للعابد اذ يستفيد من كل نوع نورا ليس فى غيره ، وقد يقـــع الملل من نفس الانسان مع وجود التلون ، لوقوع الشدة فى النوع الواحد فالله سبحانه خفف لنا هذا بتوزيع العبادات على الأوقات .

٢ — ان الله سبحانه وتعالى ما سهل لك العبادات بالتنوع والتوزيع على الأوقات ، الا لتكون مهتما باقامة الصلاة ، الذى هو القيام بحقوقها الباطنة وحدودها الظاهرة ، وانما خص الصلاة بالذكر ، لأن النفوس غالبا انما يتسلط بالشدة عليها ، ولان الشدة غالبا انما يقطع عنها ، ولانها أم العبادات ورأسها ، ثم الأهم فى حفظها بالخضوع والاقبال كما روى عن الامام عمر — رضى الله عنـــه — : من حفظها وحافظ عليها فهو لمـــا سواها أحفظ ومن ضيعها فهو لمـــا سواها أضيع .

١١٩ ــ الصلاة : طهرة للقلوب من ادناس الذنوب ، واستفتاح لبـاب الغيـــوب .

١٢٠ ــ الصلاة محل المناجاة ومعدن المصافاة : تتسع فيها ميادين الاسرار ، وتشرق فيها شوارق الأنوار ، علم وجود الضعف منـك ، فقلل أعدادها ، وعلم احتياجك الى فضله ، فكثر أمدادها .

فيها خصالٌ ستّةٌ مِرامُ(١) بهـا الصلاةُ بيننا تُقَامُ :
أوّلُهـا طهـارةُ القُلُوب من دَنَسِ الغَفْلَةِ والذُنُوبِ

---

١ ــ فى الصلاة ست مقامات لا تتحصل الا لمن أقامها ، فمن وجدها فذلك والا فليبك على نفسه .

أولها أن الصلاة طهرة للقلوب من الدنس من ثلاثة أشياء : من الذنوب الماضية بوجـود تكفيرها فيذهب الران الذى فى القـلوب ، ومن الذنوب المتوقعة حيث قال تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) [العنكبوت ٤٥] ومطهرة للقلوب من ملاحظة المخلوقين .

الثانى ــ الصلاة استفتاح لباب الغيوب ، بافراد الوجه الداعى لانفراد الحقيقة للمتوجه اليه ووجود الخضوع والتذلل الذى هو بساط الموهبة ، وبالدعاء والضراعة الموجودة فى قراءة الفاتحة .

الثالث ــ الصلاة محل المناجات ، حيث يوجد فيها الثناء على الله ، فيقول : حمدنى عبدى . ووجود الذكر ، فيقول : مجدنى عبدى ، وهى مورد التفويض كما جاء فى الحديث القدسى « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين : فنصفها لى ونصفها لعبدى فاذا قال : (الحمد لله رب العالمين) ، قال : أثنى على عبدى ، فاذا قال : (مالك يوم الدين) ، قال : مجدنى عبدى ، فاذا قال : (اياك نعبد واياك نستعين) قال : هذا بينى وبين عبدى ولعبدى ما سأل ، فاذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم) قال : هذا لعبدى ولعبدى ما سأل » .

الرابع ــ ان الصلاة معدن المصافاة ، فبالصلاة يكون المؤمن صفيا لله أى محبوبا عنده .

الخامس ــ تتسع فى الصلاة ميدان الاسرار بما يرد عليها من انواع الفوائد والعرفان ، فانه قد تكون أعيان المعارف الدقيقة مستفادة من أنواع العبادات الداخلة فى الصلاة ، كالذكر والدعاء والقرآن اذ يستفيد من كل الافعال معنى ، ومن كل معنى وجوها .

ومُفْتَـــحٌ لَنـــا مِن التجلّى من الغُيُوبِ ومِنْ التَّدَلّى
وللمُنَـــاجَاتِ هى المحـــلُّ وللمُصَافَـاةِ هىَ الأدَلُّ
فيها إتساعُ مُشْرِقِ الأنوارِ كذا المَيَادِينُ مِنْ الأسرارِ
قَلَّلْتَهَا لضَعْفِنا أعْـــداداً كَثَّرْتَهَا لحُبِّنَـــا إمْداداً
خمسٌ وَخَمْسُونَ وما يُبَـــدَّلُ(١)
قولٌ لـــدىَّ فهـــو فضـــلٌ أجْزَلُ

١٢١ — متى طلبت عوضا على عمل ، طولبت بوجود الصدق فيه ، ويكفى المريب وجدان السلامة .

مَتَى طلبتَ عِوَضاً مِنْ حَقٍّ يَطْلُبُكَ الحقُّ بِهِ بِصِدْقِ
إنَّ المُرِيبَ حَسْبُهُ السلامةُ فى عَمَلٍ لَمْ يأتِ بالتَّمامَه

* ● *

= السادس : تشرق فيها شوارق الانوار على القلوب من معانى الـــلاوة والاذكار وعلى الجوارح بظواهر السمات والآثار ، قال تعالى (سيماهم فى وجوههم من أثر السجود) [الفتح ٢٩] .

قال فى لطائف المنن ص ٢٣١ قال « أى الشيخ أبو العباس المرسى » فى قوله عز وجل (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) [البقرة ٣] .

كل موضع ذكرفيه المصلون فى معرض المدح ، فانما جاء لمن أقام الصلاة اما بلفظ الاقامة أو بمعنى يرجع اليها ، قال سبحانه وتعالى (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة) وقال (رب اجعلنى مقيم الصلاة) [ابراهيم ٤٠] وقال (أقم الصلاة) [الاسراء ٧٨] وقال (واقام الصلاة) [النوبة ١٨] وقال (وأقاموا الصلاة) [فاطر ٢٩] وقال (والمقيمى الصلاة) [الحج ٣٥] ولمـــا ذكر المصلين بالغفلة قال (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) [الماعون ٤ ، ٥] ولم يقل فويل للمقيمين الصلاة .

والاقامة هو أنه اذا صلى المؤمن صلاه فتقبلت منه ، خلق الله من صلاته صورة فى ملكوته راكعة ساجدة الى يوم القيامة ، وثواب ذلك لصاحب الصلاة .

١ — وهذا اشارة الى ما ورد فى حديث المعراج حيث أخرجه البخارى فى صحيحه عن أبى ذر الغفارى — رضى الله عنه — فى حديث طويل ، وفيه « ففرض الله على أمتى خمسين صلاة ، فرجعت بذلك ، حتى مررت على موسى ، فقال : ما فرض الله لك على أمتك ؟ قلت فرض خمسين صلاة ، قال فارجع الى ربك ، فان أمتك لا تطيق ذلك ، فراجعنى فوضع شطرها ، فرجعت الى موسى قلت : وضع شطرها ، فقال : راجع ربك ، فان أمتك لا تطيق ، فراجعت ،

١٢٢ — لا تطالبن عوضا على عمل لست له فاعلا ، يكفى من الجزاء لك على العمل أن كان له قابلا

لاتَطْلُبَنَّ عِوضاً من عَمَلٍ ... لستَ له الفاعلَ والأمْرُ الجَلِي
يكفيك من جزاءِ ذاك العَمَلْ ... قَبُولُهُ منك على كلِّ عِلَلْ

* ❁ *

١٢٣ — اذا أراد أن يظهر فضله عليك ، خلق ونسب اليك .

١٢٤ — لا نهاية لذامك ان أرجعك اليك ، ولا تفرغ مدائحك ان أظهر جوده عليك .

إذا أدارَ(١) فَضْلَهُ عليكَ ... يُنْسِبُ بعدَ خَلْقِهِ إليكْ(٢)

=
فوضع شطرها ، فرجعت اليه ، فقال : ارجع الى ربك فان أمنك لا تطبق ذلك ، فراجعته فقال : هن خمس وهن خمسون لا يبدل القول لدى » وفى رواية « هى خمس هى خمسون » انظر فتح البارى ٤٥٩/١ كتاب الصلاة .

١ — فى الأصل « اذا أراد فضله عليك »

٢ — ان الله سبحانه وتعالى اذا أراد أن يبرز انسانا فى الدنيا والآخرة ، يخلق فيه العمل الصالح ، ويسخره للطاعة والعبادة والبر والاحسان ، وينسب هذه الأعمال الصالحة اليه على السنة الناس ، فتطلق الألسنة توصفه بالصالح والنزيه وغير ذلك من الصفات الحميدة ، مع أن ما قام به من الأعمال الصالحة كان بتسخير الله وتسهيله ، لأن أفعال العبد بخلق الله وليس بخلقه ، وان الله هو الخالق لأفعال العباد ، وليس العبد خالقا لأفعاله ، حيث يقول سبحانه وتعالى (والله خلقكم وما تعملون) (الصافات ٩٦) واذا أراد أن مهين انسانا أمام الخلق خلق فيه الأعمال السيئة والصفات الدنيئة .

فالعاقل يجب عليه أن يشكر ربه على أعماله الصالحة وصفاته الحميدة ، لأن الله هو الذى خلق هذه الصفات وهذه الاعمال ، وعليه أن يتأدب مع الله بأن ينسب الله الأعمال الصالحة ، وينسب الأعمال غير الصالحة الى نفسه والى الشيطان . وعليه أن يشكر الله أيضا لأنه حماه من نفسه وهواه ، ولو خلى الله بينه وبين نفسه وهواه لارتكب فضائح كثيرة وأعمال شريرة حيث يقول تعالى (ان النفس لأمارة بالسوء) (يوسف ٥٣) .

فما لِفَضْلِ اللهِ من نِهايَةٍ ... عليك من كرامةِ العِنايَةِ
إن اظهرَ الجودُ لك المَدائِحَ ... لا تَنْتَهي جَلِيلَةُ لَوائِح
وذَمَّكَ الأكثرُ إنْ أرْجَعَكَ ... إليك فاذْكُرْ ذا البَيانَ مَعَكَ
وخيرُ(١) وِرْدٍ لا تَرَى وُجُودَكَ ... ودائِماً تَشْهَدُهُ إسْعُودَكَ

* ❁ *

---

١ — لقد نويت عدة مرات أن أنقل هذا البيت الى بداية الباب الثانى عشر عند الحكمة ١١٢ بعد قول الشيخ :

والورد حـــق اللـــه ان يطلبه
منـــك وذا حقـــك اذ تطلبـــه

لأن معنى البيت يتفق مع موضوع الورد ، لكننى فضلت المحافظه على ترتيب النسخة الأصلية ، واكتفيت بهذه الاشارة العابره ، على أننا لو بدلنا كلمه الورد فى البيت بكلمة وقت لكان أكثر انسجاما مع هذا الموضوع بحيث قرانا البيت هكذا :

وخـــــير وقت لا ترى وجـــودك

الباب الثالث عشر

١٢٥ — كن بأوصاف ربوبيته متعلقا ، وبأوصاف عبوديتك متحققا .

خُذْ بِرُبُوبِيَّتِهِ تعلُّقاً(١) وفي عُبُودِيَّتِنَا تَحَقُّقاً
فَلِلرُّبُوبِيَّةِ أوصافٌ هنا كَقُدْرَةٍ وقُوَّةٍ عِزٍّ غِنا

---

١ — أوصاف الربوبية هي العز والكبرياء والعظمة والغنى والقدرة والعلم وغير ذلك من أوصاف الكمالات التي لا نهاية لها ، وأوصاف العبودية هي الذل والفقر والعجز والضعف والجهل وغير ذلك مما يناسب العبودية من النقائص .

وكيفية التعلق بأوصاف الحق : هو أن تلتجيء في أمورك الى الله ، وتعتمد في حوائجك عليه ، وترفض كل ما سواه ، ولا ترى في الوجود الا اياه ، فاذا نظرت الى عزه وكبريائه وعظمته تعززت به ولم تتعزز بغيره وصغر في عينك ما عداه ، واذا نظرت الى وصفه تعالى بالغنى تعلقت بغناه ، واستغنيت عما سواه ، واذا نظرت الى وصفه تعالى بالقوة والقدرة لم تلتجيء في حال ضعفك وعجزك الا الى قدرته وقوته ، واستضعفت كل شيء ، وهكذا في جميع الأوصاف والاسماء ، وكيفية التخلق بأوصاف الحق تعالى : هو أن تكون في باطنك عزيزا بالله عالما به وبأحكامه ، وقويا في التمسك بالدين ، قال تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) (فاطر ١٠) .

وكيفية التخلق بأوصاف العبودية : هو التحقق بالذل في الظاهر ، حتى يصير الذل عندك حرفة وطبيعة لا تأنف منه ، وكذلك الفقر والضعف والجهل وسائر أوصاف العبودية قال بعض المشايخ : أهل الظاهر يتنافسون في العلو أيهم يكون أعلى من الآخر ، وأهل الباطن يتنافسون في الحنو أيهم أحنى من الآخر ، فمن استغنى بالله افتقر اليه ، ومن افتقر الى الله استغنى به ، ومن تعزز بالله ذل له ومن ذل له تعزز به ، ومن شاهد قدرة الله رأى عجز نفسه ، ومن نظر الى ضعف نفسه رأى قوة مولاه ، ومن رأى قوته علم ضعف نفسه ، وهكذا فان العارف اذا نظر الى أوصافه رأى أنه فقير الى الله ، واذا نظر الى أوصاف الله رأى أنه غني بالله ، فتارة يغلب عليه الغنى بالله فتظهر عليه آثار العناية من الكرامات ، وتارة يظهر عليه آثار الفقر الى الله فيلتزم الرعاية ، فالرسول — صلى الله عليه وسلم — في بعض الأحيان كان يشد الحجر على بطنه من الجوع ، وفي بعض الأوقات يزداد الطعام والماء بين يديه معجزة له صلى الله عليه وسلم .

وإنّ مِن تعلّقِ العبدِ بِهـا ... أن لا يكونَ ناظراً لِغَيْرِها
ولا على شيءٍ سِواهَا مُعْتَمِدْ ... وللعبوديّةِ أوْصَافٌ تَجِدْ
عجزٌ وذُلٌّ ثمّ ضَعْفٌ فَقْرُ ... كلٌّ له نورٌ تَمَـاهُ البَـدْرُ
وإنّ مِنْ تحقّقِ العبدِ بِها ... أن لا يكونَ فاقِداً لِوَصْفِها
وكَوْنُها لا زِمَـةٌ لَدَيْـهِ ... قائِمَـةٌ غالِبَـةٌ عليـهِ
ومالَهُ عن كلّهما إنْفِكاكُ ... ونُورُهُ لنُورِهِ إدْراكُ
في كلّ حالٍ كانَ مُتّحقّقاً ... ثمّ بِمـا للهِ مُتَعَلِّقـا
لكنّما البِساطُ قَدْ يَخْتَلِفُ ... فتـارةً يَغْلِبُهُ تَضَعُّفُ
وتارةً يَغْلِبُهُ الفَنَـا بِـهِ ... وتارةً يَعْتَقِبُهُ الغِنَا بِـهِ
وتارةً يَغْلِبُـهُ إفتقـارُ ... وذُلّةٌ يَعْقُبُهُ إضطرارُ

فحيثما حـلّ على جَنَـانِـهِ
غِنَـاهُ حـلّ البَسْطُ مِنْ إحسانِهِ

وحيثما عليه فَقْرُهُ غَلَبْ ... وافَقَ راجِعاً إلى حالِ الأدَبْ
فأصْبَحَ البسطُ مَعَ الكرامَةِ ... محلّ أولياه(١) والعَلامَةِ
ومَوْقِفُ التعظيمِ ثمّ الأدَبِ ... ثانيهِمـا وكلٌّ أحوالٌ للنبيّ
أطْعَمَ بالصاعِ ألُوفاً مُظْهِراً ... غِناهُ باللهِ(٢) وشَدَّ الحَجَرَ

---

١ — في الأصل « محل أوليه »

٢ — وردت أحاديث كثيرة في زيادة الطعام والماء بين يدي رسول الله — صلى الله عليه وسلم — معجزة له ، منها روى البخاري ٣٠٤/٧ في المغازي باب غزوة الخندق عن جابر قال : انا يوم الخندق نحفر ، فعرضت كدية شديدة ، فجاؤوا النبي — صلى الله عليه وسلم — فقالوا : هذه كدية عرضت في الخندق فقال : أنا نازل ، ثم قام وبطنه معصوب — ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا

من جُوعِهِ(١) أظْهَرَ فِيهِ فَقْرَهُ
لِلّهِ ثُمَّ أولاً أظْهَرَهُ
لِحاجَةِ النّاسِ إليهِ جابِراً لحالِهِمْ حتّى يَرَوْهُ قادِراً
بِرَبِّهِ وأظْهَرَ الثانِي مِنْ تَعْلِيمِهِمْ للأدَبِ الذي رَكَنْ
وذا هو المقصودُ إنْ عَلِمْتَنا أنّ النبيَّ للجميعِ سَنّا
قلّ إظهارٌ لِحالِ أوّلِ إلاّ لَدَى الحاجَةِ أو تَزَلْزُلِ

= فأخذ النبى — صلى الله عليه وسلم — المعول ، فعاد كثيبا أهيل — أو أهيم — فقلت : يا رسول الله ، ائذن لى الى البيت ، فقلت لامرأتى : انى رأيت النبى — صلى الله عليه وسلم — شيئا ، ما فى ذلك صبر ، فعندك شىء ؟ قالت : عندى شعير وعناق ، فذبحت العناق ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم فى البرمة ، ثم جئت النبى — صلى الله عليه وسلم — والعجين قد انكسر ، والبرمة بين الأثافى ، قد كادت أن ننضج ، فقلت : طعيم لى ، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان ، قال : « كم هو » فذكرت له ، قال « كثير طيب ، قل لها : لا تنزع البرمة ، ولا الخبز من التنور حتى آتى ، فقال : قوموا » فقام المهاجرون والأنصار ، فلما دخل على امرأته قال : ويحك ، جاء النبى — صلى الله عليه وسلم — بالمهاجرين والأنصار ومن معهم ، قالت : هل سألك ؟ قلت : نعم ، فقال « أدخلوا ولا تضاغطوا » فجعل يكسر الخبز ، ويجعل عليه اللحم ، ويخمر البرمة والتنور اذا أخذ منه ، ويقرب الى أصحابه ، ثم ينزع ، فلم يزل يكسر ويغرف حتى شبعوا ، وبقى منه ، فقال : « كلى وأهدى ، فان الناس أصابتهم مجاعة » .

١ — كما وردت أحاديث كثيرة تدل على فقر الرسول وجوعه : منها ما روى عن انس — رضى الله عنه — قال : قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « لقد أخفت من الله ما لم يخف أحد ، واوذيت فى الله ما لم يؤذى أحد ، ولقد اتى على ثلاثون من يوم وليلة ومالى ولبلال طعام ، الا شىء يواريه ابط بلال » أخرجه الترمذى . انظر جامع الأصول ٦٨٧/٤ ، وعن النعمان بن بشير قال « ذكر عمر ما أصاب الناس من الدنيا ، فقال : لقد رأيت رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يظل اليوم يلتوى ، ما يجد من الدقل ما يملأ به بطنه » أخرجه مسلم فى الزهد . وعن عائشة — رضى الله عنها — قالت : « كان يأتى علينا الشهر ما نوقد فيه نارا ، انما هو التمر والماء ، الا أن يؤتى باللحيم » وفى رواية ، قالت « ما تشبع آل محمد من خبز البر ثلاثا ، حتى مضى لسبيله » . انظر جامع الأصول ٦٨٢/٤ .

للضُعَفَاءِ فَتَحَقَّقْ بالأدَبْ تأسِيًا بِهِ فذا هو الأدَبْ
وبَعْدَ ما إتَّصَفْتَ بالذى لَهُ كُنْ مُتحَفِّظاً مِنْ الدَعَوى لَهُ

* ● *

١٢٦ — منعك أن تدعى ما ليس لك مما للمخلوقين ، أفيبيح لك أن تدعى وصفه ، وهو رب العالمين ؟

فما أباحَ لك أنْ تَدَّعِيَ ما كانَ للمخلوقِ فابْغِ قَوْلي(١)
فكيفَ لا يَمْنَعُ أن تَدَّعِيَ وَصْفاً لِذى العِزَّةِ يا مُدَّعِياً
إذا تحلَّيْتَ بما لَهُ فَلا تَكُنْ عَنْ اللائقِ بِاكَ غافِلاً
تَفْعَلُ ما تَشا كما تَشاءُ وطاوَعَتْ لأمرِكَ الأشياءُ
لك الغُيُوبُ كالشُمُوسِ تَشْرُقُ كما تُحِبُّ تَخْرُقُ الخَوارِقُ
يَنْفَتِحُ من أرْزاقِهِ كُنُوزاً تُنْفِقُهَا كنتَ بِهِ عَزِيزاً
وقادِراً وحَكَماً قَوِيًّا مُحَبَّباً مقرَّباً وَلِيًّا
وكلَّما إحْتَجْتَ إليه صارَ فى نُصْرَةِ اللهِ نصيراً جاراً
رأنت فى العزِّ لا ذليلُ أعَزَّكَ الذى هو الجَلِيلُ

---

١ — ان الله سبحانه وتعالى لا يرضى لعبده أن يشاركه فى أوصافه ، وذلك كاتصاف العبد بالعز والعظمة والكبر وطلب الرئاسة والعلو ، فان فعل شيئا من ذلك استحق من الله الطرد ، ففى الحديث القدسى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « يقول الله تبارك وتعالى : الكبرياء ردائى ، والعظمة ازارى ، فمن نازعنى واحدا منهما قصمته » وقال أيضا « لا أحد اغير من الله فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن » والفواحش : كل ما عظم قبحه وعظم جرمه : كالزنا والغصب والسرقة والتعدى وأكل أموال الناس بالباطل وغير ذلك من حقوق العباد ، فاذا كان منعك أن تدعى ما ليس لك مما هو للمخلوقين من العرض الفانى : فكيف يبيح لك أن تدعى وصفه من العزة والكبرياء ، وهو رب العالمين ، فاذا ادعيت ما ليس لك سلبك ما ملكك .

وأنت لا تَضْعُفُ عن شيءٍ بهِ في كَنَفِ الرّحمنِ بل في حِزْبِهِ

لكنمّا ذلك من كَوْنِكَ قدْ
فُنِيتَ عَنْكَ بالمُهَيْمِنِ الصَمَدْ

في كلِّ شيءٍ بعد أنْ تَفْعَلَهُ مُنْفَعِلاً هو الذي يَفْعَلُهُ
لا تَدَّعِ الأمورَ إنّها لَهُ وأنت عندَ ذُلِّهِ أذْهَلَهُ
عن إدّعاءِ ما مَضَى من شرفٍ أضْعَفَ كلَّ فاقدٍ مُسْتَضْعَفِ
لوَصْفِكَ الأصلي كُنْ رجّاعاً فَتًى فَقيراً لا مَنْ إسْتَطاعَ
عارِيَةٌ أدَّيْتَها لِرَبِّها ما كانَ في يَدِيكَ كُنْ مُنْتَبِهاً
هو المُجازِيُّ لِذا يرتَفِعُ مِنْ بَعْدِ ما حَقيقَةً تَنْجَمِعُ
وكلُّ ما مضى بِخَرْقِ العائِدِ أعْنِي صفاتِ النفسِ والعَوائِدِ

* ● *

١٢٧ — كيف تخرق لك العوائد ، وأنت لم تخرق من نفسك العوائد ؟

١٢٨ — ما الشأن وجود الطلب ، انما الشأن أن تزرق حسن الأدب ؟

وكيفَ مناك تَخْرُقُ العَوائِدُ وأنت ما خَرَقْتَ مناك عائِدا
وخَرْقُها ظهورَ شيءٍ ليسَ لَكْ
مُتَّصِفاً بوَصْفِ ما اللهُ مَلَكْ
من الكمالاتِ التي يُجْرِيها عليكَ والعقولُ لا تُحْصِيها

والنفسَ حيثُ تركتْ مألوفَهَـا
شَهِدَتْ خَرْقَ ذاك مِنْ تَصَرِيفِهَا(١)
وكلُّ ذلك الذى تَحَقَّقَ لِمَا تَخَلَّقَ وما تعلَّق(٢)
إذ الجزاءُ كانَ مِنْ جِنسِ العَمَلَ
وخَرْقُها الظاهرُ مِنْ تِلك الجُمَلْ
كُنْ فَيَكُونُ مِنْ عَظِيمِ شأنِهِ
وكلُّ ما كَوَّنَهُ مِن كَوْنِهِ
ذاك مِنْ التَقْرِيبِ بالنَوافِلِ(٣)
طوبى لِمَنْ كانَ بذاكَ واصِل

* ● *

---

١ — خرق العوائد من النفس يكون بعدة أمور :

الابتعاد عن الهوى والشهوات طالبا للحق ، والانحياش للخلق وقوعا على الحقيقة ، والاكتفاء بالله اعراضا عن الخلق ، ويجمع ذلك كله وجود الأدب ظاهرا وباطنا بين يدى الله ، وحسن الأدب يدور على ثلاثة أمور : اقامة الحقوق الشرعية ، الاستسلام فى الأمور القهرية ، وجود التذلل والافتقار ، واظهار الحاجة اليه والاضطرار .

٢ — فى الأصل « تحققا لما خلقا وما تعلقا »

٣ — هذا اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — فى الحديث القدسى بقول تعالى « ما يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فأكون سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ، ولسانه الذى ينطق به ، وقلبه الذى يعقل به ، فاذا دعانى أجبته : واذا سألنى أعطيته ، وان استنصرنى نصرته ، وأحب ما تعبدنى عبدى به النصح لى » رواه الطبرانى الأتحاف السنية ص ١٥٨

١٢٩ — ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ، ولا أسرع بالمواهب اليك مثل الذلة والافتقار .

ولا تَرَى يَشْبَهُ باضطرارِ منك لَهُ ، والذُّلُّ وإفتِقَارُ (١)
أسرعَ بالمواهبِ الجَلِيلاتِ لأنَّهُ الرجُوعُ ليس عِلَّةً
لله والوُقوفُ بالمَسْكَنَةِ بينَ يَدَيْ ذي العزِّ والسَّلْطَنَةِ
وخيرُ أوقاتِكَ وقتٌ تَشْهَدُ فيهِ من الفاقَةِ فيه أنْشَدُوا
أدبُ العَبيدِ تَذَلُّلٌ والعبدُ لا يدعُ الأدبْ
فإذا تَكامَلَ ذُلُّهُ نالَ المودَّةَ وإقْتَرَبْ

* ● *

١٣٠ — لو أنك لا تصل اليه الا بعد فناء مساويك ، ومحو دعاويك ، لم تصل اليه أبدا ، ولكن اذا أراد أن يوصلك اليه غطى وصفك بوصفه ، ونسبك بنعته ، فوصلك اليه بما منه اليك ، لا بما منك اليه .

لَو أنَّ مالَدَيْكَ من مَسَاوِى ومالَدَيْكَ بعدَ من دَعَاوِى
هي التي تَمْنَعُكَ الوُصُولَ فلا تكونُ أبداً مَوْصُولاً (٢)

---

١ — الاضطرار : هو تأكد الاحتياج واشتداده ، الذلة : التباؤس والمسكنة ، الافتقار : اظهار الفاقة اليه تعالى . المواهب : العطايا التي لا علة لهـــا . ان التوجه الى الله بالافتقار والاضطرار والذل يسرع بالمواهب من الله ، وذلك لأن هذه الصفات هي أخص أوصاف العبودية له تعالى ، فقد قال تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة)[آل عمـــران ١٢٣] فذلهم أوجبت لهم عزتهم ونصرتهم .

٢ — الوصول الى الله تعالى لا يكون الا بمحو صفات النفس وقطع علاقات القلب ، وشيء من ذلك لا يتصور من العبد من حيث هو ، لأن ذلك طبعـــه =

لأنَّها المركوزةُ المطبُوعَةُ ... فيكَ وفي جبلَّتِهِ موضُوعَةُ

دليلُنا ولا كمالُ فضلِهِ ... عليكُمُ ذلك ضمنَ قولِهِ

سُبحانَهُ لما زكى منكم أحد(١) ... لكنَّهُ الذي يُزكي بالمدد

فهو متى أرادَ أن يوصلَكَ ... إليهِ بالوصفِ الذي يستركَ

وتحتكَ الأصلِيُّ بالنعتِ لهُ ... مغتطياً وهي كرامهُ لهُ

يغمسُ منك الفقرَ في غناهُ ... والضعفَ والعجزَ في قواهُ

فظهرَ الكمال منه لا بكَ ... نكنتَ في السراجِ من حجابكَ

فهو الذي إليه قدْ أوصلكَ ... مالهُ لا بالذي بكانَ لكَ

إليه من لياقةٍ أو شرفِ ... بل بكمالِ لُطفِهِ كما يفي

تبعدَ عنهم تنفُذْ المساوي ... منك كما لم تنقُضِ الدعاوي

* ● *

= رحبلنه ، لكن الله اذا أراد أن يوصل العبد اليه تولى ذلك له بأن يظهر له من صفاته العلية ونعوته القدسية ما يغيب بذلك صفات عبده ، فيحلى نقصه بكماله ، ويغطى فقره بغناه تعالى ، وضعفه بقوته ، وبالجملة فوصول العبد اليه تعالى بمجرد فضله واحسانه لا بشيىء آخر ، فان العبد لا يستحق منه شيئا . ويدل على ذلك قوله — صلى الله عليه وسلم — « لن يدخل أحد الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يا رسول الله ، قال : ولا أنا الا ان يتغمدنى الله برحمته » اخرجه البخارى فى الرقاق ، ومسلم فى المنافقين .

١ — اشارة الى قوله تعالى (ولولا فضل الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد ابدا) (النور ٢١)

البـــاب الرابع عشر

١٣١ ــ اولا جميل ستره ، لم يكن عمل أهلا للقبول .

كانَ جميـــلُ سترِهِ لولاه ... ما كنتَ عامِلاً لمـــا يَرْضَاه(١)
ولم يكن سِوى محتاج الأنفُسِ ... لأنَّهـا قد جعلَتْ فى الأرْجَسِ
ولا تريدُ ما سِوى الغَوايَةِ ... إلا بستْرِ دُونَهـــا وِقَايَةِ

* ● *

١٣٢ ــ أنت الى حلمه اذا أطعته احوج ، منك الى حلمه اذا عصيته

فأنت للحلم إذا أطعتَهُ (٢) ... أحوَج منك لَهُ إذا عصيته

---

١ ــ العبد مبتلى بنظره الى نفسه وفرحه بعمله من حيث نسبته اليه ، وشهود حوله وقوته عليه ، وهذا لا محيص له منه ، الا بما تشاء ربه ، وقد يكشف حجابه فيرائى به ويطلب حمد الناس له ، وهذا كله منـــاف للاخـــلاص ، والاخلاص شرط فى قبول العمل ، ولما كان عمل العبد كان بهذه المثابة لم يكن فيه اهلية لوجود القبول لولا ستر الله وحلمه وبره قال تعالى (اولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) (الاحقاف ١٦) فعبر بعن التى تدل على التجاوز ولم تقل نتقبل منهم .

٢ ــ شرف العبد ورفعة قدره انما يكون بنظـــــره الى ربه واقباله عليه واعتماده عليه ، فالعبد عند عمله الطاعات معرض لعـــدة اخطار كنظره الى عمله واستعظامه وعجبه بطاعته ، والازدراء بالغير ، واستحقاق الجزاء الكثير الى غير ذلك من دقائق الرياء والتصنع ، بخلاف المعصية ، فانها تحمله على الحذر والخوف من ربه والانكسار له ، فلذلك كان فى طاعته أحوج الى حلم الله منه فى معصيته .

لِما مَضى من وَصْفِكَ الأصلىَّ وخيرةُ النفسِ سِوى المَرْضِى
فأنتَ فى الطاعةِ مَصْحوبُ العِللْ وكلَّ آفةٍ ودَعْوىَ وَخَلَلْ

* ● *

١٣٣ — الستر على قسمين :

ستر عن المعصية ، وستر فيها ، فالعامة يطلبون من الله تعالى الستر فيها ، خشية سقوط مرتبتهم عند الخلق ، والخاصة يطلبون من الله الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق .

فالسَّترُ قِسْمانِ : فعن مَعصيةٍ كَيْلاَ يراها العبدُ منْ تَنْجيةٍ
والسَّترُ فيها وهو ما للكامِلِ(١) وذاكَ للناقصِ نقصٌ سافِلُ

---

١ — الستر عن المعصية : يكون بعدم التفكر فيها وفى أسبابها : وعدم التمكن منها . وفقد المعرفة بها وجودا لا حكما . والستر فى المعصية : يكون بعدم اظهارها ، وظهور النفس بخلافها ، وعدم المعاقبة عليها .

والناس فى طلب الستر ثلاثة أقسام :

العامة ، يطلبون الستر من الله فى المعصية ، حتى لا يراهم الخلق فى المعصية فيسقطون من أعينهم فهم لا يفرون من المعصية من حيث هى . ولكن من حيث ما يترتب عليها نظر الخلق ، ولذلك اذا وجدوها فى الستر ارتكبوا المعصية ، قال تعالى (يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم) (النساء ١٠٦) .

والخاصة من أهل الايمان واليقين ، فهم يطلبون الستر من الله عن المعصية يطلبون أن يغيبها عن نظرهم ولا يخطرها بقلوبهم فتميل اليها انفسهم فيعملون بها ، فيقعون فى مخالفة ربهم والتعرض لسخطه ، والسقوط من عينه من غير التفات الى الخلق فى اقبال ولا ادبار ولا نظر الناس لهم .

والقسم الثالث : لا يريدون الفضيحة مع الخلق بالواقع ، ولا مع الحق فيما لم يقع ، فلهم نصيب فى الكل بحسب حالهم فيه .

أهلُ العُمُوم يطلبون سترهم ... من ربّهم فيها وما حماهم
عليه إلاّ خشيةُ السقوطِ ... عن نظرِ الخالقِ إلى حُطُوطِ
وذُو الخُصُوصِ يطلبون عنها ... لله فرُّوا خائفين منها
من خشيةِ السقُوطِ عن عينِ الملك
لأنهم فيه بمنهجٍ سلكْ
برسمِ تعظيمٍ وخوفٍ وخجلْ.
إشفاقهم من طردهم هو الوجلْ
وذاك هيبةً وإجلالاً حيا ... معظّمينَ ذا الجنابَ الكبريا
ونالتُ القسمين فيها حصلتْ ... عنها إذا لم تأتُ بعدُ حصلتْ

* ● *

١٣٤ — من أكرمك انما اكرم فيك جميل ستره ، فالحمد لمن سترك ، ليس الحمد لمن أكرمك .

فكلُّ مكرمٍ فما أكرمكْ ... إلاّ جميلُ سترِ حقٌّ لكْ(١)
وذاك أنَّ العيبَ فيك مخفى ... فستره عليك أيَّ لطفِ(٢)

---

١ — فى الأصل « ستر حق ملك » .

٢ — اذا كان الله سبحانه وتعالى حفظك برعايته وستر مساوئك بستر عنايته ، فغطى وصفك بوصفه ، ثم بوجه الناس اليك بالتعظيم والتمجيد والتكريم ، فاعرف منة الله عليك ، وانزل عن شهود نفسك ، فمن أكرمك فانما اكرم فيك جميل ستره ، فالحمد فى الحقيقة انما هو لمن ستركَ لا لمن شكرك . اذ لو أظهر للناس ذرة من مساوئك لمقتوك وأبغضوك ، قال الشيخ زروق : اذ لولا ستر الله عن المعاصى ما كنت مطيعا ، ولولا ستر [illegible]

أشْهَدُهُمْ فيك سِوى المَسَاوِى ... وانت مُحْتَوٍ لها وَطَاوٍ (١)
فهم يُعَامِلُونَكَ الجَمِيلَ ... مِنْ سَتْرِهِ فيالِمرءاً عليلاً
حَمْدُكَ للساتِرِ لا للمُكْرِمِ ... والشاكرِ الجاهلِ فيك ما رَمَى
فلو بَدَتْ حقائقُ النّاسِ لمـا ... أحبَّ أحدٌ لأمرٍ أبْهِمَ
ولقَلاَ الإنسانُ من يُحِبُّهُ ... فأشْكُرُهُ مَنْ للشكرِ هو رَبُّهُ
وإن يكُنْ شكرُ العبادِ واجباً ... لكنْ مِنَ المَجَازِ شكرٌ نُسِبَ
لَهُمْ وفى التحقيقِ شكرُ الحقِّ ... كما الذى أحْسَنَ فضلَ الخَالِقِ
فَشُكْرُهُ حقيقةً وفَضْلُهُ ... وأىَّ خَلْقٍ بعد ذاك أهْلُهُ

* ● *

١٣٥ — ما صحبك الا من صحبك وهـو بعيبك عالم : وليس ذلك الا مولاك الكريم ، خير من تصحبه من يطلبك لا لشيء يعود منك اليه .

فكلُّ صاحبٍ حَقِيقٍ صَحِيبَكْ
ليس سِوى الساترِ منك مَطْلَبَكْ

المعاصى لكنت مهانا عند الخلق قال تعالى (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) (الصافات ٥٧) فالخلق كلهم انما يتعاملون بينهم بستر مولاهم ، ولو خلا عبده من ستره لا بغضه أحب الناس اليه ، ولآذاه أشفق الخلق عليه .

واذا تحقق لديك أن الذى أكرمك هو الذى ستر عيوبك ، بعد اطلاعه على خفاياها ، وعلمه بخباياها ، فما تخذه صاحبا ، وكن له مراقبا .

١ — فى الأصل « وأنت محوى لها وطاوى » .

وكانَ بالعيبِ عليماً وهو لَمْ(١)
تَجِدْهُ(٢) إلاّ مَنْ حَبَاكَ بالكَرَمْ
هو الذى عَيْبُكَ عنه ماخَفِى(٣) فالْجَأْ لَهُ سبحانَهُ من اللُّطْفِ
فأنت إن تَعْصِيهِ ولا يَدَعُكَ إلى سِواهُ ثمّ لا يَفْضَحُكَ
ولو رَآكَ بِمِثْلِ ما هو إعلمك
لَمْ يَرِدْ من الخلقِ لِيَبْلُوَ سَوءَ دَهمَلَكَ

---

١ — فى الأصل « وكان بالعيب عليها وهو لم » .

٢ — اذا علمت أنه ليس لك صاحب الا مولاك ، فاعرف حقيقة صحبته ، والزم الأداب فى ظاهرك وباطنك ، واستحى منه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك ، قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم — لا صحابه « استحيوا من الله حق الحياء » قالوا : انا نستحى والحمد لله قال : « الحياء من الله حق الحياء : أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر القبر والبلى ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » .

فالصاحب الذى يدوم لك ، هو الذى يصحبك وهو عالم بعيبك ، وليس ذلك الا الله الواحد الاحد العالم بخفاياك ، المطلع على سرك وعلا نيتك ، ان عصته سترك ، وان اعتذرت اليه قبل عذرك ، قيل فى قوله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم ، [التوبة ١١١] ان فى الآية ثلاثة أمور : الأول : البشارة بعدم الرد بالعيب ، لأن المشترى عالم بالعيب ، الثانى : ليسلم العبد نفسه اليه فيتولى تدبيره ، اذ لا يتم بيع الا بالتسليم ، الثالث : اظهار تمام الفضل فى ظهور النسبة لله تعالى . ثم ان الذى يرغب فى الصحبة ويعقد المحبة أمران : أحدهما : ان يكون الصديق حميما يغطى عيوبك بحلمه ويستر شينك ، والثانى : انه يحبك ويطلبك من غير غرض ولا منفعة له فى صحبتك ، ولا يوجد هذان الوصفان الا من الله الغنى الحميد ، فهو الذى يستر عيوبك عن الناس ، وهو الذى يطلبك لحضرته ويجتبيك لمحبته ، من غير نفع يعود منك اليه : وانما هو بمحض احسانه وبره ، واذا كان الأمر كذلك فكيف تتركه ، وتطلب محبة غيره ، كيف تترك محبة من ينفعك ، وتطلب محبة من ضرره أقرب من نفعه .

٣ — فى الأصل « عيبك عنده خفى » .

وخيرُ مَنْ تَصْحَبُهُ من يطلُبُكْ
لأنْ ترى منهُ الذى هو أدَبُكْ
لا ليَعُودَ منكَ شيءٌ لَهُ وليس إلاّ الحقُّ ما أجملَهُ
فالصاحبُ الأصلىُّ لو أنارَ منك اليقينُ الصمدُ الستارُ

* ● *

١٣٦ — لو أشرق لك نور اليقين ، لرأيت الآخرة أقرب اليك من أن ترحل اليها ، ولرأيت محاسن الدنيا قد ظهرت كسفة الفناء عليها .

ولو غدا اليقينُ مُشْرِقًا لقدْ رأيتَ عُقْبَاكَ مُقَرَّبَ الأمَدْ
أقربُ مِنْ أنْ تَرْحَلَنْ إليها فَبالجميعِ أقْبِلَنْ عليها
وشُوهِدتْ محاسنُ الدنيا وقد رَأيتَهَا فانيةً كما نَفِد
وظهرَ الكسفُ عليها بالفَنَا كُسُوفُهَا التَقَلُّبَاتُ بيننا

* ● *

١٣٧ — ما حجبك عن الله وجود موجود معه ، ولكن حجبك عنه توهم موجود معه .

وكلُّ مَوْجُودٍ عليها وَهْمٌ حقيقةً وقَدْ حَواهُ العَدَمُ
فالكلُّ(١) معدُومٌ فما إن حَجَبَكْ
عن الإلَـهِ ذُو وُجُودٍ جَذَبَكْ
مَعَهُ فلا موجودَ مَعَهُ إنّما كان الذى يَحْجِبُ شيءٌ عُدِمَ

---

١ — فى الاصل « فالكل المعـــدوم » .

وقد تَوَهَّمْتَ وُجُودَهُ مَعَهُ فَدَعْ عليك كلَّ سَفَهٍ وعَمَهْ
فالشغلُ بالخلقِ بِذَمٍّ وثَنَا والسترُ والحجابُ لَوهْمٍ وَهَنَا
تَوَجُّهٌ لِعدمٍ وباطِلِ وَغَفْلَةٌ عن الحكيمِ الفاعِلِ

وقال شيخي في لَطائِف المِنَنْ

يُخْبِرُ عن وُجُودِ مَوْجُودٍ عَلَنْ

فقال : ذاكَ مثلُ ظِلٍّ وَهُوَ لا وُجُودَ تَحْقِيقًا لَهُ لو عَقِلِ(٢)

* ● *

١٣٨ — لولا ظهوره في المكونات ، ما وقع عليها وجود أبصار (١) ، ولو ظهرت صفاته اضمحلت مكوناته .

* ● *

---

١ — وفي نسخة « ما وقع عليها وجود الصفات » لكن ما انبتناه يتمشى مع النظم .

٢ — قال في لطائف المنن ص ٢٩١ « واشبه شيء بوجود الكائنات اذا نظرت اليها بعين البصرة وجود الظلال ، والظل لا موجود باعتبار جميع مراتب الوجود ، ولا معدوم باعتبار جميع مراتب العدم ، واذا اثبت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر اذ الشيء انما يشفع بمثله ويضم الى شكله .. ومن هنا يتبين لك ايضا . ان الحجاب ليس أمرا وجوديا بينك وبين الله ، ولو كان بينك وبينه حجاب وجودي للزم أن يكون أقرب اليك منه ، ولا شيء أقرب اليك من الله ، فرجعت حقيقة الحجاب الى توهم الحجاب » وضرب مثلا على ذلك بقوله « وذلك كرجل بات في مكان وأراد البروز فسمع صوت الرياح من كوة هناك ، فظنه زئير أسد فمنعه ذلك عن البروز ، فلما أصبح لم يجد هناك أسدا ، وانما هو الريح انضغط في تلك الكوة فما حجبه وجود أسد وانما حجبه توهم الأسد » وفي الحقيقة سبب توهم الغير عدم الفكرة ، وسبب عدم الفكرة حب العاجلة .

فأنظرْ إلى إضْمِحْلالِ مَخْلُوقاتِـهِ
لولا ظُهُورُ الحقِّ فى صِفاتِـهِ (١)
لولا تَجَلِّى فى المُكَوَّناتِ ما وقعتْ أبصارُ مُبْصِراتِ
على المـكوَّناتِ إذ هنَّ أثر
تَيْرِءَةٍ عن نَفْسِهَا مِمَّا ظَهَرَ
ثمَّ ظُهُورُ الكونِ إنّما هو لكونِهِ دَلَّ على مَوْلاهُ

* ● *

١٣٩ — أظهر كل شىء لأنه الباطن ، وطوى وجود كل شىء لأنه الظاهر .

فاللهُ لا وُجُودَ بَعْدَ ما ظَهَرَ سِواهُ فى كِتابِهِ لِذا ذَكَرْ
فإنّمـا ظُهُورُهُ بِمـا ظَهَرْ
من جَعْلِهِ الموصلَ مثلَ ما ذَكَرْ
لأنّهُ الباطنُ كلُّ شىءٍ (٢) أظْهَرَهُ إذ لا وُصُولُ شىءٍ

---

١ — ظهور الحق تعالى من وراء حجاب المكونات هو الذى أوجب ظهور المـكونات ووقوع الابصار عليها ؛ ولولا وجود حجابيها لم يقع عليها ابصار ولتلاشت لوجود التجلى الحقيقى كما ورد فى الحديث « حجابه نور لو كشف عنها لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه بصره » ومثال الكون كالثلجة ، ظاهرها جامد وباطنها مائع ، فاذا ذوبت الثلجة رجعت الى أصلها ماء ، ولم يبق للثلجة أثر ، فكذلك المكونات الحسيه اذا ظهرت اسرارها اللطيفة التى قامت بها ذابت ذواتها الكثيفة .

٢ — من أسمائه تعالى الظـاهر والباطن كما قال تعالى « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » فاسمه الظاهـر يقتضى أن لا يشـاركه أحد فى الظهور ، فلذا طوى وجود كل شىء : أى لم يجعل لغيره وجودا من ذاته ، بل المكونات جميعها عدم محض ، ولا وجود لها الا من وجوده . ومقتضى اسمه الباطن أن لا يشاركه شىء فى البطون ، فلذا أظهر الاشياء كلها وجعلها ظاهره ولا باطن فيها غيره ، فالحق تعالى هو الموجود بكل اعتبـار .

إليه عِرْفَاناً بغيرِ ما ظَهَرَ لأنَّه دليلُهُ كما إستَقَرّ
وإنّه الظاهرُ فى عُــلاهُ لكلِّ مَوْجُودٍ فَقَدْ طَواهُ
إذ لا يصِحُّ أن يكونَ ظاهِراً مَعَهُ لكونِهِ عَدِيماً جاهِراً
مُسْتَنِدٌ عليه فى وُجُودِهِ وعدم إستقلالِهِ فى جَدَّهِ

* ● *

١٤٠ ــ أباح لك أن تنظر ما فى المكونات ، وما أذن لك أن تقف مع ذوات المكونات (قل انظروا ماذا فى السموات) فتح لك باب الافهام ، ولم يقــل : أنظروا السموات ، لئلا يدلك على وجود الأجرام .

فحكمةُ ظُهُورِ كلِّ خَلْقٍ تَعْرِيفُهُمْ بشأنِهِ عن حَقِّ
والخلقُ مادَلَّ على دَيَّانِها بالحكمِ والحِكْمَةِ لا أعْيانِها
لذا أباحَ لك أن تنظرَ ما
فى الكونِ من حِكْمَةِ ما قَدْ علما
ومالك الإذنُ له مِنْ أن تَقِفَ مع ذَواتِ الكائناتِ فإعْتَرِفْ
عجائبَ القُدْرَةِ والإرادَةِ والعلم إتْقانا وتَخْصِيصًا أتى
فقالَ : ماذا فى السمواتِ(١) أنظروا
والحقُّ ما قالَ : السمواتِ أنْظُروا

---

١ اشارة الى قوله تعالى (قل انظــروا ماذا فى السمــوات والأرض) [يونس ، ١٠١] .

أوّلُهُ لبابِ إفهامٍ فتَحَ إيّاكَ ما فيهنّ ثمّة إذ مَنَحَ(١)
فالظرفُ فيهِ ظرفُ كلّ حكم ثمّ نهاك عن وُجُودُ الأجْرُمِ
لولا جمالُهُ ولا جَلاَلُهُ فيهنّ والصفاتُ بل أفْعَالُهُ
ما القدّ(٢) ما الطَرْفُ الكحيلُ وما اللُمَا
ولا تَشَهُدُ فى حَلاَوَةٍ تَرْمُقُ

* ● *

١٤١ — الأكوان ثابتة باثباته ، وممحوة بأحدية ذاته .

ثابِتَةُ الأكوانِ مِن إثباتِهِ مَمْحُوَّةٌ مِنْ أحَدِيّ ذاتِهِ(٣)
فإن نظرتَ حيثُ هُنّ هُنَا فَعَدَمٌ أو هو فَعْلَمَنّ

* ● *

---

١ — أمر الله تعالى بالنظر فى المكونات ليس لذاتها ، لأن فى ذلك البعد عن الله بالنظر الى ما سواه ، وانما أمرهم بذلك ليتوصلوا بنظرهم فيها الى الله لوجود ظهوره فيها ، والاشارة الى هذا المعنى فى قوله تعالى (انظروا ماذا فى السموات والأرض) فالمعنى المقصود فى وجود النظر فيه ومنها يستفاد أن المطلوب مشاهدة ماذا فى السموات والأرض من العلامات الدالة على معرفة الله ، وأنه تعالى لم يقل انظروا السموات والأرض ، فتحجب بها عنه تعالى ولا تشاهده فيها ، فتصير مقصدا مع أنها وسيلة لمعرفة الله ، وفى لطائف المنن ص ٩٠ : فما نصبت لك الكائنات لتراها ، ولكن لترى فيها مولاها ، وقال تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق) [فصلت ٥٣] .

٢ — كان فى الاصل (مالقد مالطرف اللحيل) .

٣ — الاكوان عدم فى ذاتها ، وانما حصل لها وصف الثبوت باثبات الله تعالى لها وجعلها أكوانا ، فالثبوت لها أمر عرضى ، ولا ثابة حقيقية الا الله وهو وجود أحديته تعالى ، والأحدية هو المبالغة فى الوحدة ، ولا تتحقق الا اذا كانت الوحدة بحيث لا يمكن ان يكون أشد ولا أكمل منها ، فمقتضى حقيقة الاحدية محو الاكوان وبطلانها بحيث لا توجد ، اذ لو وجدت لم تكن الاحدية ، ولكان فى ذلك تعدد .

البـــاب الخامس عشر

١٤٢ ــ الناس يمدحونك لمـــا يظنونه فيـــك ، فكن انت ذاما لنفســـك لمـــا تعلمه منها .

١٤٣ ــ المؤمن اذا مدح استحيا من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده من نفســـه .

تمدحُكَ النّاسُ لما تظنّه ... من عملٍ مزخرفٍ تكنّهُ
وأنت عالمٌ بما فى نفسِكَ ... فَذُمَّها لما بِها من بُؤْسِكَ(١)
فيستحي المؤمنُ حيث يُمدَحُ ... بما إنْتَفى عنه فأينَ الفَرَحُ
حياؤه من رَبِّهِ لأنّه(٢) ... أبدى جميلاً والقَبيحُ كَنَّهُ

* ● *

---

١ ــ ذم العبد لنفسه لمـــا يتحقق من عيوبها وآفاتها مطلوب منه ، لان ذلك يؤديه الى الحذر من غرورها ، فتصـــلح بسبب ذلك أعماله وتصـــدق أحواله : والا فسدت عليه واعتلت لدخول الافات عليها ، ولا يصـــد العبـــد العـــارف عن تأنيب نفسه ننـــاء الناس عليـــه ومدحهم له ، لانه يعـــلم من عيوب نفسه ما لا يعلمه غيره ، وقد ذم الله قوما احبوا أن يمدحـــوا بمـــا لم يفعلوا حيث قال تعالى (ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهـــم بمفازة من العذاب [آل عمران ١٨٨] قال المحاسبى ــ رضى الله عنه ــ مثل الذى يفرح بمدح الباطل ، كمن يقال له : العذرة التى تخرج من جوفك لهـــا رائحة المسك وهو يفرح لذلك ويرضى بالسخرية . ايقاظ ص ٢٦٧ .

٢ ــ ودن تمام نعم الله على العبد أن خلق العمل الصـــالح فيه ونسبه اليه ، فاذا مدحه الناس عليه أن يستحى ، لأنه يعرف أن الفعل من الله ، وانما هو محل لظهور هذا الفعل فقط ، ولأنه سبحانه وتعالى ستر أفعاله القبيحـــة ، وأظهر أفعاله الصـــالحة ، لكنه مع هذا مدح الناس للانسان على صلاحـــه لا بضره ، ان لم بقصد التعرض للمدح ، فقد روى أنه قيل للرسول ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ يارسول الله الرجل يعمل العمل خفية ثم يتحدث الناس به فيفرح ، فقال ــ صـــلى الله عليه وسلم ــ : « له الأجر مرتين : أجـــر العمل وأجر الفرح » .

١٤٤ — أجهل الناس من ترك يقين ما عنده ، لظن ما عند الناس .

وأجهلُ النّاسِ الذى يتْركُ ما ... لَدَيْهِ من يقينِ سُوءٍ كُتِمَ
يفرحُ ممّا ظنّتْ النّاس له(١) ... مِن صالِحِ الأعمالِ ما حصلَهُ

١٤٥ — اذا أطلق الثناء عليك ولست بأهل ، فأثن عليه بما هو أهله .

فحيثما الألسُنُ طالتْ بالثّنَا(٢) ... عليك إذ لَسْتَ بأهلٍ ههنا
فأثنِ شاكراً على أهلِ الثنَا ... بما الإلهُ أهلُهُ يافَطِنا

١٤٦ — الزهاد اذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق ، والعارفون اذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من المَلِك الحق .

تنقبضُ الزهّادُ حيثُ مُدِحُوا ... والعارفون من ثَنَاهُمْ فَرِحُو
أوّلُهم يشهدُ خَلْقاً أثْنى ... فزادَهُ الثنا عليه حُزْناً

---

١ — أجهل الناس من يفرح بمدح الناس له على صفة لا توجد فيه . لأنه ترك يقين ما عنده بظن الناس فيه هذا اذا كان المادحون له من أهل الصلاح ، وأما اذا كان المادحون له من الجهلاء أو الفساق فهو شر ، لأن تزكية الاشرار هجنة . وحبهم للانسان عيب ، فقد روى عن بعض الحكماء أنه مدحه بعض العوام فبكى ، فقال له تلميذه . أتبكى وقد مدحك ؟ فقال له انه لم يمدحنى حتى وافق بعض خلقى خلقه ، فلذلك بكيت . انتاظ ص ٢٦٨ وشرح أبى عباد ص ١١٥ .

٢ — اذا طلق الله لسان الناس بالثناء على أحد بما لم يعمله وليس أهلاله ، فعليه أن يثنى على الله بما هو أهله ، ليكون ذلك شكرا لنعمة اطلاق الألسنة بالثناء عليه ، وأيضا فانه تعالى هو الذى ستر من الناس مساوئه وأظهر لهم محاسنه ، ولو أظهر لهم مساويه لمقتوه وأبغضوه ، فان العبد محل النقائص ، فالثناء حقيقة انما هو لله الذى أظهر للخلق ما يستحق المدح .

والعارفونَ يَشْهَدُونَ واحداً مُصَرِّفاً ، وللجميع فاقِداً(١)
فالخَلْقُ أقلامٌ لـه تعالى أيُظْهِرُ الجَمالَ أمْ جلالا
سَواءٌ السُوءُ أمْ الجميلُ لمن غدا مَصْرُوفُهُ الجليلُ

* ● *

---

١ — الزهاد والعباد عاملون فى الفرار من الخلق ، فلذلك يجرى عليهم القبض بمدح الناس لهم واقبالهم عليهم ، وحملهم على ذلك عمومات من النصوص ، كقوله — صلى الله عليه وسلم — للذى مدح عنده رجلا : « قطعتم عنق صاحبكم » ، وقوله — عليه السلام — « احثوا التراب فى وجوه المداحين » الى غير ذلك .

والعارفون متوجهون لمولاهم ، ناظرون له فيما تولاهم ، فهم يرون السنة الخلق ، أقلام الخالق ، ويحمدونه على ما أجرى من المدح ، وينقبضون عند المواجهة بالقدح ، ناظرين فى ذلك لقوله — عليه الصلاة والسلام — « ما أحد احب اليه المدح من الله لأجل ذلك مدح نفسه » ولقوله صلى الله عليه وسلم — « ان الله تعالى اذا أحب عبداً دعا جبريل ، فقال : انى أحب فلانا ، فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء فيقول : ان الله يحب فلانا ، فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض ، واذا أبغض عبدا دعا جبريل ، فيقول : انى أبغض فلانا ، فابغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء : ان الله تعالى يبغض فلانا ، فأبغضوه ، ثم توضع له البغضاء فى الأرض » رواه مسلم عن أبى هرير .

وبالجملة فالمعتبر فى المدح وقبوله ثلاثة : أولها : المادح ، وشرطه أن يكون مقنصرا على الحق فى مجمله من غير زيادة مضرة ، كما يفعله بعض المربدين مع مشايخهم حيث يمدحونهم بما يتصورون فى مخيلتهم من المحاسن ، لا بما هو الشيخ متصف بها فى الواقع . الثانى : الممدوح به . أى صيغة المدح ، وشرطه أن يكون حقا فى نفسه ، وصدقا فى وقوعه ، والا فلا يجوز ، لانه يكون كذبا ملفقا . الثالث : الممدوح فى نفسه ، وهو لا يخلو من ثلاثة : أحدهما : أن يزيده المدح خيرا ، فيكون مطلوبا لمادحه . كما روى أن

١٤٧ — متى كنت اذا أعطيت بسطك العطـاء ، واذا منعت قبضك المنع ، فاستدل بذلك على ثبوت طفولتيك ، وعدم صدقك فى عبوديتك .

وحيثما قَبَضَكَ بالعَطا بَسَطْ ... وأنت بالنعماء فرحاً تَغْتَبِط(١)
وعند مَنْع ما تُحِبُّ يَنْقَبِضُ ... فهو طُفُولِيَّةٌ ناقصٌ مرِضٌ
وعدمُ الصِدْقِ ونسيان الأدب ... لدى العبوديَّةِ أضْعَفَ النسَب
علامةُ لـه الرضا والغضبُ ... حتّى يُبَانَ حالُهُ المُقَبَّبُ

* ● *

الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال « نعم الرجل عبد الله لو يقوم من الليل » فما سمع بذلك ابن عمر بدا يقوم بالليل للتهجد ، فهذا لمدح زاده خيرا .

الثانى : أن مزيده ذلك شرا ، فيكون الكف عن مدحه مطلوبا لانه ظلم له فيزيد شره وبلاؤه . الثالث : أن يجهل حاله ، أو بعلم عدم افادة المـدح له للجانبين ، فالترك حينئذ مقدم ، لأن غالب النفوس على التضرر به . فيحمل عليهـا عند الابهـام .

١ — متى كان الانسان اذا أعطى بسطه العطاء ، واذا منع قبضه المنع ، دل على أنه مسترسل مع داوعى الطبع ، وهذا يدل على ثلاثة أمور : الأول : وجود الغفلة بالرد والقبول ، فرحا بالمتعة وترحا بالمنعة . الثانى : الاسترسال مع النفس فى مقابلة المواجهة به حسب مواجهته . الثالث : صرف الوجه عن العبودية بالضراعة فى حال المنع ، والشكر فى حال العطـاء ، وهـذا كله عكس أحوال العارفين ، فمدعى مرتبة العارفين مع هذه الصفة وهذا المـثل طفلى على مراتبهم ، بل هو كالطفل بالنسبة اليهم ، لا يعرف غير من ناوله وأعطاه ، ولا شعور له بمن أولاه وتولاه .

الفصل السادس عشر

١٤٨ ــ اذا وقع منك ذنب فلا يكن سببا ليأسك من حصول الاستقامة مع ربك ، فقد يكون ذلك آخر ذنب قدر عليك .

وكيفَ تَيأسُ فى الذُنُوبِ ... عن إستقامةٍ على المحبوبِ(١)
وربَّما تموتُ قبل عَوْدٍ ... منك إلى الذنب فيا إبنَ وُدِّ
ما إنْ يَمَسَّ اللهُ عن غُفْرانِهِ ... حتّى تملَّ فإعْتَبِرْ بشأنِهِ
فَدُمْ على التوبةِ يا تَدِيمـاً ... قد كنتَ فى التوبَةِ مستقيماً
وقد يكونُ ذنبُك الآخرُ من ... مُقَدَّرِ الذنوبِ فإفْهَمْ يافَطِن

* ● *

١٤٩ ــ اذا أردت أن يفتح لك باب الرجاء ، فاشهد ما منه اليك ، واذا أردت أن يفتح لك باب الخوف ، فاشهد ما منك اليــه .

وإن أردتَ منه أن يُفْتَحَ لَكَ ... باب فأشْهِدَنْ ما هو منــه لك
وإن أردت منه بابَ خَوْفِهِ(٤) ... فأنظر إلى قهرِ جَلالٍ وَصْفِهِ

---

١ ــ الاستقامة على العبودية لا يناقضها فعل الذنب على سبيل الفلتة والهفوة اذا جرى القدر عليه بذلك ، وانما يناقضها الاصرار على الذنب ، فاذا وقع من العبد ، فينبغى له أن يبــادر الى التوبــة منــه ، ولا ييأس بسبب وقوعه فيه من الاستقامه مع الله ، ويرى أنه طرده وأبعده ، لأن هذا يوجب القنوط من رحمة الله واليأس من روح الله .
ولأنه قد يكون ذلك الذنب آخر ذنب قدر عليك وقد وقع ذلك وفرغت منه .

٢ ــ الرجاء والخوف حالان عن مشاهدتين ، فمن أراد أن يفتح له باب الرجاء ، فليشهد ما من الله له من الفضل والكرم والاســعاف والالطــاف ، فسيغلب عليه حينئذ حال الرجاء . ومن أرا أن يفتح له بــاب الخــوف ، فليشهد ما منه الى الله تعالى من المخالفة والعصيان وسوء الأدب بين يديه ، فسيغلب عليه حينئذ حال الخــوف .

وما فعلته له يقظاناً أيستطاع ربنا عصياناً

* ● *

١٥٠ — ربما أفادك فى ليل القبض ما لم تستفد فى اشراق نهار البسط (لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا) .

عند تخاشف المتاب ربما تحزنُ فإستفدتَ منه نعماً
ذلك ليلُ القبضِ مالم تستفيد فى بسطِ إشراقِ النهارِ فإفتقاد
وربما ينعكسُ الحالُ فخذْ مُوجِهاتِ الحقِّ من أمرٍ نفذ(١)
فإرضَ به الوضع كذا ورفعا أيهما الأقربُ إليك نفعاً
(لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعاً (٢))

* ● *

١٥١ — مطالع الأنوار القلوب والأسرار .

١٥٢ — نور مستودع فى القلوب مدده فى النور الوارد من خزائن الغيوب

مطالع الأسرارِ والأنوارِ بواطنُ القلوبِ الأسرارِ(٣)

---

١ — القبض والبسط أو الحزن والسرور حالتان يتعاقبان على الانسان كتعاقب الليل والنهار ، فالليل محل السكون والقرار ، والنهار محل التحرك والانتشار ، فالقبض كالليل ، والليل محل المناجاة والمصافات ، وملاقاة الاحباب ورفع الحجاب ، فربما أفادك القبض من انخناس النفس ، وذهاب الحس ، مالا تستفيده فى نهار البسط ، من تحصيل العلوم ، وتحقيق الفنون ، فالقبض له فوائد ، والعبد لا يدرى أيهما أقرب له نفعا ، فتعين وقوفه مع ما يواجهه من جهة الحق ، فيتلقاه بالقبول والأدب ، فلا تطلب البسط ان واجهك قبض ، ولا تطلب القبض ان واجهك بسط ، فلا تدرى أيهما أنفع ولا أيهما أضر .

٢ — سورة النساء الآية ١١ .
٣ — المطالع : محل الطلوع ، ان القلوب مطالع أنوار الفهوم ، والاسرار =

وستةٌ أقسامٌ : نُورُ طَبْعِيّ ونورُ عقلٍ خُذْهما بِقَطْعِ
ونورُ روح ، ثمّ نورُ قلبٍ وللسُّويدا ، ولسرٍّ حَسْبى
أكملُها الأخيرُ ثمّ نورُ مُسْتَوْدَعِ القلوبِ مُستَنيرُ
يمدهُ واردُ نورِ الغَيبِ خزائنُ الغُيُوبِ بطنُ القلبِ
نورُ المشاهداتِ والميثاقِ يومَّ (ألست)(١) ساعةَ التَّلاقى

= مطالع حقائق العلوم . فاذا طلع نور الحقيقة فى بساط الفهم أو جب اليقظة والتنبيه لموارد الأمور ، فيوجب الندم على الذنب والانكسار من العيب ، والفرار منه الى الله تعالى ، واذا طلع نور الحقيقة فى السر أوجب التحقق ، فلا يمكن التمالك من موجبه من العمل تركا للقبيح وفعلا للحسن ، فاذن أنوار القلوب توجب الرجاء والخوف ، وأنوار الأسرار توجب الاقدام والاحجام . ثم الأنوار مختلفة : أحدها : نور الطبع : وهو الذى يفيد فهم الصورة فى الجملة . والثانى : نور العقل : وهو الذى يحقق المعنى ويقره فى النفس . الثالث : نور الروح : وهو الذى يعرف الحقيقة دون توقف ولا احتياج لبرهان . الرابع : نور القلب : وهو الذى يستخرج المعانى من مكانها فى كل وجه من الوجوه المعتمدة الثلاثة . الخامس : نور سويداء القلب : وهو الذى لها من الدقائق فيمسها مسا يقتضى جذبه بها اليه . السادس : نور السر : هو المدرك لوجه العلوم على نوع من التحقق حتى ينطبع فيها انطباع السواد فى الأسود والبياض فى الأبيض ، فلا يمكنه الاقدام والاحجام . الا على حكمة ، وهذا النور هو أعظم الأنوار وأكملها (قرة العين ٢/٤٤) . ثم هناك نور مستودع فى القلوب من يوم (ألست بربكم ، فكأنه فيها بمثابة الناظر فى البصر لا عبرة به دون مدد الشمس الذى بوازيه ، هذا ما يرد على القلب من فوائد الالهام المظهرة لعين الحقيقة ، فما لم يرد نور للمدد لم يفد النور المستودع فى القلب ، قال تعالى (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) [النور ٤٠] .

١ — اشارة الى قوله تعالى (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) [الأعراف ، ١٧٢] .

وقيل فيه نظمٌ حسن :

رأيتُ العقلَ عقلينِ فمَطْبُوعَ ومَسْمُوعَ
ولا ينفعَ مَسْمُوعٌ إذا لم يَكُ مَطْبُوعُ
كما لا تنفع المعيْنُ وَضْوءُ الشمسِ ممنُوعُ(١)

* ● *

١٥٣ — نور يكشف لك به عن آثاره ، ونور يكشف لك به عن أوصافه .

وبإعتبارِ بَسْطِهِ نوعانِ نورٌ به يُكْشَفُ عن أعيانِ(٢)
وكلُّ آثارِ بوَصفٍ صافِ ونورُ كَشْفِ الحقِ بالأوصافِ
فنورُ آثارٍ له الكَشْف عن الْـ أكْوانِ بالنقصِ وهَوْنٍ تَنْجبلْ
وإنّ دُنيانا إلى الزولِ وإن عقبانا لفى كمالِ

* ● *

---

١ — هذه الأبيات موجوده فى كتاب قرة العين الذى هو الشرح السادس عشر للشيخ أحمد زروق على الحكم العطائية انظر ٢ / ٤٣ .

٢ — النور المدرك بالحواس يكشف به عن آثاره تعالى ، وهى الأكوان المحدثة ليستدل به على المؤثر ، والنوع الثانى من الأنوار هو النور المستودع فى القلوب يكشف للانسان به عن أوصافه الأزلية حتى نراها عيانا ، وفى هذا غاية البغية ، وشرف القدر والمنزلة ، اذ بذلك تتحقق فى المعرفة ، وترفع فى المشاهدة ، ولا تحتاج الى دليل يدلك عليه ، قال فى لطائف المنن ص ٩٦ نور الشمس تشهد به الآثار ، ونور اليقين تشهد به المؤثر ، قال : ولنا فى هذا المعنى :

هذه الشمس قابلتنا بنور ولشمس اليقين أبهر نورا
فرأينا بهذه النور ولـ ـكن بهاتيك قد رأينا المنير

انظر شرح الحكم للرندى ١٠٨/١ :

ونُورُ كَشْفٍ وَصْفِ جَلَالِهِ كما إستحقه كذا أفْعَالِهِ

١٥٤ — ربما وقفت القلوب مع الأنوار ، كما حجبت النفوس بكثائف الأغيـــار .

لاتلكُ بالأنوارِ محجوباً فمع
أنْواره بعضٌ مِنْ النّاسِ قَنَعْ (١)
وهى بها تَنْحَجِبُ القلوبُ كصاحبِ النَفْسِ هو المَحْجُوبُ
بِظُلْمَةِ الأغيارِ فإحْتَرِزْ مِنَ وقُوفِ قلبٍ مع نورٍ يُعْتَلَنْ

* ● *

١٥٥ — ستر أنوار السرائر بكثائف الظواهر أجلالا لها أن تبتذل بوجود الاظهار ، وأن ينادى عليها بلســان الاشتهار .

للهُ غيرةٌ كما صَحَّ الخَبَرْ(٢) على الأحباءِ لكيلاَ تَشْتَهِرْ

---

١ — قد تقف بعض القلوب مع أنوار الأحوال فتحجب عن مقامات الرجال ، أو مع انوار المقامات فتحجب عن معرفة الذات ، وشبه حجب القلوب بالأنوار بحجب النفوس بالأغيار ، لا شتراكهما فى الحجب عن الله ، لكن حجب النفوس بالأغيار أشد ، لأنها ظلمة ، والظلمة أشد حجابا من النور ، فالقلوب نورانية حجبت بالنور ، والنفوس ظلمانية حجبت بالظلمة ، وكثائف الأغيـــار هى ما ظهر من بهجة الدنيا وزخرفها وغرورها ، قال تعالى (زين للنـــاس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب) [آل عمران ١٤] ويدخل فيها ما بلائمها من حب الجاه والرياسة وحب المدح والتعظـــيم وغير ذلك من الشهوات .

٢ — أنوار السرائر انما خفيت عن العيان بما ستـــرها به من كثـــائف الظواهر مع ان الظهور التام لا ينبغى الا لها ، ومن هنا وقوع الانكار عـــلى أولياء الله سنة ماضية ، وحكمة ذلك اجلال وتعظيم لها أن تبتذل وتظهر بوجود =

ولا تَنَالُها يد الجَهُولِ (١) مُبْتَذِلِ الأمرِ لدى الوُصُولِ
لأنّه ماعِـزَّةُ المَكْنُوزِ إلاّ لما بِهِنَّ مِنْ حَرِيزِ
فالأولياء معـدنُ الأنوارِ مخفيةُ من نائلِ الأغيـار
لأنّهُمْ جواهرُ الأصدافِ مُحْتَرِزُونَ عن يدِ الصرّافِ
وستْرُهُمْ أصبحَ بالكَثَائِفِ صيانة عن طاعنٍ لا مُنْصِفِ
أجَلَّهَا عن بَذْلَةِ الإظهار وعن نداء ألْسُنِ إشتِهارِ
فخاصةُ الرحمنِ أهلُ الإصطفا لم يَبْلُغُوا إليه إلاّ باخْتِفَا
فانّهُمُ أصحابُ كهفٍ أصعبُ معرفةً مِنْ رَبِّنَاه ما السببُ
لأنّهُ كمـا يقولُ (٤) المرسى منزّهُ من ناقصٍ ودَنَسِ
وكيف علمُ العبدِ بالآكل ما يأكل والشاربِ ما يشرب ما

* ● *

= الاظهـار ، وان ينادى عليها بلسـان الاشتهار ، فلا يبقى لها سر ولا عز ، فلابد للشمس عن سحاب ، وللحسناء من نقاب ، وهل يكون الكنز الا مدفونا والسر الا مصونا فستر الله سر الخصوصية والولاية فى وجـود البشرية ، ليكون سر الولايه غيبا ، فيكون المؤمن به مؤمنا بالغيب ، وأيضا أجل ولايته ان يظهره فى دار لا بقاء لها ، فارخى عليه ذيل الستر ، وقال فى لطائف المنن ص ١١١ أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس المجرمون . ونقل عن ابى يزيد البسطالى قوله « أولياء الله عرائس ، ولا يرى العرائس الا من كـان محرما لهم » وقد ستر الله أنوار السرائر من ثلاثة وجوه : أحدهما فى نفسها ، اذ لم نظهر الا فيها . الثانى : عن نظـر صاحبها ، اذ هى حجاب له عن شعوره . الثالث : عن نظر الغير وهو أحرى .

١ — فى الاصل « ولا ننالها بدل الجهول » وهو سبق قلم .

٢ — المرسى : هو الشيخ أبو العباس المرسى سبق ترجمته وقد نقل عنه قوله : معرفة الولى أصعب من معرفة الله تعـالى : لأن الله تعالى ظاهـر بجماله وكماله ، ومنى تعرف مخاوقا مثلك يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب ؟ انظر قرة العين ٢/٤٩ — ٥٠ .

وفى شرح ابن عباد ٢/٢ قال فى لطائف المنن فأولياء الله اهـل كهف الابواء فقليل من يعرفهم

الباب السابع عشر

١٥٦ ــ سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه ، الا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل اليهم ، الا من أراد أن يوصله اليه .

سبحانَ مَنْ لم يجعلِ الدليلاَ ... على العبادِ الأولياءِ وُصُولاَ
إلاّ بما دلَّ بهِ عليهِ ... لأوجهٍ ثلاثةٍ لديهِ (١)
ولا وُصُولَ لإمرءٍ إليهِمْ ... إلاّ وُصُولاً للإلهِ فإعْلَمِ (٢)
وإنّما المرادُ بالوُصُولِ ... إلى الوَلِيِّ حرمةُ التبجيلِ
وهو بذاك للإلهِ واصلُ ... إنّ الولِيَّ صَحْبُهُ آماثِلُ

---

١ ــ قلت : التصدير بالتسبيح لوجوه ثلاثة : الاشعار بعظمة الأمر وكبره ، وانه كذلك ، والتنبيه على أن أولياءه منزهون بتنزيهه ، كما أشار اليه الآية فى ببرية أم المؤمنين ــ رضى الله عنها ــ اذ قال (لولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم) [النور ١٦] .

والاشارة لعدم المواساة فى الدلالة التى أشعر بها كلامه ، فكما ان الله تعالى لا يعرف الا بما ظهر فى أفعاله ، كذلك الولى لا يعرف الا بما بدا من أوصافه وكما أن الله تعالى لا يعرف الا بتوفيقه ، كذلك الولى لا يعرفه الا من عرف الولاية ، ولا يعرفها الا من صدق بالاختصاص وذلك فى اتساع الايمان بالقدر . انتهى « منه » .

٢ ــ الوصول للولى هو التحقق بالعلم بالنسبة لله تعالى ، حتى يقتضى ذلك تعظيما له واحتراما ، وخدمة واكراما ، وذلك مفتاح للوصول الى الله تعالى من ثلاثة أوجه : ١ ــ ان تعظيمهم لله تعظيم له تعالى ، ومخالطتهم زيادة فى التعظيم . ٢ ــ أن أحوالهم لاتدل الا على مولاه ، فهم يهدونه اليه كما يقال : المرء على دين خليله . ٣ ــ أنهم أهل وفاء وذمة واعتناء وهمة ، وكرم وسجية ، فمن صحبهم ، فانهم يبذلون الجهد فى نفعه ووصوله الى ربه .

يَنوبُ عنه الحقُّ فى غيبتِهِ نَعْنى به ما شاءَ من ثروتِهِ
نشأتُهُمْ مُعَظَّمٌ جليلُ خليفةُ الرحمنِ ما تَقُولُ
فأنظرْ كتابَ الحَضْرمى(١) ههنا والشاذلى(٢) وشيخنا كما إعتنى

* ● *

١٥٧ — ربما أطلعك على غيب ملكوته ، وحجب عنك الاستشراف على أسرار العبـــاد .

فربَّما أطلعَكَ اللهَ على غيوبِ ملكوتِهِ من حيثُ لا(٣)
تُشرفُ أسرارَ العبادِ رحمةً فياك وفيهم جَلَّ ربّى حِكْمَةً

---

١ — نقل الشيخ زروق عن الحضر فى قوله « فهنيئا مريئا لمن ذاق أو ذاق بعض من ذاق ، أو رأى من ذاق » انظر قرة العين ٥١/٢ .

٢ — الشـــادلى : هو أبو الحسن على بن عبد الله بن عبد الجبـــار ابن يوسف الشاذلى ، نسبة الى قرية شاذلة ، وهى بأفريقية الزاهد الضرير نزيل أسكندرية ، وشيخ طائفة الشاذلية ، قال ابن الملقن : كان كبير المقدار ، عالى المقـــام ، له نظم ونثر ، وعبارات فيها رموز ، صحب الشـــيخ نجـــم الدين بن الأصفهانى نزيل الحرم ، ومن أصحابه الشيخ أبو العباس المرسى ، حج مرات عديدة ، وتوفى بصحراء عيذاب ودفن هناك فى أول ذى القعـــدة سنة ٦٥٦ هـ . انظر طبقات الاولياء ص ٤٥٨ . والوافى بالوفيات ٩٢/٢ — ٩٣

٣ — غيوب الملكوت : ما خفى ادراكه من العلوم لأن الملكوت : شأنه ان لا يدرك بالعقل والفهم . أسرار العباد : هو ما احتوت عليه بواطنهم من ولاية أو غوابة . من لطف الله تعالى اخفاء أسرار الناس بعضهم على بعض لا سيما سر يقتضى وجود عيب ، لأن الانسان لو اطلع على عيوب الناس لهتك أستارهم وفضحهم ، ولا صيب بالعجب لأن من عادة الانسان أن تسوقه نفسه وشهواته، الى النظر الى من هو أسوء حالا منه فى العمل ، ولا يلتفت الى من هو اكثر صلاحا منه الا من رحمه الله ، ففى حجب أسرار العباد بعضهم على بعض ما يحمل العاملين لهم فى الخير والشر على الرجـــاء وحسن الظن من وراء حجاب اليقين ، ففى الستر نعم عظيمة على الصالحين فى نفوسهم من سلامة دينهم وقلة فتنتهم، ونعم جليلة على الفاسقين حيث لم يفضحهم ربهم .

١٥٨ — من اطلع على أسرار العباد ، ولم يتخلق بالرحمة الالهية ، كان اطلاعه فتنة عليه وسببا لجر الوبال اليه .

فكلُّ مَنْ أطلعَهُ اللهَ على سِرِّ العبادِ قبلَ أن تكمّلا
متخلّقا بالخُلُقِ الإلهى(١) برحمةِ الرؤُفِ والأرّاهِ
كانَ إطلاعُهُ عليه فِتْنةً وسببَ الوَبالِ بَعْدَ مِحْنَةِ(٢)
فليسع(٣) النّاسَ ببسطٍ وخلق كأنّه الأبُ الكريمُ المرتَفِقُ
فحالَةُ إطلاعِهِ بهـذا كرامةٌ ورحمةٌ سِوا ذا

* ● *

١٥٩ — حظ النفس فى المعصية ظاهر جلى ، وحظها فى الطاعة خفى ، ومداواة ما يخفى صعب علاجه .

١٦٠ — ربما دخل الرياء عليك ، من حيث لا ينظر الخلق اليك .

فَفِتْنَةٌ ، وبعدُ حظُّ النفسِ فى معصيةِ اللهِ جَلِىّ ما خَفَى(٤)

---

١ — فى الاصل « مختلقا بالخلق الالهى » .

٢ — المطلع على السرائر التى تقتضى وجود العيب ، اذا لم يتخلق بأخلاق الرحمة الالهية ، فيرحم المذنبين ، ويحلم مع الظالمين ، ويصفح عن الجاهلين ، ويحسن الى المسيئين ، ويرأف بعباد الله اجمعين ، فانه يكون ذلك الاطلاع فتنته عليه ، لأن ذلك يؤديه الى رؤية نفسه واستعظام أمرها ، والعجب بعمله ، والتكبر على غيره ، وهذا هو أعظم الفتنة ، ويكون ذلك سببا الى جر الوبال اليه من ادعائه لصفات ربه ، ومنازعته لكبريائه وعظمته ، وهذا هو أعظم الوبال وغاية الخزى والنكال ، بخلاف ما اذا تمكن فى معرفة الحق وتخلق بأخلاقه ، وتحقق بمعانى صفاته وأسمائه ، فانه يكون على خلق الرحمن ، فاذا اطلع على معاصى العباد ومساوئهم رحمهم وسترهم وحلم عليهم ، وقد قال عليه الصلاة والسلام «الخلق عيال الله وأقر بكم الى الله ارحمكم بعياله » وقال أيضا « الراحمون يرحمهم الرحمن » .

٣ — فى الاصل « فالبسع النـاس » .

٤ — حظ النفس فى المعصية هى المتعة البشرية الظاهرة ، كلذة الأكل والشرب والنكاح وسماع اللهوى ، وحظها فى الطاعات هو طلب الكرامات وخوارق العادات والعجب والرياء وغير ذلك من الآفات ومداواة هذا المرض الخفى أصعب ، فالاول يمكن دواؤه بالعزلة وكثرة الطاعات والاذكار ، بخلاف الثانى فلا تزيده الطاعة الا كثرة وقوة اذ بها صارت تطلب حظها ، فلا يداويها الا خوف مزعج أو شوق مقلق ، فالواجب على العبد اتهام نفسه ومراقبة قلبه على الدوام .

وحظُّها الباطنُ فى الطاعاتِ كالعُجْبِ والرياءِ والآفاتِ
علاجُ دائِها الخفى صعبٌ وربَّما الريا حَواهُ القلبُ(١)
من حيثُ لا ينظُرك الخلقُ لما يستشرفُ القلبُ إلى أن يُعلَم

* ● *

١٦١ — استشرافك أن يعلم الخلق بخصوصيتك دليل على عدم صدقك فى عبـــوديتك .

وبعدَ ما إستشرفْتَ أن يَعلَمك الـ
خلقُ بتخصيصك فهو من عِلَلْ(٢)

---

١ — الرياء : هو طلب المنزلة عند الناس وقصد ذلك بعمل صـــالح ، سواء كان ذلك العمل ظاهرا للناس وهو الغالب ، أو خليا عنهم ، فقد يكون الرياء فى عمل خفى ، فيدخل الرياء عليك حيث لا ينظر أحد اليك وهذا أصعب من الاول لانه أخفى ، وقال بعضهم : أقسام الرياء ثلاثة كلها علة : الاول : ان يقصد بعمله الخلق ولولا هم لم يعمل ، وهو أعظم الاقسام . الثانى : أن يعمل للمدحة والثناء ولو لم يعلمه الناس . الثالث : أن يعمل لله ويرجو على عمله الثواب ورفع العقاب ، وهذا النوع جيد من وجه ، معلول من وجه ، عند العارفين ، وعند العامة اخلاص . وقد قيل فى قوله تعالى (والعمل الصالح يرفعه) [فاطر ١٠] هو السالم من الرياء ظاهرا وباطنا ليس فيه حظ دنيوى ولا أخروى . وللمرائى علامات لا تخفى : منها نشاطه فى الجلوة وكسله فى الخلوة ، أو اتقان العمل حيث يراه الناس وتساهله حيث لا يراه الا الله . ومنها النشاسه بقلبه لوقر الناس له وتعظيمه ومسارعتهم الى قضاء حوائجه . حتى ربما يظهر على السنة بعضهم حيث يتوعدون من قصر فى حقهم بمعاجلة الله لهم بالعقوبة ، وأن الله لا يدعهم حتى ينتصر لهم ويأخذ ثأرهم ، ويتصورون أن الله خلق الناس لخدمتهم .

٢ — اذا خص الله عبده بخصوصية كزهد وقناعة أو ورع ، أو توكل او رضى ، أو محبة ، أو يقين فى القلب ، او اظهر على يديه كرامات حســـية أو معنوية ، عليه أن لا يتطلع ويتمنى أن يعلم الخلق بخصوصينه ، فاذا أحب ان يطلع الناس عليه ، فذلك دليل على وجود الرياء الخفى فى باطنه ، ودليل على عدم صدقه فى العبودية ، اذ لو كان صادقا فى عبوديته ، لاكتفى بعـــلم اللهوقنع بمراقبة الله اياه ، واستغنى به عن رؤية غيره .

وهو على خلافِ إخلاصِك فى صِدقِ العبوديّةِ أىّ صارفِ
وإنّما يَصْدُقُ فى إخلاصِه من أخرجَ المخلوقَ فى خلاصِه

* ● *

١٦٢ — غيب نظر الخلق اليك بنظر الحق اليك ، وغب عن اقبالهم عليك بشهود اقباله عليك .

لِنَظَرٍ منك إلى اللهِ الأزَلْ(١) وغيِّب الخلقَ متى ما تشتغل
فلا تكن مستشرفا(٢) لِنظرٍ منهم إليك ناظراً لناظرِ
سبحانَه إليك وإستَحيِى لَهُ ودَعْ سواهُ وانظرنَّ فِعْلَهُ
إن نظروا إليكَ هل من ضرر أو تركوكَ ماهم من أثر(٣)
وغِبْ عن الإقبالِ منهم نحوكَ إليك ، ماهم يملكونَ نَفْعَكَ
وشاهِدْ الإقبالَ من ربّك لكَ مكتفياً به وأخْلِصْ عملك
فكانَ(٤) مَبنِى أمرِ كلِّ مُخْلِصٍ
مكرّمٍ باللهِ عن تخصُّصِ

---

١ — الاصل (أذل) .

٢ — فى الاصل « فلا تكن مستشعرا » .

٣ — الخلق فى الحقيقة عدم ، والوجود انما هو الله الواحد الأحد ، لذلك فغيب عنك أيها المريد نظر الخلق اليك اكتفاء بنظر الحق اليك ، وغيب عن اقبالهم عليك ، بشهود اقبال الله ، فغيب عن الوهم بثبوت العلم ، فاقبالك على الخلق ادبار عن الحق ، وادبارك عن الخلق اقبال على الحق ولا يجتمعان . وقد أوصى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — ابن عباس فقال « احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فا ستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » .

٤ — فى الاصل « فكان منبى أمر » .

قنـــاعةَ مع إكتفائه بـــه سبحـــانه معتنياً بِقُـــرْبه

* ● *

١٦٣ — من عرف الحق شهده فى كل شىء ، ومن فنى به غاب عن كل شىء ، ومن أحبه لم يؤثر عليه شـــيئا .

ثمّ إذا عرفتـــه شهدْتَهَ فى كلّ شىءٍ حيثما فقدْتَهُ
فلا ترَى سِواهُ عندَ الحركةِ والقلبُ منكَ فى الصروف أدْرَكَ
من المحالِ مَعْ سِواهُ تَشْهَدُهُ وقبل رؤيا الحقِّ ذاك تَفْقِدُهُ :
مذعرفتُ الإلٰه لَم أر غيراً وكذا الغيرُ عندنا ممنوعُ
مذ تجمعتْ ماخشيتُ إفتراقاً وأنا اليومَ واصلٌ مجموعُ(١)
غابَ الذى فنَى بِهِ عنْ كُلِّ مَا سواهُ ، والعرفانُ من ذا فَهِّمِ
يغيبُ فعلُ الخلقِ فى صفاتِ للحقِّ للنسبةِ فى الحالاتِ
وأثَرُ الفعلِ مع الوصفِ إتّحد والوصفُ والموصوفُ مفردٌ أحد(٢)
وأينَ ظلُّ الشمسِ أو شُعاعُها أثارنا خلقاً كـــذا إرتفاعُها

---

١ — أورد البيتين ابن عجيبة ولم ينسبهما الى احد . ايقاظ الهمم ص ١٧٧

٢ — المعرفة : تحقق العلم بجلال الله فى سر المعارف على قدر ما فتح له .
الشهود : ملاحظة معنى المعرفة فى الوجود حتى كأن المعروف نصب عينه .
الفناء : رؤية الحق بلا خلق لما يبدو عن جلاله الذى يضمحل معه وجود كل شىء .
الغيبة : الاشتغال عن الشىء بوجه لا يمكن معه الشـــعور به حالة الاشتغال .
المحبة : أخذ جمال المحبوب بحبه القلب حتى لا يتصرف الا على وفق مراده ، ومن ثم كانت تقتضى الايثار ، كما يقتضى الفناء الغيبة ، والمعـــرفة وجـــود الشهود ، وكلها يقتضى الاكتفاء بالحق دون ما سواه ، وهذه الامور هى علامات بلوغ مقام الولاية وبها تكمل المقامات العلية ، فمن لم يجدها فى نفســـه فلا ينبغى له ان يدعى تلك المقامات ولينعمل على مجاهدة نفسه فيما يصححهـــا ويكملهـــا .

فاذ فَنَيْتَ فيه عن محبّةٍ ... أثرتَهُ على السوى بصحبة
والحبُّ أخذٌ لجمالِ رَبِّنا ... قلبَ المحبِّ عن سواه فى فَنَا
معرفةٌ محبّةٌ فَنَاءُ ... ثلاثُهـا نالَهَا الأولياءُ
فمن له فيها نصيبُ نالَ ... ولايةً أولا فلَنْ يَنَال(١)
ولازمُ المحبّةِ الشوقُ إلى ... رؤيتهِ حتّى يكونَ واصلاً
وذاكَ للعرفانِ بالحبيبِ ... حجابُهُ عن غرّةِ القريب

* ● *

١٦٤ — انما حجب الحق عنك ، شدة قربه منك .

١٦٥ — انما احتجب لشدة ظهوره ، وخفى عن الأبصار لعظم نوره .

وإنّما يُحْجَبُ منك الحقُّ ... لِرَتْقِ حُجْبٍ مالذاك فَتْقُ(٢)
ذاك لشدّةِ إقترابهِ لنا ... زادَ حِجاباً كلّما العبد دَنَا
أوصافُه محيطةٌ بعبدِهِ ... هو القريبُ منه حالَ بُعدِه

---

١ — فى الاصل « نالا ولاية ... فلن ينالا » .

٢ — الحجاب عن الحق انما هو بتوجه للخلق ، والا فالحق تعالى لا يصح أن يكون حجابا ولا محجوبا لثبوت احاطته بكل شىء : علما وقدرة وارادة تعالى ربنا ، وقربه من كل شىء معروف معلوم من عموم تصرفاته فى كل شىء ، قال تعالى (والله أقرب اليكم من حبل الوريد) وقال (والله بكل شى محيط) .

وانما شدة قربه من العبد حجاب ، لأن شدة قربه موجبة لا ضمحلال الانسان وذهابه ، والمضمحل الذاهب لا مناسبة بينه وبين الثابت الموجود ، فكيف براه ، وقال أبو الحسن : حقيقة القرب أن تغيب فى القرب عن القرب لعظيم القرب كمن يشم رائحة المسك فلا يزال يدنو ، وكلما دنا منها تزايد ريحها ، فلما دخل البيت الذى هو فيه انقطعت رائحته عنه . ايقاظ الهمم ص ٢٩٧

مُستترٌ لشـدّةِ ظهُورِهِ ومختفِ الإبصـار ذا لنوره
وأنظرْ الخُفّاشَ مِنْ ضَعْفِ البصر
إلى محيّا الشمسِ لم يَقْدِرْ نَظَر(١)

---

١ — هذه عبارة تداولها الناس ، وضربوا لها مثلا بالشمس ، وذلك أن الشمس نورها أقوى من سائر أنوار المحسوسات ، وقوة نورها هى التى حجبت الابصار الضعيفة عن ادراك كنهها فقد صار ظهورها وقوة نورها حجابا لها ، وليس الحجاب على الحقيقة منها ، فان الظاهر لذاته لا يحجب عن ذاته ، والحجاب هنا ضعف البصر عن مقاومة فيضان النور وقال — صلى الله عليه وسلم « حجابه النور » وقال (نور أنى أراه) رواه مسلم ، فالمؤمن عليه أن يفكر فى آيات الله لا فى ذاته ، فالله أكبر من أن يحاط به أو يدرك ، ولا يدرك المؤمن فى ذاته الا كما يدرك الخفاش من باهر الشمس .

الباب الثامن عشر

١٦٦ — لا يكن طلبك تسببا الى العطاء منه ، فيقل فهمك عنه ، وليكن طلبك لاظهار العبودية وقياما بحقوق الربوبية .

لا يكُ للعطاءِ منـــكَ طلبٌ ... منـــهُ وإلاّ ما لديْكَ أدبُ
وقلّ فهم طابُ العبدِ لهُ ... مِنْهُ وعنه القلبُ ما أغفلَهْ(١)
ليكنّ مقصودَ الدعاء فاقَة ... ثمّ العبوديّةُ واستحاقُهُ
مـــن العبـــاد للاله خُشّعاً ... صيرورةَ الكلّ له مجمّعا
والعبـــدُ في الدعاءِ ذو إفتقارِ ... لله ذا الحكمةُ في اضطرارِ
إليـــهِ وإفجماعِهِ عليـــه ... مُعْتَكِفاً وثاوِياً لديْهِ(١)
ونصّ شيخي : ليكُنْ منك طلبٌ ... عُبُودَةٌ توفيةٌ لحقّ ربّ

* ● *

---

١ — الطلب : الدعاء . وانما كان الطلب للعطاء موجبا لقلة الفهم لثلاثة أوجه : أحدها : أنه يقتضى خلاف ما هو الواقع والحقيقة التى هى تعلق الأمر بالقدره فلا يكون شيء مخالفا للقضاء . الثانى : ما ينتج عن ذلك من عدم الرضا عند المنع ، وفقد الشكر عند العطاء ، لانه جاء العطـــاء حسب طلبـــه ونسببه ، فلا يكون هناك فضل . التالث : أنه يوجب الاخلال بأدب الشريعة فى الالحاح عند تأخر المطلوب ، واليأس من رحمة الله لكن الدعاء لابد أن يكون لاظهار العبودية ، والقيام بحق الربوبية ، ويظهر ذلك فى الدعاء بأمور : صحبة الوقت ، بالتفويض فيدعو كما يريد ، لكنه يسلم لاختيار الحق تعالى فى تيسيره ومنعه . ثانيها تعلق القلب بالله فى التحقيق فيدعو وهو موقن بالاجابة ثالثها العزم على الرضا بالواقع سواء كان موافقا للغرض أم لا ، فالدعاء عبودية أقترنت بسبب الحاجة كما اقترنت الصلاة بوقتها ، ورتبت الاجابة عليها كما رتب ثواب الاعمال عليها ، فالعطاء من وجه الفضل ، والعمل لمحض العبودية ، واقترانها لاظهار الحكمة .

٢ — ثاويا : أى مقيمـــا .

١٦٧ — كيف يكون طلبك اللاحق ، سببا فى عطائه السابق .
١٦٨ — جل حكم الأزل ان يضاف الى العلل .

أولا فكيفَ بالدعاءِ اللاحقِ(١) تسبّبُ إلى العطاءِ السابقِ
فإن يكُنْ أعطاكَ ما طلبتَهُ نِلْتَ بغيرِ سببٍ كسبتَهُ
أوْلا فجلَّ شأنُ حكمِ الأزَلِ مِنْ أن يضافَ لوجُودِ العِلَلِ
أمرٌ قَضَى ، حكمُ مَضَى عاينا ، قطعُ جرى ، فصلُ سَرَى لدينا
سبقتْ حُكمْ ، جَفَّ(٢)القَلم ، وكانت
أقْسَامُنَا أيّامُنَا مـا خـانتْ

* ● *

١٦٩ — عنايته فيك لا لشىء منك ، وأين كنت حين واجهتك عنايتـه ، وقابلتك رعايته ؟ لم يكن فى أزله اخلاص أعمال ، ولا وجود احـوال ، بل لم يكن هناك الا محض الافضال ، وعظيم النوال .

وأشكرهُ منك فى عِنَايَةٍ لَـهَ فى حكمِ مسبَوقيةٍ قضت له
لسابقيَّةِ العطـا إلينـا شكرٌ عظيمٌ واجبٌ علينا(٣)

---

١ — لا يكون عطاء الله لعباده بسبب طلبهم ، لان ما طلبه العبـد أمـر سابق فى الأزل قدر له ، وطلبه أمر لاحق فيما لا يزال ، ومن شرط العـلة ان تكون سابقة على المعلول ، والحكم سابق ، فيستحيل ان يكون الطلب اللاحق سببا فى العطاء السابق ، كما ان الله أعظم وأجل عن أن تنضاف الى عـلة او سبب ، بل له الارادة المطلقة والمشيئة النافذة ، فصنعه علة لكل شىء ولا علة لصنعه ، قال الواسطى — رحمه الله — : أقسام سبقت ونعوت جـرت كيف تنال بعمل أو تستجلب بسعايات .

٢ — فى الاصل « سبقت حكم جفت قلم » .

٣ — عناية الله تعالى بالانسان فى الأزل ، حين لم يكن شيئا بل كان عدما محضا . وخلقه بعنايته ، غير معللة بشىء كائن منك من اخلاص اعمال ولا وجود أحوال تتوسل بها اليه تعالى ، وأين كنت اذ ذاك ، وانت عدم محض بل لم يكن هناك الا محض كرمه وافضاله وعظيم احسانه ونواله ، حيث قال تعـالى (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) [الصافات ٥٧] وقال جل شأنه (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا) [مريم ٩] .

فقد هـدانا رازقاً قـوّاماً وخصّنا بين الورى إماماً(١)
وأينَ كنتَ حيثما تَوَجَّهتْ إليك عِصمةٌ أتت وما وَهَتْ
وبعـد ما واجَهَتْ العنايةُ قابلتْ النِعْمَةُ والرعايةُ
لمْ يَكُ فى أزلِهِ إختصاصُ منك ولا فى عملٍ إخـلاصُ
ولا وُجُودُ محسنِ الأحوال ولم يكُنْ هنا سِوا إفضالِ

* ● *

١٧٠ — قد علم أن العباد يتشوقون الى ظهور سر العناية ، فقال : يختص برحمته ما يشاء ، وعلم أنه لو خلاهم وذلك ، لتركوا العمل اعتمادا على الازل ، فقال : ان رحمة الله قريب من المحسنين .

قد علم الشوقَ من العبـادِ إلى العنايات وجَبْرِ الهادى
فقال : بالرحمةِ يختصُّ الفتى(٢) يشاءُ حِكْمَةً لـه ورأفَةَ
ولـو تخلّى عنهم بذلك لتركوا أعمالَهُمْ كذلك(٣)

---

١ — فى الاصـل :
فقـد هـدانا رازقـا قـوانا
وخصـنا بـين الـورى ايمـانا

٢ — اشارة الى قوله تعالى (يختص برحمته من يشاء) [البقرة ١٠٥ — وآل عمـران ٧٤] .

٣ — ان الانسان يتشوف وينشوق الى معرفة سر العناية : السر الذى من أجله وقع الاعتناء به بقوم دون قوم ، لأن الانسان يحب الاطـلاع على اسرار الكائنات ومعرفة اثبات أنواعها فى الموجودات ، ولأن فى معرفة أسبـاب الاشياء اطلاع على سر ثبوتها ونفيها ، ولان النفس جبلت على حب اطلاع وجه الاشياء وترتاح بالاطلاع ، لكن الله سبحانه قطع الاطماع عن كون عناية الله بالاسباب ، حيث أحاله على المشيئة وجعل الرحمة أصل الاحسان حيث قال (يختص برحمته من يشاء) ولا علة له من العبد ، فالاعمال علامات على تلك العناية وليس بعلة موجبة لها ، وانما اسند الله اليه وعلقها به فى قـوله جل شأنه (ان رحمة الله قريب من المحسنين) لئلا يتكل العباد عـلى السابقـة ويتركوا العمل الذى هو مقتضى العبودية الواجبة لله تعـالى .

لعمدةٍ على قضـــاءِ الأزَلِ فقال : إنّ رحمة اللهِ على
المحسنين منهم قريب(١) وكـــلُّ شيءٍ مَدَّهُ الحبيبُ

* ● *

١٧١ — الى المشيئة يستند كل شيء ، ولا تستند هي الى شيء .

إلى مشيئةِ الحبيب يَسْتَنِدْ(٢) عـــلى قضائِهِ القديم يَعتَمِدْ
فلا يكُونُ واقعاً مالم يَشَأْ يا رَبَّنَا لِمَا طلبناكَ فَشَأْ
فأنت ذو مشيئةٍ لا تَسْتَنِدْ لعلَّةٍ ولا عليها تَعْتَمِدْ

* ● *

---

١ — اشـــارة الى قوله تعالى (ان رحمـــة الله قريب من المحسنين) [الأعراف ٥٦] .

٢ — استناد كل شيء الى مشيئة الله تعالى لأنه لا يصدر الا عنها قـــال تعالى (لو شاء ربك ما فعلوه) [الانعـــام ١١٢] ، ولأنه يستحيل وقوع مالم يشأ الله تعـــالى ، ولكن مشيئته لا تستند الى شيء لأنه لو استندت لكان فيها نقصا والنقص فى صفات الله مستحيلة .

البـــاب التاسع عشر

١٧٢ ــ ربما دلهم الأدب على ترك الطلب اعتمادا على قسمته واشتغالا بذكره عن مسألته .

فأدب العبـــاد ربّما دلّهم ... على دُعاءِ مطالبٍ لهم ، وَهُم
قـــد يتركونَهُ إعتماداً عـــلى ... قِسْمَتِهِ سبحانَهُ مِن عُلا(١)
كذا إشتغالاً منهم بذكرهِ ... عن السؤالِ منه ذكرَ قهرهِ

* ● *

١٧٣ ــ انما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وانما ينبـــه من يمكن مـــنه الاهمـــــال .

فإنّما ذكّرَ ذو إغْفالِ ... وإنّما نَبّهَ ذو إهمالِ
والحقُّ لا يُهْمِلُ بل لا يَغْفُلُ ... فههنا تركُ الدعاءِ أفضلُ

* ● *

---

١ ــ أدب العبد قد يدله على الدعاء كما ورد فى كثير من الآيات القرآنية قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام (رب انى لمـــا أنزلت الى من خـــير فقير) [القصص ٢٤] وقال تعالى (ربنا أغفر لى ولوالدى وللمؤمنين يـــوم يقوم الحساب) [ابراهيم ٤١] وقال تعالى (والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) [الشعراء ٨٢] . وبعضهم يدلهم أدبهم على ترك الدعاء وقد قال الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى الحديث القدسى « من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين » ــ رواه البيهقى . ولأنه انما يذكر من يجوز عليه الاغفال ، وانما ينبه من يمكن منه الاهمال ، وكل منهما فى حق الله تعالى باطل ، ومحال ، فلا يجوز عليه الاغفال ولا يمكن منه الاهمال لاستحالة تأثره بالعوارض ، ولان الطلب لا يغير شيئا من قضائه وقدره وليس علة أو سببا لجلب شىء .

فان قلت : الطلب سبب للعطاء ، فسبحان الله أن يضاف حكمه الى العلل والأسباب ، وان قلت : تذكير ، فانما يذكر من غفل ، وان قلت : تنبيه لـــه فانما ينبه من يهمل ، كل ذلك باطل فى حقه ، فلم يبق الا أن الدعاء عبوديـــة اقترنت بسبب ، ومقصدها انما هو ظهور الفاقة الذى به تمام الأمر .

١٧٤ — ورود الفاقات أعياد المريدين .

ثمّ ورودُ فاقةِ المريد مألوفةٌ مثلُ(١) ورودِ العيدِ
لأنّها الشدّةُ فى حاجاتِهِ بها رُجُوعُهُ لوصف ذاتِهِ
وخيرُ أوقاتِكَ وقتٌ تَشْهَدُ فيه من الفاقةِ مالا يُفْقَدُ
فاقةُ عيدٍ له لم يَعُود والعيدُ عيدُ الناسِ إذ يَعُودُ
وفيه فِطْرُ تَمْرَةِ المُشَاهَدَةِ من صومِ رمضانِهِ المُجَاهَدَةِ
وفيه نَحْرُ النفسِ(٢) بالتبرّى والرّقُ فيه آلِ للتحرّى :
قالوا غداً عيدٌ ماذا أنت لابِسُه فقلتُ : خَلْقُهُ ساقَ حُبّهُ جزعاً
فقرٌ وصبرُهما ثوبان تحتهما قلبٌ يرى إلْفَةَ الأعيادِ والجُمَعَا
أحرى الملابس أن تلقى الحبيبَ به يومَ التزاوُرِ فى الثوبِ الذى خلع
الدهر لى مأتم إن غبتُ يا أملى والعيدُ ما كنتَ لى مرأى ومُسْتَمعاً(٣)
ثم أتت فوائدُ الفَاقَات وكَوْنُها أعيادُ ذى الحاجاتِ

---

١ — الاعياد عبارة عن الاوقات العائدة على الناس بالمسرات والافراح ، وهم مختلفون فى ذلك ، فمنهم بل اكثرهم مسرتهم وفرحهم بوجود حظوظهم ، ونيل شهوانهم وغرضهم ، وهو حال عامة المسلمين ، ومنهم من مسرته وفرحه بفقدان حظوظه ، وهذا هو حال الخاصة ، لأن مدار أمرهم انما هو على مراعاة قلوبهم وتصفية اسرارهم من كدورات الأغيار والآثار ، ولا يتاتى ذلك الا بوجدانهم لما يقهرهم من ضرورات الفاقات وانواع الحاجات والضرورات ، فتراهم يؤثرون الفقر على الغنى والشدة على الرخاء ، لما يحصل لهم بذلك من رقة وحلاوة لا يعرف قدرها الا هم .

٢ — فى الاصل « تخر النفس » .

٣ — هذه الابيات نسبها الشيخ رزوق والشيخ ابن عباد لأبى على الروذ بارى . قرة العين ٧٣/٢ وابن عباد ١٣/٢ .

١٧٥ — ربما وجدت من المزيد فى الفاقات ، ما لم تجد فى الصو والصلاة .

١٧٦ — الفاقات بسطة المواهب .

وربّما المريدُ فى الفاقاتِ ... يشهدُ شيئاً ليس فى الصلاةِ
والصومِ كالعلْمِ مع العِرفانِ ... وكاملِ الأنوارِ والإيمانِ(١)
لأنّها الأ بعدُ من دعواكَ ... منقطعُ الإعجابِ مِنْ هَواكَ(٢)
وذِلّةُ البلاءِ بالنصرِ أُقِتْ(٣) ... وأُذْنُنَا آيةُ بدرٍ سَمِعَتْ
ففرحَ العبدِ لدى الفاقاتِ ... مُعَيَّنٌ لكاملِ العزَماتِ
وإنّها ليَبْسُطُ المواهبَ(٤) ... والفتحَ والنَشاطَ ، نجيحْ طالبَ
بساطِنا هذا مجارى الكرمِ ... ومُظْهِرِ الجُودِ وفَتْحِ النِعَمِ

* ● *

---

١ — ورود الفاقات يحصل للمريد بها كثير من صفاء القلب وطهارة السريرة ، وقد لا يحصل له ذلك بالصوم والصلاة ، لأن الصوم والصلاة قد يكون له فيهما شهوة وهوى ، ولأن الفاقة تسلب العبد عن دعواه وترده لمولاه بلا واسطة ، ولأنها اخلاص محض وتخليص تام بلا علة بخلاف الأعمال اذ لا تخلو من شوائب الرياء .

٢ — فى الأصل « من هوك » .

٣ — الأقت والتأقيت : تحديد الأوقات . قاموس . ويمكن أن تقرأ العبارة (بالنصر أتت) (آية بدر) اشارة الى قوله تعالى (ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة) [آل عمران ١٢٣] .

٤ — الفاقات : أشد الحاجة : المواهب : جمع موهبة وهى الفتوحات الالهية من معرفة وغيرها ، لأن الفاقة تحقق المعرفة بجلال الحق ، وتحقق العلم بنفسه وذلك بنفى الدعو ولزوم الأدب ، واتيان للأمر من بابه وتوسل اليه تعالى بأسبابه .

١٧٧ — ان أردت ورود المواهب عليك ، صحح الفقر والفاقة لديك : انما الصدقات للفقراء .

إذا أردتَ واردَ المواهبِ عليك صَحِّحْ طالبَ المآربِ(١)
فقراً وفاقةً لديك تَشْهَدُ تصحيحها ضَرُورَةَ التأكُّدِ
حتّى تكونَ سائر الحالاتِ واجِدَها بالعزمِ والثَّبَاتِ
للفقراءِ الصدقاتُ(٢) آية مشيرةٌ مقصودُها عنايةُ
مُصَحِّحِ الفقرِ يَنَالُ الصدقة ونُوْعُها أعظمُ ربِّ أطلقه

١٧٨ — تحقق بأوصافك يمدك بأوصافه ، تحقق بذلك يمدك بعزه ، تحقق بعجزك يمدك بقدرته ، تحق بضعفك يمدك بحوله وقوته .

إنّ العبوديّةَ من تصحيحها لزُومُ أوصافكَ فى ترجيحها(٣)
كالضَّعْفِ والعَجْزِ وفَقْرٍ وذُلّ
أضدادُهُنَّ للجَلِيلِ الأجَلّ

* ● *

---

١ — تصحيح الفقر والفاقة انما يكون بثلاثة اشياء : أحدها : تقدير عدمك دون بلوغ اربك ، لأنك لا تدرى لعل الأجل يحول بينك وبين ما تريد ، ولا حياه لك الا بمولاك . الثانى : استشعارك بقصورك فى جميع أحوالك ، حيث لا تقدر لنفسك على شىء ، وما تروم من أمر لا يتم لك ، فذلك دليل على أن الأمر ليس بيدك . الثالث : تتبع ذلك على الدوام ، اذ لا يفيد اثباته جملة ، لكن من استشعر عند كل صادر بقصوره عنه ونظر لعجزه فيه تحقق ذلك فى قلبه وانتفع به فى تحقق فقره الذى يوجب خلوص توجهه وهذا مأخوذ من قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء الآية) ففى هذه الاية أن الفقر مستحق للصدقة فى الجملة ، ولكن موقعها فى الظاهر على فقير الحال .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (انما الصدقات للفقراء والمساكين الآية) [التوبة ٦٠].

٣ — أوصاف العبد اربعة : الفقر ، والذل ، والعجز ، والضعف ، وأوصاف الله تعالى : الغنى ، والقدرة ، والعزة ، والقوة ، فاذا تمكنت حقيقة وصف من أوصافك فى قلبك أمدك الله بمقابله من أوصافه ، فاذا فى كل شىء نظرت لقدرته على بساط النظر بعجزك لم يعجزك امر بل تكون قادرا على كل أمر به بكمال قدرته فى تمام عجزك ، فمن تحقق اضطراره ثم انتصاره .

فلازِمْ(١) أوصافَكَ وتَعَلَّقْ بأوصافِهِ ، وقُلْ مِنْ بِساطِ العجْزِ
الحقيقيّ : يا غنيُّ مَنْ للفقيرِ سِواكْ
ومِنْ بساطِ الذُلّ الحقيقي :
يا عزيزُ من للذليلِ سِواكَ ومن بساطِ الفقرِ الحقيقيّ :
يا غنيُّ من للفقيرِ سِواكَ ومِنْ بساطِ الضَعْفِ الحقيقي :
يا قَوِيُّ مَنْ للضعيفِ سواك
تجدُ الاجابةَ كأنَّها طَوْعُ يديك (إستَعينُوا بالله
وإصْبِرُوا .)(٢) (إنّ اللهَ مع الصابِرين(٣))
يَمدكَ القهّارُ بإستضعافِ بما لَهُ مِن سائِرِ الأوْصافِ
تصيرُ قادراً بِهِ غنيّاً معزّزاً بعزّهِ قويّاً
هو المجيبُ أنت مضطرٌ لَهُ فإرْضَ بِهِ والصبرُ ما أجْمَلَهْ

---

١ هذا من كلام الشيخ الشاذلي وأولها (وتصحيح العبودية ملازمة الفقر والعجز والضعف والذل لله تعالى ، واضداها أو صاف الربوبية فمالك ولها ، ولازم اوصافك وتعلق بأوصافه) انظر قرة العين ٢ / ٧٨ ، شرح ابن عباد ٢ / ١٤ .

٢ — سورة الأعراف جزء من الاية ١٢٨ .

٣ — سورة البقرة جزء من الاية ١٥٣ .

البـــاب العشرون

١٧٩ — ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة .

١٨٠ — من علامة اقامة الحق لك فى الشىء ، اقامته اياك فيه مع حصول النتـــائج

وربّما خُصِصْتَ بالكرامةِ ... من حيثُ لم تكمُلْ لك إستقامةَ
فلا تميلْ لهـــا إذْ المَغْرُورُ ... بهـــا لقد أحَـــلَّهُ الثُّبُورَ
ثمّ عليك فى القيـــام فيما ... أقامَكَ اللهُ بـــه ولَمّا
علمتَ هـــذا فمِنْ العلامةِ ... على وُجُودِ العبدِ فى الكرامةِ
إقامَةُ الحقِّ مـــع النتائجِ ... لَهُ وفَقْدُ كلِّ خُلْقٍ سامِيحِ(٤)
ثمّ حصولُ أثرِ الهـــدايَةِ ... ثمّ إرتفاعُ النفسِ عن غَوايَةِ
وكامـــلُ التحقيق والإيقانِ ... ثمّ رِضاءُ العبدِ عن رحمن

١٨١ — من عبر من بساط احسانه ، أصمته الاساءة ، ومن عبر من بساط احسان الله اليه ، لم يصمت اذا أساء .

أصَمَتَ عابراً على بِساطِهِ ... يَخْبَرُ فى الإحسانِ عن ذلاّتِهِ(٢)
فحيثما أظهرَ فَضْلَ فِعـــلِهِ ... نادَتْهُ ما يُرجِعُهُ لِخَجْلِهِ
وعابرٌ عـــلى بساطِ ربّهِ ... يَخْبَرُ عن إحسانِهِ وقُرْبِهِ

---

١ — سامح : أى قبيح .
٢ — فى الأصل (يخبر ذلاته فى الاحسان) .

ليسَ بمُصْمِتٍ على الاساءةِ ... لأنَّ منهُ كان فى إباءةِ
وحاصلَ الأمرِ وفحواهُ إذا ... تصوّرَ(١) الزاهدُ فضلاً نفذا
يَحْتَشِمُ إليه وذَمَّ نفسَهُ ... والعارفونَ يشهدون أنْسَهُ
إن أحسنوا أو أذْنَبُوا جميعاً ... وفِعْلُهُم هنا غدا مرفوعاً
وقد يكونُ الشخصُ فى كليهما ... وينقضى أمْرُ الفنا عليهما

* ● *

١٨٢ — تسبق أنوار الحكماء أقوالهم ، فحيث صار التنوير وصل التعبير .

والحكَمَاء سابقةٌ أنوارُهُمْ ... أقوالَهُمْ من أجلِ أنَّ مالَهُمْ
من حكمةِ الله وفتحِ كشفهِ ... فَنَارَ قلبُ سامعٍ بوَصْفِهِ
فحيثما صارَ لَهُمْ تنويرُ ... لسامعٍ قد وَصَلَ التعبيرُ
فناطِقٌ على تمامِ نورِ ... يُفِيدُ نوراً ثمّ فى الصدورِ

* ● *

١٨٣ — كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذى منه برز .

ومَنْ عن الهوَى نطق ذاك وصَلْ ... لقلبِ مَنْ خاطبَهُ كما دَخَلْ
لأنَّ ما يخرجُ من قلبكَ لا ... يَبْطَأُ إلاّ وكذا قد دخلا
ما لم يكن ذاك عن جُحُودِ ... لحكمةِ الرسل إلى العنيدِ
ما خرجَ الكلامُ من فؤاد ... إلاّ عليه كسوةُ الفؤادِ
فمعدنُ الأنوارِ بالنورِ برَزْ ... منه الكلامُ وإلى القلبِ ركَزْ

---

١ — فى الأصل (نصور الزاهد) .

وغَـيرَهُ تمجّهُ القـلوبُ ناطِقُهُ فى قطعِـهِ مَعِيب(١)

* ● *

١٨٤ — من أذن له فى التعبير فهمت فى مسامع الخلق عبارته ، وجليت اليهم اشـارته .

١٨٥ — ربما برزت الحقائق مكسوفة الأنوار ، اذا لم يؤذن لك فيهـا بالاظهـار .

من كان مأذوناً لدى التعبيرِ من صاحبِ الأنوارِ والتنويرِ
تَفْهَمُ من تعبيرِهِ المسَامِعُ وحصلَ التفهيمُ والمنافعُ(٢)

---

١ — من علامة الكلام الذى يسبقه التنوير هو تأثيره فى القلوب ، فاذا سمعه الغافل تنبه، واذا سمعه العاصى انزجر ، واذا سمعه الطائع زاد نشاطه فى طاعته ، فالكلام صفة المتكلم ، فاذا كان المتكلم ذا تنوير وقـع فى قلوب السامعين ، واذا كان ذا تكدير حد كلامه آذان السامعين ، فكل كلام يبـرز وعليه علامة القلب الذى برز فيه ، وقيل الناس حوانيت مغلقة فاذا تكلمـوا فقد فتحوا ، وقالوا أيضا : الكلام اذا خرج من القلب وقع فى القلب ، واذا خرج من اللسان حده الآذان ، وقد يكون من الناس من هو عالم اللسان جاهل القلب ، وعلامته ترجيح حديث الدنيا على حديث الآخرة .

٢ — الاذن فى التعبير انما يكون على يد الشيخ الكامل العارف الذى أهله الله للتربية ، فاذا رأى على تلميذه اهلية التذكير أذن له فى التعبير ، فاذا عبر اخذ بمجامع القلوب ، فتحسن فى مسامع الخلق عبارته ، ويفهمون اشارته، ولا عبرة عند المحققين بلحن الكلام واعرابه ولا خطأ فى رفعه ونصبه ، وانمـا العـبرة بالمعانى دون القوالب والأوانى ، ذكر ابن عجيبة فى ايقـاظ الهمم ص ٣٢٢ أن بعض النحويين دخل مجلس حسن بن سمعون ليسمع كلامه ، فوجده يلحن ، فانصرف ذاما له ، فبلغ ذلك الحسن ، فكتب له : انك مـن كثرة الاعجاب رضيت بالوقوف دون اللباب ، فاعتمدت على ضبط اقوالك مع لحن افعالك ، وانك قد تهت بين خفض ورفع ونصب وجزم ، فانقطعت عن المقصود ، هلا رفعت الى الله جميع الحاجات ، وخفضت كـل المنـكرات ، وجزمت عن الشهوات ، ونصبت بين عينيك الممات ، والله يا أخى ما يقـال للعبد : لم لم تكن معربا ؟ وانما يقال له : لم كنت مذنبا ؟ ليس المراد فصاحة المقال ، وانما المراد فصاحة الفعـال ، ولو كان الفضل فى فصاحة اللسان

=

وأجْتُلِيَتْ إليهم إشارةٌ ... يُشيرُها وتُفْهِمُ العبارةُ
إنّ الوَلِيّ كنزُهُ مَشْحُونُ ... ومن حقائقِ الهدى مَخْزُونُ
إذا أراد النُطقَ كان إذناً ... من ربّه فالنطقُ يأتي حَسَناً
وربّما قد برزتْ حقائقُ ... مكسوفةً أنوارُها لا تَشْرُقُ(١)
وذاك إذ لم يأذَن الله له ... بأن يكون مُظهراً ما قالَهُ

١٨٦ — عباراتهم اما لفيضان وجد أو لقصد هداية مريد : فالأول حال السالكين ، والثانى حال ارباب المكنة والمحققين .

وذو عِبارَةٍ على قسمين : ... فسالِكٌ ، وعارفٌ بالعينِ
فسالِكٌ من وُجْدِه يُعَبِّرُ ... قهراً عليه من أمورٍ تُجْبَرُ
ليس له تَمالُكٌ من طربِ ... أو غيرِهِ في نفسِهِ عن سَبَبِ
كفيضان وجده مُسْتَغْرِقاً ... في واقعٍ عليه نوراً أشوقا
وعارفٌ ذو مُكْنَةٍ مُحَقّقُ ... أرادَ بالتعبيرِ حيثُ ينطقُ(٢)
هدايةَ المريدِ لإحتياجِهِ ... إثارةً للشوقِ وإبتهاجِهِ

=
لكان سيدنا هارون اولى بالرسالة من سيدنا موسى ، حيث يقول (وأخى هارون هو افصح منى لسانا) [القصص ٣٤] .
وليس معن ذلك ان جميع المشايخ يلحنون فى اللغة ، بل هناك منهم من هو فى قمة البلاغة والفصاحة كالامام الغزالى والقشيرى والشيخ نور الدين البريفكانى مثلا .
١ — قد يتكلم الانسان بحكم وحقائق ، مع فصاحة وبلاغة لكنها مكسوفة الأنوار مطموسة الأسرار ، ليس فيها حلاوة ، ولا عليها طلاوة ، وسبب ذلك عدم الاذن فيها روى عن الشيخ أبى العباس المرسى قوله : كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة ، وكلام الذى لم يؤذن له يخرج مكسوفة الأنوار ، حتى ان الرجلين ليتكلمان بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر .
٢ — فى الاصل « حيث يطلق » .

إلى سِواهُ مِـن معانى المنهجِ حتّى يكونَ راقياً فى المَعْرَجِ
وأولُ القسمينِ ألقوى حيثُ كتمانُ كلِّ أحد مَحْثُوثُ(١)
لأوجُهٍ : فرّاً من التساوينِ لدى ظهورِ الضدِّ للتمكينِ
وغيرةٌ على إبتذال سِرِّ حقٍّ
والخوفُ على تشويشِ قلبٍ قد صَدَقَ(٢)
السالكونَ أخذوا بالأوّلِ والأخذُ بالثانى مقامُ الكُمَّلِ
إذ غَلَبَتْ سالكَنَا أحْوالُهُ وليسَ مِمّن شَوهِدتْ أقوالُهُ
وإنّما أهمَّهُ بنفسِهِ شغلٌ خفيف العُمرِ ذا بعكسه
لكنّما القوى منه فارغُ وإنقطعَ السُلوكُ وهو سابغُ
جُعِلَتْ أحوالُهُ فى قهرِهِ ينفعُ بالتعبيرِ أهلَ أمرِهِ

* ● *

١٨٧ — العبارات قوت لعائلة المستمعين ، وليس لك الا ما انت له آكل

فأذكر عبارات غَدَتْ أقْواتاً لِعائلِ المُستَمِعينَ حتّى
تفاوتتَ مراتبُ العيالِ فراع كلاً بكلامِ الحالِ
فبَعْضُهُمْ ينفعهُ الكثيرُ فأذكرْ بكلِّ ما به التشميرُ
وقوتك الذى لهم فصلتَه ليس سوى قوتك إذا آكلته

* ● *

---

١ — محثوث : أى مرغوب .
٢ — (والخوف من تشويش) فى هامش النسخة .

١٨٨ — ربما عبر عن المقـام من استشرف عليه ، وربما عبر عنه من وصل اليه ، وذلك ملتبس الا على صاحب بصيرة .

١٨٩ — لا ينبغى للسالك أن يعبر عن وارداته ، فان ذلك يقل عملهـا فى قلبه ، ويمنع وجود الصدق مع ربه .

وربمّا عبّرَ عن مقـامِ ... من لم يكُنْ دواهُ بالتمامِ
بل إنّه مستشرفٌ عليـهِ ... وربّما عبّرَ مَنْ إليـه
أصبحَ واصلاً وذاك مُلْتَبَسُ ... إلاّ على بصيرةٍ لم تَنْحبِسْ
لا ينبغى التعبيرُ للسالكِ عن ... شىءٍ من وارداتِهِ لو إفتَطَن
لأنّ ذا يُقِيل من عَمَلِيها ... فى القلبِ بل تكونُ فى مثلَيها
حديثُ نفسٍ مانعٌ لقلبِهِ ... وجُود صدقِ العبدِ مع ربّه

* ● *

١٩٠ — لا تمدن يدك الى الأخذ من الخلائق ، الا أن ترى المعطى فيهـم مولاك ، فان كنت كذلك فخذ ما وافقك العلم .

ولا تَمُدَنّ إلى الأخذِ يَدَكْ ... من العبادِ أو ترى اللهَ ملك
هو الذى أعطاكَ فيهم دُونَهُمْ ... فإن تكُنْ كذاك لا ممنونهم
فإعتبرْ العـامَ بفقهِ وَرَعِ ... ولا تمـل مخالفاً لشرعِ

* ● *

١٩١ — ربما استحى العارف أن يرفع حاجته الى مولاه ، لاكتفـائه بمشيئته ، فكيف لا يستحى أن يرفعها الى خليقته .

والعارفونَ ربّما تَمْنَعُهُمْ ... حياؤُهُمْ عن دفعِ حاجةٍ لَهُمْ
للهِ لإكتفـاهُمْ بمشيئةِ ... فكيفَ يسألون عن خَلِيقَةِ
وكيفَ لا يمنعُهُمْ حيـاءُ ... عن دَفْعِها للغيرِ وهـو داءُ
والاخـذُ والرد متحلا شَبَهٍ ... للنفسِ فيهما اشتباهُ عَمَهٍ

اللبـــاب الحادى والعشرون

١٩٢ — اذا التبس عليك أمران ، فانظر أثقلهما على النفس فاتبعه ، فانه لا يثقل عليها الا ما كان حقا .

وأنظرْ متى يلتبِس الامرانِ ... فى البابِ أو تعارض الوَجْهَانِ
من غيره أثقلَ أمْرَينِ عـلى ... نفسكَ فإتْبَعْهُ فَلَيْلُكَ انْجلى
من واجبٍ ومُسْتَحَبٍّ يشبه ... وما أبيحَ أن يكونَ يُكْرَهُ
ولإفـرادٍ عهما جميعاً ... وصارَ ظنٌّ راجحٌ مرفوعاً
والجمعُ بين الكلِّ كالمُحالِ ... مثل بَرَوُدٍّ(١) وعُقُوقِ آلِ
من أبويهِ ولخـلافِ غيره ... يعوق(٢) هـذا كون ذابيبره
كالمساويين مِنْ جنـازةٍ ... كَلٌّ حضر لحقِهِ وحازه
ومثلُ تركٍ لهـدايا أخذُها ... فى حقِّ مَنْ قَبُولُهَا وردُّها
سيّان والحمولُ بعدَ الجـاهِ ... مآلُـهُ المخوفُ لإشتباهِ
فأثقل الامْرَينِ خُذْهُ إنّـه ... حقٌّ بغيرِ مِريَةٍ تَشْتَبِهُ
والنفسُ تستثقلُ ما كان أحقَّ ... وتأخـذُ الباطلَ والامر سبق
فالنفسُ محبُولَةٌ ضِدٌّ خـيرِ ... مُـدْبِرةٌ مقبِـلةٌ بشرِّ
بـلا دليلٍ لهـواها وإذا ... كانَ مع الدليـلِ فالحكمُ كذا
وظهرتْ حكمةُ إيثارٍ فهو ... حـقٌّ إذ الأنوارُ قد تَعْضُدُهُ
ذلك مـيزانٌ لـدى الاثارَةِ ... إذ تارةً مخطئةٌ وتارةً
مصيبةٌ ما إن لهـا مِنْ نَورِ ... تهـدى به لأصلحِ الأمُورِ

---

١ — وبمكن أن يقرأ هذه الكلمة « مثل برور » .
٢ — فى الاصل « يعقد هذا » .

وصاحبُ النفسِ التى تنَوَّرَتْ ... يعملُ بالنورِ متى تعَسَّرَتْ
أدلَّةُ الشرعِ بأن يبْسُطَ ذا ... إيمانَهُ على المرومِ فإذا
أظهرَ كالشمسِ بلا تردُّدِ ... أقْبَلَ أو كالليلِ أدْبَرَ تهتدِ
وههنا قابلْتُ يُستَفْتى وإن(١) ... أفتوك بالخلافِ عنْدْ ولاتهِنْ
أو شئتَ فالميزانُ كالموتِ كما ... أوْضَحَ ذا الأمرُ بما تقدّما
فأحضرِ الموتَ وفعْلَ الحاضرِ ... فالنفسُ خافتْ فيه من تجاسُرِ
على خلافِ الحقِّ أخذاً بالهَوى ... ومِنْ علاماتِ إتباعِها الهَوى

* ● *

١٩٣ — من علامات اتباع الهوى ، المسارعة على نوافل الخيرات ، والتكاسل عن القيام بالواجبات .

تكاسلٌ فى الواجباتِ عملاً ... وفعْلُها مسرعةً نوافلاً(٢)

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « والاثم ما حاك فى صدرك وخشيت أن يطلع عليه الناس ، وان افتاك الناس وافتوك » .

٢ — هذا ميزان صحيح يوزن فيه التقوى والصلاح ، لأن من شأن النفس أن تثقل عليها الواجب لمشاركة الناس لها فيه ، لأن جل الناس يفعلونه فلا يظهر لها فضل على غيرها ، وهى أبدا تحب الخصوصية والبروز ، بخلاف النوافل فان النفس تتوجه اليها وتحب أن تنفرد بها لطلب المدح والثناء والشهرة ، فما لمسارعة الى نوافل الخيرات مع التكاسل عن الفروض والواجبات وكذلك المسارعة الى فضائل الطاعات وترك ما هو أفضل منها من علامة الهوى واتباع الهوى يهوى بالانسان الى أسفل السافلين قال تعالى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله [القصص ٥٠] والأمثلة كثيرة جدا ، كما أن الناس الذين يعملون الفضائل ويتركون الأفضل كثيرون جدا ، لكن نترك العموم على حاله ، حتى لا يؤدى الى التشهير بالناس .

١٩٤ — قيد الطاعات بأعيان الاوقات كي لا يمنعك عنها وجود التسويف ، ووسع عليك الوقت ، كي تبقى لك حصة الاختيار .

فلا تؤخرْ طاعةً عن وقتِها ... وإتِ بها بشرْطِها ونعْتِها
واللهُ قدْ قيّدَ بالأوقاتِ ... أعيانَ طاعاتٍ لكلّ آت
كيلا يكونَ المنعُ بالتسويفِ ... منك عن الطاعات بالتحريفِ
ووسّعَ الوقتَ لكي يبقى لكَ ... في الاختيارِ حصّتهُ ما عدّ اكَ
وإنّما أوجبَها عليهم ... لعلمِهِ بنقصِ لديهم

* ● *

١٩٥ — علم قلة نهوض العباد الى معاملته ، فأوجب عليهم وجود طاعته ، فساقهم اليه بسلاسل الايجاب ، عجب ربك من قوم يساقون الى الجنة بالسلاسل .

من قلةِ النهوضِ للمعاماةْ ... لما بهِمْ من الهوى مُكاساةْ
فساقَهُمْ إليه بالسلاسلِ ... أوجبَ طاعاتٍ لرغمِ الكاسلِ
أظهرَ عجباً ربُّنا من قومٍ ... سيقُوا لجنّةٍ بسوءِ نوْمِ
فساقَهُمْ إليها بالسلاسلِ ... نبّهَهُمْ كسلى بنومٍ غافلِ

* ● *

١٩٦ — وجب عليك وجود خدمته ، وما أوجب عليك ، الا دخول جنته .

وإنّما أوجبَ كونَ خدمتِهِ ... عليك إيجابَ دُخولِ جنّتِهِ

* ● *

١٩٧ — من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الالهية وكان الله على كل شيء مقتدرا .

اللهُ قادرٌ لاخراجك مِنْ شَهْوَتِك التي إليهـ ترتكن(١)
فلا تكُنْ مستغرباً إنْقَاذَهُ إيَّاك منها وأطْلُبَنْ نفاذَهُ
وأن تكونَ خارجاً عن غَفْلَةٍ لعظَمِ أسبابٍ دعتْ لِعِلَّةِ
فكلُّ مُسْتَغْرِبٍ ذا مُسْتَعْجِزُ قُدْرَةَ مولانا الذي لا يَعجِزُ
واللهُ قال : اللهُ قادرٌ على(٢) مُطْلَقِ شيء بإقتدارٍ مثلاً
إنَّ فُضَيْلاً(٣) وابنَ أدهَمَ نعم(٤)[1]
إبنَ مُبارك(٥) وبِشْراً ذو كرمِ(٦)

---

١ — اليها ترتكن : اى تميل اليها .

٢ — اشارة الى قوله تعالى (والله على كل شيء قدير) و (ان الله على كل شيء قدير) ، (وكان الله على كل شيء مقتدرا) .

٣ — هو فضيل بن عياض ، ابو على ، احد الأقطاب ، ولد بخرسان بكورة أبيورد ، وقدم الكوفة وهو كبير ، فسمع بها الحديث ، ثم تعبد وانتقل الى مكة وجاور بها الى أن توفى سنة ١٨٧ هـ وافرد ابن الجوزى ترجمته بالتاليف . وكان شاطرا ، يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس ، وسبب توبته أنه كان يعشق جارية ، فبينما هو ذات ليلة يرتقى الجدران اليها ، اذ سمع تاليا يتلو (ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) [الحديد ١٦] فقال : بلى والله يارب قد آن فرجع ، فأواه الليل الى خربة ، فاذا فيها رفقة ، فقال بعضهم : نرتحل وقال بعضهم : حتى نصبح فان فضيلا على الطريق فأمنهم وبات معهم ومن كلامه : خمس من علامات الشقاء : القسوة فى القلب ، وجمود العين ، وقلة الحياء ، والرغبة فى الدنيا ، وطول الأمل . انظر طبقات الاولياء ص ٢٦٦ ، وحلية الاولياء ٨/٨٤ — ١٤٠ — الرسالة القشيرية ص ١١ ، وفيات الأعيان ١/٥٢٥ ، صفة الصفوة ٣/١٣٤ شذرات الذهب ١/٣١٦ ، الكواكب الدرية ١/١٤٨ .

٤ — هو ابراهيم بن أدهم ، أبو اسحاق البلخى ، ولد بمكة ، وطافت به امه على الخلق ، وسألت الدعاء له أن يكون صالحا فا ستجيبت لها ، ويذكر =

. . . . . .

=

أبو نعيم فى الحلية : ان اباه هو الذى طاف به على الخلق ، وترك الامارة ، وما كان فيه ، يقال : انه خرج متصيدا فأرى ثعلبا — أو أرنبا — واذ هو فى طلبه ، هتف به هاتف من قربوس سرجه ، : والله ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت ، فنزل عن دابته ، وصادف راعيا لأبيه ، فأخذ جبته — وكان من الصوف — فلبسها ، وأعطاه ثيابه وقماشه وفرسه ، ثم دخل مكة ثم الشام لطلب الحلال ، وكان يأكل من عمل يده ، صحب بمكة سفيان الثورى ، والفضيل بن عياض ، وتوفى بالجزيرة فى الغزو ، وحمل الى صور سنة ١٦١ هـ انظر ترجمته فى طبقات الأولياء ص ٥ ، وطبقات السلمى ٢٧ ، وحلية الأولياء ٣٦٧/٧ ، والرسالة القشيرية ص ٩ ، فوات الوفيات ٣/١ ، صفة الصفوة ٤ / ١٢٧ .

٥ — هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مبارك بن واضح المروزى ، كان قد جمع بين العلم والزهد ، تفقه على سفيان الثورى ، والامام مالك ، وروى عنه الموطأ ، وكان كثير الانقطاع محبا للخلوة شديد التورع ، ومن كلامه : تعلمنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا ، وكان قد غزا ، فلما انصرف من الغزو وصل الى هيت ، فتوفى بها فى رمضان سنة ١٨٢ — أو ١٨١ هـ وهيت مدينة على الفراة فى العراق .

انظر : وفيات الأعيان ٣ / ٣٢ ، وتاريخ بغداد ١٠ / ١٥٢ ، وحلية الأولياء ٨ / ١٦٢ .

٦ — هو بشر بن الحارث الحافى ، لقب بذلك لأنه جاء الى اسكاف يطلب منه شسعا لأحد نعليه ، وكان قد انقطع ، فقال له الاسكاف : ما اكثر كلفتكم على الناس ، فألقى النعل من يده والأخر من رجله ، وحلف لا يلبس نعلا بعدها .

وكنيته أبو النصر ، أحد رجال الطريقة ، ومعدن الحقيقة ، أصله من مرو ، وسكن بغداد ، صحب الفضيل بن عياض ورأى سريا السقطى وغيره ، وسبب توبته أنه أصاب فى الطريق رقعة فيها اسم الله ، وقد وطئها الأقدام ، فأخذها واشترى بدرهم كان معه غالية ، فطيبها وجعلها فى شق حائط ، فرأى فى المنام كأن قائلا يقول : يا بشر طيبت اسمى ، لأطيبن اسمك فى الدنيا والآخرة ، ومن كلامه : لا تكون كاملا حتى يأمنك عدوك ، وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك ؟ ومناقبه كثيرة توفى عشية الاربعاء ٢٠ ربيع الاول ، وقيل عشر محرم سنة ٢٢٧ هـ وقبره فى بغداد معروف .

انظر طبقات الاولياء ص ١٠٩ ، وحلية الاولياء ٣٣٦/٨ ، والرسالة القشيرية ص ١٤ ، وفيات الاعيان ١١٢/١ ، صفة الصفوة ١٨٣/٢ .

ذا النونِ (١) والشبلِيِّ (٢) ثمَّ عُتْبَةَ (٣)
ذاذانَ (٤) كُلُّهُمْ أنيلُوا رُتبَةً
بعد تمح (٥) والقضايا ظَهَرَتْ فالجأ إلى اللهِ بنفسٍ كُسِرَتْ

* ● *

---

١ — ذو النون بن ابراهيم المصرى أبو الفيض أحد رجال الحقيقة ، قيل اسمه ثوبان ، وقيل : اسمه الفيض ، وقيل : ذو النون لقبه ، واشتهر بذلك . وكان أحد العلماء الورعين فى وقته وكان نحيفا تعلوه حمرة ، وكان أبوه نوبيا (وهى قبيلة أفريقية تسكن فى مصر والسودان) سئل عن سبب توبته ؟ فقال : خرجت من مصر الى بعض القرى ، فنمت فى الطريق فى بعض الصحارى ، ففتحت عينى ، فاذا أنا بقنبرة عمياء ، سقطت من وكرها على الارض ، فانشقت الارض فخرجت منها سكرجتان : واحدة ذهب ، والاخرى فضة ، فى احداهما سمسم ، وفى الاخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا ، وتشرب من هذا ، فقلت حسبى ، قد تبت ، ولزمت الباب الى أن قبلت ، ومن كلامه : سقم الجسد فى الاوجاع ، وسقم القلوب فى الذنوب ، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه ، كذلك لا يجد القلب حلاوة العبادة مع ذنبه ، توفى يوم الاثنين سنة ٢٤٥ وقيل ٢٤٦ ، ودفن بالقرافة الصغرى .

انظر طبقات الاولياء ص ٢١٨ ، حلية الاولياء ٣٣١/٩ ، الرسالة القشيرية ص ١٠ ، وفيات الاعيان ١٢٦/١ ، تأريخ بغداد ٣٩٣/٨ .

٢ — تأتى ترجمته قريبا .

٣ — ربما هو عتبة بن أبان الغلام ، وسمى بالغلام لانه كان فى العبادة كأنه غلام رهبان ، لا لصغر سنه ، وكان يعتبر من الصلحاء ، مات شهيدا فى قتال الروم ، ذكره الشعرانى هذا دون أن يشير الى تأريخ وفاته . انظر الطبقات الكبرى للشعرانى ص ٤٠ .

٤ — لم أعثر له على ترجمة .

٥ — فى الاصل « بعد يمج » .

١٩٨ — ربما وردت الظلم عليك ، ليعرفك قدر ما من به عليك .

عليك ربّما تواردَتْ ظُلَمُ مثلُ المعاصي لِتَرى قدْرَ النِعَمِ(١)
وما بِهِ مَنَّ عليك اللهُ فَعَارِفٌ بِمَنِّهِ كما هو

* ● *

١٩٩ — من لم يعرف قدر النعم بوجدانها ، عرفها بوجود فقدانها .

وغيرُ عارفٍ بقدرِ النِعَمِ(٢) عندَ وجُودِها بِدَرْكِ النِقَمِ
يعرفُها أعنى(٣) بتِلكَ النِقَمِ زَوالَ ما قد حازَهُ من نِعَمِ
لذاك قالوا : نِعَمُ اللهِ غدتْ مَجْهُولَةً إذا أزِيلَتْ شُهِدَتْ

---

١ — ظلم : جمع ظلمة ، وهى الاغيار والاكدار وحب الشهوات ، ربما يورد على الانسان حب الدنيا والشهوات وطول الامل ، ويقع فى سجن ظلمة المعاصى ، ثم ينقذه الله منها فى ساعة واحدة ، وذلك ليعرف الانسان قدر ما من الله به عليه ، فيزداد محبة وشكرا ، لان نيل الشىء بعد الطلب الذ وأعز من المساق بغير تعب ، والمحبة بعد القطيعة أحلى من المحبة بلا قطيعة ، فكذلك تقدم ورود الغفلة على العبد ثم انقاذه منها نعمة لا تقدر .

٢ — ان العبد قد تترادف عليه النعم والعوافى ، فلا يعرف قدرها ، ولا تعظم عنده ، فاذا سلبها وضرب بالبلاء والاوجاع والمصائب ، فحينئذ يعرف قدر العافية ، كما يقال فى المثل : الصحة تاج على رؤوس الاصحاء لا يراه الا المرضى ، ويمكن أن يستعين العبد على معرفة قدر النعم ، بالتفكر فيها ، وبالتفكر فى حال نفسه قبل وجودها ، فينظر اذا كان غنيا الى حال فقره المتقدم ، وينظر اذا كان صحيحا الى حال مرضه ، وينظر اذا كان عالما الى حال جهله ، وهكذا كل نعمة بنظر الى وجود ضدها الذى كان موجودا فيه قبل ذلك ، فلا شك انه يعرف قدرها ، فيشكرها فتدوم عليه . وأما من لم يتفكر فى حال النعم فلا يعرف قدرها ، فيغفل عن شكرها ، فيسلب منها وهو لا يشعر ، فان قلت : كيف أقوم بشكر النعم وهى لا تحصى : يمكن أن يجاب بأن الاعتراف بأن المنعم هو الله قيام بالشكر .

٣ — فى الاصل « أعنى بتيك النقم » .

وعاقٌ مصرَ فى تأفيفِ ... والِدِهِ يعرف بالحَيفِ(١)
وَلَدَهُ فلا تُصَغِّرْ نِعماً ... تَبُوءُ بالسُوءِ وتُدرِكْ نقماً
وكيف تَدْرى لَذَّةَ الماءِ وما ... شَفَّتْ لك الأحشاءُ حَرّاً وظَمَأ

* ● *

٢٠٠ ــ لا تدهشك واردات النعم عن القيام بحقوق شكرك ، فان ذلك مما يحط من وجود قدرك .

٢٠١ ــ ان تمكن حلاوة الهوى من القلب ، هو الداء الفضال .

ولا تكُنْ ذا دَهَشٍ بالنِعَمِ ... فلا تكُنْ فاعلَ الشكرِ السمى(٢)
ورُبَّ فرحانٍ بها يَنْسَاهُ ... من فَرَحِيهِ بنعم أنساهُ
ورُودُها عليه وهو(٣) حَطٌّ ... من قَدْرِهِ أما سمعتَ قَطُّ

---

١ ــ فى الاصل « يعرف بالاجيف » .

٢ ــ قد يتفكر الانسان فى نفسه وما به من النعم ، فيجد نفسه مغموسا فى النعم ، فينظر فى نعمة البصر ، فى نعمة السمع ، فى نعمة الشم ، فى نعمة الذوق ، فى نعمة الكلام ، فى نعمة العقل ، فى نعمة اليدين ، فى نعمة الرجلين ، فى نعمة الأهل والأولاد ، فى نعمة الهداية الى الاسلام ، فى نعمة الايمان بالله ، فى نعمة الطاعة ، فى نعمة العلم ، وغير ذلك من النعم التى لا تحصى كما قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) (ابراهيم ٣٤ ــ والنحل ١٨) فعندما يتفكر الانسان فى هذه النعم يندهش ، ويحتقر نفسه عن القيام بشكرها ، فأشار الشيخ هنا الى أن الانسان لابد أن لا يندهش ، لأن الاعتراف بهذه النعم ومعرفتها والاقرار بها أنها من الله ، هو شكرها ، وقوله : الحمد لله رب العالمين ، كاف فى شكر اللسان ، قال تعالى (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا) (زمر ٧٣) ثم قال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) (زمر ٧٤) فمادام الحمد لله يعد شكرا على دخول الجنة وهو من أعظم النعم ، فكذلك بعد شكرا على بقية النعم .

٣ ــ فى الاصل « ودورها عليه وهو خط » .

إنّ تمكنّ حلاوة الهوى(١) من ال
قلب(٢) هو الداء العُضَالُ فإشْتَغِل

* ● *

٢٠٢ — لا يخرج الشهوة من القلب الا خوف مزعج أو شوق مقلق .

بدافعِ الهَوَى كخوف مُزْعِجٍ لله أو شـوقٍ له مُعْتلِجِ
لا يخرجُ الشهوةُ إلاّ بهما(٣) فَعج على مُعَانَقِ معنـاهما
وذاكَ من بِساطِ قَهرِ الحقّ وَوَصْفُهُ يقطعُ وصفَ الخلقِ

* ● *

---

١ — فى الاصل « ان تمكن الحلاوات من ال » .

٢ — حلاوة الهوى قسمان : هوى النفس ، وهوى القلب . هوى النفس يرجع لشهواتها الجسمانية : كحلاوة المأكل والمشرب والملابس والمساكن والنكاح وما شابه ذلك ، وهوى القلب : هو شهواته المعنوية كحب الجـاه والرئاسة والمدح والكرامات وخوارق العادات ، وهوى النفس يمكن معالجته بالزهد والقناعة وصحبة الاخيار ، أما علاج هوى القلب ، فهو صعب وهو الداء العضال الذى أعضل الاطباء : أى أعجزهم وحبسهم عن علاجه .

٣ — الشهوة اذا تمكنت فى القلب صعب علاجها ، فلا يمكن خروجها الا بخوف مزعج يزعج صاحبه عن شهوته ، ويخرجه عن كل شىء ، أو شوق يقلقه عن جميع مراداته فينسيه كل شىء . ثم الخوف على قسمين : خـوف العوا م: وهو الخوف من العقاب والعذاب ، وخوف الخواص ، وهو الخوف من القطيعة والحجاب . والشوق على قسمين ايضا : شوق العوام ، وهو للحور والقصور ، وشوق الخواص ، وهو للحضور والشهود .

٢٠٣ — كما لا يحب العمل المشترك ، كذلك لا يحب القلب المشترك ، العمل المشترك لا يقبله ، والقلب المشترك لا يقبل عليه .

وقلبُك المائلُ للغيرِ إشترك فيهِ وربّي لا يحبُ المُشْتَرَكْ(١)
لا يقبلُ الأعمالَ ، والقلبُ فلا إليهِ باللُطْفِ يكونُ مقبلا



---

١ — قال — صلى الله عليه وسلم — فى حديث قدسى يقول الله : « انا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى ، تركته وشريكه » والقلب الذى فيه حب شىء سوى الله ملطخ بالهوى لا يليق لحضرة المـولى .

الباب الثانى والعشرون

٢٠٤ — أنوار أذن لها فى الوصول ، وأنوار أذن لها فى الدخول .

إنّ من الانوارِ مأذوناً لَـهُ ... يَدْخُلُ قلبَ العبد إذ أوْصَلَهُ
والبَعْضُ لا يؤذَنُ فى الوصُول ... بل إنّه المأذونُ فى الدُخُولِ
أشارَ فى الحديثِ(١) للصدرِ إنفسَحْ ... بالنورِ للواصلِ ذا الأمرُ اتَّضَحْ

* ● *

٢٠٥ — ربما وردت عليك الأنوار ، فوجدت القلب محشوا بصور الآثار ، فارتحلت من حيث نزلت .

فربّما عليك وَرَدَتْ أنــوارُ ... فَوجَدتْ فى حشوهِ الآثارَ(٢)
قلبَك من صورِها فإرْتَحَلَتْ ... نوازِلُ الأنوارِ حيثُ نَزَلَتْ(٣)

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « ان النور اذا دخل القلب انفسح وانشرح » ، قيل : فهل لذلك من علامة نعرف بها ؟ قال : نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله » رواه الحاكم والبيهقى فى الزهد .

٢ — أى فوجدت الأنوار فى حشو قلبك من صور الآثار فارتحلت « منه » .

٣ — معنى عليك وردت أنوار : أى نزل فى صدرك بأمر الهامى وفتح الهى ، ولكنها لم تجد سبيلا لدخول القلب حتى يتمكن منه لما عارضها من شغل المحل بنقيضها ، وهو حشوه بصورة الاثار من جهة النظر اليها مما هو اصل الظلم الثلاثة التى هى : المعاصى ، والشهوات ، والغفلات ، لأن الظلمة تنفى ظهور النور مع وجودها ، كما أنه يذهب بوجودها .

٢٠٦ — فرغ قلبك من الأغيار ، يملأ بالمعارف والأسرار .

تفرغه مِنْ صَدى الأغيـــارِ يَمْلأُ بالمعارفِ والأسرارِ(١)

* ● *

٢٠٧ — لا تستبطىء منه النوال ، ولكن استبطىء من نفسك وجـــود الاقبـــال .

فلا تكُنْ مُسْتَبْطِىءَ النَوالِ(٢) منه وكُنْ مستبطِئَ الإقبـــالِ
من نَفْسِكَ التى تَمَنَّتْ الأدبَ بابُ الكريم ذو نوالِ بالأدَبْ

* ● *

٢٠٨ — حقوق فى الأوقات يمكن قضاؤها ، وحقوق الأوقات لا يمكن قضاؤها ، اذ ما من وقت يرد الا وله عليه فيه حق جديد وامر اكيد ، فكيف تقضى فيه حق غيره ، وانت لم تقض حق الله فيه .

إنّ حُقوقاً هُنَّ فى الأوقاتِ(٣) ثُمّ حقوقاً هُـــنّ للأوقاتِ

---

١ — تفرغه : تفريغ القلب : اخلاؤه . الأغيار : جمع غير وهى صور الاثار ، اى كل ما سوى الحق سبحانه . المعارف : علوم الوهب الراجعة لمعانى الاسماء والصفات وتعريف الافعال . الأسرار : الدقائق العرفانية وغيرها من علوم الحقائق . يملأ : أى يملا لك بدله جزاء اتطهيره ، ولانه صار بحيث يصلح لذلك حكمه ، قال بعض الحكماء : لا تطمع أن تصحو وبك عيب ، ولا تطمع أن تجاو وعليك ذنب .

٢ — النوال : العطاء على وجه الكرم والافضال . الاقبال : الرجوع اليه تعالى بنوع من الذل وترك السوى ، وانما أمرت باستبطاء اقبالك دون نواله ، لان نواله لم يمنع عنك من بخل ولا عدم ، ولكن تخلف شرطه الذى اقتضت حكمته تعليقه عليه وهو الاقبال ، ولان استبطاءك لاقبالك حـــق عبوديتك واستبطاؤك لنواله حظ نفسك ، ولان طلب النوال بدون الاقبال اتيان للامر من غير بابه ، وتوسل بغير وجود أسبابه .

٣ — الحقوق التى فى الاوقات : هى أنواع العبادات من الصلاة والصيام وغيرهما اذا فاتك شىء منهما يمكن قضاؤه بعد فوات وقته . الحقـــوق المتعلقة بالاوقات ملزومة بها وجودا وعدما فهى لا تنفك عنها ، ولذلك لا يمكن قضاؤها =

فما ألْقِيَ فيها قَضَاؤُها رُجِي ... لسعةِ الوقتِ وفَسْحِ المَنْهَجِ
لكنَّ مالَهَا عـديمُ القَضَا ... لأنّه مبـاينٌ قـد مَضَى
الوقتُ أربعٌ ولاخامسَ له : ... فنعمةٌ ، بليّـةٌ مُفصّـلَةَ
وطاعةٌ ، معصيّةٌ ، وللحق ... عليك فى جميعِ تلك مِنْ حَقِ
من العبوديّة منهم يُقْتَضَى ... له الرُبوبيّةُ فاسمَعْ ما مَضَى
فحقُّهُ فى نعمةٍ شُكرانُها ... وفى بليّـةٍ فمـا إتيانُها
صَبْرُكَ والرِضا ، وحقُّ الطاعَةِ ... شُهُودُ منّه على إستطاعَةِ
وحق مولاكَ لدى المعصيّةِ ... توبةُ قلبِ نادمٍ ومُخْبِتِ(١)
ليس عليك وارِدٌ من وَقْتِ ... إلاّ ولله بـذاك الوَقْتِ
عليك حقٌ لازمٌ جـديدُ ... يَعْقُبُه أمـرٌ لَهُ أكيـدُ
فكيفَ تقضِي فيه حقَّ غـيرِهِ ... وأنت لم تَقْضِ حقوقَ أمْرِهِ
سبحانَهُ فيهِ على ما سبَقَ ... فأقْبِلْ على اللهِ بوجهٍ طَلْقَا
وأفْرُقْ من الجديدِ ذا الاكيدَ ... فالشكرُ مِثْلُنا بِهِ الجديدُ
والصدقاتُ للأكيدِ هـكذا ... مَثَلٌ لمـا قَدَّمْتُهُ فنفـذا
ثمّ تأمّل أجْدَرَ التأمّلِ ... ولا تمل لدَغْدَغِ المُجادِلِ

* ● *

قال فى لطائف المنن ص ١٩٤ أحوال العبد أربعة لا خامس لها : النعمة ، والبلية ، والطاعة ، والمعصية . فإن كنت بالنعمه فمقتضى الحق منك الشكر ، وان كنت بالبلية فمقتضى الحق منك الصبر ، وان كنت بالطاعة فمقتضى الحق منك شهود منه عليك ، وان كنت بالمعصية فمقتضى الحق منك وجود الاستغفار . وروى أن الرسول — صلى الله عليه وسلم — قال « من أعطى فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فغفر ، وأذنب فاستغفر » ثم سكت عليه الصلاة والسلام ، فقالوا : ما له يا رسول الله ؟ قال « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » .

١ — مخبت : أى خاشع .

٢٠٩ — ما فات من عمرك لا عوض له ، وما حصل لك منه لا قيمة له .

وإحْذَرْ مِنَ الغَفْلَةِ إن كنت فتى ... وكلّ مافاتَ من العُمْرِ مَنى
تنالُ حقَّهُ ولا عوض لَهَ(١) ... فأذْكُرْ وما يحصلُ لاقيمةَ لَه
من ذلك العُمْرِ العَزيزِ فاعتبر ... بعارفِ الاشياءِ فاتِ وإسْتَشر

* ● *

٢١٠ — ما احببت شيئا الا كنت له عبدا ، وهو لا يحب ان تكون لغيره عبـــدا .

فإجعلْ قُواكَ فى هَواه صابره ... إنّ الهَوى لغـــيرِهِ مُغَادَرَه
وأنت عبدٌ للذى أحْبَبتَهُ(٢) ... ذلك قولُ أنت ما حَسِبتَهُ

---

١ — عمر المؤمن هو رأس ماله ، وفيه ربحه وخسرانه ، فمن شديده عليه فهو من الفائزين ، ومن ضيعه فى البطالة والتقصير كان من الخاسرين ، فما فات منه فى غير طاعة ربه لا عوض له ، اذ ما ذهب لا يرجع ابدا ، لأجل ذلك كان السلف الصالح اشتدت محافظتهم على الأوقاف ، وبذلوا مجهودهم فى اغتنام الساعات ، ولم يقنعوا من أنفسهم الا بالجد والتشمير ، ولم يسمحوا لها فى الراحة والبطالة ، قال — صلى الله عليه وسلم — « لا تأتى على العبـــد ساعه لا يذكر الله فيها الا كانت عليه حسرة يوم القيامة » وقال الشيخ جنيد — رضى الله عنه — : الوقت اذا فات لا يستدرك ، وليس شىء أعز من الوقت ، وفى المثـــل : الوقت كالسيف اذا لم تقطعه قطعك .

٢ — القلب اذا أحب شيئا أقبل اليه وخضع له ، وأطاعه فى كل ما يأمره . وحقيقة العبودية : الخضوع والطاعة ، وليس للقلب الا وجهة واحدة ، وليس للانسان الا قلب واحد ، قال تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه) [الأحزاب ٤] واذا كان للقلب وجهة واحدة ، فمهما أقبل بها على مولاه أعرض عما سواه وكان عبدا له حقيقة ، واذا أقبل على هواه أعرض عن مولاه وكان عبدا لسواه ، والله تعالى لا يرضى لعبده أن يكون عبدا لغيره ، قال تعالى فى ذم اتباع الهوى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله) [الجاثية ٢٣] وقال — عليه الصلاة والسلام — « تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة تعس وانتكس » .

واللهُ يأبى أن تكونَ عبـداً لغيرِهِ وهو النَعيمَ أسْدى

* ● *

٢١١ — لا تنفعه طاعتك ولا تضره معصيتك ، وانما أمرك بهذه ونهاك عن هذه لما يعود عليك .

٢١٢ — لا يزيد في عزه اقبال من أقبل عليه ، ولا ينقص من قدره ادبار من أدبر عنـه .

وأنت لا تَنْفَعُهُ بطاعَتِك ولا تضرُهُ مَعاصي ذَلَّتِك
فأمْرُهُ إيّاكَ بالطاعَةِ مِن(٣) إقْصالِهِ والنهيُ عن ذا فإفتطِن
فانّهُ الغنى عن عبـادِهِ فدارِهِ عـلى مَدَى مُرادِهِ
كيفَ يزيدُ عِزَّهُ إقْبالُ من أحدٍ عليه أو أعْمالُ
أمْ كيفَ ذو نَقْصٍ له العِزَّ بما أدْبَرَ عنهُ خَلْقُهُ مُنصَرِماً

* ● *

---

١ — الله سبحانه وتعالى غنى عن كل شيء ، بل كل شيء مفتقر اليه ، لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، بل العاصي يكون مقهورا بمعصيته ، ولا يكون قاهرا له بمخالفة أمره حيث يقول تعـالى (وهو القاهر فوق عباده) [الأنعام ١٨ و ٦١] .

فانما أمر العبد بالطاعة ليقربه منه ، وانما نهاهم عن المعاصي لمـا جعل فيها من علامة البعد عن حضرته ، ولمـا فيه من سوء الأدب ، وان الله لا يزيد في عزه اقبال من أقبل عليه ، لأن عزته أزلية قديمة فلا تكون متوقفة على حادث ، كما لا ينقص من عزه ادبار من أدبر عنه لأنه غنى عن العالمين كما جاء في الحديث القدسي « لو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد ما زاد ذلك في ملكي شيئا . ولو أن أولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا » الحديث .

الباب الثالث والعشرون

٢١٣ — وصولك الى الله وصولك الى العلم به ، والا فجل ربنا أن يتصل به شيء أو يتصل هو بشيء .

وُصُولُنَا للهِ عِلْمُنَا بِهِ ... بالقلبِ عِرفاناً لفتح بابِهِ
مَعْرِفَةُ القريبِ بالصفاتِ ... حاشاهُ أن نعرفَهُ بالذاتِ(١)
وبالصفاتِ غيرُ ما نفهمه ... وأقربُ الأحوالِ ما نَعْلَمُهُ
بأنّه ليس له شَبيهٌ ... هو الذى من حَقّهِ التَنْزِيهُ
أولا فجلَّ ربُنَا أن يتّصِلْ ... بِهِ من الاشياءِ ذا لا يحتمل
أو هو بالشيءِ ومنه القرب ... منك إذا بثّ عليك الغيب

* ● *

٢١٤ — قربك منه أن تكون مشاهدا لقربه ، والا فمن أين أنت ووجود قربه .

كونُك شاهداً لقربِ الربِّ ... منك فذا قُرْبُكَ حالَ القُرْبِ

---

١ — الوصول الى الله عند اهل التصوف : هو تحقيق العلم بوجوده وحده ، فوصول الانسان اليه تعالى ، هو شعوره بعدمه حتى يكون عدمه عنده ضروريا ، وعلمه بوجوده تعالى كذلك ، وهذا الأمر حاصل للانسان فى نفسه لكنه لم يشعر به ، قال بعض المشايخ : الناس كلهم يشاهدون ، ولا يعرفون ، فوصول العبد الى الله : هو تحقيق العلم بوجوده ، والغيبة عن نفسه ، وعن كل ما سواه ، وليس معناه الوصول الحسى ، فان الله سبحانه أعظم من أن يتصل به شيء ، لأنه يلزم من ذلك تحيزه ، أو أنه تعالى يتصل بشيء لأنه يلزم منه افتقاره الى الحيز وحصره ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

أولا أنّ أين وجودُ قُربِه (١) وأنت حاشاهُ بعيدُ حُجبِه
معيةُ اللهِ لعبدٍ نَصْرُهُ ثمّ كَلاءَةٌ وذاك أمرُهُ
فَرَدهُ الجنيدُ فحذر ههنا مزلّةُ الاقدامِ واللهُ لنا

* ● *

٢١٥ — الحقائق ترد فى حال التجلى مجملة ، وبعد الوعى يكون البيان ، فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه .

ثمّ وصولُ العبدِ والقُربِ هما مَجْرى حقائقِ الامورِ فاعلما
بأنّها واردةٌ مُجْمَلَةٌ حالَ التجلّى إذ أتت مُنَزّلَه (٢)

---

١ — اذا علمت أن الأكوان ثابتة بانبانه تعالى . علمت : أن الأكوان والمكان والزمان لا وجود لها ، وأن الحق تعالى كما كان وجوده وحده ولا أين ولا مكان ، بقى كذلك ولا أين ولا زمان ، نور أحديته محا وجود الأكوان ، فانتفى وجود الزمان والمكان ، ولم يبق الا الواحد المنان ، فاذا علمت هذا علمت أنه تعالى قريب من كل شىء محيط بكل شىء ، لكن حكمته تعالى أثبتت الحادث والقديم ، فمن فتح الله عين بصيرته شهد عدمه لوجوده ، فأبصر الحق محيطا به ، ومن طمس الله عين بصيرته لم ير الا وجوده ولم يدرك الا بعده من ربه ، فاذا أراد الله أن يقربه اليه فتح شعاع بصربه ، فيبصر الحق قريبا منه ومحيطا به .

فمعنى قرب الانسان من الله : أن يكون مشاهدا لقربه منه قرب وجود واحاطة ، قال تعالى (واذا قلنا لك ان ربك أحاط بالناس) [الاسراء ٦٠] وقال (وأن الله قد أحاط بكل شىء علما) [الطلاق ١٢] . وليس معناه ثبوت قربه الحسى ، لأنه من أين للانسان قربه الحسى من نور اللطيف ، كما قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — « نور أنى أراه » فالقرب الحسى مستحيل ، لاستحالة المسافة على الله ، ونفى مناسبة العبد له تعالى .

٢ — الحقائق : هى ما يرد على قلب العارف من تجليات العلوم والحكم والمعارف ، فتارة تكون علوما ، وتارة تكون حكما ، وتارة تكون كشفا . وحكمة ذلك أن الروح اذا تخلصت وصفيت من علائق المحسوسات ، كان غالب ما يتجلى فيها حقا ، وأن هذه الحقائق قد ترد فى حال التجلى مجملة فيقدها الانسان كما هى : ثم يتفكر فيها فيبين معناها ، فبعد الوعى وهو الحفظ يكون =

وبعدَ وعى القلبِ تُسْتَبَانُ أى بعدَ ما إستقرتْ البيانُ
فألفُ معنى ظهوتْ من حِكمةٍ واحدةٍ ومنهُ ألفُ حِكمةٍ
تلَقِ ذاك وإتَّبِعْ قُرْآنَهُ(١) إنّ علينا آيةً بيانَهُ

* ● *

٢١٦ — متى وردت الواردات الالهية عليك ، هدمت العوائد عليك ، ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها .

وحكمةُ الإجمالِ فى التلَقّى حالَ التجلّى إن وَعَيْتَ نُطْقى
أحدُ ورودِ الواراتِ قلبك وهدمُ عاداتك(٢) إنّ رَبَّكَ

=
البيامن ثم ذكر آية الوحى ، لأن الوحى على أربعة أقسام : وحى الهام ، ووحى منام ، ووحى اعلام ، ووحى أحكام ، فشارك الانبياء الاولياء فى ثلاثة ، وانفرد الانبياء بوحى الاحكام ، ووحى الاحكام فلا ينسى ، بخلاف وحى الالهام ، فلذلك ينبغى للولى أن يقيد تلك الواردات قريبا ، ومع أن المشايخ يعتبرون كشوفاتهم وحيا الهاميا أو اعلاميا أو مناميا ، فانه ان عارض الشرع فلا يعتبر ، فقد روى عن الشيخ جنيد البغدادى قوله : ان النكتة لتقع فى قلبى من جهة الكشف فلا اقبلها الا بشاهدى عدل : الكتاب ، والسنة ، روى عن الشاذلى قوله : اذا عارض كشفك الصحيح الكتاب والسنة ، فاعمل بالكتاب والسنة ، ودع الكشف ، وقل لنفسك : ان الله تعالى ضمن لى العصمة فى الكتاب والسنة .

١ — اشارة الى قوله تعالى (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه) القيامة ١٨ و ١٩ .

٢ — الوارد الالهى : هو قوة شوق أو اشتياق أو محبة يخلقها الله فى قلب العبد ، وقد تنشأ عن قوة خوف أو هيبة أو جلال ، فتزعجه تلك القوة الى النهوض الى مولاه ، فيخرج عن عوائده وشهواته وهواه ، ويرحل الى معرفة ربه ورضاه ، وقد تترادف عليه أنوار تلك المحبة والشوق ، فتغيبه عن حسه بالكلية ، وهو الجذب ، فمتى وردت الواردات الالهية على قلب أحد هدمت عاداته وأفسدتها ، فيكون رئاسته تواضعا ، وكلامه صمتا ، وغناه فقرا ، ولذيذ طعامه خشنا ، وهكذا شأن الورود الالهى يخرب العوائد ويهدمها ، فهو كملك جبار ذى جبروت جرار دخل قرية أو مدينة فأفسد بناءها وغير عوائدها ، قال تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) [النمل ٣٤] .

يُوردُهـا ليغلب التجلّى ... ويَمْلِكَ الكلَّ من التدلّى
إن القلُوبَ كالقُوى تَقْلِبُها ... إذا أتَتْ مُلُوكَهَا تَغْلِبُها(١)
ذلك معنىً أفْسَدُوها ههنـا ... فَصُغَرُ الخلقِ كبيرٌ بالفَنَـا

* ● *

٢١٧ — الوارد يأتى من حضرة قهار ، لأجل ذلك لا يصادمه شيء الا دمغه ، بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق .

مِنْ حَضْرةِ القهّارِ وارداتٌ ... مِنْ مَلِكِ القلوبِ وارداتٌ
وَهُنَّ شيءٌ فى القلوبِ أسْبَغَه ... وهو إذا صادَمَ شيئاً دَمَغَه(٢)
سـواءٌ الجميلُ والقبيحُ ... فيذهبُ المُجْمَلُ والصَريحُ
يقول : بَلْ نَقْذُف بالحقِ على الـ
ـباطِلِ(٣) ، فالباطلُ فيـه مُضْمَحَلْ
ذلك معنى زاهِقٌ يَدْمَغُـهُ ... بحُلْيَةِ الوارِدِ إذْ يَصْبَغُهُ

* ● *

---

١ — اشارة الى قوله تعالى (ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها) الاية [النحل ٣٤] .

٢ — انما كان الوارد الذى يرد على قلوب السائرين أو الطالبين قويا شديدا ، لأنه يأتى من حضرة القهار لدمغ بقهريته كل ما وجد فى النفس أو القلب من الأغيار ، فقد شبه ما سوى الله بحيوان له دماغ ، فاذا ضرب دماغه وتشتت مات ، كذلك الباطل اذا صادمه الحق أهلكه وتشتت دماغه ، فالوارد الالهى محض حق ، فاذا صادم الباطل دمغه وقتله ، فيكشف بعد ذلك لمن يرد عليه الوارد عن أسرار خارجة عن مدارك العقول غير مدركة بعبارة النقول .

٣ — سورة الانبياء الاية ١٨ .

٢١٨ — كيف يحتجب الحق بشيء ، والذى يحتجب به هو فيه ظاهر وموجود حاضر .

وأعظمُ الباطلِ فَهْمٌ حُجُبٍ ... لله شمسٌ حُجُبُهُ فى شُهُبِ(١)
بالشيءِ كيفَ رَبُّنا يُحْتَجَبُ ... وكلُّ شيءٍ مظهرٌ مُنْتَسَبُ
إليهِ من حيثُ الإلَهُ ظاهرُ ... فى ذلكَ الشيءِ وفيه حاضر

* ● *

٢١٩ — لا تيأس من قبول عمل لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل ، ما لم تدرك ثمرته عاجلا .

لا تيأسَنَّ من قَبُولِ عملٍ(٢) ... تَفْقِدُ الحضورُ فيه فالولِ
قد يجدُ اللهَ لذاك قابلا ... وقدْ نَفى أثمار ذاك عاجلا

---

١ — ان الحق تعالى ليس محجوبا بشيء ولا يصح أن تحجب بشيء ، اذ لو احتجب بشيء وجودى لكان ذلك من أثر قدرته ، وقدرته لا تفارق ذاته ، فالصفة لا تفارق الموصوف ، وأن كل ما يبرز من عنصر القدرة كله نور من نور ملكوته فائضا متدفقا من بحر جبروته ، ولو تصورنا احتجابه بشيء عدمى ، فيكون مستحيلا أيضا ، لأنه كيف يحجب الموجود بالمعدوم ، وسبق تفصيل واف فى هذا الموضوع .

٢ — قد تقدم قوله : من وجد ثمرة العمل عاجلا فهو دليل على وجود القبول ، ولا يقتضى المفهوم أنه ان لم يجد ثمرته فليس بمقبول ، بل مسكوت عنه ، فان توفرت فيه شروط القبول من جهة الشريعة ، ان صحبه الاخلاص والتقوى والاتقان ، فهو مقبول عند الله ان شاء الله سواء وجد ثمرته عاجلا أم لا ، قال تعالى (انما يتقبل الله من المتقين) [المائدة ٢٧] فان كنت متقيا لله فى ظاهرك وباطنك على قدر استطاعتك ، ومخلصا لله فى أعمالك ، ثم لم تجد حلاوة العمل ، ولا حضور القلب فيه ، ولم تجد ثمرته من أحوال الواجدين ، فلا تيأس من قبوله عند الله ، فليس وجود الحال ولا الحلاوة شرطا فى قبول العمل ، انما هى علامة ، والعلامة لا يلزم طردها ، بل يجب عليك أن تدوم عليه حتى تجد ثمرته ، فمن قرع الباب يوشك أن يفتح له .

٢٢٠ — لا تزكين واردا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة الأمطار ، وانما المراد منها وجود الثمار .

وربّما ودّ مُعَجِّلَ الثَّمَرْ فلا تُزْكِيَنَّ وارداً حَضَرْ(١)
ولا تُعَظِّمَنَّ أنواراً إذا لم تَكُ فى الخدمةِ عبداً لائذاً
فما مرادُ سُحُبِ الأمطارِ إلاّ وجودُ خالِصِ الأثمارِ
كمُلْوِ هِمَّةٍ وحُسْنِ خدمةٍ وحِفْظِ حرمةٍ وشكرِ نعمهِ

* ● *

٢٢١ — لا تطلبن بقاء الواردات بعد أن بسطت أنوارها وأودعت أسرارها ، فلك فى الله غنى عن كل شىء ، وليس يغنيك عنه شىء .

لاتَطْلُبَنَّ بَقَاءَ واردات ذلك جهلٌ وانتقاصٌ آتِ
وإن تكُنْ أنوارُها مُنْبَسطَة وأُودِعَتْ أسرارُها مُلْتَقَطَة
إذْ الصفاءُ لايدومُ وقتُهُ مستأنسٌ به غُرورُ نَعْتُهُ
وأحْمَقٌ أمروءٌ بذاك يُخْدَعُ بل الوفَا مِن وَقتِهِ التَجَرُّعُ
والأنسُ بالوارد نقص ظاهرُ والأنسُ بالله كمالٌ باهرُ
منها الغنى بالله لإمرئٍ عن الْـ أشياءِ كُلاًّ فى غناهُ مُضْمَحِلْ

---

١ — ثمره الوارد : هى هدم العوائد ، واكتساب الفوائد ، والتخلية من الرذائل ، والتحلية بالفضائل ، فاذا ورد عليك وارد ولم بترك فيك هذه الخصال فلا تزكه ، واتهم نفسك فيه لئلا يكون شيطانا ، لأنه ليس المراد من الحال فرحه وخفته وشطحته ، انما المراد منه ثمرته ، فهو كسحابة الأمطار ، فليس المراد منها وجود الأمطار ، وانما المراد ما ينشأ عنها من وجود الاثمار .

فاللهُ يُغْنِيكَ إذا وحّدتَهُ حُبًّا وأنْساً كافياً وجَدْتَه
وليس يُغْنِيكَ عن الله إذا أعْرضْتَ عنه كُلّ أمرٍ (١) نَفِذ
ومن علاماتِ إكتفاءِ العبدِ بالله فى ثلاثةٍ فإسْتَبِدْ :
منها الرضا عنه مع إهتمام بأمرِهِ فانظر إلى كَلامِ
وعدمُ إلتفاتِهِ لغيرِهِ مُنْتَظِرٌ إلى جَلِيلَ قَهْرِهِ

* ● *

٢٢٢ — تطلعك الى بقاء غيره دليل على عدم وجدانك له ، واستحياشك لفقدان ما سواه دليل على عدم وصلتك به .

دليلُ عدمِ الوُجُودِ منك لَهُ سبحانَهُ وعدمِ الوَصْل مَعَهُ
تَطَلُّعٌ منك إلى بقاءِ ما دُونَهُ من سائرِ الأشياءِ
وعدمُ الوَصْلَةِ منك ناشِ (٢) مِنْ فَقْدِ ما سِواهُ باستِحاشِ

* ● *

---

١ — فى الاصل (الكل أمر) .

٢ — ناشِ ، فأصله ناشىء ، لكن حذفت الهمزة لوزن الشعر .

البـــاب الرابع والعشرون

٢٢٣ — النعيم وان تنوعت مظاهره انما هو بشهوده واقترابه ، والعذاب وان تنوعت مظاهره انما هو بوجود حجابه ، فسبب العذاب وجود الحجاب ، وتمام النعيم بالنظر الى وجهه الكريم .

ولا نَرَى مع الحبيبِ وَحْشَةً ... ولا مع غيرِ الحَبِيبِ راحَةً
مظاهرُ النعيمِ إن تَنَوَّعَتْ ... وَلَذَّةُ الطاعاتِ إذ تجمّعتْ
من إقترابِ الحقِّ فى شُهُودِهِ ... كما العذابُ كان من صُدُودِهِ
وإن تَنَوَّعَتْ لـــه المظاهرُ ... فباحتجابِ العبدِ عنه صَائِرُ
فسَبَبُ العذابِ من حِجَابِهِ ... وسَبَبُ النعيمِ بإقتـــرابِهِ
ونظرٍ لوجْهِـــهِ الـــكريمِ ... ولا تَرَى سِواه مِنْ نَعِيمِ

* ● *

٢٢٤ — ما تجده القلوب من الهموم والأحزان ، فلأجل ما منعته من وجود العيـــان .

وتشهدُ القـــلوبُ من(١) أحزانٍ ... لِمَنْعِها من نَظَرِ العيـــانِ (٢)
فلو رأتْ مَعبودَهَا فى هَمِّهَا ... شاهَدَتْ النعيمَ عندَ غَمِّهَا

* ● *

---

١ — فى الاصل (من اخوان) .

٢ — قال العارفون : سبب الهموم ، هو فقدان الشهود ، لأن الله تعالى قريب على الدوام ، رقيب على كل شىء ، فمـــن كان قريبـــــا من الحبيب فكيف يحس بفراق شىء او فواته ؟ وأيضا فان كل ما ينزل من عند الحبيب فهـــو حبب ، فلا يلحقه شىء مكروه عنده حتى يهتم به ، كما قال صاحب العينية :

تلذ لى الآلام اذ كنت مسقمى ... وان تخترنى فهو عندى صنائع

فمن كان عبدا لله غائبا عما سواه لم يبق له شىء من الهم ، لأنه قد حصلت له المعية التى توجب النصر والظفر بكل ما يريد (الس الله بكاف عبـــده) [الزمر ٣٦] وقال تعـــالى (فسيكفيكهم الله وهو الســـــميع العـــليم) [البقرة ١٣٧] .

٢٢٥ — من تمام النعمة عليك أن يرزقك ما يكفيك ، ويمنعك ما يطغيك .

لا يَحْزُنَنَّكَ إفتقارُ الأيدى ... فمن تَمامِ نِعْمَةِ ذى الإيدى(١)
عَلَيْكَ أن يرزقَكَ الذى كفى ... ويَمْنَعَ الذى لشرِّ أشْرَفَ
مُشوِّشاً مُسْتَكْبِراً ومُطْغِياً ... مُسْتَثْقِلا القلبِ بتعبٍ مُولياً

* ● *

١٢٦ — ليقل ما تفرح به ، يقل ما تحزن عليه .

أقَلَّ ربُّك الذى تَفْرَحُ بِهِ ... من أثَرِ النِعمَةِ إن كنتَ نَبِه
لكى يَقِلَّ ما عليه تَحزَنُ ... بحسب الفَرَحِ يكونُ الحُزْن(٢)
فَغَمُّ دُنياكَ لعُقباكَ فَرَحْ ... إلاّ إذا كنتَ لها فتىً جَنَح

---

١ — من تمام نعمة الله على عبده أن يوجه همته اليه ، ويفرغ قلبه من التعلق بغيره كائنا ما كان ، فيرزقه ما يكفيه عن التعلق بغيره وهو الغنى بالله ، اذ لا نعمة أعظم من الغنى بالله ، ويكفيه ما يطغيه حتى يشتغل به عن ربه ، فاذا رزقك الله تعالى ما يكفيك لقيام بشريتك أكلا ولباسا ومسكنا ، ولقيام روحانيتك علما وعملا وذوقا ومعرفة ، ومنعك ما يطغيك ويشغلك عن حضورك مع ربك ، فقد أتم نعمته عليك ، فان ما قل وكفى خير مما كثر والهى ، وقال — عليه الصلاة والسلام — « ليس الغنى بكثرة العرض ، وانما الغنى غنى النفس » ، وفى الحقيقة ان كثيرا من الناس ليسوا مالكين لأموالهم بل مملوكين لهـــا .

٢ — قال بعض العارفين : اذا أردت أن يدوم سرورك فلا تملك شيئا تحزن على فقده ، لأن حزنك على فقده دليل محبتك له ، فاذا اقتصرت على الضرورة والحاجة من مال أو جاه أو عز أو غير ذلك ، فلا تجد ما تفقده حتى تحزن عليه ، قيل لبعضهم : لم لا تغتم ؟ قال : لأننى لا أقتنى ما يغمنى فقده .

وحسبنا فى قِصَّةِ الفَيْرُوزج(١)

مِنْ قَدَحٍ لبعضِ ذى الملك جى(٢)

فقال : ما تَرَى لبعضِ الحُكَمَا هذا فقال : الله أصبْتَ مَغْرَمَا

مُصيبةٌ من بعدها فَقْرٌ طَفِقْ مصيبة بالكسر ذاك إن سُرِق

* ● *

٢٢٧ — أن أردت ألا تعزل ، فلا تتولى ولاية لا تدوم لك .

٢٢٨ — ان رغبتك البدايات ، زهدتك النهايات ، ان دعاك اليها ظاهر نهاك عنها باطن .

فإن أردتَ أن تكونَ نائلا عندَ التولّى لا ترى مُنْعَزِلا(٣)

لا تَتَوَلَّ بالولايةِ التى دوامُها عليك غيرُ ثابتِ

---

١ — هى قصة أوردها كثير من الكتب وهى : يحكى أنه رفع لبعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظيرا ، ففرح به الملك فرحا شديدا . فقال لبعض الحكماء عنده : كيف ترى هذا ؟ فقال : أراه مصيبة وفقرا ، فقال : كيف ذلك ؟ فقال : ان انكسر كان مصيبة لا صبر لها ، وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله ، وقد كنت قبل أن يحمل اليك فى أمن من المصيبة والفقر ، فاتفق أن انكسر القدح ، فعظمت مصيبة الملك به ، فقال : صدق الحكيم ليته لم يحمل الينا .

٢ — فى الاصل « ذى الملكة جى » و (جى) أصله جىء حذفت الهمزة لوزن الشعر .

٣ — الولاية التى لا تدوم هى الولاية التى تأتى من جهة الدنيا كولاية المال أو القضاء أو السلطنة ، أو العلم اذا كان خاليا عن العمل ، وغير ذلك من رئاسة الدنيا ، فانها تفنى وتنقطع ويعقبها ذل وفقر . والولاية التى تدوم ، هى العز بالله والغنى به والمعرفة له ، فلاشك أن هذه الولاية لا تنقطع ، وشرفها لا ينفد وعزها لا يفنى .

فكنْ على بصيرةِ البدايةِ بكلِّ ما تلقاهُ فى النهايةِ (١)
دَعَاكَ للدنيا بظاهرٍ كما نَهَاكَ عنها باطناً فادْرِهما
ظاهرُها العِزَّةُ للمُدَّعِي باطنُها العِبْرةُ للمهتدى (٢)

* ● *

٢٢٩ — انما جعلها محلا للأغيار ، ومعدنا لوجود الأكدار ، تزهيدا لك فيها .

٢٣٠ — علم أنك لا تقبل النصح المجرد ، فذوقك من ذواقها ما يسهل عليك وجود فراقها .

٢٣١ — العلم النافع ، هو ينبسط فى الصدر شعاعه وينكشف به عن القلب قناعه .

صَيَّرها المحلَّ للأغيارِ ومَوْطِناً للهَمِّ والأكدارَ

---

١ — الولاية التى لا تدوم كعز بمال أو جاه أو غير ذلك من عز الدنيا أولها حلو لمتعة النفس ووجود حظها فيها ، وآخرها مر لفقد تلك الولاية ولو بالموت ولما يعقبه من الذل والهوان فان رغبتك فى هذه الولاية الفانية حلاوة بدايتها زهدتك فيها مرارة نهايتها ، فان غرتك بظاهر بهجتها فاعتبر بباطن حسرتها ، وقد شبه بعض الحكماء الدنيا بسبعة أشياء : شبهها بالماء المالح يغرق ولا يرى ، كذلك الدنيا تغرق صاحبها وهو عطشان منها ، وشبهها بظل الغمام يفر ويخذل ، وهو الذى يغطى بعض المواضع ، فاذا أشرقت الشمس تقشع عنه ، وشبهها بالبرق الخاطف فى سرعة الذهاب والاضطراب ، وبسحابة الصيف تمر ولا تنفع ، وبزهر الربيع يغر بزهوته ثم يصفر فتراه هشيما ، وبأحلام النائم يرى السرور فى منامه فاذا استيقظ لم يجد فى يده شيئا الا الحسرة ، وبالعسل المشوب بالسم .

٢ — فى الاصل « باطنها العبرة للمهدى » .

لحكمةٍ منه لنا لتزهيداً فى هذه الدُّنيا فكُنْ رشيداً(١)
فطعمُها المُرُّ لذا أذاقَها مُعَظِّماً فيها لكَ إفْراقَها
ويَسْهُلُ الفِراقَ عِلْمٌ يَنْفَعُ (٢)
ذلكَ علم فى الصُّدورِ يَقَعُ
شُعاعُه مُنْبَسِطاً قِناعُه منكشفاً قَلْبَكَ ذا شُعاعُه
وليس علم فى غِلافِ قَلْبِه بِنافعٍ لا واصِلٍ لرَبِّه

* ● *

٢٣٢ — خير العلم ما كانت الخشية معه .

٢٣٣ — العلم ان قارنته الخشية فلك ، والا فعليك .

وخيرُ علمٍ ما تكونُ الخَشْيَةُ تَصْحَبُهُ وغيرُه المضَرَّةُ

---

١ — انما وسم الله الدنيا بهذه الاوصاف ، من كونها محلا للأغيار والاحزان ، ومعدنا لوجود الأكدار والفتن ، تزهيدا لنا فيها حتى لا نقبل عليها بالكلية ، او لنعرض عنها ونقبل على الآخرة ، وايضا لو بسطت لنا الدنيا ربما كرهنا لقاء الله فيكره الله لقاءنا ، وفى الحديث « من كره لقاء الله كره الله لقاءه » .

٢ — قد علم الحق سبحانه أن من عباده من لا يقبل النصح بمجرد القول ، ملا يزهدوا فى الدنيا بمجرد سماع الوعظ ، اذ كثير من أهل العلم والفهم يسمعون القرآن يحذرهم من غرور الدنيا ، وهم غائبون عن ذلك الذكير ، مشغولون بما يوجب لقلوبهم التذكير ، فلما أراد سبحانه أن يصطفى لحضرته من شاء من عباده نغصها عليهم ، وشدد عليهم البلاء والمحن ، كل ذلك عناية بهم ، ليذوقوا مرارة باطنها فلا يغتروا بحلاوة زخرف ظاهرها . وكذلك يسهل على الانسان الزهد فى الدنيا العلم النافع ، وهو علم القلوب ، ومرجعه الى تصفية القلوب من الرذائل وتحليتها بالفضائل ، فشعاع العلم الذى ينبسط فى الصدر : هو ثلج اليقين ، وبرد الرضى والتسليم ، وحلاوة الايمان ومواجيد العرفان . والقناع الذى ينكشف به عن القلب : هو الغفلة ، فاذا انكشفت الغفلة عن القلب انبسط فيه شعاع العلم ، لأن العلم بالله نور فى القلب ، وينبعث منه شعاع ينبسط فى الصدر فيكسبه الزهد فى الدنيا ، فاذا زهد فى الدنيا اتسع صدره باليقين .

إن قارنته خشية أصبح لك
أولا فقد كان عليك لا لك (١)
لخشية الله علامات ومن ذلك إقبال وإدبار فتن
قلبك فيهما يبالى بهما من احد ام لا يبالى بهما

* ● *

٢٣٤ — متى آلمك عدم اقبال الناس عليك ، أو توجههم بالذم اليك ، فارجع الى علم الله فيك ، فان كان لا يقنعك علمه ، فمصيبتك بعدم قناعتك بعلمه أشد من مصيبتك بوجود الأذى منهم .

فالقلب إن آلمه الذم فقد علمت أنه إلى الشر إستند
أو عدم الإقبال من إنسان(٢) فارجع لعلم الله فى بطان

---

١ — العلم الذى تصحبه الخشية من الله يمنع صاحبه من الغفلة وأسبابها ، ويزهده فى كل ما يشغل عن العمل به ، ويرغبه فى كل ما يقربه الى ربه ، فيكون عونا على الوصول الى معرفة الله والقرب من ساحة رضاه قال تعالى (انما يخشى الله من عباده العلماء) [فاطر ٢٨] فان لم تقارنه الخشية كان وبالا عليه ، لانه حينئذ حجة عليه لا له ، لان المعصية مع العلم اقبح من المعصية مع الجهل ، قال فى لطائف المنن ص ٦١ : فشاهد العلم الذى هو مطلوب الله الخشية ، وشاهد الخشية موافقة الأمر ، أما علم تكون معه الرغبة فى الدنيا ، والتملق لأربابها . . . فما أبعد من هذا العلم علمه من أن يكون من ورثة الانبياء ، وهل ينتقل الشىء الموروث الى الوارث الا بالصفة التى كانت بها عند الموروث عنه ، ومثل هذه الاوصاف أوصافه من العلماء كمثل الشمعة تضىء على غيرها وهى تحرق نفسها .

٢ — اذا سلط الله على عبد من عباده الناس لتختبره هل هو غنى بالله أم لا ؟ فادبر الناس عنه أو ذموه ، ثم توجع ذلك العبد من ادبار الناس عليه أو ذمهم اياه ، فعليه أن يرجع الى علم الله فيه واطلاعه عليه اذ لا يخفى عليه شىء من أمر العبد ، فان كان متصفا بالوصف الذى ذموه به ، فعليه أن يستفيد من ذمهم اياه ويعتبره نصيحة ، ويتوب من تلك الصفة ويتركها ، وان لم يكن موصوفا بتلك الصفة التى ذموه بها ، أو كان موصوفا بها ولكن كانت صفة مرغوبة =

من أنَّ فيكَ مثلَ ماذَمو به وارجِعْ إليهِ تائباً من ذَنْبِهِ
وإرجَعْ إلى الإخلاصِ لمّا هَجَرُوا
وحَسْبُكَ اللهُ الذى يَنْتَصِرُ
وإقْنَعْ بعلمِ اللهِ فيك فإذا لم تَكُ قانِعاً به ولائِذاً
أصْبَحَ ما أصَبْتَ فى ذاك أشدَّ مما أصِبْتَ من أذاهُمْ ولقد

* ● *

٢٣٥ — انما أجرى الأذى على أيديهم ، كى لا تكون ساكنا اليهم ، أراد أن يزعجك عن كل شىء ، حتى لا يشغلك عنه شىء .

أجْرى عليك اللهُ من أيدِيهِمْ كيلا تكونَ ساكِناً إليهِم(١)

=
عند الله ، كرهها الناس لعاداتهم الفاسدة . فليرجع الى علم الله ، فان كفاه ذلك ، وقنع به وأنس بذكره وشهوده ، واستوى عنده ذم الناس ومدحه واقبالهم وادبارهم ، فبها ونعمت ، فان لم يقنع بعلم الله ورضاه ولم يكتف بنظره ، وتأسف على ادبار الناس عنه أو تألم من أذاهم ، فمصيبته بضعف ايمانه وذهاب يقينه أشد من مصيبة ذم الناس وادبارهم عنه ، لأن هذا موجب لسخط الله وغضبه ، وسقوطه من عين محبته ، روى عن أحمد بن أبى الحوارى قوله : من أحب أن يعرف بشىء من الخير أو يذكر به فقد أشرك مع الله فى عبادته ، لأن من عمل على المحبة لا يجب أن يرى عمله غير محبوبه .

١ — الروح اذا سكنت الى هذا العالم السفلى وأحبت ما فيه ، تعذر نقلها الى عالم الملكوت الذى هو عالم الروحانى ، لما ألفته من حب الأهل والأولاد والمال والجاه ، فمن حكمة الله تعالى ولطفه بولبه أن يحرك عليه ما ركنت اليه نفسه والفته روحه ، كلما قوى على الأولياء الأذى دل على علو مقامهم عند الله ، قال فى لطائف المنن ص ٢١٥ : اعلم أن أولياء الله حكمهم فى بدايانهم أن تسلط الخلق عليهم ليطهروا من البقايا ، وتتكمل فيهم المزايا ، وكيلا يساكنوا الخلق باعتماد ، أو بميلوا اليهم باستناد ، ومن آذاك فقد أعتقك من رق احسانه ، ومن أحسن اليك فقد استرقك بوجود امتنانه ، ولذلك قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — « من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تقدروا فادعوا له » رواه أبو داود والنسائى ، كل ذلك لتخلص القلب من
=

فَدَعْهُمْ معتمداً عليه وواقفاً منكسراً إليه
موْذيك منهم لك فى إعتاقٍ ومحسنٌ إليك بإسترقاق
أترْتَضى بالرقِ فى إحسانِهِ فلا تَمِلْ اليه فى امْتِنَانِهِ(١)
واللهُ قد أرادَ ازْعاجَكَ من(٢) شئٍ إليه كى تكونَ مَنْ رُكْنِ
عنه الى اللهَ لكيلا(٣) يُشْغِلَكْ فاقطع من الأكوانِ كُلاً أمْنَكْ
لذلك المقصدِ آذاك بِهِمْ وأزعجَ الفؤادَ عن أجْمَعِهِمْ

* ● *

٢٣٦ ــ اذا علمت أن الشيطان لا يغفل عنك ، فلا تغفل أنت عمن ناصيتك بيده .

٢٣٧ ــ جعله لك عدوا ليحوشك به اليه ، وحرك عليك النفس ، ليدوم اقبالك عليه .

وسَلَّطَ الشيطانَ فى العبادِ ليَلْجَئوا للهِ بإستنادِ
إذا عَلِمْتَ أنّهُ المُسَوِّلُ(٤) عليك لا تكُنْ بقلب تَفضُلُ

=
احسان الخلق ، ويتعلق بالملك الحق . وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى : اهرب من خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم ، فان خيرهم يصيبك فى قلبك ، وشرهم يصيبك فى بدنك ، ولأن تصاب فى بدنك خير لك من أن تصاب فى قلبك .

١ ــ فى الاصل « فى امتناعه » .

٢ ــ فى الاصل « ارعاجك » .

٣ ــ فى الاصل « بكيلا يشغلك » .

٤ ــ ان الله تعالى كما سلط على أوليائه فى بداية الأمر الناس كذلك سلط عليهم الشيطان ، بحيث اذا غفل العابد عن ذكر الله وسوس ، واذا ذكر الله انخنس ، فاذا علمت هذا فلا تغفل انت عمن ناصيتك وناصيته بيده ، وهو الخالق
=

فَمَنْ نواصِيكَ بإيديهِ فهو مُنجِيكَ عنْ مُسوّلٍ لا يَفقَهُ
ذلك بالذى عَلَيكَ واجِبٌ فإهرَبْ الى اللهِ تعالى هرباً
وانّما صَيّرَهُ عَدُوّنا ايحاشَنا بهِ إليهِ بإعتناء
وحرّك النفسَ عليك ما ذا حتى تكونَ مُقْبِلا مُتاذا
عليه فى الدوام عن فِرار وحَسبك الفرارُ للقهّار

=
تعالى ، فاذا اشتغلت بذكر الله رده عنك وكفاك أمره ، قال تعالى (ان كيد الشيطان كان ضعيفا) [النساء ٧٦] وقال (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) [فاطر ٦] قال الشيخ زروق : وانما يندفع الشيطان بالتوكل والايمان ، قال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) [النحل ٩٩] فايجاد الشيطان له حكم : ١ — انحياش عباده اليه تعالى ، لأن العبد الضعيف اذا رأى عدوا يطلبه هرب الى سيده . ٢ — قيام الحجة على عباده ، فاذا خالفوا أمره ، قال لهم : اتبعتم عدوى وعصيتم أمرى . ٣ — كونه منديلا للعار تمسح فيه أوساخ الأقذار ، وكذلك النفس والدنيا . ٤ — ظهور مزية المؤمن بمجاهدته ومحاربته .

وكذلك حرك الله النفس على الانسان ليدوم اقباله وتوجهه اليه ، لأن النفس تهوى بالانسان دائما الى أرض الشهوات فهى قاطع من قواطع طرق الوصول الى الله ، والنفس أصعب من الشيطان ، لانه عدو متصل بالانسان ، والعدو المتصل محاربته أصعب من العدو المنفصل .

البـــاب الخامس والعشرون

٢٣٨ ــ من اثبت لنفسه تواضعا ، فهو المتكبر حقا اذ ليس التواضع الا عن رفعة ، فمتى اثبت لنفسك تواضعا فأنت متكبر .

٢٣٩ ــ ليس المتواضع : الذى اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع ، ولكن المتواضع : الذى اذا تواضع رأى انه دون ما صنع .

مَنْ هو مُثْبِت له تواضُـعاً ... فإنَّه مـستكبر ترفعـاً(١)
فالوضعُ منه مُشْـعِرٌ برفعَةٍ ... ذاو تواضـعٍ على الكبر فتى
فَلَحَفْظُهُ لوضْـعه منـافى ... لكنَّ من أصبحَ فيه صافى
إذ لا يَرى لنفسـه إذا صَنَعْ ... قدراً لدى تواضعٍ كما وضَعْ
أن يكون شاهداً لنفسـه ... كمال نقص لا بموت عكسه
وانظرْ لمـا حقَّقَهُ الشِّبلىُّ (٢) ... فيما هو التَّواضُعُ الجَـلىُّ

---

١ ــ تواضع يتواضع وزنه تفاعل : وتفاعل جاء لعدة معان منها : جاء ليدل على أن الفاعل اظهر أن أصله حاصل له وهو منتف عنه نحو تغافل : أى أظهر فى نفسه الغفلة ... فتفاعل على هذا لابهامك الأمر على من تخالطه ، وترى من نفسك ما ليس فيك منه شىء أصلا . رضى ١٠٢/١ ، وعلى هذا فان اثبات التواضع يقتضى وجود الرفعة لا محالة ، اذ لو كانت معدومة لكان ضدها وهو الضعة ثابتا موجودا ولا ينتفى عن العبد التكبر الا بوجود الضعة ووجود الضعة لا يحتاج الى الاثبات من العبد ، لأنه ثابت فى نفسه ، فالتواضع الذى أثبته العبد لنفسه لا ينفى عنه وجود التكبر بالضرورة ، وايضا فان لفظ التواضع نؤذن بذلك لانه من تفاعل كما ذكرنا ، وأن المتواضـع الحقيقى ، هو الذى لا يثبت التواضع لنفسه لانه يشاهد من ضعة قدره وخمول ذكره ما يمنعه من ذلك وهو الذى يعتقد بأنه يستحق أن يجلس فى أسفل المجلس .

٢ ــ قال الشبلى : من رأى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب . قرة العين ١٩٦/٢ . وهو دلف بن جحدر ، وقيل ابن جعفر : أبو بكر الشبلى ، نسبة الى قرية من قرى اسروشنه ، من بلاد ما وراء النهر ، خراسانى الأصل ، والبغدادى المولد والمنشأ ، مالكى المذهب ، صحب الشيخ جنيد وطبقته ، ومجاهدته فى أمره متواترة ، يقال : انه اكتحل بكذا وكذا من الملح ليعتاد السهر ،
=

فقال : مَنْ رأى لَهُ من قيمة فنَفسه فى الكبر مُسْتَقيمة
وأنظرْ لقول الأعظم البسطامىّ(١)
ما دُمتَ ناظراً إلى الأنام
ثم رأيت منك شراً فيهمْ فأنت فى تكبُّر عاليهمْ
فالنفسُ ذاتُ خسَّةٍ فى أصلها فوضْعُها مَوْضعها مَنْ جهلها

* ● *

=
ولا يأخذه النوم ، وكان يبالغ فى تعظيم الشرع المكرم ، واذا دخل رمضان جد فى الطاعات ، ويقول : هذا شهر عظمه ربى ، فانا أولى بتعظيمه ، حج على قدم التجريد ، وتوفى ذى الحجة سنة ٣٣٤ هـ ، توجد ترجمته فى طبقات الاولياء ص ٢٠٤ ، حلية الاولياء ٣٦٦/١٠ ، صفة الصفوة ٢٥٨/٢ ، الرسالة القشيرية ص ٣٣ ، طبقات الشعرانى ١٢١/١ ، وفيات الأعيان ٢٢٥/١ ، تأريخ بغداد ٣٨٩/١٤ ، مرآة الجنان ٣١٧/٢ ، الكامل ٣٥٠/٨ ، البداية والنهاية ٢١٥/١١ ، المنتظم ٣٤٧/٦ .

١ — اشارة الى قول أبى يزيد البسطامى : مادام العبد يظن أن فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر ، قيل له : فمتى يكو نمتواضعا ؟ قال : اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا .قرة العين ١٩٦/٢ .

وابويزيد : هو طيفور بن عيسى البسطامى ، وهو من الأعلام ، كان جده مجوسيا واسلم ، وهم ثلاث اخوة : آدم ، وطيفور ، وعلى . وكلهم زهاد عباد ، وأبو يزيد أجلهم حالا ، توفى سنة ٢٦١ ، وقيل ٢٦٤ وقيل ٢٩١ هـ ودفن بوصيته تحت قدم شيخه الأجل المشهور بالكردى ، لكن اشتهرت مزاراته فى مواضع عديدة وقد اشتهر بالزهد والصلاح .

توجد ترجمته فى طبقات الاولياء ص ٣٩٨ ، وحلية الاولياء : ٣٣/١٠ ، طبقات الشعرانى : ٨٩/١ ، الرسالة القشيرية ص ١٧ ، صفة الصفوة : ٨٩/٤ ، مرآة الجنان : ١٧٣/٢ ، البداية والنهاية : ٣٥/١١ ، النجوم الزاهرة : ٣٥/٣ . شرح سلسلة الذهب : مخطوط .

٢٤٠ ــ التواضع الحقيقى : هو ما كان ناشئا عن شهود عظمته وتجلى صفته .

٢٤١ ــ لا يخرجك عن الوصف ، الا شهود الوصف .

أنّ تواضعاً بشيئين كسب ... ككوننا للذلّتا أن تنتسبْ(١)
وأن ترى أوصاف ربّنا كما ... يليقُ بالحقّ تعالى إنّما
حقيقة التّواضع الحقيقىّ ... ما كان ناشئاً عن التحقيق
أعنى شهود الله فى عظمته ... ثم تجلّى وصْفه فى صفته
إذا رأى جلال وصف ربنا ... شاهد أوصاف العباد بالفنا
وجاء فى عوارف المعارف(٢) : ... لن يبلغ العبد إلى الوضع الصفى
حتّى يكون شاهداً مشاهدةً ... بها تذوبُ النّفسُ عن معاندة

ولن تكون خارجاً عن وصْفك (٣)
إلاّ إذا شهدت وصْف ربّك

* ● *

---

١ ــ ان التواضع الحقيقى يكون بشيئين : احدهما : أن يعرف الانسان صفة نفسه من الفقر والحاجة والضعف ، ويعرف صفة ربه من العز والغنى والقدرة والقوة .

الثانى : شهود عظمة الله تعالى ، وتجلى صفاته ، هو الذى يوجب للعبد وجود التواضع ، لأن ذلك هو الذى يخمد النفس ويذيبها ويبطل منيتها ، فمما تجلى الله لشىء الا خضع له ، فلا تنقلع من القلب شجرة التكبر الا به .

٢ ــ جاء فى عوارف المعارف الباب الثلاثون ، فى تفصيل أخلاق الصوفية ص ٢٢٣ : واعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع الا عند لمعان نور المشاهدة فى قلبه ، فعند ذلك تذوب النفس ، وفى ذوبانها صفاؤها من غش الكبر والعجب ، فتلين وتطيع للحق والخلق لمحو آثارها ، وسكون وهجها وغبارها .

٣ ــ لا يخرج الانسان عن الوصف الدنيى النفسانى الا شهود وصف العلى الربانى المقابل له ، ومن شهد عظمة الله ذهبت عظمة نفسه ، ومن شهد حقارة نفسه ذهب وجودها من نظره .

٢٤٢ — المؤمن يشغله الثناء على الله عن أن يكون لنفسه شاكرا وتشغله حقوق الله عن أن يكون لحظوظه ذاكرا .

وكاملُ الإيمـــان بالثنا على(١) مولاهُ كان دائماً مشـــتغلا
وغائب عن نفســـه بحسّـــه عن أن يكون شاكراً لنفسه
تشـــغلَه لربّه الحقـــوقُ من أجل ما تَمَّ له التحقيق
عن أن يكون ذاكراً حظوظَه وليس صارفاً لهـــا لحوظه
فما صفاته ســـوى نقصانٍ فكلُّ فضْلٍ فمن الرحمن
فكيف ذاك شاكر لنفســـه من بعد ما حقّقه من نجسه

* ● *

٢٤٣ — ليس المحب : الذى يرجـــو من محبوبه عوضا ، أو يطلب منه غرضا ، فان المحب : من يبذل لك ، ليس المحب : من تبذل له .

ومؤمن بربّه يحبُّـــه (٢) وليس عن محبوبه يحجبه(٣)

---

١ — المؤمن الكامل الذى جرى فى أحواله على حـــكم ايمانه الذى من مقتضياته معرفته أن ما به من نعمة فمن الله ، وانه تعالى جميل الوصف ، كامل الذات بكل اعتبار ، وذلك يقتضى للعبد استغراقه فى الثناء عليه ، وعدم التفرغ لسواه ، وكذلك لا يمكنه الكبر لعدم شعوره بنفسه ، وكذا لا يمكنه الغفلة لعدم فراغه من حقوق مولاه ، وذلك كله نتيجة ظهور صفة الجلال والجمال فى افق القلب المعتبر لوجود الحب النافى لكل حظ ولحظ .

٢ — المحبة أخذ جمال المحبوب بحبة القلب حتى لا يبقى منه شىء ، وطلب الاعواض والاغراض هى أعيان الحظوظ ، لان الاول تجارة والثانى مؤاجرة ، فمقام المحبة يقتضى بذل كل شىء للمحبوب دون استيفاء ولا تعريج ، وبحسب هذا فالطلب حق المحبوب لا شأن المحب ، لان المحبوب سلطان العز والجمال ، وللمحب ذل التعظيم والاجلال ، فكما لا يرتفع جمال المحبوب عن ذاته ، كذلك لا يندفع ذل المحب عن ذاته ، قال أبو محمد رويم — رضى الله عنه — : من أحب العوض نقص العوض اليه محبوبه ، وأيضا فطالب العوض انما هو بائع يريد أن يعطى لينال ، والمحب مقتول فى محبة سيده ، لا يعرج على سوى مرضاته ،
=

شيء ولا يرجو على الحب من الـ ـمحبوب شيئاً إنه عين العلل
وكيف ذاك يَطلبَنَّـــه عوضُ
وكيف يَرْجوهُ على الحبِّ غَرَض : ء
إذ الجمـــالُ آخـــذ لقلبه عن كلِّ ما بَقيَّة لحبِّه :
يَبْنى الحبَّ على الجـــور فلو أنصف المحبوبُ فيه لَسَمَح
ليس يُسْتَحْسَنُ فى حكم الهوى عاشق يطلبُ تأليف الجمح (١)

وفيه انشدوا ايضـــا :

إسْمَحْ بنفسكَ إن أردتَ لقانا وإحلف بِنا أن لا تحبّ سوانا
فاذا قضيتَ حُقوقَنَا يا مُدَّعِى عاينتنـــا بينَ الأنامِ عَيَانا(٢)

* ● *

إذ المحب مَنْ يكونُ باذِلَك وليس مَنْ تَبْذُلُه وأمَّلَك
إذ الحبيبُ رُوحُنا فِـــداهُ فَبَعْدَ ذاك ما الذى تَراهُ
والحبُّ ناشئٌ من السُّـــلوكِ فى عقباتِ النفسِ بالنُّسوكِ

* ● *

=
وقال الشيخ ابو عبد الله القرشى — رضى الله عنه — : حقيقة المحبة أن تهب كلك لمن أحببته حتى لا يبقى لك منه شيء .
٣ — فى الاصل « وليس عن محبوبه يحبه » .
١ — البيتان موجودان فى ايقاظ الهمم ص ٤٠٨ دون نسبة الى أحد .
وفى الاصل « انصف المحبوب فيه لسمح
عاشـــق يطلب تأليف الحجج »
٢ — وجدت البيتين فى قرة العين ٢٠٣/٢ دون نسبة الى أحـــد ، بل قال : وفى معنى ذلك قيل .

٢٤٤ — لولا ميادين النفوس ، ما تحقق سير السائرين ، اذ لا مسافة بينك وبينه حتى تطويها رحلتك ، ولا قطعة بينك وبينه حتى تمحوها وصلتك .

لولا مَيادِينُ النفوسِ (١) مَاغدا ... تَحقُّقُ السائِرِ حين إجتهد

مَدارُهُنَّ طلبُ الحُظُوظِ ... بِغَفْلَةٍ ورِفْعَةِ الغَليظِ

ثمّ إتباعُ الوهم حيثُ نالَه ... حقيقةً ثمّ الدعاوى شالَهُ

---

١ — ميادين النفوس : مجالاتها التى تتردد فيها ، وهى ثلاثة فى الجملة ، من زالت منه شاهد الحقيقة : ١ — عوارض الأوهام ، منها تنبعث الغفلات ، ويضعف اليقين . ٢ — عوارض البشرية ، منها تنبعث الشهوات والمعاصى المتعلقة بالحظوظ ، فيقع التقصير فى الحقوق . ٣ عوارض اللحوظ ومنشؤها من الغفلة عن الأسباب المذكرة بالخلق والموت والحشر والحساب حتى تسترسل النفس فى العادات .

فالسير فى الموقف الأول بتحقيق مقام التقوى الذى أوله ترك المحرمات ثم ترك ما لا بأس به حذرا مما به البأس .

والسير فى الموقف الثانى بتحقيق مقام الاستقامة الذى أوله ملازمة ظاهر السنة ، وآخره شهود المنة فى كل وارد وصادر .

والسير فى الموقف الثالث بتحقيق المشاهدة وتمكين المعرفة الى حد يسرى نورها فى كلية العبد من قلبه وقالبه .

وبالجملة فالسير والسلوك انما هو لقطع غفلات النفس ، اذ لولاها ما تحقق سير ولا سلوك لانتفاء مجالها بين العبد وربه حيث لا مسافة بين العبد وربه ، لا حسية ولا معنوية ولا قطعية : أما المسافة الحسية ، فلانها تؤذن بالمشابهة وهى محال فى وصفه تعالى حيث قال تعالى (ليس كمثله شىء وهو السميع البصير) (الشورى ١١) أما المعنوية فانتفاؤها من جهة عموم تصرفه فيك القاضى بوجوده منك ، لعدم غناك عنه ، وجريان قدرته عليك .

أما القطعية فلانه لا قطيعة بين الانسان وربه : اى لا حاجز ، فليس هناك شىء بمنع وصول الانسان الى ربه الا نفسه وهواه ، فالله أقرب الى الانسان من نفسه قال تعالى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) (ق ١٦) .

الناس فى السير والسلوك ثلاثة : الأول : العابد والزاهد وطريقه النظر للحقوق جلبا أو دفعا . الثانى : المريد والسالك ، وطريقه النظر فى الاخلاق كمالا ونقصا . الثالث : العارف المحقق ، وطريقه النظر فى الحقائق نفيا واثباتا ، وبساطه رفع الهمة .

عن غَفْلَةٍ تَقواهُ باستقامةٍ ... والوهْمُ صبرٌ تابعُ السلامةِ
وعن دَعاويهِ هو التَّحقّقُ ... تَعْقُبُهُ مَعْرِفَةٌ تَسْتَغْرِقُ
فهذه ثلاثُ عَقَباتِ ... كل له سَيْرٌ خُصوصُ آتِ
فالسَّيرُ في الأولى فبالحذارِ ... والخوْفِ والإشفاقِ عن قهّارِ
ذا يَنتُجُ الوَرْعَ مع التَّحفُّظِ ... عن أثرِ الأيدى أو التَّلَفُّظِ
وفي التي تَتلُو بالأغباشِ (١) ... للهِ والفرارِ والاستيحاشِ
وفي التي ثَلَّثُ فباستبصارِ ... والعلمِ ذاك مُنتِجُ الأنوارِ
وينتفي التَّغليظُ بالتَّحقيقِ ... والحفظِ في الوسعةِ والتَّضَيقِ
إذا فَهِمتَ ما قَصَصْناهُ فلا ... مسافَةَ بينك أنْ تُمَثِّلَ
وبَيْنَهُ حَتَّى تكونَ طاوياً ... بِرِحلةِ المسْعَى إليه ساعياً
ولا هناكَ مثلُ(٢) ذاك قَطْعَةُ ... لمحوِها(٣) تُوجَدُ منك وَصْلَةُ
فكيفَ وصلُ من له شَبِيهُ ... بِمَنْ به لا يَشْبُتُ التَّشْبِيهُ
وأعظمُ السُّلوكِ أن تكونَ(٤) ... في همّةٍ بالله مُسْتَعِناً

* ● *

٢٤٥ — جعلك في العالم المتوسط بين ملكه وملكوته ، ليعلمك جلالة قدرك بين مخلوقاته ، وانك جوهرة تنطوى عليك اصداف مكوناته .

وانظرْ إلى صُنْعِ الحكيمِ جَعَلَكَ ... في عالمٍ وسطٍ بين ما ملَكَ

---

١ — الأغباش : جمع الغبش : وهو شدة الظلمة ، وقيل : هو بقية الظلمة ، وقيل : ظلمة آخر الليل ، وقال مالك : غبش وغلس وغبس واحد .
٢ — أى مثل عدم وجود المسافة « منه » .
٣ — أى عند محو تلك القطعة « منه » .
٤ — في الأصل (ان تكون نا) .

أى بين مُلْكٍ ثمّ ملكُوتِه ... وبين جبرٍ ثم جَبَرُوتِه(١)
وإنّمـا اللهُ كذاك جَعلكَ ... تَعْليمِه إيّاكَ حيثُ أهّلكَ
حتّى ترى جـلالةً لِقَدْرِكَ ... من بين مخلوقاتِه بأمْرِكَ
وإنّكَ الجوهرةُ التى طَوَتْ ... عليك أصْدافُ البرايا وحَوَتْ
فحيثما اختارَكَ فاختره لـكى ... ترى لك السلطانَ فوقَ كلّ شى

* ● *

٢٤٦ — انما وسعك الكون من حيث جثمانيتك ولم يسعك من حيث ثبوت روحانيتك .

٢٤٧ — الكائن فى الكون ولم يفتح له ميادين الفيوب مسجون بمحيطاته ، ومحصـــور فى هيكل ذاته .

وَسَعَّكَ الكونُ بجثما نيّتك ... لا واسعاً من حيثُ رَوْحانيّتك

---

١ — قد عظم الله تعالى الانسان ، وجعله نخبة الأكوان ، اجتمع فيه ما لم يجتمع فى غيره ،فيه ملك وملكوت ، ونور وظلمة ، وغيب وشهادة ، وعالم علوى وسفلى ، وقدرة وحكمة ، وحس ومعنى ، فقد جعلك الله ايها الانسان : ناشئا فى العالم المتوسط ، بين ملكه : وهـــو بشريتك ، وملكوته وهو روحانيتك ، فقد قال تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر) (الاسراء ٧٠) وقال تعالى (لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم) (التين ٤) ، انما خلقك هكذا ليعلمك أنك جوهرة نفيسة مصونة فى صدف نفيس ، وهو الكون بأسره ، فتطوى عليك أصداف مكوناته من عرشه الى فرشه ، فأنت أيها الانسان ياقوتة فى صدف ، الأرض تقلك ، والسماء تظلك ، والجهات تكتنفك ، والحيوانات تخدمك ، وأنت فى وسط الجميع ، فاذا عرفت منزلتك بين مخلوقات الله ، وحرمتك عند ربك ، فتهيأ لحمل المسؤلية ، وتحمل الأمانة ، وادارة الخلافة ، فانك المرشح لعمارة الأرض ، وعبادة الرب ، واصلاح الكون .

من كان فى الكَوْنِ ولم يُفْتَحْ له (١)
من ميادين(٢) غُيوبٍ إقفالُه
إحاطةُ الأكوانِ مسجوناً بها أحصِرْ فى هَيْكلِ ذاتٍ حُجْبُها

* ● *

٢٤٨ — انت مع الأكوان ما لم تشهد المكون ، فاذا شهدته كانت الأكوان معك .

أنت مع الأكوانِ لا تَشهَدُه(٣) أعنى مكوناً ولو تَقصِدُه

---

١ — الروح اذا تصفت وتطهرت من كدورات الحس عرجت الى عالم الجبروت ، فلم يحجبها عن الله شىء ، فلذلك فان الكون يسع الانسان ويحصره من حيث جثمانيته ، وبشريته وهيكله المحصور ، ولم يسعه من حيث ثبوت روحانيته ، لأن روحه متصلة بعالم الجبروت المحيط ، فلما تكثفت وانحصرت فى هذا الهيكل لزمتها القهرية فانحجبت بالحكمة ، وقيدت بالقدرة ، فمادامت البشرية كثيفة بحب الشهوات والعوائد فهى محجوبة ، فاذا تلطفت بذكر الله وانخرق عنها حجاب الحس ، رجعت الى اصلها ، فانصلت ببحرها ، فصار الملكوت والملك فى طى قبضتها ، فلم يحصرها شىء ، وفى الحديث القدسى « يقول الله تعالى : لم تسعنى أرضى ولا سمائى ، ووسعنى قلب عبدى المؤمن » فالجبروت : هو المعانى اللطيفة التى لم تدخل عالم التكوين . والملكوت : ما دخل عالم التكوين باعتبار جمعه ولحوقه بأصله ، فمادام العبد مسجونا بالكون محصورا فى بشريته ، فهو سجن الأكوان ، فان نفذت بصيرته وعرجت روحه الى الملكوت خرج من السجن الى الفضاء . وميادين الغيب : هى ما ادركته الروح حين خرجت من ضيق الاشباح الى عالم الارواح ، فمادام العبد محصورا فى الهيكل مسجونا فى الأكوان ، فهو محجوب عن الله .

٢ — فى الاصل « من المعادين غيوب » .

٣ — مادام العبد مقيدا فى سجن الأكوان ومحصورا فى هيكل جسمه ، فالأكوان حاكمة عليه ، فهو يحبها ويعشقها ، وهى تبعده عن ربه ، وهو مفتقر اليها وهى غنية عنه ، فاذا شهد مكونها وغاب عنها وتحرر من رقها ، كانت حينئذ هى خادمته وهو حاكم عليها ، وهى تحبه وتعشقه ، وهو مشغول بحب خالقها ، وهى تفتقر اليه ، وهو غنى عنها ، وهى تحرص عليه ، وهو زاهد فيها .

وكانت الأكوانُ فى الدهر مَعَك إذا شهدتَ اللهَ فافتح مَسْمَعَك

* ● *

٢٤٩ — لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم البشرية ، انما مثل الخصوصية كاشراق شمس النهار ظهرت فى الأفق وليست منه ، تارة تشرق شموس أوصافه على ليل وجودك ، وتارة يقبض ذلك عنك فيردك الى حدودك ، فالنهار ليس منك واليك ، ولكنه وارد عليك .

إذا الخَصُوصيَّةُ لامرىءٍ صَفَتْ فالبَشَرِيَّاتُ بذاكَ ما انْتَفَتْ

لكنّما التخصيصُ قد غَطَّاها(١) فالعَرَضِيُّ عنه ما نحّاها

---

١ — المراد بوصف البشرية : ما جعله الله محتاجا اليه بحكمته فى قوام بدن الانسان من أكل وشرب ولباس ومسكن ، وما فطره عليه من شهوة مباحة كنكاح ، فهذه الأوصاف لا ينافى وجودها وجود الخصوصية ، قال تعالى (وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق) (الفرقان ٢٠) وقال تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية) (الرعد ٣٨) .

فاذا تقرر هذا علمت أنه لا يلزم من ثبوت الخصوصية : وهى الولاية والمعرفة عدم وصف البشرية ، فالخصوصية محلها البواطن ، ووصف البشرية محلها الظواهر ، لذلك اختفت الأولياء والأنبياء عن الناس لظهور أوصاف البشرية عليهم ، فكيف تعرف رجلا يأكل كما تأكل ويشرب كما تشرب وينام ويتزوج النساء ، فلا يعرفهم الا من أراد الله سعادته ، وما وقع الانكار على الانبياء والأولياء الا لاعتقاد المنكرين أن أوصاف البشرية تنافى ثبوت الخصوصية ، قال تعالى (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق) (الفرقان ٧) فهذه الأوصاف التى ذكرناها لا ينفك عنها الطبع البشرى ، وهى موجودة مع خصوصية النبوة والولاية ، وأما الأوصاف التى هى المذمومة : كالحسد والكبر والبغض ، والعجب والرياء ، وما شابهها ، فهذه لابد من التطهير منها ، لأن الانبياء معصومون من النقائص ، والأولياء محفوظون بحفظ الله ، ولكن قد يصدر منهم على سبيل الهفوة والزلة .

وقد مثلوا نور الخصوصية بنور الشمس ، كما أن نور الشمس اذا أشرق على الآفاق ، وهو الفضاء الذ ى بين السماء والأرض ، فان الفضاء قبل ظهور

إذ الخصوصيّةُ أمْر عارِضُ والبشريّاتُ أصول تمْحَضُ
أيدفعُ الذاتيُّ ذاك العَرَض ؟ ومَثّلوا ذلك يا فتَى نَهَض
تِلْكَ مثالُ الشمسِ فى إشْراقِها مِنْ وسط النّهارِ فى آفاقها
وليستْ الأفقُ من الشمسِ نَعَمْ
أشرقت الشمسُ فلَمْ تَبْقَ الظُّلَمْ
فتارةً أوصافُه مُشْرقةٌ فظُلْمَةُ الليل بها زاهِقَةٌ
وتارةً يَقْبِضُ عنك ذلك فَصرت مردُوداً إلى حُدودِك
ليسَ إليك منك ذا النهار لكنّه أوْردهُ القهّارُ
عليك فانظرْ ما أتى الخواصُ(١) قطبُ الأنام ما هو اختِصاصُ
أتَتْ إليه أسْدُ فما عَبَا بها مِن الليل مُطيلا طَرَبا
وخَشيةُ الله إلى الصباح وفى الصباح قام فى صياح

=
الشمس مظلم ليس فيه نور ، فاذا اشرق عليه الشمس ، صار نورا صافيا ، فنورانيته ليست من ذاته ، وانما هى من الشمس ، كذلك نور الربوبية فانه مستودع فى باطن البشرية ، فاذا أراد الله تعالى أن يظهر خصوصية عبده اشرق ذلك النور على ظاهر بشريته ، فتستولى روحانيته على بشريته ، فلا يبقى للبشرية أثر .

وكذلك مثلوا بمثال آخر ، وهو الحديد والفحمة اذا جعلتهما فى النار ونفخت عليهما ، فانهما يصيران من جنس النار ، وتكسو النار الحديد كله والفحمة كلها فاذا بردا رجع الحديد حديدا والفحمة فحمة ، وكذلك البشرية اذا استولت عليها الروحانية صارت كلها روحانية معنوية .

١ — الخواص المشهور : هو ابراهيم بن أحمد بن اسماعيل من كبار المشايخ ، وقد اشتهر بالزهد والتوكل وكثرة الأسفار وله كتب ومصنفات ، وكان من أقران الشيخ جنيد البغدادى ، ومن كلامه : دواء القلب خمسة : قراءة القرآن بالتدبر ، وخلاء البطن ، وقيام الليل ، والتضرع عند السحر ، ومجالسة الصالحين .

توفى بالرى سنة ٢٩١ هـ . انظر تاريخ بغداد ٧/٦ ، طبقات الأولياء ص ١٦ ، طبقات الشعرانى ١١٣/١ ، حلية الأولياء ٣٢٥/١٠ ، النجوم الزاهرة ١٣٢/٣ .

من آنَسَ البَقَّ فسلْ سائل قال : وجدت بارحاً تَذلُّلاً
هُناخِذاً ما كان لى وُجُودُ (١) وليلتى فيها أنا المرْدُودُ :
إذا كُنّا به تهنا دلالاً على كلّ الخرائر والعبيد
وإن كُنّا بِنا عُدْنا إلينا فَعَطل ذُلُّنا ذُلَّ اليَهُود

* ● *

٢٥٠ — دل بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، بثبوت أوصافه على وجود ذاته ، اذ محال ان يقوم الوصف بنفسه ، فأرباب الجذب يكشف لهم عن كمال ذاته ، ثم يردهم الى شهود صفاته ، ثم يرجعهم الى التعلق بأسمائه ، ثم يردهم الى شهود آثاره ، والسالكون على عكس هذا — فنهاية السالكين بداية المجذوبين ، وبداية السالكين نهاية المجذوبين ، لكن لا بمعنى واحد ، فربما التقيا فى الطريق ، هذا فى ترقيه ، وهذا فى تدليه .

مَنْ لَمْ يَكُنْ أعْمَى رأى الله أحد
ومن رآه فى البَرِيّات وَجَد
آثارَهُ دَلَّتْ على أسْمائِه (٢) مختلفاتِ الحكم فى أشيائِه

---

١ — هذا الكلام ورد فى جامع كرامات الأولياء ١ ص ٣٨٩ هكذا : عن حامد الأسود قال : كنت مع ابراهيم الخواص فى البرية ، فبتنا عند شجرة ، وجاء السبع فصعدت الشجرة الى الصباح لا يأخذنى النوم ، ونام ابراهيم الخواص والسبع يشم من رأسه الى قدمه ثم مضى ، فلما كانت الليلة الثانية بتنا فى مسجد فى قرية ، فوقعت بقة على وجهه فضربته ، فأن أنة ، فقلت : هذا عجب ، البارحة لم تجزع من الأسد والليلة تصيح من البق فقال : أما البارحة فتلك حالةكنت فيها بالله عز وجل ، وأما الليلة فهذه حالة أنا فيها بنفسى .

٢ — وجود الأثر يدل على وجود القادر المريد العليم ، فالقادر يدل على قيام القدرة به بحيث لا تفارقه ، اذ محال أن يقوم الوصف بنفسه ، فاذا كان الأثر بدل على وجود القادر على الأثر ، والقادر ، يدل على قيام القدرة به ، =

أسـماؤُهُ دلّتْ على صِفاتِه ... وهي على وُجودِ حقِّ ذاتِه
فالوصفُ يستحيلُ أن يقومَ ... بنفسِه فَحُطْ به مَعْلُوماً
وهكذا أربابُ جذبٍ يكشِفُ ... عن الذاتِ كما هي تُعْرَفُ
ثمّ يَرُدُّهُمْ إلى صِفاتِه ... طوعاً وكرهاً فيه بالْتِفاتِه
ثمّ الى تَعَلُّقِ الاسماءِ ... ثمّ الى شُهودِ ذي ابتداء
آثارِه والسالكون عكسوا ... ذلك في سلوكِهم ما أسَّسُوا
فأهلُ جَذْبَةٍ لهم بدايةٌ ... ما لذوي السلوكِ من نهايةِ
وذُو السُّلوكِ ما لَه نهايةُ ... ما لِذي الجذْبَةِ مِنْ بِدايةِ
ذلك لكن لا بمَعْنَى واحدِ ... بل كلُّ فردٍ آخذٌ بمَقْصَدِ
وربَّما على الطريق التَّقَيا ... تخالفا فيها كما تَساوَيا

=

فيلزم من وجود الأثر وجود المؤثر ، وهنا افترق أهل الظاهر من أهل الباطن ، فأهل الظاهر أثبتوا من وجود الأثر وجود الأسماء والصفات ، ولم يقدروا على شهود الذات ، وأهل الباطن لما فرغوا قلوبهم من الأغيار ، فتح الله عين بصيرتهم واطلعوا على مكنون سره ، فانفردوا الحق بالوجود .

كما ان عباد الله المخصوصين بسر الخصوصية في سيرهم على قسمين : منهم من يبدأ بالجذب ثم يرد الى السلوك ، ومنهم من يبدأ بالسلوك ثم يدركه الجذب ثم يصحو ، فأرباب الجذب يكشف لهم أولا من غير مجاهدة عن شهود الذات ، فيسكر بشهود نورها ، فينكر الواسطة أصلا ، ثم يرد من شهود الذات الى شهود الصفات ، فلا يرى الا صفات الحق تكثفت وظهرت وينكر الأثر ، ثم اذا شهد الصفات تعلق بالأسماء اللازمة لها ، يرجع الى شهود آثاره ، فيقوم بأحكام عبوديته .

والسالكون على عكس هذا ، فيستدلون بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على وجود صفاته ، وبوجود صفاته على وجود ذاته ، فنهاية السالكين وهي شهود الذات ، بداية المجذوبين ، ونهاية المجذوبين وهي شهود الأثر بداية السالكين ، ولكن ليس بمعنى واحد ، بل أحدهما نازل يشهد الأشياء بالله والآخر صاعد يشهد الأشياء بنفسه لله ، وقد يلتقيان في الطريق كشهود الصفات والتعلق بالأسماء مثلا ، هذا في ترقيه وهذا تدليه .

ذا فى تدلّيه لقىَ صاحبهُ ذا فى ترقيه رأى ذاهبَه(١)

* ● *

٢٥١ — لا يعلم قدر أنوار القلوب والاسرار الا فى غيب الملكوت ، كما لا تظهر أنوار السماء الا فى شهادة الملك .

لا يُعْلَمَنَّ شرفُ الأنوارُ(٢) وقَدْرُ القلوبِ والأسرار
الاَّ بغيبِ الملكوتِ مِثْلَ ما لا تظْهَرُ أنوارُ(٣) أنجمَ السماءِ
الاَّ على شهادةِ الملكِ من آ ثارِ والشمسِ ونجمِ اشْتَعَل
ذو الملكوتِ أضعفُ المعارفِ مع العلومِ ثمراتِ العارفِ

* ● *

---

١ — أى الذاهب الى ما هو يذهب اليه « منه » .

٢ — اعلم أن الناس كلهم عندهم نور فى قلوبهم بدليل قوله — صلى الله عليه وسلم — « كل مولود يولد على الفطرة » وقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) [النور ٣٥] أى نور أهل السموات والأرض ، وهو عام فى كل موجود فيهما ، لكن من الناس من حجب عن هذا النور وعمى عنه ، وهو من وقف مع ظاهر الملك ، ولم ينفذ الى باطنه وهو الملكوت ، ومن الناس من نفذت بصيرته الى شهود النور الباطن فيه ، وهو نور الملكوت وأسرار الجبروت ، فاذا تحقق هذا علمت أنه لا يعلم (بالبناء للمجهول) أى لا يظهر قدر أنوار القلوب الغيبية وشرفها ، وأنوار الأسرار القدسية ، الا فى غيب الملكوت والجبروت ، فأنوار القلوب لا يعلم قدرها الا فى غيب الملكوت ، وهى الأنوار المدفقة من بحار الجبروت ، وأنوار الأسرار لا يعلم قدرها الا فى غيب الجبروت ، وهى الأنوار الأصلية الازلية ، وهو ما لم يدخل عالم التكون ، فمن كان محجوبا فى عالم الملك لا يعلم قدر أنوار الملكوت ، كما أن أنوار الكواكب لا يرى الا فى الدنيا فى عالم الملك .

٣ — فى الاصل « لا يظهر الأنوار أنجم السماء » .

٢٥٢ — وجدان ثمرات الطاعات عاجلا ، بشائر العاملين بوجود الجزاء عليها آجلا .

طاعاتُنا وجدانُ ثمراتِها بشائرَ القبولِ مِن حَيَاتِها
طيّبةٌ ثمّ سُقوطُ خوفِنا والحزْنِ بالسكونِ مِنْ مَخُوفِنا
ثمّ ظُهور شرفِ الخِلافةِ والكَونِ فى لَطائفِ الضّيافَة
فحيْثما مَنّ بذاكَ عاجِلاً بَشّرنا على الجزاءِ آجِلا(١)

* ● *

٢٥٣ — كيف تطلب العوض على عمل هو متصدق به عليك ؟ أم كيف تطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليك .

ولا تُسىء بطلب الجزاء(٢) أدَبْ فكيف للأعواضِ تَرجو بالطلب
على وُجُودِ عمـلٍ تَصدّقَ عليك مولاك بِهِ مُحَقّقاً
أمْ كيف أنت طالبُ الجزاءِ على عبـادةٍ من العطاءِ
وإنّه سبحانَهُ أهَـداها(٣) إليك من صَدقةٍ أسْداها

* ● *

---

١ — من وجد فى بدايته حلاوة مجاهدته فليستبشر بوجود مشاهدته ، ومن لم يجدها فلا ييأس من روح الله ، فان لله نفحات تهب على القلوب ، فتصبح عند علام الغيوب ، فان وجود ثمرات العمل بشائر قبوله ، وقد تكرر هذا المعنى مرات عديدة فى هذا الكتاب .

٢ — فى الأصل « ولا تسىء وطلب الجزاء أدب » .

٣ — العبد انما هو آلة مسخرة ، فاذا سخره ربه تحرك ، والا فلا ، واذا كان كذلك فلا نسبة له فى العمل الا ظهوره عليه لحكمة يعرفها الله ، اذن فكيف يطلب العوض على عمل من الله وهو متصدق به عليه ، واذا من عليه ربه بصدق العبودية وهو سر الاخلاص ، فكيف يطلب الجزاء على صدق هو مهديه اليه ، قال الواسطى : مطالبة الأعواض على الطاعة من نسيان الفضل .

٢٥٤ — قوم تسبق أنوارهم أذكارهم ، وقوم تسبق أذكارهم أنوارهم .

٢٥٥ — ذاكر ذكر ليستنير قلبه ، وذاكر استنار قلبه فكان ذاكرا .

أربابُها منهم لقَوْمٍ تَسْبِقُ ... أذْكارُهُمْ أنوارَهُمْ فتَطْلُقُ
أذْكارُهُمْ ليستنارَ قلْبُهُمْ ... فسالكٌ وطالبُ دَأْبُهُمْ(١)
ومنهم الذين سبقتْ لهم ... أنوارُهُمْ أذْكارَهُمْ وحالُهُمْ
فأعْرِفْهُ جذبةٌ لهم مَمْنُوحةٌ ... قد أعظم اللهُ لهم فُتُوحَه
وذلك ذكرٌ ليستنير ... وذاك كان نَيِّراً ذكّاراً
صاحبُ جذبة هو المُفَضَّلُ ... والقولُ فى خلافِ ذاك مرسَلُ
دليلُنا العنايةُ المقدَّمة ... وعصمةٌ تَتْبَعُها مُسْتَحْكَمَة
إذ كل مجذوبٍ هو المسلوكُ به ... ولا كذاك دُو سلوكٍ فانْتَبِه

٢٥٦ — ما كان ظاهر ذكر ، الا عن باطن شهود وفكر .

٢٥٧ — أشهدك من قبل أن يستشهدك ، فنطقت بالهيته الظواهر ، وتحققت بأحديته القلوب والسرائر .

إذ لا يكونُ ظاهرٌ مِنْ ذِكرٍ ... إلاّ بباطنِ شُهودِ فِكرِ(٢)

---

١ — القوم الذين تسبق أنوارهم اسرارهم ، فهم الواصلون ، فهؤلاء استنار قلوبهم ، فكان ذاكرة وممتلئة بالنور ، وهؤلاء لا نجدهم الا فى حضرة الله بين ذكر أو فكرة أو نظرة أو ارشاد الى حضرة الربوبية .

وأما الذين تسبق أذكارهم أنوارهم ، فهم السائرون الاولون ، لهم انوار المواجهة لا تفارقهم ، فهم ذاكرون على الدوام ، فاذا أرادوا أن يذكوا باللسان سبقت الى قلوبهم الأنوار ، فكانت هى الحاملة لهم على استمرار الأذكار ، فهؤلاء يذكرون الله ليستنير قلوبهم بذكره ؛ وليس من شك أن الواصل أفضل درجة من السائر .

٢ — اذا كان ظاهر الانسان مشتغلا بذكر الله فهو علامة وجود محبة =

والذكرُ والفكرُ لجـاريانِ في أصلِ ما حقيقةُ الإنسانِ
في ساعة الميثاق حين أشهدك
مِنْ قبل أن دان عليه إستشهدك
فنطقتْ بوصفه الظواهرُ في قولهم بلى(١) جوابٌ ظاهرٌ
ثمّ بأحديته القهّار تحققتْ سرائرُ الأسرار

* ● *

٢٥٨ ــ أكرمك الله بكرامات ثلاث : جعلك ذاكرا له ، ولولا فضله لم تكن اهلا لجريان ذكره عليك ، وجعلك مذكورا به ، اذ حقق نسبته لديك ، وجعلك مذكورا عنده ، فتم نعمته عليك .

أكرمك اللهُ تعالى بكرا(٢) ماتٍ ثلاثٍ حين كنتَ ذاكراً

=

الله فى الباطن ، اذ من احب شيئا أكثر من ذكره ، ولا تكون المحبة الا عن ذوق ومعرفة ، فلا يكون ظاهر ذكر الا عن باطن شهود .

كما أن الروح فى أصل ظهورها فى غاية الطهـاة والصفاء ، فحين أبرزها الله تعالى فى عالم الذر كانت عالمة دراكة ، فاشهدها الله تعالى عظمته وجلاله وبهاءه وكمال وحدانيته فقال لها حينئذ (ألست بربكم قالوا بلى) [الأعراف : ١٧٢] فكلها أقرت بالربوبية ، فلما ركبها فى هذا القالب ، فمنها من أقرت بذلك العهد ومنها من جهلت وانكرت ، فقد أشهد الله الانسان حين كان فى عالم الأرواح ربوبيته ووحدانيته فعلمها وحققها ، من قبل أن يستشهده : أى يطلب منه تلك الشهادة فحين طلب الله الشهادة من الانسان وجد روحه عالمة ، فتعلقت بالهيته التى عرفها فى عالم الذر ، وتحققت باحديته التى شهدتها قبل تركيب القلوب والسرائر ، فكل ما ظهر من الاقرار بالربوبية فى عالم الشهادة فهو فرع الاشهاد المتقدم فى عالم الغيب .

١ ــ اشارة الى قوله تعالى (واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى) [الأعراف ١٧٢] .

٢ ــ لقد أكرم الله الانسان بكرامات كثيرة ، وانعم عليه نعما جزيلا ، قال تعالى (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها) [ابراهيم ٣٤] واجل الكرامات واعظمها كرامات الذكر ، ومرجع هذه الكرامات الى ثلاثة أمور : الاول ــ جعلك ذاكرا له ، ومن أين لعبد فقير أن يذكر ربا جليلا ، ولولا فضله عليه لم يكن اهلا لجريان الذكر على لسانه . الثانى ــ جعلك مذكورا به ، حيث ذكرك بنفسه

=

مِنْ جَعْلِه إيّاك ذاكراً له تَمَّ عليك عند ذاك فَضْلُهُ
إذ لم تكُنْ أهلاً لذكره إذا مَوْلاك مَنَّ بذِكْره كذا
صيَّرك المذكور بالذكر نَعَمْ أعْظِمْ بِه مِنْ نِعَمٍ على نِعَمْ
وكنت مذكوراً لديه فيه فهو لِشَرْوَة المُنى مهديه
ووجْهُ كون صاحب الجذب أجَلّ
بركةُ العمر وإن كان أقلّ

* ● *

٢٥٩ — رب عمر اتسعت آماده وقلت امداده ، ورب عمر قليلة آماده كثيرة امداده .

فربّ عمرٍ وسعتْ آمادُه(١) لكنّه(٢) قليلة إمدادُه

=

حين ذكرته ، قال تعالى (فاذكروني أذكركم) [البقرة ١٥٢] واذا كنت مذكورا به ، فقد تحقق نسبتك اليه ، واثبت لك الخصوصية ، فيقال لك : هذا ولى الله وصفيه ، فأى كرامة أعظم من هذه النسبة ، ولولا أن الله تفضل بها عليك ما كنت مستحقا لهذه النسبة . الثالث — جعلك مذكورا عنده فى الملائكة المقربين ، ففى الحديث القدسى « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حين يذكرنى ، فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسي ، وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملا خير من ملئه ... الحديث » ، وفى حديث آخر : « ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى فيه الا غشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى (ولذكر الله اكبر) [العنكبوت ٤٥] اى لذكر الله لعبده أكبرمن ذكر العبد لله .

١ — ان كثيرا من الأعمار اتسعت آماده : جمع أمد : وهو الزمان : اى كثير من الناس طالت أعمارهم ، وقلت امدادهم : اى فوائدهم ، فلم يحصلوا على شىء ، حيث انشغلوا بالبطالة والتقصير حتى مضت تلك الأيام كطيف المنام ، واضغاث أحلام وكثير من الناس قلت أعمارهم وكثرت فوائدهم ، فأدركوا من فوائد العلم والأعمال والمعارف والأسرار فى زمن قليل ما لم يدركه غيرهم من الزمن الكثير ، ومثال ذلك أهل الجذب مع السلوك ، وأهل السلوك وحدهم ، فان الاول يطوى فى ساعة واحدة من مسافة القرب ما لم يدركه الثانى فى سنين ، وكذلك فان بعض العلماء نشروا العلم مع قصر عمرهم أكثر مما نشر عشرة ممن منحوا بطول العمر ، لذلك يجب على الانسان الجد والاجتهاد وقال الشوقى :

فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للانسان عمر ثانى

٢ — فى الاصل « لكنه كثيرة امداده » وعلى هذا لا يستقيم المعنى .

أولـــه كالأمم الســوالف ... وفاقدُ الحاليةِ مِنّا راقِف
ثانيهما المجـذوبُ فى أيّامِه ... يُشابِهُ الإخبارَ فى مَقامِه
فصّله لابنِ أبى الحوارى(١) ... مع شيخه يُغْنى عن الإشهارِ

* ● *

٢٦٠ — من بورك له فى عمره أدرك فى يسير من الزمن من منن الله تعالى ما لا يدخل تحت دوائر العبارة ولا تلحقه الاشارة .

فكلُّ مَنْ بورِكَ فى العُمْرِ لَهُ ... أدْرَكَ فى اليَسيرِ ما أجَلَّهُ
مِن مِنَنِ اللهِ التى لاتَدْخُلُ(٢) ... تحتَ عبارةٍ إذا تَفَضَّلْ
ولا تَنالُ وَصْفَهُ العِبـارَةُ ... كذاك لا تَلْحَقُهُ الإشـارةُ

* ● *

٢٦١ — الخذلان كل الخذلان أن تتفرغ من الشواغل ، ثم لا تتوجه اليه ، وتقل عوائقك ثم لا ترحل اليه .

إذا تَفَرَّغْتَ من الشـواغلِ ... فما توجّهْتَ إليه مُقْبِـلاً

---

١ — هو أحمد بن ابى الحوارى عبد الله بن ميمون ، أبو العباس الدمشقى ، صحب الشيخ أبا سليمان الدارانى وغيره ، وكان الشيخ جنيد يقـول فيه : انه ريحانة أهل الشام ، روى أنه كان بينه وبين أبى سليمان الدارانى عقد بأنه لا يخالفه فى شىء يأمره به ، فجاء يوما والدارانى يتكلم فى مجلسه ، فقال : ان التنور قد سجر ، فبم تأمر ؟ فلم يجبه فقال ثانيا وثالثا ، فلما ألح عليه ، كأنه قد ضاق قلبه ، فقال له : اذهب فاقعد فيه ، ثم تفاءل واشتغل عنه ساعة ، ثم ذكره ، فقال : أطلبوا أحمد ، فانه فى التنور ، لأنه على عقد أن لا يخالفنى ، فذهبوا اليه فاذا به جالس فى التنور لم يحترق منه شعرة . ومن كلامه : ما ابتلى الله العبد بشىء أشد من الغفلة والقسوة . توفى سنة ٢٣٠ أو سنة ٢٤٠ هـ ، ترجمته فى طبقات الأولياء ص ٣١ ، حلية الأولياء ٥/١٠ ، صفة الصفوة ١٢/٤ ، طبقات الشعرانى ٩٦/١ ، الرسالة القشيرية ص ٢١ ، البداية والنهاية ٣٤٨/١٠ ، وغيرها .

٢ — قال فى الحديث القدسى « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » .

ولم تجد ضراعةً إليه وذلّةً وفاقةً لديه
وما وجدتَ موانعَ العلائقِ عن رحلةٍ إليه بالعوائق
فذلك الخذلانُ كلُّه كما
عُدِمْتَ توفيقاً حُرِمْتَ كرماً(١)

* ● *

٢٦٢ — الفكر سير القلب فى ميادين الأغيار .

الفكرُ سيرُ القلبِ فى [الأ]غيار من حِكَمِ القدير ذى اقتدارِ(٢)
ميدانُها لعبرةِ القلوبِ مَعْبَرَةٌ لمكسبِ الغيوبِ

٢٦٣ — الفكر سراج القلب ، فاذا ذهبت فلا اضاءة له .

ففكرةٌ القلبُ له السراجُ(٣) فى ظُلْمَةِ الأغيار وابتهاجُ

---

١ — أكثر الناس ما يحبسهم من التوجه الى الله الا كثرة مشاغلهم الحسية ، فتشتغل جوارحهم بخدمة الدنيا فى الليالى والأيام ، والشهور والأعوام ، حتى ينقرض العمر كله فى التقصير ، وهذا هو الخذلان المبين ، لكن اشد خذلانا منه من قلت شواغله الظاهره لوجود من يقوم له بها ، ولم يتوجه الى الله تعالى ، وقد قال الرسول — صلى الله عليه وسلم — « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ » ، وكذلك الخذلان لمن كثرت علائقه ، واهتمامه بالتدبير والاختيار والسياسة والارباط مع الناس ، ولكن اشد خذلانا منه ، من قلت علاقاته وارتباطاته ، ثم لم يرحل الى ربه .

٢ — فمن لا تفرغ له لا فكرة له ، ومن لا فكرة له لا سير له ، ومن لا سير له لا وصول له ، فالفكرة : هى سير القلب الى حضرة البارى تعالى ، وذلك السير فى ميادين الأغيار ، اى فى مجال شهود الأغيار ، يستدل بها على وجود الأنوار ، فهذه فكرة أهل الحجاب . واما فكرة أهل الشهود : هى سير الروح فى ميادين الأنوار . وقال الشيخ زروق : الفكرة : انبعاث القوة الادراكية فى عالم الغيب والشهادة ليدرك حقيقة الأشياء على ما هى عليه ، ومن وجد ذلك فهو عارف .

٣ — الفكرة فى عظمة البادى تعالى وتوحيده نور ، فاذا كان القلب =

فالقلب حيثُ ذَهَبَتْ فكرتُه ... يَذْهبُ ضوءُه كذا بَهْجَتُهُ
فصار أعمَى خابطَ العَشْواءِ ... وظلَّ يمشى مشيةَ العَمْياءِ

* ● *

٢٦٤ — الفكر : فكرتان : فكرة تصديق وايمان ، وفكرة شهود وعيان ، فالأولى لأرباب الاعتبار ، والثانية لأرباب الشهود والاستبصار .

والفِكرُ فِكْرتانِ بالتَّحْقيقِ : (١) ... ففكرةُ الإيمانِ والتصديقِ
وفكرةُ الشُّهودِ والعِيانِ ... تجرى مع التصديقِ والإيمانِ
كَبُرَ العيانُ عليَّ حتى أنَّهُ ... صارَ اليقينُ من العيانِ توهُّماً
فالفكرةُ الأولى لدى إعْتِبارِ ... من المريدين أو النُّظَّارِ
والمُتَوَجِّهين والعُمَّالِ ... والسالكينَ مَسْلَكَ الكمالِ
ثانيهما شاهِدَ(٢) استبصار ... مَعادِنَ الأنوار والأسرار

=

مشغولا بالفكرة فى عظمة الحق فهو منور بنور الحق ، واذا خلى من الفكرة فى الحق دخلته الفكرة فى الأغيار وهى ظلمة ولا تجتمع الظلمة والنور ابدا ، فالفكرة سراج القلب ، فاذا ذهبت الفكرة فى الله انطفأ نور القلب بدخول ظلمة الكون فيه فلا اضاءة له فيكون أعمى ، قال تعالى (فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور) [الحج ٤٦] .

١ — الفكر فكرتان : الأولى فكرة أهل التصديق والايمان : وهى سير القلب فى ميادين الأغيار : فهم يتفكرون فى المصنوعات ، ليتوصلوا الى معرفة الصانع وقدرته وعلمه وحياته وغير ذلك من سائر صفاته ، وهى لأصحاب الاعتبار وأهل الاستدلال وهم السائرون الى الله بأنوار التوجه ، وهم الذين قال تعالى فى حقهم (الذين يؤمنون بالغيب) [البقرة ٣] . والثانية فكرة أهل الشهود والعيان : وهى سير الروح فى ميادين الأنوار ، قد انقلبت الأغيار فى حقهم أنوارا ، والدلائل مدلولات ، والغيب شهادة ، وهم الذين اطلعهم الله على سر قوله تعالى (قل انظروا ماذا فى السموات والأرض) [يونس ١٠١] وهذه لأرباب الشهود والاستبصار ، لأنهم ترقوا من شهود الدليل الى المدلول ومن الأثر الى المؤثر ، هم الرجال حقا .

٢ — فى الاصل « نانيهما شاهدى استبصار » .

هذه بعض مكاتبات صاحب الحكم لبعض اخوانه ، وبعض مناجاته نظمها الشيخ نور الدين ، بعد الانتهاء من الحكم كما فعل معظم شراح الحكم حيث شرحوا هذه المكاتبات والمناجاة بعد انتهائهم من شرح الحكم .

المكتوب الأول : فى بداية السلوك ونهايتها

إن البـــدايات غدت مجلاّت من النهـــايات لمرئيـــات
من صلحت له البداية صلحت وأفلحت له النهاية أفلحت
ومن تكن بربّه بدايتـــه تكن إليه مجتـــلى نهايتـــه
فداخل الأشياء بالله بدت فيها نهـــاية له وأيدت
ومن له بداية التفويض لله ما انتهى إلى النقيض
وهكذا بدايـــة التـــوكل تتبعهـــا نهـــاية المكمّل
فكل من أحبّه به اشـــتغل مسارعٌ نافى تحاتّ العمل
آثر مولاه أمرءٌ به عنى على السوى والعكس مجلّى لنا
وموئر عليه من عنه اشتغل فانظر لحمق من عن الحق عدل
وأفـــرد القلب له نعـــال واجعل سواه جملة وبالاً(١)
ومن يكن يوقن أنّ الله يطلبـــه طالبـــه انتبـــاها
بتصـــدق طلب إليـــه فإذا ســـارع لله بجهدٍ نفذ

---

١ — فى الاصل « واسوسواه جملة وبالا » .

وعلمه أنّ الأمور فى يده ... يجمعه إليه من تجلّده
منجمعاً إليه بالتوكّل ... مفوّضاً إليه بالتوسّل
وإنّه لا بدّ من بناء ذا ... أعنى الوجود أن يكون نافذا
وأن ترى منهدماً دعامه ... وأن ترى منسلباً كرامه(١)

* ● *

---

١ — ومن المعتقد أن النسخة هنا فيها سقط حيث لم يكمل نظم هذه الرسالة ، وبما أننا لم نجد نسخة اخرى لم نستطع انمام هذا المكتوب ، ولكننا تميما للفائدة نثبت تتمة الرسالة من مكان السقط كما وردت فى شروح الحكم ، وهذا نص الرسالة .

اما بعد فان البدايات مجلات النهايات ، وان من كانت بالله بدايته ، كانت اليه نهايته ، والمشتغل به هو الذى أحببته وسارعت اليه ، والمشتغل عنه هو المؤثر عليه ، وان من أيقن أن الله يطلبه ، صدق الطلب اليه ، ومن علم أن الأمور بيد الله ، انجمع بالتوكل عليه ، وانه لابد لبناء هذا الوجود أن تنهدم دعائمه ، وأن تسلب كرائمه ، فالعاقل من كان بما هو أبقى أفرح منه بما هو بفنى ، وقد أشرق نوره ، وظهرت تباشيره ، فصرف عن هذه الدار مغضيا ، وأعرض عنها موليا ، فلم يتخذها وطنا ، ولا جعلها سكنا ، بل انهض الهمة فيها الى الله تعالى ، وسار فيها مستحثا به فى القدوم عليه ، فمازالت مطية عزمه ، لا يقر قرارها دائما تسيارها ، الى أن أناخت بحضرة القدس ، وبساط الأنس ، محل المفانحة والمواجهة والمجالسة والمحادثة والمشاهدة والمطالعة ، فصارت الحضرة معشش قلوبهم اليها يأوون ، وفيها يسكنون ، فاذا نزلوا الى سماء الحقوق ، أو أرض الحظوظ فبالاذن والتمكين ، والرسوخ فى اليقين ، فلم ينزلوا الى الحقوق بسوء الأدب والغفلة ، ولا الى الحظوظ بالشهوة والمتعة ، بل دخلوا فى ذلك بالله ولله ومن الله والى الله ، وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق ، ليكون نظرى الى حولك وقوتك اذا أدخلتنى ، واستسلامى وانقيادى اليك اذا أخرجتنى ، واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا ينصرنى وينصر بى ولا ينصر على ، ينصرنى على شهود نفسى ، ويفنينى عن دائرة حسى .

المكتوب الثانى : فى بيان الوصول الى الحقيقة مع مراعاة حرمة الشريعة

والنّاسُ أقسامٌ ثلاثةٌ هنا : فغافِلٌ مُنْهَمِكٌ فى شرّنا
وذاك إنْ كانَ إعْتِقاداً شركٌ هو الجلىُّ ليس فيه شكُّ
أو اسْتِناداً فعلى الشِّركِ الخفىّ قد انْطوَى بِجَهْلِه المُعَنَّفِ
ثانيهما أصْبَحَ ذا حقيقةٍ قد غابَ فى الإحسانِ عن خَلِيقةٍ
لأنّهُ يشهدُ ربَّهُ المَلِكُ
عن كلِّ أسبابٍ فَنَى من غيرِ شَكّ
برؤيةِ المُسَبِّبِ الذى لهُ أسبابُنا نُحِيلُ أمْرَها لَهُ
وانْفَقَدَ الخلقُ عن التصريفِ فى عَيْنِه عنْ رؤيةِ اللطيفِ
ذاك عبدٌ ظاهرٌ عليه حقيقةُ الكونِ سَنا لَدَيْهِ
واجَهَهُ مُسْتَغْرِقاً سَناها مُسْتَوْلِياً على ضيا مَداها
وهو الذى قد سَلَكَ الطريقةَ مؤيّدٌ بِنِسْبةِ الحَقِيقَةِ
لكنَّهُ انغَرِيقُ فى الأنوار وقلْبُهُ مُنْطَمِسُ الآثارِ
مستحوذُ السكرِ على ما صَحْوِهِ وَجَمْعِهِ لِفَرْقِه فى مَحْوِهِ
وغالبُ الفَنَا على بَقائِهِ مشاهدُ الحقِّ لدى فنائِهِ
مُسْتَشْرِقُ النُّور وفى حُضُوره بربِّه ذُو غَيْبَةٍ فى نُورِه
والصَّحْوُ حالٌ تَقْتَضِى تصرّفاً مع اختيارٍ منه سابغُ الوَفا
والجمعُ أن تَشهدَ مَوْلاكَ به لا بِسِوادُ فائِزاً بِقُرْبِهِ
والفَرْقُ بالحقِّ شُهُود الخلقِ والحقُّ ذا حقيقةٌ لِفَرْقِ

شُهودِ حَقٍّ لا بِخَلْقِ الفَنَا ... ورؤيةُ الخَلْقِ بحقِّ البَقَا

بالخلقِ عدمُ الشهودِ الغيبةُ ... ثمّ الحضورُ وَصْفُه لا رِيبةُ

هو الشُّعورِ بوجودِ الخلقِ ... مع رؤيةِ الحقِّ بعينِ الحقِّ

ومنه أكملَ لعبدٍ شُرْباً ... فزاد صَحْواً وثراهُ غائبا

فإزدادَ نوراً وحضوراً له ... سبحانَهُ بالنورِ إذ دَلَّهُ

فجَمْعُه لفَرْقِه لا يَحجبُ ... وفَرْقُه لجمْعِه مُستَصْحَبُ

لا يصدُّه الفنا عن البقا ... كما البقا لا يصدُّ عن فنا

يَفْعَلُ بالقِسطِ لِمُستحِقِّه ... وإنَّه المعطى له مِنْ حقِّه

فأوّلُ الحالينِ كانتْ عائشةُ ... فيه بيومِ الإفْكِ وهى طائشةُ

أحالَها والِدُها الصدّيقُ ... عنهُ لما فضَّاهُ التحقيقُ

فقال : هلاّ تشكرينَ المصطفى(١) ... قالتْ : لغيرِ اللهِ لن أختلفَ

بالشكرِ حين دَلَّها الصدّيقُ ... على مقامٍ بالعُلا حقيق

مكمّلاً وذا مقامٌ أكملُ ... إثباتُه(٢) الآثارُ حالُ أفضلُ

فصلُ الخطابِ للبقاءِ مثبتُ ... مواقفُ(٣) القرآنِ حينَ يَنْعَتُ

لى ولوالِديْكَ أنْ تشكرَ قدْ(٤) ... أثبتَ آثاراً عليه المستند

---

١ — هذا اشارة الى ما ورد فى صحيح البخارى عن عائشة (رض) أنها قالت : « فلما سرى عن رسول الله رص » سرى عنه وهو يضحك ، فكانت أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة أما الله عز وجل فقد براك » فقالت أمى : قومى اليه قالت ، فقلت : « والله لا أقوم اليه ، ولا أحمد الا الله عز وجل » . وعند الطبرى فى رواية أنها قالت : « أحمد الله لا اياكما » . وفى رواية أنها قالت : « نحمد الله لا نحمدك ولا نحمد أصحابك » . وفى رواية أخرى : « أخذ رسول الله (ص) بيدى فانتزعت منه ، فنهرنى أبو بكر » انظر فتح البارى ٤٧٧/٨ ، كتاب التفسير ، سورة النوبة ، حديث الافك .

٢ — الظاهر « أثبته الآثار » .

٣ — الظاهر « موافق القرآن » .

٤ — اشارة الى قوله تعالى (ان اشكر لى ولوالديك الى المصير) سورة لقمان الآية ١٤ .

وقال صلى اللهُ مع سلامٍ عليه فى تحقيقِ ذا المقامِ
لا يشكرُ اللهَ امرؤ لا يشكرُ عبادَهُ(١) إذ شكرهمْ مُضَرَّرُ
أصبحتْ الصدِّيقةُ المبرأةُ فى ذلك المقامِ ذات مَطْرأةَ
عن شاهدِ الحالِ غدت مصطلمة(٢)

لم تلكُ بالآثارِ ذاتَ مَعْلمة
غائبةٌ لم تَشْهد الآثارَ إلاّ إلهاً واحداً قهّارا
إنّ اصْطلاماً غيّبَتْهُ الفؤادِ عن كل مشهودٍ سوى المَعْبُودِ
لما يُواجِهُ الفؤادُ مِنْ عِظمِ جَلالةِ المعْبُودِ حتى صارَ لَمْ
لا يبقَ به مُتّسعٌ لِغيرِه لله مُسْتسلمةً لقهرِه
إذ عَظّمْتْ لأُمِّ المؤمنين إيشأنا فى ذاك لم تَشْهَدْ سواهُ كَونا

باب : بيان قرة العين فى الصلاة

قد سُئل الشيخُ عن القُرّةِ عنْ قولِ النبيِّ ؟ فأجاب عنْ فطن
إذ قيل : هل لغيرِه هيبُ فيها لدى الصلاةِ أم مَوْهوبُ
للمصطفى فقط فعارفاً أتى من الجوابِ بالذى أحيا الفتى
فقال : قُرّةُ العيونِ جُودُ ومِنْحَةٌ بمنحها المشْهُودُ

---

١ — ورد هذا الحديث بألفاظ عديدة منه قوله (ص) : « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » رواه أبو داود والترمذى . ومنه « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله » رواه عبد الله بن أحمد فى زوائده . ومنه « ان أشكر الناس لله تبارك وتعالى أشكرهم للناس » رواه أحمد . انظر الترغيب والترهيب ٧٨/٢ .

٢ — (مصطلمة) أى مستأصلة ، والاصطلام : الاستئصال والقطع .

سبحانه مِنْ الشهودِ فعلى ... زيادةِ العِرْفانِ منه مُنجلَى
قُرَّةُ عينٍ ههنا زائدةٌ ... قاعدةٌ تَعْقُبُها فائدةٌ
وقد عَلِمْتَ للنبيِّ شُهوداً ... فوقَ شُهودِ الخلقِ طُرّاً جُوداً
معرفةُ النبيِّ المشهودِ ... أعظمُ فالعِرْفانُ مع شُهودِ
قد يَقتضِي بى قرَّةِ العين لأن ... يكونَ فى قرَّتِه أعظمُ مَنْ
يَحُوزُها وإنما قلنا هنا ... قُرَّتُه مبانةٌ فى قولِنا
كذاك فى الصلاةِ بالشُّهودِ ... ورُؤْيةُ جلالةِ المشْهودِ
إذ هو فى كلامِه أشارَ ... لذاكَ فى الصلاةِ إشتهاراً
وبالصلاةِ لم يَقُلْ لأنَّه ... ليس بها تَقَرُّ قطُّ عينُه
قُرَّةَ عينِه غدتْ بربِّه ... لا بِشهوده ولا بقُرْبِهِ
وكيفَ لا وهو الذى يَدلُّنا ... بذلك المقامِ إذ يأمرُنا
بقوله : أعْبُدْهُ كأن تراهُ(١) ... ومن محالٍ أن ترى سِواه
حين تراهُ فالمعيَّةُ إنْتَفَتْ ... وقُرَّةُ العين له قد عُرِفتْ
وقال قائلٌ : فقد تكونُ ... قُرَّتُها بها فشيءُ هَوْنُ
ذاك الجوابُ والذى مشبِّه ... لأنّه بارزَه منّه
من فضلِ ربِّنا فكيفَ لا بِها ... يَفْرَحُ والفرحُ بها بربِّه
بها وكيفَ لا تكونُ قُرَّةً ... وكيفَ عينُ لم تكنْ مُقَرَّةً ؟
وقُلْ بفضلِ اللهِ وبرحمتِه ... فليفرحوا(٢) بذاك عينٌ ميِّتِه
فاعلمْ بأنَّ الآيةَ قد أومأتْ ... إلى الجوابِ للذى قد مَنَحَتْ

---

١ — فى الاصل « كان يراه » وهذا اشارة الى قوله — صلى الله عليه وسلم — « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك » .
٢ — وفى الاصل (فليفرجو) .

مسامعُ الخطابِ للجوابِ مستمعةٌ منه(١) بالصوابِ
يقولُ ربّنا . بذا فليفرحوا(٢) ولم يَقُلْ من ذا ليكُنْ ذا الفرحُ
فقُلْ لهم : يا أحمد ليفرَحوا بالفضلِ والإحسانِ ما يَنْفتحُ
فَرْحُكَ بى وفرَحُهم بفضلِى جاءَ على حُكْمِ الصوابِ قولى
وذَرْ فى الخوْضِ يَلعبُونَ (٣) ثمّ قلْ اللهُ تكُنْ حَصُونا
عن غيرِنا ذا مشربٌ مَنيفُ مَنْصِبَةٌ شاهدَها شَريف

المكتوب الثالث : فى ورود المنن على الناس

وُالفرَحُ بالمِنَّةِ من حيثُ أتتْ وإنّه المهدىّ متى ما نزَلتْ
والفرحُ بالمِنَّةِ والمتعةِ لا من حيثُ كونُه لها مُنَزَّلَه
والفرحُ باللهِ تعالى ما إشْتَغلْ صاحِبُها عن غيرِه ولا ذَهَلْ
عن غيرِه فى ظاهرِ المنّةِ والْ قلبُ له برؤْيةِ الحقِّ إشتَغل
عليه صادقٌ قُلْ اللهَ وذَرْ وصادقٌ على مَقامِ مَنْ نَظرْ
فيها جمالَهُ كلامَ البارى بفضله فليَفْرَحوا يا دارى
على الذى بمِنَّه يَفْرَحُ قد يَصْدُقُ فى نفى سَدادٍ ورَشَد
حتى إذا فَرِحوا بما هُمُ أوتُوه بَغتةً أخذنا ما هُمُ
ومَنْ غدا فَرَحُه مولاهُ مُشْتغلاً باللهِ عن سِواهُ
مُنْجَمِعٌ عليه إذ لا يشهدُ إلاّهُ والرجى لذاك عاضِدُ
فقال : ياداودُ نَبّىءْ مَنْ صدَق من كلّ صدّيق بغيرى ما عَلِقْ
فليفرَحوا بى وكذا بذِكْرِى فلْيَتنعّمُوا فذاك شُكْرِى
نَسألُه لنا ولك الفرَحَ به مع الرضا منه وخيرِ مُنْتبِهِ
يَجعلُنا باللهِ عارفينَ ولا نكونُ عنه غافلينَ
وأن يكونَ سالكاً بنا مسا للكَ العبادِ المتّقين فعسى
بمِنَّهِ نفوزُ بعدَ كرمِهْ ومَنُّهُ يجعلُنا مِنْ خَدَمِهْ

---

١ — أى فيه فتحت .
٢ — اشارة الى قوله تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وهو خير مما يجمعون) يونس ، ٥٨ .
٣ — اشارة الى قوله تعالى (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) الزخرف ، ٨٣ والمعارج ، ٤٢ .

وهذا نظم لمناجاة صاحب الحـــكم :

المناجاة الأولى

أنا الفقيرُ يا إلهى فى الغنى ... منّى فكيفَ لا أكونُ ههنا
فى الفقرِ منّى فاقداً فقيراً ... ولم أكنْ شيئاً غداً مذكُوراً
ثمّ أنا الجاهـــلُ يا إلهى ... فى العلمِ منّى فاقداً إنتباهى
فكيفَ لا أكونُ ذا جَهُولاً ... فى الجهلِ منّى إنها تَعْدِيلا
فيك إلهى إنّ إختـــلافاً ... علىّ مِنْ تدبيرِكَ الملافا
وسِرْعةُ الحاولِ من تقديرِ ... أى المقاديرِ على الفقير(١)
هُما اللذانِ منعا عبـــادِكَ ... العارفينَ الأتْقِيا عُبَّـــادَكَ
عن السكونِ للعطا واليأس ... منك لدى البلاءِ فهو منسىَ
منّى إلهى ما يليقُ بى مِنْ ... هونى ولُؤْمى وذُنُوب تُمْحَنْ
ومنك ما يليقُ بالإكرامِ ... والفضلِ والإحسانِ والإنعامِ
أنت الذى وَصَفْتَ يا إلهى ... نفسَكَ بالرأفةِ بى إلهى
نَفْسَكَ قد وَصَفْتَها بلُطْفِ ... قبل وجُودِ زللى وضَعْفِى

---

١ — فى الاصل « على الفتير » .

إنْ ظهرَتْ محاسِنى إلهى فهى بِفَضْلِكَ الذى أُباهِى
ثمّ لكَ المِنَّةُ فى إيرادِها علىَّ بالرأفةِ فى إيجادِها
أوالمساوِى ظهرَتْ لِعَبْدِكَ فإنها ظاهرةٌ بِعَدْلِكَ
ثمّ لكَ الحُجَّةُ فيهنّ على
خَلْقِكَ سبحانَكَ يا مَنْ عَدَلَ

كيفَ إلهى للسِّوَى تَكِلُنِى ؟ وقد توكّلْتَ لنا فكِلْنِى
إليكَ أمْ كيفَ أضامُ ربّى ؟ وإنّكَ النصيرُ لى وحَسبى
أمْ كيفَ لى الخيبةُ أمْ أخيبُ ؟ وإنّكَ الحَفِىّ بى القريبُ
ها أنا مَنْ إليك قد تَوَسَّلَ بالفقرِ والفاقةِ منّى ذُلُلاً
وكيفَ لى توسُّلٌ إليك بما محالُ وصْلُهُ إليك
أمْ كيفَ أشكو سيّدى إليك فى حالٍ عليك حالُه غيرُ خَفِى
أمْ كيفَ فى مقالِى أترْجِمُ لسيّدى بما العَلِيمُ يَعْلَمُ
وهو الذى منك إليك قد بَرَزَ إليه كُنْهُ العبدِ مولاى إعْتَوَزْ
أمْ كيفَ آمالى تخيبُ وهى قدْ أتَتْ إليك وافداتٌ يا صَمَدْ
أمْ كيفَ لا تَحْسُنُ أحوالى ، وبِكْ
قامَتْ كذا إليكَ والمصيرُ لَكْ

ومع عظيمِ جهلى ما ألْطَفَكَ بى يا الهى ، وبى ما أرْأفَكْ
ومع قَبِيحِ فِعْلِى ما أرحَمَكْ بى يا الهى وبه ما أكْرَمَكْ
ما أقرَبَ الرقيبَ منى من حفى وعنك ما أبْعَدَنى ذا ما خَفِى
فما الذى يحْجُبُنى عنك ، وبى ما أرْأفَكْ . فذا أثارَ طَرَبى
إلهى قد عَلِمْتُ اختِلافَ وكثرةِ الآثارِ والتصْرافِ

وكونُ أطوارِ تَنَقَّلَتْ الىَ ... واردَةٍ نازلةٍ منك علىّ
أنّك قد أردْتَ أن تَعَرَّفَ ... الىّ فى الأشياءِ كلاًّ فكفى
بذاكَ حتى لا أكونَ جاهلَكْ ... فى كلّ شىءٍ وبهِ أواصلُكْ
وكلّما أخْرَسَنى إلهى ... لَوْمى وكَونى راكبَ المَنَاهى
أنْطَقَنى منك نعيمٌ وكَرَم ... يا مَنْ هو اللطيفُ بى على النّعم
وكلّما أيأسَنى أوْصافى ... أطْمَعَنى(١) مِنَّتُكَ الكوافى
إلهنا منْ أصْبحَتْ محاسنُ ... فِعالِهِ يَظُنُّها كوائنُ
فإنقَلَبَتْ مِن بَعدها مَساوى ... فكيفَ لا يَنقلِبُ المَساوى
مُساوياً ، ومَن غدَتْ دعاوياً ... حقائقُهُ ، فكان شيئاً فانياً
فكيفَ لا تَرى له الدّعاوى ... لهُ الدّعاوىَ فهى المَساوى
وحُكْمُكَ النافذُ والمشيئةُ ... منك هى القاهرةُ القويّةُ
لم يَتْرِكا لذى مَقالٍ قالاً ... ولا لذى حالٍ كذاك حالاً
كم طاعةٍ بنيتُها فى نَظَرى ... وحالةٍ شَيَّدتُها فى خَبَرى
قد هَدَمَ إعتمادى(٢) عليها ... عَدْلُكَ إن قابَلَتْنى لَدَيها
بل فضلُكَ العظيمُ قد أقالَنى ... منها إلى مَحْضِ النّدا أحالنى
إنّك عالمٌ إلهى إنّنى ... إنْ لم تَدُم لى طاعةٌ لكنّنى

---

١ — فى الاصل « أطعمنى مننك » .

٢ — فى الاصل « اعتمادها عليها » .

دامتْ مُحبّتى لها وعزمى ... وإن فنى فعلى لها وجزمى
إلهنا وكيفَ كنت عازماً ... لطاعةٍ وكيفَ كنت جازماً
وأنت يا ربَّ العبادِ قاهرٌ ؟ ... وكيفَ لا أعزِم وأنتَ الآمِرُ
تَرَدُّدِى إلهى فى الآثارِ ... يوجب لى البُعْدَ مِن المزارِ
فإجمَع عليكَ همّتى بخدمَةٍ ... تُوصلُنى إليكمُ برَحمَةٍ
وكيفَ يُستدَلُّ بالذى هوَ ... فى نفسِه مفتقرٌ كما هُوَ
إليكَ يا إلهنا ، أمُمكِنٌ؟ ... كون سواك للإلَه معايِنٌ
أكان للسّوى مِن الظهُورِ ... ما ليس لله فيا غفُورِى
أيُظْهِرُ(١) المعدُومُ مَوْجوداً أبد ... أكان مِظهراً لواحدٍ أحَد
أكنتَ محتاجاً إلى دَليلِ ؟ ... لا ، فمَتى غِبْتَ عن العُقولِ ؟
بل أنتَ ظاهرٌ كذا ومِظْهِرُ ... لكلِّ مَظْهَرٍ ولا تَفْتَقِرُ
فمُستَدَلٌّ بالسِوى محجوبٌ ... عنك به فَقدانهُ المطاوب
متى إلهى قد يَفُوتُ حتى ... تُوصِلُ آثارٌ إليك سمتا
إلهنا قد عَمِيَتْ عينُ غَدَتْ ... ليستْ تراكَ عندها فرَقَدَتْ
إذ لا تراكَ عِندها رَقيباً ... وحقَّ ذا العَمى لها نصيباً
وخَسِرَتْ صفقةُ عبدٍ لم تكنْ ... منك بقُرْبٍ أفْلَحَتْ ولم تَمُن
ولم تكنْ أنت لـه حبيباً ... ولم تَفُز بربّها نصيباً
أنت الذى أمرتَ بالآثارِ ... أعنى الرجُوعَ واسعَ الأنوارِ
إلهنا لحكمه إفتقارٌ ... منّا إلى الذلّة واضطرارْ
يا ربِّ فارْجِعْنى إليك فيها ... بكسوَةِ الأنوارِ يا كافيها

---

١ — فى الاصل « كل يظهر المعدوم » .

ونائلاً هدايةَ استبصارِ أعرفَ منك حكمةَ الآثارِ
يا ربِّ وارجعني إليك منها مَصُونُ سِرِّي إصْرِفَنَّ عنها
عن نَظَرِي الإقبالِ والإدبارِ منّي إليها سائرَ الأطْوارِ
مَرْفُوعُ هِمَّةٍ عن اعتماد مبنّي عليها وكذا استنادي
كما اليكَ قد دَخَلْتُ منها أكونُ راجعاً اليك عنها
إنّي اليك أبداً فقيرٌ انّك في الأشياءِ بي قديرُ

المناجاة الثانية

بينَ يَدَيكَ يا الهي ظاهِرٌ ذُلّي ، وذا حالي وهو حاضِر
عليك لا يَخْفَى فَمِنْكَ أطلبُ اليك أن أوْصَلَ حين أرْغَبُ
ثمَّ غَدَوْتُ أستدلُّ ههنا عليك بالرأفةِ منك فاهدِنا
بِنُورِك التَّتِيم إليك وأقِمْ عَبْدَكَ بالصدقِ عبودةً تَتِم
بين يديك ثمّ علّمْني مِنْ علمك يا إلهنا علمَ خَزَنْ
وصُنْ بسرِّ إسمِيك المَصُونِ وَهَبْ بِفَيْضِ علمك المخْزُونِ
يا ربِّ حقّقْني إلهي بحقا ئِقِ الذين اقْتَرَبُوا تَحَقّقاً
يا ربِّ وأسْلُكْ بي سُلوكَ الجَذْبِ
وأهْلِهِ من كان أهلَ قُربِ
إلهي أغْنِني بِتَدبيرِكَ عن
تَدبيرِ نَفْسِي شاهِدَ الأمرِ الحسَن
وأغْنِني عن إخْتِيارِي بإختيا رِكَ الجميلِ ، مُصلِحاً لي حالِيا
على مراكزِ اضطرارِ قِفْني مِن ذُلِّ نفسي سيّدي أجِرني
يا ربّي طَهِّرْني مِن الشكُوكِ ومِنْ وُجودِ الشِرْكِ والهَلُوكِ

قَبْلَ حلولِ الرمسِ ، أستنصرُ بك

على جميعِ ما نعى عن قُربِكْ

ثمّ عليك جئتُ أتوكّلُ وبالجنابِ الحقِّ أتوسّلُ

مُنتسباً لـه فلا تكلنى ولا تُبعّدنى ولا تُخيّبنى

يا ربّ جئتُ راغباً فى فضلكَ وصرتُ مُستعيذَ قهرِ عدلكَ

فحيثما أرغبُ لا تُحرمنى بالبابِ واقفٌ فلا تطردُنى

ولا تُخيّبنى إذا سألتُ إياكَ لا غيرَكَ مَن جعلتُ

أرجوهُ يا إلهنا المقدّسَ الرضا عنكَ لقد تقدّسَ

مِن أنْ تكونَ منك عِلّةٌ لهُ فكيف ذا يكونُ عِلّةً لهُ

منّى ، وأنتَ فى غِنى بذاتِكَ عن وَصْلِ نَفْعٍ لك مع صفاتِكَ

منك إليكَ لغناكَ المُطْلقِ عن كلّ قيدٍ للجنابِ طارقِ

فكيفَ لا تكونُ عنّى ذا غِنا وأنت لا يَخفَى عليك نَقْصُنا

إنّ القضا غلّبنى والقدرُ فلم أرَ الوَصْفَ الحسن مُيسّراً

وثائقُ التهمّةِ أسرتنى إن لم تُجِرْنى عنك فصّلتنى

فأنت كُن لى سنَداً نصيراً حتّى تكونَ ناصراً مُجيراً

تنصرُ لا كما الذى يَنْصُرُنى مِنْ صاحبٍ ومُنْتمٍ يحضُرُنى

وأغْنِنى مِنكَ بجُودٍ حتّى أستغنيينّ بكَ ربِّى أنتَ

عَن طَلبى أنتَ الذى قد أشرقتَ على قُلوبِ أوليائِكَ إرتقت

شوارقَ الأنوارِ لمّا أنتَ يا مَن قد أزالَ كلّ غيرٍ لويا

كففتَهُ عن قلبِ أصحابك فى(١) ما نظرُوا إليك لا لصارفِ

---

١ ــ فى الاصل « اصاحبك فى » .

وإنمـا أنت لهم لمؤنسُ ... من حيثما أوحشتهم مؤانسُ
عوالمِ الوجـودِ ثمّ أنت منَ ... هديتهمْ حتّى إستبانت من(٢)
بينهم حقائقُ العـوالمِ ... فأدركوا فيكَ جميعَ العالمِ
يا ربِّ ما ذا واجدٌ منْ فقدكَ ... وما الذى يفقدهُ منْ وجدكَ
قد خابَ منَ رضيَ دونكَ بدلاً ... وخاسرٌ عنك الذى تحـوّلَ
كيفَ إلهنا سـواكَ يُرْجَى ... وأنت حيثُ بالنعيمِ تُرْجَى
وما قطعتَ سيّدى إحسانكَ ... يا منَ أمدَّ للورى إمتنانكَ
وكيفَ يطلبُ إمرؤ من غيرِكَ ... وأنت ما بدّلتَ جودَ خيرِكَ
رعادةَ إمتنـانكَ الحقيقى ... يا منْ أذاقَ طعمةَ الرحيقِ
أصحابه مؤانسـاتِ قربِهِ ... فوقفُـوا بينَ يديه فبِهِ
تعلّقُـوا بوقفةِ العبيـدِ ... بينَ يدى ذا الملكِ المجيدِ
ويا إلهاً ألبسَ العبيـدَ ... وأولياءهُ الكرامَ جودًا
ملابسَ الهيبةِ فإستقامُوا ... بينَ يديه بالجلالِ هامُوا
قد إستعزّوا بجـلالِ عزّتِهِ ... فأعرضُوا نذالكَ عن خليقتِهِ
يا ذاكراً منْ قبلِ ذاكريهِ ... يا مفضلَ النعماءِ شاكريهِ
وأنتَ منْ بدأتَ بالإحسانِ ... للمتعبّدينَ بإمتنـانِ
قبلَ توجّهاتهم لربّهم ... وأنت يا جوّادُ حسب إربِهم
فبالعطايا جُدْتَ من قبلِ طلبْ ... وبالهباتِ قبلَ طلبٍ وهبْ
إنكَ وهّابٌ لمـا وهبتنا ... من الذين إستقرضُوا إلهنا
برحمةٍ منك إلهى أطلبُنى ... حتّى أكونَ واصلاً ومُدنى

---

١ — فى الاصل « حتى استبانت لمن » .

إليك وأجذبني إليك ربّي ... حتى أكونَ مُقبلاً بقلبي
عليك يا ربّي و يا مولائي ... عنْ غيرِكَ منقطعُ رجائي
وإن عصيتُ مثلَ ما خوّفني لا ... عند إمتثالي ليس لي مزائلاً
قد دفعتني سائرُ العوالم ... إليكَ يا منْ بضميرٍ عالم
والعلمُ منّي بكرم الله لقد ... أوقفني عليك يا مولى صمد
كيفَ أخيبُ وغدوتَ أملي ... أمْ أستهانُ ثمّةَ ممّا زللي
ولي توكّلٌ عليك ربّي ؟ ... ولكيفَ أستعيزُ فوقَ تربي
وأنت في الذلّةِ قد أركزتني ؟ ... وكيفَ لا وأنتَ منْ أعززتني
من بعدِ ما إليك قد نسبتني ... خلقتني(١) رزقتني هديتني
الهنا وكيفَ لستُ أعتني ... مفتقراً بالفقرِ إذ أقمتني
أم كيفَ كنتُ لإفتقارٍ يُعتني ... وأنت بالجودِ لقد أغنيتني
أنت كريمٌ لا إله غيرُكَ ... مقصودُنا أنت وعمّ خيرُك
لقد تعرّفتَ لكلّ شيءٍ ... ثمّ تعرّفتَ بكلّ شيءٍ
إليّ فهو أبداً ما جهلتكَ ... وكلُّ شيءٍ أنتَ فيه منْ ملكَ
وإنّك الظاهرُ في الكلّ نعمْ ... وأنت ظاهرٌ له يا ذا المنعمْ
يا منْ له إستواءُ رحمانيّتِهِ ... على عظيمِ عرشِ سلطانيّتِهِ
وتلكَ رحمانيّةُ صارتْ لهُ ... أي عرشُهُ مخفيّةٌ لما لهُ
فصارَ عرشُ اللهِ غيباً فيها ... كما غدتْ غيباً لمستفتيها
عوالمُ الكونِ لعرشهِ العلي ... فهنّ فيهِ أصبحتْ غيباً جلي
محقتَ يا إلهي الآثارَ ... ثمّ محوتَ بعدها الأغيارَ

---

١ — في الاصل « خلقتني ورزقتني هديتني » .

ذا بِمُحِيطَاتٍ مِنْ الأنوارِ ذلِكَ أفْلاكٌ لها طوارى
يا مَنْ غدا على سُرادِقَاتِ مِنْ عِزِّهِ مُحْتَجِباً بذاتِ
عن أنْ تكونَ مُدْرِكاً أبْصَارُ لِوَجْهِهِ فى دارِنا ما الدارُ
يا مَنْ تَجلَّى فى كمالٍ مالَهُ مِنْ الْبهَا وما غدا جَلالَهُ
كذا جَمالُهُ لذا تَحَقَّقَتْ شَمْسُوسُ أسرارٍ له فأشْرَقَتْ
فشاهدتْ جَلالَ عَظَمَتِهِ فأكْسَبَتها عِظم سَلْطَنَتِهِ
يا ربِّ كيفَ أنت ذا لِتُخْفى وإنّك الظاهرُ جَلَّ وَصْفاً
أمْ كيفَ يا مَنْ لا يغيبُ أبداً تَغِيبُ يا رَقِيبُ حاضرٌ بَدا
فأنتَ ظاهرٌ فلا تَغِيبَ وأنت حاضرٌ كذا رَقِيبُ
وربّى الموفِقُ المعِينُ بِهِ على المرَامِ أسْتَعِينُ
قد إنْتَهى كلامُ صاحبِ الحِكَمْ على إسْتِعَانَةٍ لَهُ جَفَّ القَلَمْ

* ● *

خاتمـــــة

مُرادُنا بِنَظْمِها تَيْسِيرُ ... مِنْ الكَلامِ ما هو العَسِيرُ
وربَّما ضَمَمْتُ للتَّمْيِم ... تِبْيانَ شارحٍ لها عَلِيمِ
أحمدَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عيسى (١) ... من فاسِ مَغْرِبٍ بها رَئِيسا
أعْجُوبَةِ الزمانِ فى المعانى ... مُشَعْشِعُ الفؤادِ فى العِرفانِ
قد شَرِبَ الصَّافِيَ مِنْ بَحْرَيْنِ ... برزخَ كَشْفٍ مَجْمَعِ البَحْرَيْنْ
وارثُ علمِ الشاذلىّ حَقًّا ... آخِذُ أعلامِ الكمالِ صِدْقًا
غَوَّاصُ بحرِ الكشفِ والأسرارِ ... طلعةُ شمسٍ فَاتَ السَّيَّارِ
بَهجةُ بدرٍ قُرَّةُ العُيُونِ ... مَسَرَّةُ المكروبِ والمَحْزُونِ
فى كلِّ وَصْفٍ وَصْفُنَا قَصِيرُ ... مِنْ الرضا يَحُفُّهُ الشُّكُورُ
جَازاهُ عن ذا الشَّرْحِ ما يرضيه ... حتّى إلى أحْبَابِهِ يؤُوبُ
والشارحُ المُحَقِّقُ الهُمَامُ ... تأريخ ما مَضَتْ لـه أيّامُ

---

١ — هو الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنوس الفاسى المعروف بزروق ، كان عالمـا وزاهدا ولد فى فاس عام ٨٤٠ ومات أبوه قبل تمامه اسبوعا فنشأ يتيما ، حفظ القرآن وتعلم المبادىء فى فاس ، ثم كانت حبانه بعد ذلك دراسة وسياحة وتجريدا ، دخل مصر وبقى فيها مدة ، ثم توجه الى طرابلس ، أخذالتصوف عن ائمـة عصره ومنهم النورى ، وأخـذ الحديث عن أبى الخـير محمد بن عبد الرحمن السخاوى ، فبرز فى مبادىء العلوم وألف عدة كتب منها :

١ — تفسير للقرآن الكريم .
٢ — شرح صحيح البخارى . وهو مطبوع الى الجزء السادس .
٣ — شرح متن القرطبية .
٤ — شرح رسالة أبى زيد القيروانى .
٥ — شرح حزب البحر للامام الشاذلى .
٦ — شرح دلائل الخيرات .
٧ — ألف كتاب قواعد الصوفية .
٨ — كتب ستة وثلاثين شرحا على الحكم العطائية .

وتوفى سنة ٨٩٩ هـ ودفن بمطرطة بطرابلس .
ترجمته فى الضوء اللامع ٢٢٢/١ ، وفى جمهرة الأولياء ٢٦٥/٢ . وكذلك ترجم له المناوى فى طبقات الصوفية ، وفى مقدمة ما طبع من شروحه على الحكم .

ثمانمائة وستين كذا ... سنة(١) من عام ما نفذا
أجازه في حكم مرشده ... في ذاك شمس الدين ذا معضده(٢)
هو السخاوي(٣) بدار القاهرة ... أخبره عن شيخة مجاهره
ببيته المقدس الإمام ... ذاك أبو زيد(٤) هو الهمام
هو ابن عمر عن شيخه التقي(٥) ... في كتب الشيخ هو السبكي
أبو الحسن علي الموافي ... شيخ الشيوخ ابن عبد الكافي
عن المؤلف الجيز فيما ... ألفه محققاً عليما
لطائف المنن والتنوير ... تاج العروس علمه خطير
وبعده مفتاح الفلاح بعده ... قول مجرد وذاك بعده

تتمة الخاتمة

وعدد شروح ذا التحرير ... لدى الكتاب أن تروا تقرير
قد كملت عليه سبعة عشر ... منقولنا هذا الأخير فاشتهر(٦)
تأليفه أصبح بالقاهرة ... كذا بها ما قبله فالتفت

---

١ — في الاصل « وستة من عام ما نفذا » .

٢ — وذكر في مقدمة شرحه على الحكم : انه اخبره بجملة من كتب ابن عطاء الله السكندي ، واجازه شفاها الشيخ شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي المحدث بالقاهرة سنة ٨٧٠ هـ قال : اخبرنا بها اجازة في بيت المقدس الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القباني ، باجازة من شيخه شيخ الاسلام التقي أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي عن مؤلفها الشيخ تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري .

وبقول : وجملة ما رأينا منها (أي مؤلفات ابن عطاء الله) خمسة : التنوير ، لطائف المنن ، تاج العروس ، مفتاح الفلاح ، القول المجرد في الاسم المفرد .

٣ — هو شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

٤ — هو أبو زيد عبد الرحمن بن عمر القباني .

٥ — هو التقي أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي .

٦ — لعل الشيخ وصله الى الشرح السابع عشر ، والا فان شروح الشيخ أحمد الفاسي المعروف بزروق على الحكم اكثر من ثلاثين ، قال الشيخ محمد ابن فضل المنوفي في كتابه جمهرة الاولياء ج ٢ ص ٢٦٥ : ان الشيخ زروق كتب =

وفى بَجَايَةَ خامسُ عَشْرِ أتى ... ورابعُ العَشْرِ بفاس ثَبَتْ
كذابِها العاشرُ والحادى عَشَرْ ... وما يليه عدداً داك ظَهَرْ
وتاسع الشُروح فى بَجَايَةِ ... وثامن بتُونُسَ العِنَايَةِ
وجاء فى طَرَابِلُس(١) سابعُها ... وجاء فى قاهرة سَادِسُها
وخامس بطيبةَ الرسولِ ... صلىّ عليه اللهَ بالتبْجِيلِ
وجاء فى قاهرة رابعُها ... ثالثُها بتُونَسَ واضِعُها
وجاءَ نِصْفُ الثانى فى فَاس وفى ... تُونُسَ تمّ بفاس التعرف
أوّلُها أتىَ ولكن سُرِقَ ... تلك شُرُوحُ شارح تَحَتَّمَا
جَمِيعُها مُوضُوعَة على الحِكَمْ ... أجْرى عليه اللهُ أبْحُرَ الكَرَمْ

خاتمة التتمة

ودُونَ هذا الشيخ قد عَلِمْنَا ... من الشُيُوخِ شارحيهِ مَعْنى
لِستَّة قد بلغُوا أوّلُهُمْ ... بحرُ الكمالِ أنّه أفْضَالُهُمْ
العارفُ المحقِقُ الخطيت ... هو إبنُ عبدُ الله(٢) ، والأريبُ
مُحَمَّد هو إبنُ إبراهيمَ إبْـ ... ـن مالك لإبراهيمَ قَدْ نُسِبْ

=

ستة وثلاثين شرحا على الحكم .وطبع الشرح السادس عشر والسابع عشر من تلك الشروح ، وكتب مقدمتها المرحوم الشيخ عبد الحليم محمود شيخ جامعه الازهر سابقا . وقد عدد الشيخ أحمد الفاسى عدد شروحه على الحكم فى مقدمة شرحه السابع عشر وبين مكان وتأريخ التأليف كما نظمه الشيخ نور الدين — رضى الله عنه — .

١ — فى الاصل « طرابلس » .
٢ — الصواب هو أبو عبد الله .

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن مالك بن ابراهيم بن يحيى ابن عباد النفرى (نسبة الى نفرة وهى قبيلة افريقية) المالكى ، ولد فى « رندة » سنة ٧٣٣ هـ وبها نشأ وحفظ القرآن ، ثم وصل لفاس وتلمسان فقرأ بها الفقه والاصول والعربية ، ثم عاد فصحب أفضل أهل زمانه ، وهو الشيخ

=

ولادة ابن محمد بن ما ... لك بن إبراهيم ابن من نما
يحيى بن عباد إمام نفرى ... المالكى مذهباً معتبرى
قد أكمل الكتاب بالحجاب ... قد بين النص من الكتاب(٢)
وآثر النقل على اختراع ... لم يأت مثل ذا الإمام الساعى
وكان ذا سمت وزهد وتقى ... كذا تجمل وصمت ونقى
كذا عفاف وصيانة أتى ... قد حفظ القرآن فيما ثبتا
من السنين سبعة مولده ... برندة المغرب ذا مهده (٤)
لسبعمائة وثلاث وثلا ... ثين من الهجرة ثم ارتحل
ليتلمسان وكذا فاس قصد ... علم الأصول ثم فقه وجهد(١)
والعربية وكذا الإرشاد ... مختصرى إمامنا الأستاد
أعنى ابن حاجب وتسهيل ابن ما ... لك كذاك فيه العلما
ومن شيوخه هو الإيلى ... كذا الشريف العارف الجيلى
هو الإمام التلمسانى كذا ... عند المحامى لقد تلمذا
وآخرين ، والوفات فى رجب ... لسبعمائة وتسعين ذهب
عقيبها خمس بفاس دفن ... نواره كالشمس نوراً علنا

* ● *

= محمد بن أحمد عاشر بمدينة « سلا » وبقى هناك الى أن توفى الشيخ سنة ٧٧٧ هـ فانتقل الى مدينة فاس وبقى بها خمس عشرة سنة خطيبا بجامع القرويين ، وتوفى يوم الجمعة ٤ رجب سنة ٧٩٥ وقيل سنة ٧٩٢ هـ .

وهو أول من شرح الحكم العطائية وكان شرحه بناء على طلب الشيخ أبى ذكريا السراج . وطبع هذا الشرح بمطبعة دار احياء الكتب العربية عيسى البابى .

ترجمته فى جمهرة الاولياء ٢٥٧/٢ ، وفى كشف الظنون ٦٧٥/١ ، وفى قرة العين الذى هو الشرح السادس عشر للشيخ زروق ٤٠/١ — ٤٢

١ — هذا الشطر من البيت بالحساب الأبجدى يساوى (٧٨١) وهذا ربما تأريخ نالفه لشرح الحكم .

٢ — فى الاصل « برندة المغرب ذا معهده » .

٤ — فى الاصل « ثم مفقها وجهد » .

تنبيـــه

ورامَهُ(١) الرماح بالشرحِ وهو عدلُ طرابلسَ(٢) لا يُشْتَبَهُ
ذا بأبى القاسمِ مَنْ يَلَقَّبُ له برأسِ كُلِّهِنَّ خُطَبُ(٣)
ورامَهُ كذا أبُو المواهبِ(٤) مُحَمَّدُ بنُ زَغْدانَ المغربى
وتونسىُّ الأصلِ حَلَّ مِصْراً مُحَسَّنُ الأخلاقِ جَلَّ أمْراً
فى كلِ غربٍ يَوْمَهُ ليس أحَدْ يَفْهَمُ علمَ القومِ مِثْلَ ماوَجَدْ
أنى بَشَرْحِهِ من الفَلاَسِفَه ولمْ يُكَمِّلْهُ لِرُبْعٍ صَنَّفَهْ

---

١ — كان فى الاصل « ورامه المداح » وهو خطأ من الناسخ والله أعلم .

٢ — فى الاصل « طربليس » والصواب ما أثبتناه .

٣ — وعلق الشيخ أحمد زروق على شرح أبى القاسم الرماح فى كتابه قرة العين ٤٢/١ بقوله : وغاية كتابه أنه وضع لكل حكمة خطبة ، وأدخل فيها بعض كلام ابن عباد وكثيرا من كلام ابن فارض على غير مناسبة ولا مطابقة .

٤ — الشيخ صفى الدين محمد أبو المواهب التونسى المعروف بابن زغدان ، يقول عنه الشعرانى : كان من الظرفاء الأجلاء والعلماء الراسخين ، أعطى ناطقة سيد على أبى الوفاء ، وعمل الموشحات وألف الكتب الفائقة ، وكان مقيما بالقرب من جامع الازهر ، وكان أولاد أبى الوفا لا يقيمون له وزنا ، وكان هو معهم فى غاية الأدب ... وامسكوه مرة وهو داخل بزور السادات فضربوه حتى أدموا رأسه ، وهو يتبسم ويقول : أنتم أسيادى وأنا عبدكم ، ألف كتاب القانون فى التصوف ، وشرح الحكم ، وقد فصل الشعرانى فى ترجمته كثيرا ، وعلق الشيخ زروق على شرحه للحكم ، فقال : وله لسان عظيم فى كلام القوم ، غير أنه لم يكمل كتابه ، ونحى فيه نحو دقائق الفلسفة وشقائق العبارات ، ولا أدرى ما قصده بذلك . توفى بالقاهرة سنة ٨٨٢ .

ترجمته ، فى طبقات الشعرانى ٦٠/٢ — ٧٣ ، جامع كرامات الاولياء ٢٨٣/١ ، قرة العين ٤٢/١ — ٤٣ .

ورامَهُ الفَراوَضِيُّ(١) لـكن لم يُكْمِلْ الكتابَ ثُمَّ أُمْتُحِنْ
ومات مَرْضُوضاً عياذاً بالله عـامَ ثمانيمائةٍ تَقَفَّاهُ
إثنانِ وكذا ثَلاثُونَ وقَدْ كَمَالَهُ مِنْ الدَعَاوى ما قَصَدْ
مِن رُؤْيَةِ النبيِّ فى نَظِيرِها لذا إبْتَلاهُ اللهُ فى تَخْبِيرِها
ورامَهُ بالشَرْحِ من شامٍ فَتَى ذاك إبنُ صَابُونىّ(٢) الملتفتا
بقولِهِ ومالَ فى الـكلامِ ذاك هُنَا ليس مِنْ المَرَامِ
جَزاهُمْ اللهُ جزاءً كافيـا من المداناةِ سَقَاهُمْ شَافِياً

* ● *

---

١ — لم أعثر له على ترجمة لكنه حسبما ذكره الشيخ يكون تأريخ وفاة الفراوضى سنة ٨٣٢ هـ .

٢ — لم أعثر لابن الصابونى على ترجمة لكن الشيخ زروق فى قرة العين ١٣٤ قال : وأخبرت أن رجلا يقال له ابن الصابونى شامى الدار كتب عليه ، نحى به نحو علم الكلام أو أصول الدين .

وقد شرحها عدد من العلماء غير الذين ذكرهم الشيخ :

١ — شرحها الشيخ عبد الرؤوف المناوى وسماه الدرر الجوهرية .
٢ — شرحها المدابغى ، وهو الشيخ حسن بن على الازهرى .
٣ — وشرحها الشيخ أبو الطيب ابراهيم بن محمود الاقصرانى .
٤ — وشرحها الشيخ محمد بن ابراهيم المعروف بابن الحنبلى .
٥ — وشرحها الشيخ أحمد بن محمد ابن عجيبة وسماه ايقاظ الهمم .
٦ — وشرحها الشيخ عبد الله بن حجازى الخلوتى الشرقاوى .
٧ — وشرحها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى الازهرى .
وغيرهم كثير ..

تعريف مؤلف الأصل

حَكِيمُ حِكَمٍ وتُرْجُمانُ أعْجُوبَةٌ أتى به الزمانُ
إمامُ دَهْرِه الهُمَامُ العارفُ مُحَقِّقُ العصرِ لَهُ مصارِفُ
قُلُوبِ كلِ عارفٍ وسالكِ قُدْوَةُ كلِّ سالكٍ وناسِكِ
ذلك تاجُ الدينِ والإسلامِ أحْمَدُ بنُ محمّدِ الهُمامِ(١)
عبدُ الكريمِ جَدُّهُ وبَعدَهُ عبدُ الرحمنِ صارَ بَعدُ جَدُّهُ
وبَعدَهُ قد كانَ عبدُ اللهِ هو إبنُ أحمَدَ مِنْ الأشباهِ
هو إبنُ عيسى بنُ الحسينِ بنِ عطا
ءِ اللهِ قِسطاسُ الطريقِ مُقسِطاً
هو الجذامى نَسَباً ومالِكى بِمَذْهَبِ أسكَندَرِىٌّ مَسلَكى
أى سَكَنَ وماتَ فى قاهِرَةِ فى سَبعِمائةٍ وتسعِ سَنَةِ
جمادى الآخرَ زادَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِ سبحانَهُ وجَلَّ
وشيخةُ قطبُ الإمامُ المرسّى ذاك أبو العباس (٢)ُ يا مُلتَمِس
وشيخُهُ هو الامامُ الشاذلى(٣) أبُو الحَسَنِ ذوُ الطريقِ الأكمَلِ
حَفَّهُمْ الرحمنُ بالإجلالِ أجَلَّهُمْ برحمةِ الإفضالِ
ولم يَزَلْ إليهِمْ التدلّى منه إليهِم ولَهُمْ تَرَقّى

مناجاة الشيخ نور الدين بعد تمام الكتاب

أسألُهُ سبحانَهُ أن يَجْمَعَ بِهِمْ فقيراً يومَ يَرفَعُ الدُعا

---

١ — سبق ترجمته فى ص ١١٤ .
٢ — سبق ترجمته فى ص ١٤٢ .
٣ — سبق ترجمته فى ص ٢٨٥ .

يَمْنَحُنى بِمَحْضِ رحمانيَّتِهِ مَهْبَطَ نظرٍ لمنّانيّتِهِ
فى عِزّهِ لازالتُ مُتبوِّءاً بعبءْ (١) العِرفانِ مُتَنَوِّءاً
أسْكَنَ فى بُحْبُوحةِ التقريبِ منجمعاً عليه بالتَحْبيبِ
تألِفُنى لله بركاتٌ وصلواتُ اللهِ وهِبَاتُ
وسائلُ الإمْدادِ والبَواعِثِ لازالَ مولاىَ علىَّ باعثُ
عن كُلِّ كُربَةٍ يمنُّ بالفَرَجِ يَسلكُ بى إلى مَعارِيجِ النَهَجِ
يُسامِحُ الذُنُوبَ والقَبائِحَ ويَستُرُ العُيُوبَ مِن تَسامُحِ
يَحُولُ بينى والمناهى بَرزَخا عَن كُلِّ شئْ لم أزَل مُنسَلِخاً
وفى مواهبِ الكريمِ أرقُدُ مُنفَرِداً هناكَ إذ لا أحَدُ
بربِّ نورِ فَلَقٍ أعُوذُ مُلْتَجِياً بِمالِكى ألُوذُ
بقهرِهِ على عِداىَ أقهَرُ فَمَنْ قَلاَ أو إعْتَدَى يَنْكَسِرُ
فى حِرزِهِ المَنيعِ أتَحَرَّزُ بِعِزِّهِ العَزيزِ أتعَزَّزُ
وكلُّ مَنْ عانَدَنى يَنْتَكِسُ وأمْرُهُ بين الأنامِ يُعْكَسُ
يارَبِّ هذا غايةُ التَعَطُّشِ فى حضرةِ القُدْسِ أبِنْ لى مَعْشَشِ
لشكرِكَ اللهمَّ لستُ أغمِصُ بِكَ العياذُ إذ يَغُصُّ الغَصَصُ
وأجْرِ لى مِيزابَ فَيْضٍ فائِضِ ونافِلاتِى أقْبِلْ كذا فَرائِضى
وإجْعَلْ فُؤادى بالنَعيمِ يَنْبَسِطُ
فكلُّ فردٍ لِمَقامى يَغْتَبِطُ
أعوذُ باللهِ مِنَ الغَليظِ فُؤادِ متكبِّرٍ فَظيظِ
بَوارِقُ شوارِقِ لَوامِعُ طوالِعُ العِرفانِ والهَوامِعُ

---

١ — فى الاصل « بعبأ العرفان » .

غاشيةٌ بالله وسَوابِغُ ... بها لنَشَاطَات لنا سوائغُ
فلا أكون شاهداً للأسف ... أنْجِحْ بالحَسَنَة أعلى الغُرَف
قَرِّبْ إلهى مَقْعَدِى مُحَقِّقاً ... مَهْبَطُ أنوارِ الجَلالِ مُطْلَقاً
كما يُجيرُنى مِنْ المَهالِكِ ... فآتنى ممالكَ المَمالِكِ
لأن أرى مَظاهِرَ الجَلالِ ... مُبَشِّراً بِخَلْقِهِ الجَمالِ
مِنْ غيرِ نُقْصانٍ ولا تَبَرُّمِ ... ولا إنقِطاعٍ لِخَفِيفِ النِعَمِ
نفسى مِن الإبعادِ ربِّ تَحَزَّنُ ... أينَ أنا المَعْدُومُ إذ أمتَحَنُ
هذا إفتِقارُ العبدِ للالهِ ... يَسألُهُ فَوائدَ انتباهِ
ولات حينَ يَأْسِهِ منك ولَو ... أقعَدَهُ الهَمُّ بِلَيْتَ وبِلَوْ
لا تَكِلْ المَلْهُوفَ للغيرِ ولا ... تُسَلِّمهُ للمنقذاتِ الأمَلا
يا مَنْ لَدَيهِ مأمَلِى ومَلْجَئى ... كذا مُرادِى وكذاك مَنْجَئى
الحمدُ لله الذى بالحُسْنى ... خَتَمَ لى وَسوْفَ لى بالأسنى
يَختِمُ بالإيمانِ والإسلام ... عند إنقِطاعِ العُمرِ والأيّامِ
فإغفِرْ لنورِ الدينِ ذا الأيْتُوتى ... وَالِدَيْهِ بإسْمِكَ اللاهُوتِ
من بَعْدِ ألْفٍ وثلاثين أتَتْ ... ومائتَيْنِ ثمّ تِسْعٍ قَدْ مَضَتْ
ألّفَ ذا الكتابَ يومَ إثْنَيْنِ ... عزَّةَ ذى الحِجَّةِ نورَ العَيْنِ
نَسْألُهُ اليُمْنَ وبركاتِهِ ... وقِسمَةَ الدُعا(١) بِعَرَفاتِهِ
يا ربِّ بالجِدِّ فكُنْ غَفُوراً ... وكُنْ لدا تأليفنا شَكُوراً
أنا الحسينىُّ البريفكى أصْلاً ... والقادِرِىّ والعجمىّ قَوْلاً(٢)

---

١ — يظهر من هذا ان الشيخ لم يكن قد حج فى الوقت الذى ألف هذا الكتاب وهو سنة ١٢٣٩ هـ كما لم يثبت انه حج بعد ذلك .

٢ — العجمى قولا : يعنى لغته الأصلية غير اللغة العربية حيث ان الشيخ — قدس سره — كان كرديا ، واجداده كانوا كذلك من الأكراد .

والشافعيّ مَذْهَبـاً ، أجدادي ... أقطابُ هـذا الدين بالإرشادِ
لكنّهم أكرادٌ في الجبالِ ... فإنقطَعُوا عن شُهرَةِ الرجالِ
وآثروا الخُمُولَ والتخلّي ... وإتّصَفُوا بحُلْيَةِ التسلّي
طَريقُهُمْ سُمّيَ بالخلواتِ ... وكُلُّهُمْ أقطابُ تكرمات
لو شَمّ ذو شَمّ لَهُمْ أجداثاً ... لإستَنشَقَ الذي غدا ميراثاً
مِنْ حالِهِم نَفحَةُ مِسكٍ عابق ... مَزارُهُمْ مزارُ كلّ عاشقِ
فأنعِشْ أولادَهُمْ بِنُورِهِمْ ... وطَهِّرِ القَريَةَ مِن طَهُورِهِمْ
وأسلُكْ بأولادِهِمْ مَسلَكَهُمْ ... وإجعَلْ لَهُمْ أئِمّةَ تَسلُكُهُمْ
وسَنَداً ومُرْشِداً يُرشِدُهُمْ ... بنورِ قلبِهِ لكي يَعضُدَهُمْ
وأنشُرْ بِهِ نَشائِرَ الأسحارِ ... على وُجُوهِ كلّ فردٍ ساري
وحَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ ... والحمدُ للهِ العظيمِ الجليل
حمداً كثيراً دائماً لا يَنفَدُ ... إلى إنقِضاءِ دَهرِنا يُجَدَّدُ
ثمّ الصلاةُ والسلامُ أبداً ... على نبيٍّ إسمُهُ محمّداً
وأفضلُ التسليمِ والتعظيمِ ... وأجزَلُ الإجلالِ مِن عَظِيمِ
مع التحيّاتِ على كلّ نبيّ ... وآلِهِم بَعدَ النبيّ العَرَبي
ثمّ الرضا على خَليفَةِ الهُدى ... أعني أبا بكر(١) إمامِ الشُهَدا
وبَعدَهُ الفارقُ للحقّ عُمَر ... ومَنْ بِهِ الدينُ الحَنيفيّ ظَهَرَ
ثمّ عن الهُمامِ ذي النُورَين ... عُثْمانَ ذي الوِقارِ في الدارَيْنِ
والمُرْتَضى سَيِّدِنا عليّ ... زَوْجِ البَتُولِ قَمَرِ جَلّي
والحَسَنَيْنِ ثمّ عن عَمَّيْهِما ... وبُضْعَةِ النبيّ أمّيهِما

---

١ — في الاصل « ابى بكر » .

وسائرِ الآلِ وأصحابِ النبيِّ وزَوجِهِ مُعَظَّماتِ الرُّتَبِ
وعن جميعِ الصَّحْبِ والأتْباعِ وكلِّ مَنْ قَفَّاهُ بإتْبـاع
ثمّ الإمامِ الشيخِ عبد القادرِ بَحْرِ العُلومِ ذى المقام الفاخرِ
وعن شُيُوخِ نَهْجِهِ القَويمِ ومَنْ على قِسْطَاسِ مُسْتَقيمِ
يارَبِّ كلِّ أدبٍ هُنَا خَتَمْ كما لنا المَنْطُوقُ ههنا إخْتَتَم
قد رَجَعَ الأوّلُ للاخرِ فى عَيْنِ ظُهُورِ كلِّ سرٍّ مختفى

مع إختصاص بالمُلْكِ(١) مع الشهادَةِ
والملكوتِ خـارقاً وعادةَ
والحمدُ للهِ هـو إخْتِتَامُ وهَهُنَا قَدْ خَتَمَ الـكَلَامُ

وزاد ناسخ الرسالة هذين البيتين

ربِّ بذا التأليفِ والمـكتوبِ فإغفر لهذا الكاتب المَعْيُوبِ
كاتِبُهُ الهَجْرِىُّ للأحبابِ بَحْرُ الذُنوبِ خَادِمُ الطَلَابِ

---

١ — فى الاصل « مع اخنص بالملك » .

مختارات من قصائد الشيخ نورالدين

ديوان شعر الشيخ نور الدين

ان الشيخ يعتبر من الشعراء المكثرين حيث ألف قصائد كثيرة باللغات الثلاث : الكردية ، والعربية ، والفارسية ، ولو جمعنا جميع أشعاره لكان ديوانا كبيرا جـدا .

غير أنى لم أجمـع بالترتيب الا أشـعاره المنظـومة باللغة العربية ، ولى الأمل فى أن يوفقنا الله لتأليف كتاب مستقل بحياة الشـيخ وأشعاره باللغة الكردية نجمع فيه جميع قصائده الكردية ، ويمكن ادراج القصائد الفارسية فيه وهى ليست كثيرة ، ومما يجدر بالاشارة أن قصائده باللغة الكردية كثيرة جدا ومهمة جدا من حيث المعنى والصياغة بحيث تستحق أن يخصص لها كتاب مستقل .

ديوان شعر الشيخ باللغة العربية :

لقد تمكنت من جمع قصائد الشيخ العربية ، حيث الموجـودة من القصائد العربية عندى يبلغ حوالى ست وسبعين قصيدة تشتمل على ألفين وستة وعشرين بيتا ، وهى على هذا التفصيل ٣٧ قصيدة منوعة تشتمل على ١٤٤٩ بيتا و ٣٠ قصيدة معشرات تشتمل على ٣٠٠ بيت و ٩ قصائد تخاميس تشتمل على ٢٧٦ بيتا .

ومن حيث المعنى والمغزى يشتمل الديوان على جميع فنون الشعر الصوفى فيه الحث على الزهد والقناعة والرضا بالقضاء والقدر وكذلك الحث على تحمل المشاق والصعاب فى سبيل الوصول الى المحبوب (الله) وفيه الحث على التوكل وترك الدنيا لأربابها وعدم مخالطة الظالمين والترهيب من سيآت الأعمال والترغيب فى العمل الصالح والتسامح ونكران الذات وفيه آداب السلوك وتربية المريد كما يتناول فى أشعاره صفات الله وصفات المرسلين وأخلاق الأولياء الصالحين وغير ذلك .

كيفية جمع هذه القصائد :

اننى لم أحصل على ديوان كامل فى كتاب مستقل للشيخ نور الدين مع كثرة البحث عنه وبذل أقصى الجهد فى سبيله ، حتى غلب على ظنى أنه لا يوجد هناك فى الوقت الحاضر ديوان مرتب لأشعار الشيخ • أما أنه هل كان هناك فى السابق ديوان كامل مرتب للشيخ أم لا ؟ هذا غير معروف لدى ، لكن أغلب الظن أنه كان هناك ديوان بل أكثر من ديوان لأشـــعار الشيخ ، لكن الحرائق التى نشبت فى تكية ومكتبة بريفكان ، وبعض مكتبات كردستان الأخرى ، والأحداث التى جرت فى كردستان بسبب الظروف التى هيأتها الاستعمار هناك والمخططات الامبريالية لحرمان الشعب الكردى من ممارسة حقوقه أدت الى تلف وضياع آلاف الكتب كما أودت بحياة آلاف الناس ، وربما كان ديوان الشيخ أحد هذه الضحايا •

هذا ولعدم وجود ديوان مرتب لأشعار الشيخ لاقيت صعوبة كثيرة فى سبيل جمع هذه القصائد حيث قمت بجمعها فى كتب وصحائف مفرقة هنا وهناك بعضها فى المكتبات الخاصة مثل مكتبة الشيخ على الطالبانى ومكتبة فضيلة الشيخ عبد الحميد الاتروشى وصادق بهاء الدين وغيرهم كثير والمكتبات العامة مثـــل مكتبة أوقاف الموصـــل قسم المخطوطات ومكتبة الأوقاف المركزية فى بغداد •

تحقيـــق هذه القصـــائد :

ان تحقيق هذه القصائد لم يأت على مستوى واحد ، حيث حصلت على عدة نسخ فى بعض القصائد ، بينما فى البعض الآخر لم أحصل الا على مخطوطة واحدة ، كما أن فى بعض القصائد حصلت على نســـخ واضحة وجيدة أو نسخة مشروحة ، بينما فى البعض الآخر لم أحصل الا على نسخة واحدة رديئة الخط أو شبه ممزقة •

ما جمعناه هل يعتبر جميع قصائد الشيخ باللغة العربية أم لا ؟ :

لقد بذلنا قصارى جهودنا فى البحث والتمحيص لجمع ما أمكن جمعه من قصائد الشيخ ، وجمعنا قصائد كثيرة ، لكن هذا لا يعنى أننا جمعنا كل قصائده ، فقدوردت اشارات فى بعض المصادر تدل على أن الشيخ ألف قصيدة بائية فى الأسماء الحسنى للرسول (ص) سماها « نظم الدرر لأسماء النبى المفتخر » ومع علمنا بنسبة هذه القصيدة للشيخ وبحثنا عنها حوالى أكثر من سنة لم نحصل لها على أثر ، كما أن هناك عدة قصائد نعتقد بوقوع النقص فيها • كما أنك اذا لاحظت هذه القصائد عدى المعشرات لا تجد فيها قصائد قافيتها على الحروف التالية : الثاء ، الخاء ، الراء ، السين ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الطاء ، الظاء ، العين ، الغين ، الكاف ، وهذا وان دل على أن الشيخ لم يؤلف قصائد على تلك الأحرف ، لكن يحتمل أنه ألف القصائد على تلك الأحرف ، وهذا يعنى احتمال وجود قصائد للشيخ لم نعثر عليها •

لأجل ذلك صرفنا النظر فى الوقت الحاضر عن نشر ديوان الشيخ واكتفينا بنشر مختارات من أشعاره العربية حيث اخترنا للنشر قصائد تمكنا من دراستها وتحقيقها والتأكد من صحة نسبتها الى الشيخ •

وكلنا أمل فى أن يأتى اليوم الذى أتمكن فى جمع وتحقيق ودراسة جميع قصائده فى ديوان مستقل باللغة العربية ، وديوان مستقل باللغة الكردية بعون الله الملك المنان الذى بيده ناصية كل شىء وهو ولى التوفيق •

محمد أحمد مصطفى الكزنى

المعشرات للشيخ الكبير والقطب الشهير الشيخ نور الدين قدس سره

آلَ حُبّى إلى إنْتِهاءِ(١) إنْتِهاء لمُحَيَّاكَ فى إبتِداءِ إبْتِداء
أسَّسَ الحُبَّ فوقَ عُنصُرِ بُغْضٍ
أو تُحالُ(٢) الأعداءُ بالأولياءِ ؟
آهْ فَكَّ الحَبيبُ عَقْدَ وِصالٍ وإنْطفتْ نارُ زَفْرَتى(٣) بالهواءِ
أنتَ أوْلَى بأن أُبثَّ إليهِ
عِظَمَ هَمّى ، ولَهْفَتى ، وإشْتِكائى
إخْوَةُ الأنسِ آنَسُوا نارَ موسى
من لنا منهم(٤) بعُودِ إخاءِ
آنَ وَعْدِى (٥) ، ولاتِ حينَ وَفائى
طالَ أُفْمى ، ولاتَ وقتُ صَفاءِ
إنَّنى بَعدَ بُعدِ كلِّ المَرامِ
جِئْتُ أسْلُو(٦) بقصّةِ الأصْفياءِ

---

١ — أى نهاية نهايات العشق . والمحيا : الوجه . وابتداء : أى بداية السلوك .

٢ — تحال : أى تنقلب ، من حال يحول : اذا تحول .

٣ — وفى نسخة « زفرتى » : وهو التنفس من شدة الأنين ، وزفر زفيرا : أخرج نفسه بعد مدة . وفى نسخة « ظفرتى » و الظفرة : داء يكون فى العين يتجللها منه غاشية كالظفر .

٤ — وفى نسخة « منهمو » .

٥ — وفى نسخة « أفك وعدى ولات حين صفائى » .

٦ — سلانى من همى تسلية : أى كشفه عنى سلوت : أى نسيت نفسى وذهلت .

أرَخوا عن أيّامِ هَجْرِى تروها(١)
ألْفَ عامٍ بفُرْقةٍ وابتِلاءِ
أمَّ صَحْبِى بقُدْوَةٍ قُطبَ وَقْتٍ مَهبَطَ السِّرِّ بَرْزَخَ الإقتداءِ
أنْبِئْ(٢) القومَ عن علومِكَ « نُورِى »
يا نَبِيّاً للأكرَمِ المِعطاءِ

* ● *

بِى أبا هى أمْ ذا بِحُسنِ الحبائِبِ ؟
أهى مِنّى أمْ تِلكَ منهم عَجائِبِ
بِتُّ أمْلِى على رُقُومِ وُجودِى
بالذى أنشَأ الخُطوطَ العرائِبِ(٣)
بِعْتُ كُلِّى بكُلِّهِمْ فإتَّحَدْنا بعدَ ذا صِرتُ نائباً أىَّ نائِبِ
بانَ عنّى وُجُودُ فِعلٍ ، وعَنهم
كلُّ فِعلى الخبائِثُ(٤) والأطائِبُ
بَرُّهُمُ حَلَّ فى مَوقِعِ جَوْرِى
فأبَرَتُ (٥) بِرُؤْبةٍ وهى رائِبُ
بالقُوى الطاهراتِ(٦) أصرِفُ عَنّى
لا بِذاتى صُرُوفَ دَهرِ النَوائِبِ

---

١ — وفى نسخة « تراها » .
٢ — وفى نسخة « أنبأ » على انه فعل ماض . « انباء » على انه مصدر .
٣ — هذا السطر ناقص فى نسخة (ب) . الخطوط العرائب : أى المفصحة .
٤ — وفى نسخة « خبائث » بدون الألف واللام . « بان » أى ظهر واتضح .
٥ — وفى نسخة « فسررت برؤبة » وفى نسخة أخرى « فبرت برؤبة » . والرؤبة — بالضم — : القطعة التى يرأب به الاناء .
٦ — فى نسخة « بالقوى القاهرات » . ونوائب الدهر : مصائبه .

بأطرابٍ(١) صَرَفْتُ عُمرِى وغَيِّى
وإكتسابٍ وكيفَ تَعبُـرُ شائِبُ
بِنْ(٢) عن الحاضرِينَ عند نُفوسٍ
حاضِرِ الشَّرِّ جاهِلٍ الخيرِ غائِبُ
بذُنُوبٍ حِسـابُه وعُيُوبٍ وهوَ يَعْسُوبُ(٣)أمَّهاتِ المعايبِ
بايَعَ اللهَ مَنْ يُبـايِعُ « نُورِى »
سُورَةُ الفتْحِ بابُهُ وهو(٤) تائبُ

* ● *

تُبْتُ للهِ عن دَعاوى الثُّبُوتِ بعدذُلّى وذاك قُطْبُ نُعُوتِ(٥)
تَحْتَ أثْوابنـا من النُّورِ جِرْمٌ
جَوْهَرُ الرُّوحِ فيهِ من لاهُوتِ(٦)
تَرْتَضِى مُنْكِرِى تَسوّءَ فؤادى بافتراءٍ اوَّهْ لذا المَمْقُوتِ(٧)
تاهَ فِكْرُ العَنِيدِ فيما حَبانَا جَهْلُهُ من تَغَلْغُلِ الناسُوتِ(٨)
تَنْسِبُ الفضـلَ للإلهِ مُصِيباً كانَ مِنّا بمَنْزِلٍ فى البُيُوتِ

---

١ — وفى نسخة « باضطراب » بدل « باطراب » . « واكتئاب » بدل « واكتساب » . شائب : من شاب يشوب : وهو الخلط ، يقال : فلان يشوب ويروب : اذا خلط فى القول أو العمل .

٢ — بن : فعل أمر من بان يبين : أى انفصل ، أو من بان بيانا : أى انضـح .

٣ — وفى نسخة « عيسوب » الظاهر انه خطأ ، لأنه لم أجده فى اللغة . و « يعسوب » أمير النحل ، وعن الامام على — كرم الله وجهه — انا يعسوب المؤمنين والمال يعسوب الكفار أو المنافقين .

٤ — وفى نسخة « وهو نائب » .

٥ — نعوت : جمع نعت : وهو وصف الشىء بما فيه من حسن وجمال .

٦ — سبق بيان كلمة « لاهوت » .

٧ — المقت : أشد البغض ، فهو ممقوت : أى مبغوض .

٨ — حباه : أى أكرمه أو أعطاه . الناسوت : سبق تفسيره .

تَفْلَتَهُ العـارِفينَ خُذْها شِفاءً
كُنْ سَـمِيعاً لَهُمْ بِخَرْسِ سُكُوتِ
تِلكَ أوْصافُ شِقْوَةٍ و نِفاقٍ فاجْتَنِبْها أذِيَّةَ المَبْهُـوتِ
تَبَصَّرْ الحقَّ تَفْتَحْ العينَ ما هي زَهْوُ دُنياكَ يا أخا هَارُوتِ(١)
تَلَّ فَوْزٍ هُنَا و دُونَكَ بَحْرٌ لا تكُنْ فيه لُقْمَةً للحُوتِ
تابَ من أربعينَ عاماً فَما نَا لَ بِمَقْصُودِ قَلْبِهِ «الأيْتُوتِي» (٢)

* ● *

ثُبْتُ(٣) إليه ألا هُنَاكَ البَراتُ سُؤْرُ أهلِ التمكين وهو الأثاثُ
ثارَ للقَوْمِ شَوْقُ صَبٍّ ولكن شَطَّ(٤) عندَ المُخَبَّطِ الميراثُ
ثَمَّ نُورٌ بالعهـدِ فاضَ علينا لم يشاهِدْ مَنْ عَهْدُهُ أنكاثُ(٥)
ثُمَّ بِتنا فى حُلْمِ نورِ إنْتِباهٍ لا كَقَوْمٍ أحْـلامُهُمْ أضْغاثُ(٦)
ثِقْ بعلمى حَاوَلْتُهُ من رجالٍ إبراءُ(٧) الكُمْهِ منهم النَفّاثُ

---

١ — الزهو : النبات الناضر ، والمنظر الحسن .
٢ — نسبة الى قرية أيتوت .
٣ — وفى نسخة « نب اليه » .
٤ — شط : أى جاوز القدر وتباعد عن الحق . المخبط : هو الذى فى بصره ضعف .
٥ — نكث العهد : نقضه .
٦ — اضغاث أحلام : هى الرؤيا التى لا يصح تأويلها لخلطها .
٧ — وفى نسخة « تق بعلم » بدون ياء المتكلم . وفى نسخة « ابرؤا الكمه » . حاولته : أى نقلته . الكمه — فى التفسير — : العمى الذى يولد به الانسان . النفث : أقل من التفل ، لأن التفل لا يكون الا معه شىء من الريق ، والنفث : شبيه بالنفخ .

ثَرْوَةَ الشَمْلِ آثَرُوها بِسَهْرِ كلُّ شَمْلٍ فى جنبهم أشْعاثُ(١)
ثَمَنُ الملتقى بهم حُورُ خُلْدٍ(٢) ما لها فَضُّ مُلْتَقٍ والطِماثُ
ثَوْبُهُمْ رثٌّ وإرْتَدَوُا بخضوعٍ مِيتُوا الذكرَ بينكم يا رثاثُ(٣)
ثَمِدَ(٤) الحوْضُ شَفَتْ العينُ دهراً
من نفوسٍ محبوبُها الأرْفاثُ
ثَنَيْتُ كعبةَ الصلاةِ عليهم
نُبْتَ عنهم « نُورِى » فَجَلَّ أنْبِعاثُ(٥)

* ● *

جَذَّ قلبى إلى تَلَقِى الحَجِيجِ فالفَيافى ضاقَتْ لهذا الوَهِيجِ(٦)
جُنَّ عقلى عَقِيبَهُمْ إذْ بَدا لى
بُعْدُهم حَسْرَةً بأمرٍ مَرِيجِ(٧)

---

١ — الشمل : الاجتماع ، جمع الله شملهم : أى ما تشتت من امرهم . وفرق الله شملهم : أى ما اجتمع من أمرهم .
والتشعث : التفرق والتنكث .

٢ — وفى نسخة « حورخدر » . الفض : الكسر ، فض المراة : كناية عن الوطء وازالة البكارة . والطمث : الحيض ثم جعل للجماع ، وطمثت المراة : اذا دميت بالافتضاض .

٣ — الرث : الخلق الخسيس البالى من كل شىء ، تقول : ثوب رث ، ورجل رث الهيئة فى لبسه . والجمع رثاث بكسر الراء .

٤ — الثمد : الماء القليل الذى لا مادة له ، وماء مثمود : كثر عليه الناس حتى فنى ونفد الا قليله . شف الماء : اذا نقص شربه ولم يبقى منه شيئا وروى : وأقبح شارب ، المشتف ، وأقبح طاعم المقتف . والرفث : الفحش من القول ، ويطلق على الجماع أيضا .
وفى نسخة « دهرى » بدل « دهرا » .

٥ — انبعث فلان لشأنه : اذا ثار ومضى ذاهبا لقضاء حاجته .

٦ — وفى نسخة « الرهيج » : وهو الغبار . « الوهيج » : أى التوقد ، والتوهج حرارة الشمس والنار من بعيد . و « الفيافى » : جمع الفيفاء : وهو الصحراء الملساء .

٧ — « أمر مريج » : أى ملتبس مختلط .

جَمْعُ شملى مِن فَقدِهم ليس يُرْجَى
آلَ أمرى مِنْ بعـدهم للنَضِيجِ(١)

جاءنى(٢) ذاك من رحيـلِ الرِّفاعى ،
والبَقـا ، والعَقيـلِ قُطْبِ المنيج

جَفَّ(٣) جَنبِى ، وسالَ دمعى بِقَطْعٍ
فَرَّ صَـبرِى ، وزالَ نورُ البَهيج

جَمَعَ اللهُ بينه بعـدَ بَوْنٍ(٤) ذا تَمَنَّ لو أنَّهُ ذُو نَتيجِ

جُزْ بِأطْلالِهِمْ نَسيمُ ، وقُلْ لى :
ما الذى أتْحَفُوا لهـذا البَهيجِ(٥)

جَهْرُ كَسْرِى من كلِّ أمْرٍ إذا فاجَ
إلينـا الصَبَا بمِسْـكٍ أريجِ(٦)

---

١ — جمع شملى : أى جمع ما تشتت من أمرى . « للنضيج » يقال : فلان نضيج الراى : اى محكمه ، ونضجت الناقة بولدها : أى جاوزت الحق بشهر ونحوه ولم تنتج : أى زادت على وقت الولادة .

٢ — وفى نسخة « جاءنى ... الرفاعى » هو الولى المشهور السـيد أحمد الرفاعى . « البقا » هو أحد الأولياء وهو البقا بن بطو . « العقيل » هو عقيل المنبجى أحد الأولياء المعروفين .

٣ — وفى نسخة « جف جنبى » . « البهيج » يقال : رجل بهيج : اى مستبهج بأمر يسره ، وتباهج الروض : كثر نوره .

٤ — البون : المسافة ما بين الشيئين ، يطلق على الفراق والتباعد . « نتيج » كنتوج : يقال : فرس نتوج : أى فى بطنه ولد وقد استبان . وفى المثل : ان العجز والتوانى تزاوجا فانتجا الفقر .

٥ — وفى نسخة « البعيج » تقول : بعجه حب فلان : اذا اشتد وجده وحزن له . جز : فعل أمر من جاز الموضع جوازا : اى سار فيه وسلكه . « اطلال » جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الدار . « نسيم » منادى بحذف حرف النداء .

٦ — « اريج » : الريح الطيبة .

جَهْبَذِياً مُتُ فى هَوَى القَوْمِ شَوْقاً
واسعٌ فى السيرِ راكبُ المُسْتَهيجِ(١)
جُدْ بوَصْلٍ يا غافِرَ الذَّنْبِ وارحم
صل بـ « نُورِى » الصَبُّ ركبَ الحجيج

* ● *

حادِى العِيسِ ليتنى أسْتريحُ ... قفْ رويْداً فقدْ يُضامُ النَجيحُ(٢)
حُكْمُ لَيْلَى علىَّ صَعْبٌ شديدٌ ... بِفِراقٍ ذابَ الفؤادُ الجريحُ
حَلَّ عن وجْهِها الخِمارَ فهذا ... لضِياءِ النَّهارِ وَجْهٌ مَزِيحُ(٣)
حُسْنُها لا بأعْيُنِ الخلْقِ يُدْرَى ... ولغيرِ الشَهيدِ ليستْ تَبيحُ
حارَ فيهِ الكَلِيمُ فى طُورِ سِينَا ... كما هام(٤) فى سَنَاهُ المسيحُ
حَرْقَةٌ تُولِجُ القلْبَ ونارٌ(٥) ... مِنْ لَظَاها هذا الكئيبُ فَرِيحُ
حِسْبَةً للإلهِ سَلْمَى فَجُودِى ... بِالْتفاتٍ فذا قَتِيلُ طَرِيحُ
حُبِّبَتْ للقلوبِ سَلْمَى ومالَتْ ... إذا تَجَلَّى منها المُحَيَّا المَلِيحُ

---

١ — « المستهيج » ربما هو سبق قلم ، فالصواب « المستهيج » ، وهو أما من الهوج : وهو السرعة مع الحماقة ، والريح الهوجاء : هى التى تقلع البيوت من شدتها ، والناقة الهوجاء : هى التى كان بها هوجا من سرعتها ، أو من الهيج يقال : هاج هائجه : اذا اشتد غضبه ، والهائج : الفحل الذى يشتهى الضراب : أو من السيهج : وهو الريح الشديدة .
وفى نسخة : « واسع فى البر » .
٢ — « حادى » اسم فاعل من حدا يحدو ، والحدو : سوق الابل والغناء لهـا . « العيس » الناقة البيضاء التى يخالط بياضها شىء من الشقرة . « رويدا » أى مهلا . « يضام » : أى يظلم . « نجيح » يقال : رجل نجيح : اى منجح الحاجات ، ورأى نجيح : أى صواب ، ونفس نجيحة : أى صابرة .
٣ — « وجه مزيح » أى مغاير ، أى ضوء آخر مغاير لضوء شمس النهار .
٤ — فى نسخة « كما حار فى سناه » .
٥ — فى نسخة « ونارا » و « قريح » بدل فربح ، والقريح : الجريح ، وفربح بمعنى مفرح : وهو المغلوب المحتاج ، والقتيل يوجد بين القريتين .

حيثُ أسفَتْ كؤُسَها سَنقتَنَا
كلُّ يومٍ لنا الشَرابُ سَميحُ(١)
حَسَراتٌ قد بُدِّلَتْ بسُرُورٍ ولنُورِيها حَبُورٌ(٢) صَريحُ

* ● *

خابَ بالخمرِ حيثُ لم يتلطَّخْ(٣) ذُو الرُعونات فهو طِفلٌ تَشيَّخْ
خِلَّةٌ(٤) يَعبدُ الدَراهمَ وأهجُرْ جِيفَ القلبِ بالعبيرِ تَضمَّخْ
خُذ إليكَ العيدانَ واطْرَبْ وقُمْ فى
فُرصةِ العُمرِ سامِعَ العودَ وإسْمَخْ
خُبْثُ تلك الأظلافِ(٥) من قومِ سُوءٍ
رأسُ كِبْرٍ لهم فما أنْ تَشدَّخْ
خَطَفَ الطيرُ طَيرَ عُجْبٍ حَجاهُمْ(٦)
كلُّ فردٍ فِرعَوْنُ فخْرٍ وأشمَخْ

---

١ — وفى نسخة « حبث سيفت كؤوسها وسقتنا
كل يوم منها الشراب سميح »
« سنق » أى سقى ، تقول : سنق الفصيل من اللبن : أى بتتم منه « والسميح » بمعنى المسموح .

٢ — « حبور » جمع حبر : وهو أثر النعمة ، والعالم يقال له : حبر .

٣ — تلطخ بالخمر : أى تلوث به . « الرعونة » الحمق والاسترخاء .

٤ — وفى نسخة « خله » . العبير : قال الاصمعى : أخلاط تجمع بالزعفران ، وقال أبو عبيد : هو الزعفران وحده . « تضمخ » أى تلطخ .

٥ — وفى نسخة « تلك الأصلاف » يقال : تصلف الرجل : قل خيره ، والصلف : قلة الخير ، وامرأة صلفة : قليلة الخير لا تحظى عند زوجها .
والظلف : ظفر كل ما اجتر ، وقد يطلق الظلف على ذات الظلف أنفسها مجازا ، والظلف : ما غلظ من الأرض واشتد . « تشدخ » رأسه : انكسر .

٦ — وفى نسخة « حجاب » بدل حجاهم ، « اشمخ » اسم تفضيل من الشامخ : وهو الرافع انفه عزا .

خطّ خطُّ الحجابِ عنّا وعنهم وإتِ بالوترِ(١) والغِنا ترسَّخْ
خبِّرْ القومَ حيثُ عابُوا علينـــا
أهوَ صوتُ العيدانِ أم كان برزَخْ ؟
خاطِبْ الرُوحَ عن تنزُّلِ سرٍّ يجلِبُ السرَّ للخطابِ المؤرَّخْ
خيمةُ القدْسِ لى أريكةُ سرى ليس بازِيِّنا بهيكَكِنا(٢) الفخُّ
خطْرَةٌ ثمّ خطوةٌ سيْرُ « نورى »
ثمّ سعْيٌ طوافُنـــا إذا تكرَّخْ(٣)

* ● *

دُمْ على بابِهِ بذلِّ العبيـــدِ لا بوَعْدٍ تلْهُو ولا بالوَعيدِ
دحْضَةُ(١) هذه المسالكِ فاحذرْ لا تُمشَّى إلاّ بجُهدٍ جَهيدِ
دَيْرُ(٢) سمْعانَ نشْأةُ الصبِّ فيه نشْـــوةٌ للمُرادِ خمرُ المُريدِ
دَمَّرَ اللهُ مَن لحانا(٣) بعذلٍ هُمْ به فى لهيبِ (هل مِن مَزيدِ)

---

١ — الوتر : فى الصلاة معروفة ، والوتر فى الصوم : وهو ان تصوم يوما وتفطر يوما أو يومين ، والوتر (بالفتح) واحد الاوتار ، ويستعمل للقوس ، ولآلة اللهو والغناء « تترسخ » : تتثبت .

٢ — وفى نسخة « بهيكلنا » . الهيكك : هك الطائر : حذف بذرقة ، هك بالضم : اسقط ، وهكك فى الفتح : اسقط فيه .

٣ — « اذا تكرخ » والتكرخ : نوع من طواف الشيخ معروف الكرخى .

٤ — الدحض : الزلق ، والمدحضة : المزلقة . المسالك : جمع مسلك ، ويقال : سلك الطريق : اذا مشى فيه .

٥ — دير سمعان : هو الدير الذى دخل فيه الشيخ الصنعانى حينما تنصر لوقوعه فى عشق حسناء نصرانية . وهذه الحكاية أشبه بالرمزيات ، وقد ألف بعض شعراء الكرد قصائد بليغة فى هذه الملحمة منهم (فقه طيران) .

٦ — لحانا : أى شتمنا . « العذل » : الملامة . (هل من مزيد اشارة الى الآية (٣٠) سورة (ق) .

دَمْدَمَ الدهرُ بينهم فاسْتجالتْ(١)
باصِراتُ عَيانِها كالقَعيدِ
دَرَّ فيهم لبانُ ضِرْعٍ إذا هُمْ عامَلونا أطفالَ أمِ الوليدِ(٢)
داءُ قومٍ دَواءُ قَومٍ فاصْغُوا لاقتباسٍ من الكلامِ المَجيدِ
دَفْعةً بَعْدَ دَفعةٍ للأعادِي
من صرُوفِ(٣) الدنيا ومكرِ المُريدِ
دامَ فينا جبريلُ نَصْرٍ وجَبرٍ
فهو فى كلِّ لحظةٍ كالبَريدِ(٤)
دِجْلَةُ الفَيْضِ علمُ « نورِى » بِبَحْرٍ
قد أسْلَمَاهُ للفَتى المُسْتَجيدُ(٥)

* ● *

ذاكَ صَبٌّ بالأولياءِ يَلوذُ(٦) من هَوَى النفْسِ بالإلهِ يَعوذُ
ذَبَّ عنِّى الشيطانَ فى كلِّ يومٍ أنت ربِّى لا مُسْتَجيرَ ماوذُ(٧)
ذَلَّ من غِلْظِ طبعِه فيهِ سَهْمٌ من قِسِيِّ الألطافِ سهْمٌ نُفوذُ
ذابَ(٣) يوماً وأصدى القلبَ يوماً عندَ أهلِ السماحِ ذاكَ الشُّذُوذُ

---

١ — وفى نسخة « فاستحالت باصرات عميانها » .
٢ — ام الوليد : هى المضيرة . المرصع ص ٣٣٩ .
٣ — فى الاصل « من طروق » .
٤ — هذا البيت ناقص فى النسخة المشروحة .
٥ — المستجيد : الذى يطلبه جيدا .
٦ — يلوذ : أى يتحصن ويستتر بالأولياء . « يعوذ » أى يلتجىء .
٧ — « ملوذ » الملوذ : الحصن « ذب » أى منع ودفع . وفى نسخة « أنت رب » .
٨ — « ذاب » : ضد جمد . « صدى » : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها ، والصدى : العطش .

ذاقَ طعمَ الوِصـالِ مِرآتُ كُلّى(١)
بالمُحَيَّـا الجميـلِ مَهْما تَحُوذُ

ذاعَ بالخيرِ بينَ قومٍ كرامٍ(١) حسنُ ذِكْرٍ فى لوحِهِ مَنْبُوذُ
ذَمُّ الناسِ لـهُ ومَدْح لنـاس
فهو عِجْلٌ فى عِيـدِكُمْ مَحْنُوذُ(٣)

ذَنْبُنا طاعةٌ ، وطاعةُ قومٍ عانَدُونا هى العِمامُ المبشوذُ(٤)
ذُو المَواجيدِ لَيْلُهُ كنهارٍ بالعصا فاقِدُ الهوى مَوْقُوذُ(٥)
ذاتُ نُورِيِّكُم عناصر « نورى » فهى فرْعٌ بكلِّ أصْلٍ يَلُوذُ

* ● *

رَحْمَةُ اللهِ حظُّ أهْلِ إنكسارِ خَصَّهُ اللهُ فى النّعيمِ (٦) بدارِ
رتْبَةُ المجدِ يَسْبِقونَ إليها عِزَّةٌ بعدَ رِفْعَةٍ وإقتدارِ
رُضْ باللهِ (٧) مَنَ قَلانا وكُنّا إخْوَةَ الصِدقِ مُختفينَ بِغارِ
رَبَضَتْ (٨) أسْدُ نِقمَةٍ فرَسَتْهُ بالنصِ لنـا بنورٍ ونارِ

---

١ — وفى نسخة « مرآت على » . « الوصال » : ضد الهجران ؛ ووصل اى بلغ . « تحوذ » : أى تحوط ، وغلب ، واستولى .

٢ — « ذاع » انتشر . « منبوذ » اسم فاعل من نبذه : اى القاه .

٣ — « عجل محنوذ » اى مشوى .

٤ — العمام المبشوذ : اى الملفوف ، نقول : شوذت زيدا : أى عممته ، اى طاعة هؤلاء الذين عاندونا عبارة عن كبر العمامة فقط .

٥ — وقذه بالعصا : أى ضربه به حتى استرخى واشرف على الموت .

٦ — وفى نسخة « فى نعيم » .

٧ — وفى نسخة « رضى الله » .

٨ — وفى نسخة « ربضة أسد نقمة فرشه » . « الربض » : ما ولى الأرض من البعير اذا برك ، ربض بالمكان يربض : أى لصق به واقام ملازما له . وفرس الذبيحة : قطع نخاعها ، وفصل عنقها .

راقَ راحُ المضيفِ والعكسُ منه
كان من قُرْطِ حُسْنِهِ والسِـوارِ (١)

رَجَّ عَرْشُ المَجدِ والنارُ فَرّتْ من حَنينِ الفقيرِ عند إضْطرارِ
رأفةً بعدَ رحمةٍ وإنْتصارٍ محْنَةً بعدَ منْحَةٍ وإفتقارِ (٢)

راجعاتٌ مؤيَّداتُ فأبشِرْ
أنت منّا فى أعْيُنٍ وإنتصارِ (٣)

رُمْ داراً وإعْتَزَّ جاراً لدينا
قَلَّ مالاً مُسْتغْنِياً بالجوارِ (٤)

رَبَّ إنَّ الذى يَبُثُّكَ «نُوِى» فقرُهُ بعدَ ذِلَّةٍ وإنكسارِ (٥)

* ● *

زهرةُ المَجْدِ عندنا واعتزازُ نحن قومٌ آياتُهُمْ إعْجازُ
زُفَّتْ الخُلْدُ للذين لدينا وإبتهاجٌ بفرصةٍ وإنتهازُ (٦)

زِينةُ الكَوْنِ فى صُحون حِمانا
رُكْنُ عِزٍّ (٧) فيه يُؤْتَى الرِّكازُ

---

١ — « راق » الماء : انصب . « القرط » ما يعلق بشحمة الاذن . « السوار » : هو الذى يلبس فى الذراع من ذهب ، فان كان من فضة : فهو قلبة .

٢ — وفى نسخة « منحة بعد منحة » .
٣ — وفى نسخة « أنت فى أعين لنا وانتصار » .
٤ — وفى نسخة : رم مرادا واعتز جارا لدينا
قل امهالا مستغنيا بالجوار
رم ، فعل أمر من رام يروم : أى طلب .
● — وفى نسخة « فقرة بعد ذلة » .
٦ — « انتهاز » انتهز الفرصة : اغتنمها .
٧ — وفى نسخة « وفيه » . « صحون » جمع صحن : وهو وسط الدار « الركاز » جمع ركيزة : وهى ما ركزه الله تعالى فى المعادن (أى أحدثه) ودفين أهل الجاهلية .

زَلّ (١) مُخَطِّي ديارنا لعراقِ
نَوْبَةُ الكُرْدِيّ أرْسلَتْها الحِجازُ

زُجْ(٢) ربّى قَفوَ كلّ سعيدٍ عندنا مَعلَمٌ عليه الطِرازُ
زُهْدُ قومٍ فينا دليلُ جُمودٍ وجُحودٍ وعندنا الخَرّازُ
زَاجِي(٣) أيُّها المُريدُ مَطِيّاً قبلَ مَوْتِي وقد دَنَى لي جَوازُ
زادَكمْ في زَوِيَّتِي(٤) فأطلبوها أنتُموا عالَةٌ بهِمْ أعْوازُ
زُرْ إمامَ الهُدَى وقُطْبَ زمانٍ فالصِراطُ السَوِيُّ هذا المُجَازُ
زَرْعُ قَوْمِي مستغلظ وبازُر(٥)
بَعْدَ شَطْءٍ أولئك القَوْمُ فازُوا

* ● *

سَيِّدِي أنتَ مُؤْنِسي والأنِيسُ
حـ كيفَ لي وَحْشَةٌ ، وأنتَ الجَلِيسُ
سَمْعُ كلّي(٦) منبأ عنكَ مِنّي فيكَ من بعدِ ذُلّي التَقْدِيسُ
سُدْتُ دهري لمّا صحبتُكَ عمري
فالرئيسُ الحَقِيقُ هذا الرئيسُ

---

١ — زل : أى زلق . « نوبة الكردى » اى نرصتهم ودولتهم ودورهم فى نيابة الرسول (ص) ورئاسة الخلق .

٢ — « زج » فعل أمر للدعاء من زجا يزجو : أى تيسر واستقام ، وزجاه : أى ساقه سوقا لينا . « قفو » من قفا يقفو : أى يتبع .

٣ — وفى نسخة « زاجر » . و « زاجى » من زجا يزجو : وهو السوق والدفع .

٤ — وفى نسخة « زادكم فى زوية » .

٥ — وفى نسخة « ومأزر بعد شطء » .
« بازر » الزرر : الحب ، والبزور : الحبوب الصغار مثل بزور البقول . والبزر : الهيج بالضرب ، وعصا بزارة : أى عظيمة .

٦ — وفى نسخة « سمع كل » .

سَوْفَ يأتى علىَّ وقتٌ بِرَبّى شاهِدِى فازَ ، والعَنِيدُ بَئِيسُ
سَامِياً فا عِنايَةِ أهْلُ وُدّى
مَنْ رآلى ومَنْ قَلانى خَسِيسُ(١)

سَبِّحْ إسْمَ الجليلِ عند التحَامى(٢)
مِنْ كِيادٍ يُطْغِى بها الإبْلِيسُ
سَعْدُ رَبّى بِحَقّ طَهَ ومُوسَى
مُتْحِفٌ لِى وساعِدى إدْرِيسُ
سُقْ إلينا منادلات صفات فوقَ ما سِيقَ لى بما لا أُقِيسُ
سَعَرَتْ نارُ بُعْدِ أهْلِ نُفُوسٍ
فإحْذَرِيها يا نفْسُ(٣) بِئسَ الحَسِيسُ
سَجْعُنا بعدَ رِحْلَةِ الموْتِ « نُورِى »
عِنْدَ أهْلِ القُلُوبِ سَجْعٌ نَفِيسُ

* ● *

شَبِعْنا(٤) وإرْتوأنا والمُعَشَّشْ
عندَ جَنْبِ الحبيبِ والليلُ أغْطَشْ
شَهْوَةُ القلبِ فيهِ والنَفْسُ غابَتْ
مِن وَراءِ الحجابِ والرُوحُ أجْهَشْ(٥)

---

١ — وفى نسخة « حنيس » .
٢ — وفى نسخة « عندى لتحمى » .
٣ — وفى نسخة « بأنفس بئس الجليس » .
٤ — وفى نسخة « وارتوينا » وفى نسخة أخرى « شعينا دار نورنا والمعشش » . « المعشش » عشش الطائر : اى اتخذ عشا ، والعش : موضع الطائر يجمعه من دقاق الحطب فى أفنان الشجر . « اغطاش » الليل وغطش : اى أظلم .
٥ — « اجهش » بالبكاء : تهيأ له .

شَوْطُ رَمى الحِجَارِ قَطَعَ سِـواهُ
إذْ رَمَيْنا الشَيْطانَ حتى تَشَـوَّشْ(١)

شَمَّ هذا العَبَـيرِ فى كُمِّ خِلِّى كى على شِقِّ كُمِّهِ تَتَحَرَّشْ
شـامَةَ النَحْرِ مُذْ تَجلَّتْ أذاعتْ
رِيحَ مِسْكٍ شَفَافَةُ القلبِ أدْهَشْ

شَـامُ غَرْبٍ(٢) وشَرْقِ قَرَّبَتْنى
كأسَ خمـرٍ باسمِ الحبيبِ مُنَقَّشْ

شَمعَةُ الرَكْبِ فى الظـلامِ أضاءَتْ
فهو بالشَوْقِ سـائرٌ يَتَهَيَّشْ(٣)

شَـوْقُ قلبى أنارَنى خَلْفَ ركبٍ
وافَرِيداً فى ظُلْمَةِ الليلِ مُدْهِشْ(٤)

شَقَّ جَيبى عَقِيبَهُمْ حقٌّ لى ، إنْ
كان حَظّى يومَ اللِقاءِ بالنَواغِشْ(٥)

شَيخُنا بالبَرِيقِ سَـقْياً فمِنَّا
غابَ صبـرٌ ، والكَبَدُ منّا تَعَطَّشْ

* ● *

---

١ — « تشوش » : أى اضطرب ، قال فى التاموس : التشوش لغة والصواب تهوش .
٢ — فى نسخة « شام غرب وشرقه » .
٣ — « يتهيش » : أى يتهيج ، أو يتحرك .
٤ — « مدهش » : أى منحير .
٥ — « النواغش » النغاشة : طائر : والنغش : شبه الاضطرار . أو « بالنوى غش » والنوى : البعد ، و « غش » من غشش : اذا كدر واخلط بغيره .

صادِقُ العزْمِ بالثيابِ(١) تَرَبَّصْ
إذ بالصَّبرِ ذا سُلُوكٌ تَخَلَّصْ
صُفَّ بَيْتِ الرحمن والبَسْ حُلاَهُ
من صِفاتٍ تَقَدَّسَتْ(٢) كي تَقَمَّصْ
صَرْفُ عَبْدٍ لا يلتهي بمُرادٍ
بالعنايات(٣) والدُّنُوِّ تَخَصَّصْ
صبرُهُ(٤) في قرارةِ الحُكمِ صَبرٌ
قلبُه من مَعارفِ اللهِ كالفَصِّ
صَدُّهُ عن بابهِ إمْرَؤٌ مُيَمَّنٌ(٥)
وهو بالنفسِ سائرٌ فهو أنْقَصّ
صَفوَةُ القلبِ من صَداهُ بما في
سُورَةِ العصرِ آيةُ(٦) النَّصْرِ في النَّصّ
صِلْقُنا في الهوَى أحالَ قُوانا
مُذْ غَدَوْنا لِحُبِّهِ نَتَحَرَّصْ(٧)
صاحتْ النَّفْسُ حينَ قُدَّتْ قَمِيصُ
حيثُ ولَّتْ قالت: الحقَّ حَصْحَصْ(٨)

---

١ — « بالثياب » هكذا ورد ، اكني اعتقد صوابه « بالتواب » . « تربص » : اي انتظر ما يحل به .
٢ — وفي نسخة « تقدست » . « صف » اهل الصفة : كانوا اضياف الاسلام يبيتون في مسجد رسول الله (ص) . « تقمص » : اي لبس القميص .
٣ — وفي نسخة « بالفيات » .
٤ — الصبر : ضد الجزع ، وصبر : بفتح الصاد وكسر الباء : عصاره الحجر مر .
٥ — وفي نسخة « مستمن » وهو اسم فاعل من استمن : اي طلب المن . و « المن » من المنى .
٦ — « آية النصر » هكذا ورد ، اكن الصواب « اية الصبر » لانه اشار الى قوله تعالى (وتواصوا بالصبر) .
٧ — « نتحرص » : اي نتحين ، يقال : تحرص عداءهم : اي يتحينها .
٨ — وفي نسخة « حين وليت قالت : الحق حصحص » . لكن الظاهر « حيث ولت قالت : الحق حصحص » .

صِرْتُ صَدِيقَ مِصْرَ والنفسُ جاءَتْ
طَوْعَ أمْرِى كالكَلْبِ حيثُ تَبَصْبَصْ
صَوْمُ قومٍ صِيانةٌ وصِيامِى
أكْلُ قلبِى عن شُرْبِهِ اسْتُ أنكَصْ (١)

* ● *

ضَمَنًّا بالمُكَوِّنِ المفْرُوضِ (٢) حَلَفْنَا بالحكيمِ لا مَنْقُوضُ
ضَعْ تَلَقَ فى الرَّشادِ طَرِيقاً كَيِّساً فهو جادَّةُ النُّهُوضِ (٣)
ضَرْبُ أمثالِنا بفَرْدٍ ، ولكنْ
فَرْقُ جَمْعٍ إبْداؤُه (٤) مَحْضُوضُ
ضِلْعُ ذِى الإفْكِ مُمْتَلٌ بِلَظَاهُ فى
إعْتِزالٍ ورأسُهُ مَرْضُوضُ
ضَلَّ قلبِى عندَ اللِقا ، فهى أُسْدٌ
فوقَ أنْعالِنا (٤) لَهُنَّ رُبُوضُ
ضِمْنَ أقوالِنا حَلاوَةُ مُرٍّ أيُّها السَّمْعُ ليسَ فيها حُمُوضُ
ضَبٌّ كَسْرِى بِجَبْرِ ضَبَّةِ رَبِّى (٦)
إذْ كَلامِى من لَفْظِهِ مَفْرُوضُ
ضَبْعُ عَفْرِى مُسْتَبْدَلٌ بغَزالٍ
حَشْوُهُ مَلاوُهُ الهُدى والفُيُوضُ

---

١ — وفى نسخة « لست أنقص » .
٢ — وفى نسخة « المفروض » . « المفروض » : الواجب .
٣ — وفى نسخة « للنهوض » .
٤ — وفى نسخة « ابداره » .
٥ — وفى نسخة « فوق افعالنا » .
٦ — وفى نسخة « بحير ضبة ربى » .

صاقَ عَنّى بما إحْتَوَيْتُ عليه
بَحْرُ عَدْنٍ انا العَمِيقُ الغُمُوضُ

* ● *

ضِفْدَعُ القاب صائِحٌ بِبِحَارٍ من علومِ « نورِيِّنا » قد يَخُوضُ
طافَ بانسَرْمَدِيِّ(١) قلبى مُحِيطاً غَيْرُ قلبى بِرَبِّهِ لن تَحِيطا
طابِعاً فيهِ عِلْمُ أوَّلِ خَلْقِى مُفْرِطاً فيهِ لا أرَى تَفْرِيطا
طالَ بَحْثِى وما بَشَشْتُ صِفاتى لو بَشَشْنَا رَأيْتَ بَحْراً بَسِيطاً
طابَ سِرِّى فَواسِعٌ كلَّ شَيْءٍ إنَّ فيهِ الوُجُودُ شيئاً لَقِيطاً
طارَ بازِىُّ هَيْكَلِى وتَسامَى لا وَرَبِّى مَحَـوَّطٌ تَحْوِيطاً
طاهِرُ الماءِ من فُيُوضِ عُلُومى مَشَّطُونِى بِفَيْضِهِ تَمْشِيطاً
طالِعاً فَوْقَ أوْجِ كلِّ مَقامى راحَ فيهِ المَغْبُوطُ فيهِ غَبِيطاً
طامِعاً فى مُنَاىَ لستُ بِكُفْوِى نِلْتُهُ الخالقَ ملكَةً تَسْلِيطاً
طاعِنُ الحالِ هلْ تَرَىَ لِكلامِى
شاهِداً لحالٍ مُوجَزاً أمْ وَسِيطاً
طاوِياً للمَقامِ مَسْلَكُ « نُورِى » سِلْكُ دُرٍّ مُنَظَّمٌ تَسْمِيطاً

* ● *

ظَبْيَةٌ من سِهَامِها بِلِحَاظٍ فى سُهَادٍ(٢) بنارِها وشُوَاظِ
ظهرتْ فوقَ أكْمَةٍ(٣) ثمَّ غابَتْ
خَلَّفَتْنِى فى أسْرِ أُسْدٍ غِلاظِ

---

١ — نسخة « طاف بالسرمد قلبى » .
٢ — « سهاد » الأرق : وهو السهر بالليل .
٣ — « اكمة » جمع كومة : وهى قطعة من التراب تجمع ويرفع راسها .

ظَمَأَتْ للرُبُوعِ شَفَتْ(١) ضُلُوعِي
أوجَبَتْ لى فَزاعَةُ الإيْتَاظِ
ظُلُماتٌ بِنُورِها هاجَرَتْنِي(٢)
فهى تَعْدُو خَلْفى بعَزْمِ اللِماظِ
ظاعِنُ الخيرِ لم يَنَلْها بِعَزْمٍ
هارِبُ القَهْرِ لم يَفزْ(٣) بإحْتِفَاظِ
ظالِمٌ لِلْتِفاتَتِهِ لِسِواها وَيْحَ قَوْمٍ صَدُّوا لذا الإتِّعاظِ
ظَفَرَتْ مُقْلَةٌ رأتها فَهَامَتْ أمُّ ثَكْلَى لِفاقِدِ الألْحاظِ
ظَنُّنا واثِقٌ وإنْ بانَ عَنَّا
حُسْنُ لَيلَى شُهُودُ تلك الحِظَاظِ
ظاهِرٌ قبلَ موْتِنا بِنَهارٍ
عَوْدُ سَلْمَى للسِلْمِ بَعْدَ إغْتِياظِ

* ● *

عَمْرَكَ للهُ ما البُكاءُ والدُمُوعُ
ما النَحِيبُ الذى بنا (٤) والفُجُوعُ
عِظَمُ شَكْوَاكَ قُلْ لنا : مِمَّ ؟ (٥) أخبر
ما الفُؤادُ السَقِيمُ هذا الجَزُوعُ

---

١ — شف جسمه : أى نحل ، وشفه الهم : هزله . الربوع : جمع ربع : وهو الدار ، والموضع الذى يرتبعون فيه فى الربيع .
٢ — وفى نسخة « هاج شوقى » .
٣ — فى الأصل « لم يفز باحتفاظ » .
٤ — وفى نسخة « يناوى الفجوع » .
٥ — وفى نسخة « قل لنا نم اخبر » .

عَفْرُ خَدّى(١) بِتُرْبَةِ الخِلِ دَهْراً
ما لِطَرْفٍ تَفَتَّاهُ نَوْمٌ هُجُوعُ

عِيسُ رَكْبِ الحجيجِ حَنَّتْ كما نَاحَ
لِعَيْنِ الغَزالِ هذا الربُوعُ

عاشِقٌ يهجرُ المعارفَ مُضْنى
من غَرامٍ حَوَتْهُ تلك الضُلُوعُ

عادِمُ الصَبرِ زَجَّ(٢) للبَلايا
ما لَهُ عن حديثِ لَيْلَى رُجُوعُ

عبدُ مَحْبُوبَةٍ سَبَتْهُ فما دامَ
لَه العُمْرُ باسم سَلْمَى قُنُوعُ

عاقِلٌ غيرُ عاقِلٍ حارَ فيهِ
من أُولِى العِلْمِ والذكاءِ جُمُوعُ

عِيدُهُ من بَشَارَةٍ أرْسَلَتْها
أمُّ عَمْرٍو(٣) فى الصَكِّ مِسْكٌ يَضُوعُ

عُذْرُ « نُورى » أنّى يُبانُ لِحالٍ ؟
هِمَّةُ جمعُ ما لِهِ والبُيُوعُ

* ● *

غَرَّ « نُورى » فى مِسْكِها(٤) الأصْداغُ
لاوهيهاتَ منه فيها الفَراغُ

---

١ — فى نسخة « عفر الخد تربة الخل » .

٢ — وفى نسخة « رجه للبلايا » .

٣ — « ام عمرو » كنية الضبع ، ويكنى به عند أهل التصوف الشهوات ، والشياطين . « الصك » الكتاب . ضاع المسك يضوع : أى تحرك فانتشرت رائحته .

٤ — وفى نسخة « من سقيها » . « غر » : أى خدع . الاصداغ ، جمع صدغ : وهو ما بين الاذن والعين والشعر المتدلى على هذا الموضع .

غارَ فيها ولاتَ حينَ سَلْوٍ أو شَرابٍ من بَعدِها أو مَساغِ
غَنّتني يانَدِيمَ رَوْضٍ حَفيفٍ(١) فيهِ بانَ تَلْوِينُها والصَباغُ
غافِلُ الحُبِّ والنَوَى ليس يَدْرِي
ما لدينا وإنْ أجازَ البَلاغُ
غَيْدُ تلكَ الظِباءِ سَبَتْنا وما إن كانَ إلاّ لرَسْمِنا الإدماغُ
غِبْطَتي أن يُبَدَّلَ الخيرُ شَرّاً بعد أنْ كان حُكْمُهُما الإسْباغُ
غَشِيَتْها نُورُ الجَلالَةِ يا وَ يْحَ عُيُونٍ عن دَرْكِها قد زاغُوا
غَفَرَ اللهُ ذنبنا بإختشام شَفَعَتْ نَحْوَهُ لنا الأصداغُ
غَطْفَانُ الحِرباءِ حولَ حِماها أنْشَدَتْ في جَمالِها حين زاغُوا
غِبْتَ « نُوري » في حُسْنِ هَيْكَلِ نَحْرٍ
أحْكَمَتْ في تَنْقيشِهِ الصُوّاغَ

* ● *

فُقْتُ أرْقى بالسَيْرِ سَيْرَ خَفيفٍ
فوقَ جِرْمِ الكثيفِ(٢) بعدَ اللّطيفِ
فَتَحُ بابِ الغُيُوبِ سَهْلٌ لدينا أكرمَ اللهُ بالقَريبِ الشَريفِ
فَيْضُهُ لي والرُوحُ يختالانِ في التَياسِيرِ للمَقامِ المَنيفِ
فاهَ إلينا فما تركنا عُلُوماً وإسْتَبَنّا بِهِ عُلُومَ الصَحيفِ
فإقْتَطَفْنا الثِمارَ منهُ وقد كا نتْ أيادٍ طالتْ بِنا للقَطيفِ
فاقِدِينَ الوُجُودَ مِنّا فألقى من قُواهُ القَوَى لجِرْمٍ كَثيفِ
فاختِباتُ الحَمامِ شَوْقاً إليه غَرَّدَتْ فيهِ بالفُؤادِ الوَجيفِ

---

١ — « حفيف » الحافة : الجوانب . حففناهما نخل : أي جعلنا النخل مطيفة بأحفتها .
٢ — وفي نسخة « فوق جرم كثيف » .

فازمِنّا ذُو الودّ حقّاً ، وخابتْ بالقلى ذُو تكبّرٍ وحَيفِ
فى تَوارِيخِنا مكارمُ خُلُقٍ فإقْبِسُوها من ذا الكتابِ الخفيفِ
فوجُ فجِّ الحبيبِ مَهْلاً فـ« نُورِى »
بعدُ سالكٌ بقلْبٍ وجيفِ

* ● *

قرّبَ اللهُ قصْدَكُمْ فوْقَ صِدقٍ
كمْ بلُطْفٍ ظفرْتُمْ(١) وبرفْقِ
قامَ فيكم حبيبُنا بإنتصارٍ(٢) فى الأعادِى وفى الذُنوبِ بعِتْقِ
قيمةُ العُمْرِ غيرُكم ما درَوْها حبّذا سيْرُكمْ وأنعِمْ(٣) بسبْقِ
قرّتْ العيْنُ بالمُناجِى بليْلٍ إذ تُناجُونَهُ بأشْواقِ مَلْقِ
قومُ سبْقٍ وعزْمةٍ وفلاحٍ بجمالِ المحْبُوبِ من عظمِ سبْقِ
قعَدُوا واستراحتْ النفس منهم فى جوارِ الحبيبِ ذوْقاً بذوْقِ
قطعُوا ليْلةَ الوِصالِ وإنْ طا لَ مداها لمْ يعْرِفُوها لشوْقِ
قسْطُهُمْ فى قُلُوبهمْ نُورُ بدْرٍ
كلُّ حينٍ بها لوامعُ برْقِ
قبْرُ ميّتٍ لو يعْبُرُونَ عليه أنْعشُوهُ وأنحضوه(٤) برِقِ
قُمْ بأعْتابهمْ فإنّك « نُورِى » نادِمُ(٥) القوْمِ بل ومنهم بصِدْقِ

* ● *

---

١ — وفى نسخة « ظفرتمو وبرفق » .
٢ — وفى نسخة « عن سماح فى الاعادى » .
٣ — وفى نسخة « وانعم بسوق » .
٤ — وفى نسخة « وحطنظوه » . لكنه ربما الصواب « حنطوه » .
٥ — وفى نسخة « خادم القوم » .

كلُّ مَعَالى حَظُّهُ هذا السَّالِكَ نوَّرَ لهُ ليلَ الظَّلامِ الحالِكَ(١)
كَشْفٌ عَظِيمٌ فى شُهُودٍ دائمٍ مُلْكٌ جسيمٌ فى جوارِ المالِكِ
كانتْ لَهُ الدنيا وما فيها وما بالى بِهَذا الجيفِ(٢) القَبيحِ الهالِكِ
كَفَرَتْ بها ناسٌ وناس آمَنَتْ تَبًّا لقَوْمٍ آمنوا بمَهَالِكِ
كَشَرَتْ لِدىَّ بثغْرِها فتَهَرْتُها زُهْدا فقلت: تَبًّا عَدِى بجَمَالِكِ
كَذَبَتْ بوَعْدٍ أخْلَفَتْ غيرى بهِ
أفَمَا عَرِفتِ بعَقْلِكِ وبِبَالِكِ
كَيْفَ المَغَرَّةُ(٣) بالعَرِيفِ الماهرِ
رَكَبَ الخُيُولَ فلم يَقَعْ بِحِبَالِكِ
كَمْ مرةً سحرتْ بزَهْرَةِ حُسْنِها
شىءٌ عليمٌ واقعٌ بخَيَالِكِ
كُوعى بسلْسَلَةِ المكيكِ مُعَلَّقٌ
فَيَجُرُّنِى عن ساحرٍ كمثَالِكِ
كيسى مَلِىٌّ بالقَنَاعَةِ ليس لا «نُورِى» ثَمَّةَ حاجةٌ بمَنَالِكِ(٤)

* ● *

لوامِعُ(٥) وَجْهِ الحقِّ فى القلبِ نازِلُ
وأُنْسِى بذا الوَجْهِ المقَدَّسِ كامِلُ
لواعجٌ(٦) شوقى فى مُحْرِقَاتِ شَغَافِهِ
دُمُوعى على صَحْنِ الخُدودِ سوائِلُ

١ــ حالك : اسم فاعل من حلك الليل : اى اشتد سواده .
٢ ــ الجيف : جمع جيفة : وهى الجثة الميتة . هالك : اى فان .
٣ ــ المغرة : الاغترار والانخداع .
٤ ــ منال : مصدر ميمى من نال ينال نوالا : وهو العطاء .
٥ ــ لوامع الوجه : اى بريق لونه .
٦ ــ وفى نسخة « لواجع » لواعج : جمع لاعج : وهو الهوى المحرق ، يقال : هو لاعج لحرقه الفؤاد من الحب .

لِذَكَرِكِ فِي قلبي مَواطِنُ دائماً ... وليس له غيرُ القلوبِ مَنَازِلُ

لنا عِنْدَ شُرْبِ الصَّبُوحِ وفي المسا
غَبُوقٌ(١) من الساقي فهل أنْتَ سائلُ ؟

لَوَامِسُ(٢) غِيدانِ الغَزالِ تَعَشَّقَتْ
لَصَوْتِ حَمَامٍ غَرَّدَتْهُ الحواصِلُ

لأُنثى إذا صَوَّرْتُ قُمْرِيَّ أرْضِها
تَخَيَّلَ لي في شَجْوِهِنَّ البَلابِلُ

لَزِقْتُ بِمَحْبُوبي وإنْ حالَ بيننا
مراتِبُ شَتَّى والنَّوا والفَواصِلُ

لحِقْتُ بِلَيْلَى في ليالٍ طَوِيلةٍ
وعانَقْتُهَا والقَلْبُ بالحالِ غافِلُ

لأقْمَارِ حَيِّي نشتكي بَثَّ بُعْدِنا
أَلا هَلْ إلى رَبْعِ البُدُورِ دَلائِلُ

لأم(٣) العَمَى إنْ لم تروها فتعذلوا
رأتْهُ عُيُونِي فهي عنكم ذَواهِلُ

* ● *

---

١ — الغبوق : الشرب بالعشى ، وخص بعضهم به اللبن المشروب في ذلك الوقت . الصبوح : كل ما اكل او شرب غدوة ، وهو خلاف الغبوق .

٢ — وفي نسخة « لمائس » : وهو اسم فاعل من مائس : اى تبختر . ولوامس : اما جمع لامس ، وهو من اللمس ، بمعنى الجس ، او وامس : جمع الومس : وهو احتكاك الشيء بالشيء حتى ينجرد . ويمكن أن يقرأ « لواس » وهو اسم فاعل من اللوس : وهو تتبع الانسان الحلاوة ليأكلها .

٣ — وفي نسخة « لعام اللمى ان لم تردها فتعذلوا » .

مانَقَانَا الغَيْمُ عن بَدْرِ التَمامِ ... فهو شَمْسٌ ما عليها مِنْ غَمامِ
مالَ فى لَيْلَى وسَلْمَى مُفْرِداً ... فى مُحَيَّاهُ(١) الفُؤادُ المُسْتَهامُ
ماتَ فى أبْوَابِهِمْ قابى فَعَا ... شَ ومَوْتٌ ليس فيهنَّ الحمام
ما أجَلُّ (٢) الصَبَّ أو أصْبَرَهُ ... تحت سطواتِ الصَبَابات المقام
ما حَلَّ القَهْرُ إذا حَلَّ بِهِ ... بَدَّلُوا فَضْلاً وخَلَّوهُ الإمام
مالكٌ فى مُصِرٍّ مُنْقَادٍ لَهُ ... أهلُها بأمرهم هذا الهُمَامُ
مانِعِى(٣) من جَعْلِهِ رَبَّ الوَرَى ... قِلَّةُ الأفهامِ أسْرارَ الكَلامِ
ماكِثٌ فى وَصْفِ ذُلٍّ بعد أن ... كانَ فى إظهارِ أوْصافٍ عِظَامِ
ما إسمُه إن قيلَ لى تَجْرِبَةً ؟
قلت : غوثُ الخَلْقِ أو قُطْبُ الأنَامِ
ما سِوى « نوزى » بكم فى حالِهِ ... فاسلكوا الآدابَ عنه بإحترامِ

* ● *

نَعُوذُ باللهِ ذِى الألْطَافِ والمِنَنِ
من كلِّ سوءٍ من الآفاتِ والمِحَنِ
حَسْبِى ونُضْحِى بذَنْبٍ وهو يَسْتُرُنا
بِعِظَمِ رأفَتِهِ فى السرِّ والعَلَنِ(٤)
نِهايةُ الجُودِ مِمَّا فيه خَوَّلَنَا
يخْفَى عن الخطِ والإملاءِ واللُسُنِ

---

١ — المحيا : الوجه . المستهام : المتحير والهائم .
٢ — أجل : أى أعظم . الصب : أى الشوق . سطوات : جمع سطوة : وهى الصولة والقهر والبطش . المقام : أى موضع القدمين .
٣ — وفى نسخة « مانع من جعله » .
٤ — وفى نسخة « والعين » .

نبيت فى سَعَةِ الأرزاقِ من رَغَدٍ
من النَعيمِ ومن تَقْسيمِهِ الحسنِ
نُعامِلُ اللهَ سِرًّا وهو يَغْفِرُهُ
يُعْطِى الجِنانَ بلا بَيْعٍ ولا ثَمَنِ
نَشَابُ أقدارِهِ بالهَدَفِ إن نَشِبَتْ(١)
فقد يُداوى بِرَفْقٍ جُرْحَ مُمْتَحَنِ
نِيابَةً(٢) فى محاويجِ الورى كرماً
على سَوِىِّ الصراطِ أكرمنى
نُؤمِنُ اللهَ فى تصريفِ حكمتِهِ
بما نُحِبُّ وهذا شأنُ مُؤْتَمَنِ
نصائحُ العبدِ راجتْ للبيتِ إذا
كانتْ بمولاىَ كانتْ غايةُ اللسُنِ
«نورى» من اللهِ بلاغٌ لمَأْمَلِهِ
لأنَّهُ دائماً بالله فى المِنَنِ

* ● *

وامَبِيتِى(٣) فى مَسَاءٍ وغُدُو
بِانْخِفاضٍ وارتقاءٍ فى عُلُو
واسِعًا(٤) لمّا أحاطَ الروحُ مِنّى
لم تكنْ فَوْقَ سماءٌ فى سُمُوا
والِعاتٌ(٥) صارِخاتٌ آسِفاتٌ
هذه الأركانُ حَنَّتْ فى شُجُو
واجِعاتٌ فى فُخُوخٍ عاجِزاتٌ
تلك قُمْرِيّاتُ إلْفٍ عن حُنُو
وامِعاتٌ(٦)هاطِلاتٌ من صُدود
أدمعى مذ شاهدتْ عَيْنِى سلو

---

١ — وفى نسخة « ان نسبت » النشاب : النبل ، ومفرده نشابة ، وهو السهم .
٢ — نيابة : منصوبة على أنها مفعول اكرمنى . او بنزع الخافض .
٣ — وفى نسخة « وابيتى » .
٤ — واسعا : أى جامعا او حاملا .
٥ — والعات : من ولع يلع : اذا كذب فى عدوه ولم يجد ، ومولع به : اى مغرى به .
٦ — وفى نسخة « وامقات » . الومعة : الدفعة من الماء .

واقِفاتٌ وجِفاتٌ خائِفاتُ ليتها فازتْ بِقُرْبٍ أو دُنُو
وادِي الأحبابِ لمّـا أن سلكنا فيه شاهَدْنا به سُكْنى عَدُوّ(١)
وابِلُ الفَيْضِ اللَّدُنّ تدانى فَوْقَ أحوالٍ فقاست(٢) فى نموّ
وائِقِ الوَعْـدِ الذى واعد تمونى ليس كالمغرور فى لَيْتَ ولَوْ
والهيفانَ(٣) الهَوَى « نورى » تَذَكَّرْ
ما جَـرى مِنّى ومنهم فى غُدُوّ

* ● *

هاكَ بيتاً عَمَّرْتَهُ يا إلَهَ(٤) فيك هنـا أعدّه الانتبـاه
هامَ فى نفسهِ بحسنِ بنـاءٍ من جليلٍ سُبْحانَهُ إذا حَواهُ
هاتَفُ اللهِ واضعٌ كلَّ حينٍ فيه بالوَحى يَلْقَ(٥) الذِكْرَفَاهُ
هاجَ كالخِيلِ(٦) فى مَيادِينِ أُنْسٍ
رهـو باللهِ سـائرٌ فإجْتَباهُ
هالِكُ الكونِ ساحتْ(٧) سِرْتُ فيـه
أتَّكِى فى مَـزالِقَ بعصَـاهُ
هابَنى هَيْبَةَ الأُسُودِ ، لأنّى لاحَظَتْنِى عُيُونُهُ فى قـواه
هؤلاءِ الأكوانُ إذ كُنْتَ منه طارحْ النَفْسَ فى جِوارِ حِماهُ
هاطِلُ الدَمْعِ حَسْبُنَا من سُكُوبٍ
ليسَ بالخَوْفِ والبُكَا مُصْطَفَاهُ

---

١ — وفى نسخة « سكنى غدو » .
٢ — وفى نسخة « قامت فى نمو » .
٣ — لهيفان : تصغير لهفان : وهو المظلوم المضطر يستغيث ويتحسر .
٤ — وفى نسخة « يا الله فيك هنا ومنا الانتباه » .
٥ — وفى نسخة « ملقى الذكر فاه » .
٦ — وفى نسخة « هاج كالخليل » .
٧ — وفى نسخة « ساحته » . ساحت البئر : أى جرى ماؤها وفاضت .

هادياً فى الشؤون منه إليه حيث ما كان فى الوجود سواه
هالعُ قلبك المقرَّبُ « نورى » فى صفاء (١) الأعمال أم فى صفاه

* ● *

لا مِنَ الماء كنتُ يا أُنْسُ لالا سوفَ أدنى إليك حالا فحالا (٢)
لا من النار والعناصر منِّى لستُ منها سبحانَ أمرى تعالا
لا ترابٌ ورُوحُ آدمَ أمرى جلَّ أمرى وعزَّ شأنى تعالى
لا هواءٌ ونارُ إبليسَ عنِّى وهو (٣) يُغوِى العبادَ ضلالا
لا ضعيفٌ ولا قوىٌّ وحاشا أنْ ألاقى سوى التقدُّسِ حالا
لا لطيفٌ وكلُّ لطيفٍ (٤) منِّى لا خفيفاً إذا مشَيْتُمْ ثقالا
لا من الأرضِ نلتُ أتى إذْ دحاها
وإنتشائى من الوجودِ إستحالا
لا بسيطٌ ولا طويلٌ عميقٌ بل صفاتى وجدْتُهُنَّ (٥) طوالا
لا يمينٌ ولا شمالٌ ؛ أمامى
مثلُ خلفى ، والفوقُ تحت كمالا
لا قريبٌ من الوجودِ العديم (٦) لا بعيدٌ كما نفَيْتُ إتِّصالا

* ● *

يومُ وصلى بالواحدِ السرمدى ليلُ فصلى إلى المقامِ العالى

---

١ — « صفاء » الخالص الذى لا كدورة فيه . « ضفاء » الجانب والطرف . وفى نسخة « فى ضفاء الأعمال أم فى جفاه » .
٢ — وفى نسخة « خالا فخالا » .
٣ — فى نسخة « ونار ابليس منى وهو يغوى » .
٤ — وفى نسخة « وكل لطيف فمنى » .
٥ — وفى نسخة « وجتهن » هذا سهو ربما نشأ من ادغام الدال فى التاء .
٦ — هكذا مكتوب فى الأصل « العديم » لكن الصواب « القديم » .

يُسْمِعُ السَّمْعَ صَوْتُهُ فوقَ طورٍ
ذاكَ سَمْعُ المُكَلِّمِ المُوسَوِي

يألَفُ الوحْشَ من أرادَ نَجَاةً زاهداً في الطريقةِ (١) العيسَوِي
يا عبادَ البُطُونِ أنْتُمُ كُسَالَى كلُّ شرٍّ يأوِي لِبَطْنٍ مَلِي
يَهجُرُ الصَّبُّ أهلَهُ (٢) وكَرَاهُ يَذْكُرُ اللهَ بالفؤادِ الخَلِي
يُوجِعُ الشَّمْسَ بالمجاعةِ دَهراً والظَّمَا ساكنُ المَقامِ القَصِيّ
يَحْيَوِيٌّ (٣) وإنَّهُ لَحَصُورٌ يَتَقَوَى على الصِراطِ السَوِيّ
يَومُهُ صَائِمٌ وقائمُ ليلٍ يَتَّقِي رَبَّهُ بِقَلْبٍ شَجِي (٤)
يا عَظِيمَ النَوالِ مَنْ لِي بهذا حُبُّ هذا بذا الفُؤادِ الغَوِيّ (٥)
يا إلهِي بأحمدَ (٦) كُنْ لـ « نورِي »
قد وَصَفْنَاكَ بالبَرَ (٧) الحَيِيّ

* ● *

أُقسِمُ باللهِ إلهاً صَمَداً إنَّكَ موجودٌ وحيدٌ أحدا (٨)
أحمدُ بالحقِّ أتانَا وبما
جاءَ بِهِ يَصْدُقُ ما كان سُدا (٩)
آدمُ والولدَ إلى مرشدنا كلٌّ أتَوْا ليس بهم مَنْ وُلِدا

---

١ — وفى نسخة « فى طريقه العبسوى » .
٢ — وفى نسخة « كسرا » .
٣ — يحيوى : نسبة الى يحيى بن زكريا عليهما السلام .
٤ — شجى : أى حزين .
٥ — الغوى : الضال . والنوال : العطاء .
٦ — وفى نسخة « بأحد » .
٧ — وفى نسخة « بالعفوى الحيى » وفى نسخة أخرى : « بالسبر الحمى » .
٨ — وفى نسخة « ابدا » .
٩ — وفى نسخة « ما كان مدا » .

أكملُ — أو بِعِدْلِهِ — فى خُلُقٍ
كان بمعنى أو بخلقٍ جَسَدا
أوّلُهُمْ جاءَ بِروحٍ ، وأتى آخرَهُمْ يَرْعَى جميعاً إذ هَدَى
أوّلُ قُرْآنٍ كلامٌ أُزِلَ بِسْمِ ، ألم ، إلى — الناس — مَدَا
إنّ لموْتاً اتقيامٌ ، ولنا بعد قيامٍ لَحِسَاباً وجدا
أفْلَحَ مَنْ مَرَّ إلى الخُلْدِ ، وقدْ خابَ على النّارِ لعبدٍ قعدا
أخْلَدَنَا اللهُ بخلدٍ كَرَماً
نَحْنُ قَعَدْنَا فى مَخُوفٍ جَلَدا
أنتَ إلهى و « نورىّ » لك فى لطفكَ حَظٌّ وخِتَامُ السَّعَدَا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة الرائية فى مدح الشيخ عبد القادر الكيلانى قدس سره نظمها الشيخ نور الدين ليلة الأحد أواخر جمادى الأولى سنة ١٢٣٩ هـ

اللهُ يكفينا شُرورَ المَاكِرِ
وبهِ غداً نَحْظى(١)بِلُطْفِ الشاكِرِ
يا صاح دعْ لهْواً وكلَّ مَنَاكِرِ
ذكر الإلهِ حَيَاةُ قلبِ الذاكِرِ
فأمِتْ بِهِ كَيْدَ الغُرورِ الغادِرِ
وإصبِرْ على بَلْواهُ فى أيَّامِهِ
وإسمَعْ خِطابَ الحقِّ فى أحكامِهِ
وإجعل فؤادك مَنْزِلاً لمقامِهِ
وأذكرهُ وأشكرهُ على إنعامِهِ
ذِكْراً تَنَقَّتْ بالذكور الذاكر
واذكُرْ قِيامَ الرُوح يومَ تَعَرَّضَتْ
حيثُ الأمانَةُ ظَهْرُهَا قد إنْقَضَتْ
وأذابَهَا شَفَقاً وفيه تَمَرَّضَتْ
وأعِدْ حَدِيثَكَ عن ليالى قد مَضَتْ
بالأبْرَقَيْنِ وبالعُذَيْبِ وحَاجِرِ(٢)
لمَّا دلى رُوحُ المحبِّ بِنبْلِهِ
وهنا لك العُشَّاقُ قَتْلى نَصْلِهِ

---

١ – فى الأصل « نحضى »
٢ – وهى أسماء أماكن

أحبّاءُنَا أنتم سُكّارَى فَضْلِهِ
سَقْيًا لأيّام العَقيقِ وأهْلِهِ
ولكلّ مَنْ وَرَدَ الحما مِنْ زائِرِ
هَجَرُ الحبيبِ (١) أحرُّ هجر الصائفِ
ولدىَّ رُوحُ القُرْبِ ريح مَهَاتِفِ
رُدُّوا سَقَامِي نحوَ ذاك القائفِ
أحلى مِنَ الأمنِ إسبَانِ لخائفِ
والوصلُ بعدَ تقاطُعٍ وتَهَاجُرِ
حضراتُ قومٍ كأسُهَا مَتْرُوبَةٌ
وعروسُ أترابٍ لنا مخطوبَةٌ
يا صاحِ كم أيّامها مرغوبةُ
أيّامُ الأخير أقْمَارُها مَحْجُوبَةٌ
اعنّا ولا غزّالانُها بِنَوَافِرِ
فهنا لكَ البُشْرى لنا بِلقاكُم
وتفورُ رُوحُ شهيدكم بحبّاكم
يا أهل وُدّى واصِلُوا مَرْضَاكم
فتَعُودُ أعْيَادِي بِعَوْدِ رِضَاكُمْ
عَنّى وتملى بالسرور سرائرُ

---

١ — (هجر الحبيب) أى إبتعاده . (هجر الصائف) : أى نصف النهار عند اشتداد الحر فى القيظ

ما كنتُ عن باب الأحبَّة زائلاً
أبكى على فَقْدِ الأحبَّةِ قائلاً
يا نُورَ قلبي نستُ عنكم مائلاً
ولقد وَقَفْتُ على الطُلُولِ سائلاً
عن أهلِ ذاكَ الحَيِّ وَقْفَةَ حائرِ
من لي ونفسي بالفراقِ تحيرتْ
لأهَيْلِ ذاكَ الحيِّ حيث تعسَّرَتْ(١)
رؤياهُمُ لي فالأماكنُ أخبرتْ
فأجابني رَسْمُ الديارِ وقد حَرَتْ
فيه دُمُوعي كالسحابِ الماطرِ
قِفْ بالطُلُول على غَرام وافْتَقِرِ
واصبر على لَوْعَاتِ نارِكَ وانتظر
وإكْسِرْ بأعتابِ الأحبَّةِ تَنْخَبِرِ
ذَهَبُوا جَميعاً فاحْتَسِبْهُمْ واصطبر
فعساك أنْ تحظى بأجر الصابرِ
أفنى ظلامَ العمر صبحٌ سافرٌ
وأتتْ على رَغْمِ البقاءِ نَوافِرُ
هذا رقيبُ الموتِ قَبْرُكَ حاضرُ
فَتَزَوَّدْ التقوى فأنت مُسَافِرُ
وبغير زادٍ كيف حالُ المسافرِ
فاخْضَعْ إلى المولى الكريم تَبَتُّلاً
واترك تَوانى فَتْرَةً وتَكَسُّلاً

---

١ — فى الأصل (تقسرت)

وأذكـــر جِنَايَاتٍ قَرَفْـــتَ تعَمّـــلاً
فالـــوقتُ أقصرُ مـــدةً من أنْ تـــلاَ
فيهِ فسارِعْ بالجميلِ وبادِرِ
عَـــرِّجْ على طَلَلِ الأخِلاَّ والرُبـــا
فَهُمُ الذين بِدوْرِهِمْ سَكَنَتْهُ قُبا(١)
مُتْ فِي هَوَاهُمْ بالجمالِ تَعَجُّباً
واجعل مَدِيحَك إنْ أرَدْتَ تَقَرُّباً
من ذى الجلالِ بباطِنٍ وبظاهِرِ
مَـــدْحُ إلَـــهٍ بذِكرِهِ وكتـــابِهِ
سكـــانَ يَثْـــرِبَ (٢)مصطفى أحْبَابِـــهِ
فاذكر جميلَ المدحِ فِي أطْنَابِهِ
للمصطـــفى ولآلِـــهِ وأصحـــابِـــهِ
والشيخ محيي الدين عبد القادِرِ
من كان ذا أمْرٍ عَجِيبٍ نافِذِ
كَهَفِ الدخيل وعَوْنِ عبدٍ لائِـــذ
مَنْ ذكره فى الكَوْنِ كالمِسْكِ الشَذِى
بَحْرِ العُلومِ الحَبْرِ والقُطبِ الذى
ورِثَ الولايَةَ كَابِراً عن كابِرِ
فَحْلِ الفُحُولِ ومن لَدَيْهِ مَرَامُهُمْ(٣)
بَدْرِ البُدُورِ بِـــهِ يُنَارُ ظَلاَمُهُمْ

---

١ – (قباء) موضع بالمدينة المنورة
٢ – (يثرب) أسم المدينة المنورة
٣ – فى الأصل (مراعه) لكنه لايستقيم الوزن .

وهو الذى تصفو لديه كلامهم
شيخ الشيوخ وصدورهم وإمامهم
لب بلا قشر كثير مآثر
الله أبرزه إلينا مرشداً
فجميع من والاه أمسى مسعدا
كم كان للملهوف عوناً منجداً
تاج الحقيقة فخرها نجم الهدا
يتة ، فجرها نور الظلام العاكر
وأتى من الملكوت شادوس النيدا
يدعو بأن الشيخ برهان الهدى
هذا الذى من فور طلعته بدا
روح الولاية أنسها بدر الهدا
يتة ، شمسها لب اللباب الفاخر

يتبوع كل فضيلة من يشترى
يأخذه من الفرد العايم الأقمرى
وعلومه كطهور ماء الكوثر
صدر الشريعة قلبها فرد الطرى
قة ، قطبها نجل النبى الطاهر
آوى له الآمال كل دأبه
وأضاء أحلاك الدياجى حبه

فهو الذى إنْقَلَبَ الشَّهَادةَ غَيْبُهُ
ودليلُهُ الوقتُ المخاطَبُ قلبُهُ
بِسَرائِرٍ وبَواطِنٍ وظَواهِرِ
هو الذى ملكَ المعالى قهرةً
لمّا تَرَقّى فى المَراقى ظَهرةً
والأمْرُ يُغْنِى عن بيانٍ شُهْرةً
وهو المُقَرَّبُ والمكاشِفُ جَهْرَةً
بغيوبِ أسرار وسرِّ ضَمائِرِ
فا لمُلْتَجِى بالشيخ يُكْشَفُ ضُرُّهُ
والْحَقّ فِى كلّ الأمورِ بِبَرِّهِ
وأنالَهُ ما شاءَ وهو يسرُّهُ
وهو المِسَامِرُ والمُنَادِمُ سِرُّهُ
بفُنُونِ أخبارٍ وكشفِ سَرائِرِ
وأتى إليه من المُهَيْمِنِ حَوْلُهُ
والميلُ من كنز المواهبِ طَوْلُهُ
فهو الذى فى كلِّ قلبٍ هَوْلُهُ
وهو المُنطِقُ والمؤيَّدُ قَوْلُهُ
ولَهُ فُتُوحُ الغيب آيةُ قادِرِ
وله الرضا من رَبِّهِ عند القَضَا
فَغَدا لَهُ خير القَرِين مُقَيِّضاً

وسَرَى إلى المولى فصارَ إلى الفضا
وله التَحَبُّبُ والتودُّدُ والرضا
من رَبِّهِ بِمَعَارِفٍ كجواهِرِ
أحيى الهُدى كالبدرِ في دَيْجُورِهِ
من بعد أدبارِ شمس ظُهُورِهِ
لمّا دنى من رَبِّهِ بِحُبُورِهِ
سَلَكَ الطريق فأشْرَقَ (١) في نُورِهِ
وعُلُومِهِ بِضياءِ بدْرٍ زاهِرِ
فَدَنُوّهُ لِلهِ أعظمُ قُرْبَةٍ
فغدا لأرواحِ الأكابر كَعْبَةً
أنظر لتُرْبَتِهِ الرفيعةِ غربةً
وعُلاهُ أعلى في المعالي رُتْبَةً
وأقمارُهُ (٢) مامثله لمفاخِرِ
فَمَقامُهُ في القُرْبِ دون نِهايَةٍ
وآرى لَهُ الإكرامَ في لاغايَةٍ
هذا الولىِّ المُجْتَبَى بِعِنايَةٍ
خَلَعَ اللهُ عليهِ ثوبَ ولايَةٍ
وأمَدَّهُ من جُنْدِهِ بِعَساكِرِ
ومَنَا قِبُ الأشرافِ فيهِ تَجْتَفِلُ
فمن الثَنَاءِ عليه دَهْرَك لاتَمِلُ

---

١ – في الأصل (فاشرقت)
٢ – في الأصل (وقماوه)

واذكُرْهُ فهو النُخبَةُ الوافي العدل
فَلَهُ الفَخارُ على الفخار بفَضْلِهِ ، أَلْ
وافي وبالنَّسَبِ الشريفِ الباهِرِ
فَلَهُ زكاءُ الدهْرِ فينا أشْرقَتْ
وأضاءتْ الأفاقَ ثم إستغرقتْ
وعَبيرهُ كلُّ الأنُوفِ إستَنْشَقَتْ
وله المناقِبُ جُمعِتْ وتفَرَّقَتْ
في كلّ نادٍ دائرٍ أو عامِرِ
فالله في الآفاقِ أطلَعَ سَعْدَهُ
وأبانَ قُرْبَتَهُ وأخفى بُعْدَهُ
وبجنَّةِ الإجْلالِ أنجز وعده
فابنُ الرِفاعي وابنُ عبدٍ بَعْدَهُ
وابو الوَفا وعَدِيُّ بن مُسافِرِ
فلشيخنا فضلٌ عليهم مُطْلَقاً
وعليهمُ فَوْقَ المَعارِجِ قَدْرُقَا
فَتَعَا وَرُوا من بعدِهِ دَوْرَ النَقَا
وكذا إبنُ قَيْسٍ مع علي والبَقَا
معهم ضياءُ الدين عبدُ القاهر
لقد إهْتَدَوْا طُراً بأنجم سعدِهِ
وتَوارَدُوا بَحْرَ الهوَى من وِرْدِهِ
وتمسكُوا بحبالِ عَزْمَةِ جَدّه
شَهِدُوا بأجْمَعِهِمْ مَشاهِدَ مجدِهِ
ما بينَ بادٍ فضلهم والحاضِرِ

وبإذْنِـــه جاؤا فنـــالوا دَنَّـــهُ
وشَرابُـــهُ من ذاقَـــهُ جَنَّـــهُ
فجميـــعُ أهـــلٍ حقَّـــقَ ظَنَّـــهُ
وأقَرَّ كُـــلُّ الأولِيـــاءِ بأنَّـــه
فَرْدٌ شريفُ ذو مَقَامٍ ظاهِرِ
فَعُلُـــومُ ألْبَابٍ لَهُمْ من لُبِّـــهِ
فهم إسْتَمَدُّوا من جَلاَيَا قَلْبِهِ
فَبَدَا لَهُمْ إن لم يروا من حُبِّهِ
وبأنَّهُمْ لم يُدْرِكُوا من قُرْبِـــهِ
مَـــعَ سَبْقِهِمْ عِلْمُ غُبَارِ الغَابِرِ
دانَتْ مَنَازِلُهُمْ بنسبةِ قَدْرِهِ
فلذاكَ مـــا شَهِدُوا عَوَالِيَ قَصْرِهِ
حقّاً ولاعَرَفُوا مَعَارِفَ صَدْرِهِ
كَلاَّ ولاشَرِبُوا إذاً من بَحْرِهِ
مع رَيِّهِمْ إلاَّ كَنَبْقَةِ (١) طائِرِ
شَهِدَتْ طَوِيَّتُهُمْ بذاك وقَوْلُهُمْ
عَرَفُوهُ بالإذْعانِ إذ هُوَ أصْلُهُمْ
فَعَايَنْتُ مِمَّا قد تَبَيَّنَ فِعْلُهُمْ
أصحابُـــه نِعْمَ الصحابُ وفَضْلُهُمْ
بادٍ لكلِّ مُماطِلٍ ومُنَاظِرِ

---

١ — الظاهر « الا كنقرة طائر »

فيهم(١) تأسٍّ وللهُدى عَيَّنْهُمْ
وبفضلهم نَسَوِّهِ ولا تحزنهم
وبكُلِّ نادٍ فى الورَى بَيَّنْهُمْ
وهو رُؤُسُ الأولياءِ ومنهم
أقطابٌ بَينَ مَيَامِنٍ ومَيَاسِرِ
هذا مَدِيحِى طَيِّبٌ ومَقَالَتِى
للهِ يا إماماً فى المكارمِ قد فَتَى
فاسمع كَلاَمِى شاكراً لإشارَتِى
يامنْ تَخَصَّصَ بالكراماتِ التى
عمَّتْ بإجماعٍ ونَصٍ تَوَاتُراً
وجَرَتْ عُصُورٌ فِى مَدِّ آثارِها
ومَشَى جميعُ الخَلْقِ فى أنوارِها
وهم إسْتَظَلُّوا فى مأمَنِ دارِها
وتَنَاقَلَ الرُّكْبَانُ فِى أخبارِها
سِراً حَلَلْتَ لمَسَامِرٍ ومُسَافِرِ
أنت الذى أعْلى المعَالى قَدْ على
للهِ سؤدَدٌ بينَ الأعاظم إذْ غَلاَ
يا مَنْ لقلبى مَدْحُهُ الغالى حَلاَ

---

١ — فى الأصل (فاش)

لما حظوتَ وقلتَ : ذا قدمى علا
كلِّ الرقابِ بجِيدِ عزمٍ باترِ
ومكانةٌ لك فى الكرامةِ مكّنتْ
وكذا المعالمُ فى العوالمِ أعلنتْ
ووجوهُهُمْ لك بالخضوع لقد عنتْ
مدّتْ لهيبتك الرقابُ وأذْ عنتْ
من كلِّ قُطب غائبٍ وحاضرِ
مافاتَ عن ميثاقِ عهدكَ منْ نكلْ
كلٌّ إليك أتى وبالعُتبى(١) وكل
ولك الخُوانُ وكُلُّهُمْ منها أكل
ونشطتْ حين بسطتَ فانقبضتْ لك آلْ
أقطابُ بينَ معاضدٍ ومُناظرِ
والخلقُ أضيافٌ على ذاك القِرىَ
وبك النزُولُ لأهل بدرٍ أوْقِرا
أنت المليكُ المحضُ فانظر ماترى
وعنتْ لك الأملاك من كلِّ الورَى
ما بين مأمورٍ لهم أو آمرِ
عيّتْ عيونُ العارفينَ كمالَ لهْ
مِمَّا بلغتَ من الكمالِ ونوالهْ

---

١ — فى الأصل (ويا لعتبى)

إذ ليس يحصر منك حدٌّ إحالةً
وظهرتَ فضلاً وأحتجبتَ جلالةً
وعلوتَ مجداً فوقَ كلِّ معاصرِ
ولشأنك الملكوتُ صارَ خزانةً
فيُصانُ عن درَكِ العقولِ صيانةً
ولك الجوارُ الأقدسُ كنانةً
وعظُمتَ قدراً فإزتقيتَ مكانةً
حتى دنوتَ من الكليم الفاخرِ
فبدا لكَ الوجهُ المقدَّسُ مُسفِرا
ولقيتَ من بُشرى المحبِّ نَيِّراً
فرجعتَ عن بحرِ الحقائقِ مُخبِراً
ورقيتَ غاياتِ الولا مُستبشِراً
من ربِّكَ الأعلى بخيرِ بشائرِ
وعلوتَ تسموا في البروجِ مُشيِّداً
وسموتَ تعلو في العُروج مؤيَّداً
فسكنتَ عرشاً بالبقاءِ مُمهَّداً
ولقيتَ لمّا أن ضنيتَ مُجرَّداً
وحضرتَ لمّا غبتَ حضرة ناظرِ
فنصبتَ وجهكَ للإلهِ إنابةً
فشربتَ من عينِ الشهودِ صَبابةً

فَبِجُودِهِ آلاكَ منه نَجَابَةً
فَشَهِدْتَ حَقّاً إذ شَهِدْتَ مَهَابَةً
وكذا شُهُودُ الحقِّ كشفُ بَصَائِرِ

من ذا يُؤَمِّلُ فِي ثَنَاءِ حَمِيدِهِ
لك أن يرى أفصا فِي تَعْدِيدِهِ
يامُرْشِداً يُصْغِي لمدح مُرِيدِهِ
مَدِيحِيَ الطَّوِيلُ مُقَصِّرٌ بِمَدِيدِهِ
عن بَحْرِ وَصْفِكَ بالعطاءِ الوافِرِ

أنْجِدْ مُريداً مالَهُ قلبٌ صَفَا
وبعهدِ مَوْلاهُ المُهَيْمِنِ ماوفى
اكْنِنِي مَذْ أرْتَجِيكَ تَعَطُّفَا
أعْدَدْتُ حبَّكَ بعد حُبِّ المصطفى
والآلِ والأصحابِ خَيْرَ ذخائرِ

فانظر إلى فَقْرِي وضَعْفِ(١) صِلَتِي
بِعَظِيمِ فَضْلِكَ لا لأجلِ فَضِيلَتِي
أنت الذى أشْكُوه داءَ عَلِيلَتِي
وجعلتُ فيكَ المدحَ خيرَ وَسِيلَتِي
لله لا لإجازَةِ كالشاعِرِ

ياشَيْخَ أربابِ السَّمَاحَةِ سَمْحَةً
لِدَخِيلِ بابكَ ودِ يَرْجُو مِنْحَةً

---

١ — (وأضعف) فى الأصل

فظننتُ أنّى لن أخيبَ رَوْحَةً
رَجُوْتُ من نَعَماتِ قربك نَفْحَةً
يَحْيَى بها فِي العُمرِ مَيّتُ حاضرِ
لأنالَ فيك الجودَ من(١) بعدِ الجفا
وأفُوزَ بالقربِ المُؤَزَّرِ والصَفَا
وأكونَ فى يوم الحسابِ مخفَّفاً
ثمّ الصلاةُ على النَبِى المصطفى
خير الوَرَى من أوّل وآخرِ
قَطَبَ الذين إلى الجليلِ تَقَرَّبُوا
فإليه كلُّ الأصْفياءِ تَحزَّبُوا
فتَوَسلُوا بجنابِه وتَشَبَّثُوا
فلَكُ الرسالةِ شَمْسُها رُوحُ النُبُوَّ
ةِ ، قُدْسُهَا للحقّ أشْرَفُ ناصِر
فبمعجزٍ (٢) التنزيل يظهر فخره
وبدا فأخفى كلَّ نَجْمٍ بَدْرُهُ
يا من تحلّى عند قلبك ذكرُهُ
فى حُبّهِ قل(٣): ما تشاءُ: فقَدْرُهُ
فَوْقَ النظامِ وفوقَ نَثْرِ الناثرِ
كم أعْيَتْ فى وصفِهِ سُلاّكُهُ
بحرٌ عميقٌ أظلمتْ أحْلاكُهُ

---

١ – (لأنال فلك فيه الجود ومن بعد الجفا) فى الأصل

٢ – فى الأصل « فبمعز التنزيل » .

٣ – فى الأصل (كل ماتشاء)

أنّى يُعَادُ ، وأيْنَ لى إشْراكُهُ
والعجز عن إدْراكِهِ إدْراكُـهُ
وكذا الهُدى فيه فنون الحائر(١)

فالواصِفُونَ على سواحِلِ بحـرِهِ
تاهُوا حَيَارَى فى مَبَادِىء فَخْرِهِ
فلـذا أقـولُ لمادح فى شِعْرِهِ
: اللهُ أنْزَلَ مَـدْحَهُ فِى ذِكْرِهِ
يتلىَ فمـاذا قولُ شِعْرِ الشاعِرِ
ماخابَ من بجنابِهِ الأسمى لَجَا
فهـو الذى مُلِئَتْ بِـهِ كفُّ الرَّجا
وإذا إحتمى بِحِمَى وسِيلَتِهِ نجا
صلىّ عليه اللهُ مـا أبتسم الدُجا
عن جَوْهَرِ الصُبْحِ المُنِيرِ السافِرِ
يـا قـدّسَ الرحمنُ سرَّ الناظِمِ
العـارِفِ البحـرِ المحيـط العـالِم
لازالَ مَحْفُوفـاً بِلُطْـفٍ دائِمِ
وتَعَدُدِي من بحـرِهِ المُتَلاطِـمِ
أمْواجُهُ بلآلئى وجَواهِرِ(٢)
فانا الفقيرُ الخالقى بنُعُـوتِي
وتَـوَسُّـلِى بجنابـه اللاهُـوتِي

---

١ — أعتقد أن هذه الخطابية ليست من أقوال الشيخ ، بل هى من إدراج بعض المريدين فى هذه القصيدة

٢ — « فى الأصل « قنون الحائر » .

أن لا كسَ مـن المنّ ناسُوتي
ويفكّنـي عن سرّه الملكوتي
لأنتم من ذاك للعبير العاطر
يـاربّ نوّرْ عالمَ الجبَرُوتي
يابَرُّ أنزلْ برَّكَ الرَحمُوتي
وألطُفْ إلهي باسمك الرَهبُوتي
وأغفر (لنور الدين) ذا الأيتُوتي(١)
وارزقهُ أصفَى وَصْلِ ماءٍ طاهرِ

يُنقيه ذاك الماءُ من أقذارِهِ
يُبقيه ذاك الوَصْلُ في أنوارِهِ
يَشفيه في الدارَيْنِ من أكدارِهِ
يَكفيه في الكَوْنَيْنِ من أوزارِهِ
يُؤْويه في أعلى مَقامٍ فاخرِ

وارحمه في الدارَيْنِ مع آبائِهِ
مع تابعيهِ ومن دَعَى بِدُعائِهِ
واغفِرْلهم يا مَنْ نَحَيْ بِعَطائِهِ
وبِسم اللهِ ثمّ ببَابِهِ
وبِكَامنِ السرّ الخَفِيّ الساترِ(٢)

---

١ – نسبة إلى (ايتوت) وهى قرية تقع فى الشمال الشرقى لمحافظة دهوك على بعد حوالى عشرة كيلو مترات سكنها الشيخ فى تلك الفترة التى ألف فيها هذه القصيدة

٢ – فى الأصل « الساتر » .

بعض تخاميس الشيخ نور الدين

تخميس القصيدة المنفرجة

جاءتْنِي آياتُ الفَرَجِ لِتزُولَى عن كَبَدِ الوَهَجِ
فالصَّبْرُ مَطِيَّةُ القلبِ الشَّجِي (إشْتَدِي أزْمَةٌ تَنْفَرِجِي
قد آذَنَ لَيلُكِ بالبَلَجِ)

فالصُّبْحُ بنصرى مُنْبَلِجُ والطَّرْفُ بِقُرَّتِهِ دَعَجُ
والقلبُ بذاك مُبْتَهِجُ (وظلامُ الليلِ لـه سُرُجُ
حتى يَغْشَاهُ أبو السُّرُجِ)

هى بُشْرى يتلوها قَمَرُ ولشَرْحِ الصدرِ لها أثَرُ
ولبَهْجَةِ قلبى تَنْتَصِرُ (وسحابُ الخيرِ لها مَطَرُ
فاذا جاءَ الأيّانُ تَجَ)

ولَّتْ منها أزمٌ ذُلُلُ وحُبُورى عنها مُتَّصِلُ
وبها فَرَّتْ مِنّا مُقَلُ (وفوائدُ مولانا جمل
اسروحِ الأنفس والمُهَجِ)

بِحَلاَلَتِها تُرْجى صَمَداً هو مَنْجَانَا صمداً سندا
فَلَكُمْ أسْدى نَعَماً جُدُدا (ولها أدج محيى أبداً
فاقصد محيًا ذاك الأدج)

كمْ مِن مَدَدٍ فينا احْيى مُهَجاً عَيِيَتْ همّاً شَجْياً
فلربّمَا سَقِيَتْ سَقْياً (ولربّما فاضَ المحيا
ببحور(١) الموج من اللجج)

---

١ — « فلربتما ... ببحار الموح » نسخة .

إذ أنْعَشَ مَنْ فى مَرْقَدِهِ عن مرقد حضرة مرصدِهِ
فأداه مَعِيشَةَ أو غَدِهِ (والخلقُ جميعاً فى يده

فذو(١) سعةٍ وذو وحرجِ)

فَصَبُورُهُمْ وجَزُعُهُمْ وسُلُوكُهُمْ ورُجُوعُهُمْ
وقَنُوعُهُمْ وهَلُوعُهُمْ (ونُزُولُهُمْ وطُلُوعُهُمْ

فَعَلَى(٢) درَكٍ وعلى درَجِ)

ومَواهِبُهُمْ ونَوائبُهُمْ ومُسَاغِبُهُمْ ومُشَاغِبُهُمْ
ومَنَاصِبُهُمْ ومَصَائِبُهُمْ (ومَعَائِشُهُمْ وعَواقِبُهُمْ

ليست فى المشى على عوجِ)

من فوقِ الانسان إرتَكَمَتْ وخِيامٌ أطانِبُهَا إحْتَكَمَتْ
ألْبَابٌ قل مما ابتكمت (حِكَمٌ نسجت بيد حكمت

ثمّ أنتسجت(٣) بالمُنْتَسَجِ)

حِكَمٌ نُسِجَتْ لمّا أنتسجت فى مَنْهَجِهِ كأسُها أنْتهجتْ
فَمَتَى دخلتْ ومتى خرجتْ (فاذا اقتصدت ثم إنْعَرَجَتْ

فبمقتصد وبمنعرج)

فاضَتْ فى حِكْمتها لُجَجُ زَخَمَتْ من سالِكِها فُجَجُ
صحَتْ فى أعْجِبَتِها حجَجُ (شهدتْ بِعَجَائِبِها حجج

قامتْ بالأمرِ عَلَى الحُجَجِ)

---

١ — « فذووا سعة وذووا حرج » نسخة .
٢ — « فعالى درك وعلى درج » نسخة .
٣ — « انستجت » نسخة ، وهو خطأ .

ما أحْمَدَ عبدٌ مُبْتَهِجاً لا يَسْلُكُهَا إلا بَهِجاً
وتَلَقَّى مِنْ طَرَفٍ دَعْجاً (ورَضا بقضاءِ اللهِ حجىً
فَعَلَى مَرْكُوزَتِهِ(١) فَعَجِ)

ولِعَلْيَاهَا كُنْ مجتهداً فإحْذَرْ إعْراضاً عنه سُدىً
سُبُلٌ فمتى أتَّضَحَتْ رُشْداً (وإذا إنْفَتَحَتْ أبواب هُدَى
فأجعل(٢) لخَزَانَتِها ولج)

أحْسِن فى الفتحِ رِعَايَتَهَا وأدْخُلْ إن تشهد غايَتَهَا
وإذا أحْكَمْتَ بِدايَتَهَا (وإذا حاولتَ نِهايَتَهَا
فاحذر إذْ ذاك من العَرَجِ)

قَدِّمْ أدباً فيها أخْذاً كن سهماً منك لها نَبذاً
وأسلَكْ فيها قلباً جَبَذاً (لتكونَ من السَّبَاقِ إذا
ما جئتَ إلى تلك الفَرَجِ)

فالسابقُ ضاءت حُجَّتُهُ حيرت للأعراج عَرْجَتُهُ
فهناك النورُ ومُهْجَتُهُ (فهناكَ العيشُ وبَهْجَتُهُ
فلمبتهجٍ ولِمُنْتَهِجِ)

فالنفسُ إذا تُرِكَتْ رَقَدَتْ فمن الأعمالِ إذا كَسَدَتْ
وإذا هاجتْ لِمِنى سَعَدَتْ (فَهَجِ الأعمالَ اذا رَكَدَتْ
فاذا ما هَجَّتْ إذاً تَهَجِ)

---

١ ــ « فاعجل لخزائنها » نسخة .
٢ ــ « مركوزتها » نسخة .
٣ ــ فى الاصل « فهداك » .

عَظُمَتْ للأنفسِ حاجَتُهَا لِتُقَى تَزْدَانُ بَلاَجَتُهَا
والنـاجحُ منها هاجَتُهَـا (ومعـاصى اللهِ سَمَاجَتُهَا
تزدانُ لذى الخُلُقِ السَّمِحِ)

أوّهْ مِنْ شَيْنِ قَبَاحَتِها لا تَفْضَحُنَا بِفضـاحتِها
فاللهُ لنـا عن سـاحتِها (ولطاعتـهِ وصبـاحتِها
أنوارُ صباحٍ مُبْتَلِجِ)

من يطلبُ طورَ المجـدِ بها من يكسبُ نورَ الوُجْدِ بهـا
من يَبْغِ حُورَ(١) الخُلْدِ بهـا (من يخطبُ حُورَ الخُلدِ بها
يظفرُ(٢) بالحُـورِ وبالفَتَجِ)

فأسُلُكْ فى الشـوقِ لها طُرُقاً وتَجَلَّ بمحمـودٍ وتَقَى
وإذا ما سِرْتَ لها نَسَـقاً (فكن المرضىّ لهـا بِتُقَى
ترضاهُ غـداً(٣) وتكونُ نَجِ)

فإنشَقْ من غيدِ المِسْكِ شَذَى وتَنَـاوَلْ كَوْبَها وخُـذِى
فإنشق من رُوحٍ مُنْحَنِذِى (وأتْلُ القـرآنَ بقلبٍ ذى
حزنٍ(٤) وبصوتٍ فيه شجِى)

آياتُ اللهِ ضِيـافَتُهـا ومعـارفُهـا وظَرَافَتُهـا
وتِـلاوَتُهـا ولَطَافَتُهـا (وصـلاةُ الليلِ مسـافَتُها
فاذهبْ فيهـا بالفَهْمِ وَجِى

---

١ — فى الاصل « حبور الخلد » .
٢ — « من يخطب حور العين بها . يحظى » نسخة .
٣ — « برضاه هدى وتكون نجى » نسخة .
٤ — « حرق وبصوت » نسخة .

وتذكرها وتبيانيها وإنشط ما جئت مثانيها
وقواصيها ودوانيها (وتأملها ومعانيها
تأتي الفردوس تفتترج(١))

وتمزج بعد بجوهرها وأدخل ميدان معسكرها
وإكشف لقناع مخدرها (وإشرب تسنيم مفجرها
لا ممتزجاً وبممتزج)

وإرسخ فى الفهم لها جامداً كم تحوى للذات جدداً
فإذا ما العقل لذاك هدى (مدح العقل آيته(٢) هدى
وهوى متولٍ عنه هج

لمياه النور إفاضته وصلاة الوصل رضاضته
فطراوة ذاك غضاضته (وكتاب الله رياضته
لعقول الخلق(٣) بمندرج)

فيه للخلق نجاتهم وبه تنمو درجاتهم
والبيت فيه صفاتهم (وخيار الخلق هداتهم
وسواهم من همج الهمج)

فإحرص فى العلم تكن رجلاً وأقرن للعلم به عملاً
فمتى ما كنت فتى فعلاً (وإذا كنت المقدام فلا
تجزع فى الحرب(٤) من الرهج

---

١ — « تأتى الفردوس وتبتهج » نسخة .
٣ — « لعقول الناس وبمندرج » نسخة .
٤ — « فى الحرث من الرهج » نسخة .
٢ — فى الاصل « الأيته » .

وإذا أصبحتَ فيّ أستاداً وإذا ما كُنتَ فيّ رَشَداً
وإذا ملكتْ يدُكَ المددا (وإذا أبصرتَ منارَ هُدا
فإظهر فرداً فوقَ الشَبَجِ (١))

وإذا كَمُلَتْ نفسٌ شَهِدَتْ وإذا شَهِدَتْ مالتْ وفَدَتْ
وإذا فُدِيَتْ شاقتْ وعَدَتْ (وإذا إشْتاقَتْ نفسٌ وَجَدَتْ
ألَماً بالشوقِ المُعْتَلِجِ)

منها في الأوسطِ سانكتةٌ وعلى المركُوزةِ باركةٌ
ولعالمِ دلائلِه نُكتةٌ (وثنايا(٢) الحُسْنَى ضاحكةٌ
وتَمامُ الضحكِ على الفَلَجِ)

وإذا ما سَمْعُكَها سَمِعَتْ ولأبْحُرِ ما أُمْلِيَتْ وَعَتْ
فلأسرارِ النَجْدَيْنِ دَعَتْ (وغيابُ(٣) الأسرارِ إجْتَمَعَتْ
بأمانتِها تحتَ الشُرُجِ)

وبعيبةِ بعضِ عجائبِه ما أخفا اللهُ لطائبِه
من ذا خَرْقُ ما لاقَ بِهِ (والرِّفْقُ يَدُومُ لِصاحبه
والخَرْقُ(٤) يصيرُ إلى الهَرَجِ

فإصْرِفْ في ذا كلَّ الجُهْدِ(٥) كَيْ تَغلظ يا طِفْلَ المَهْدِ
وكما أهدى الرِّفْقُ المهدى (صلواتُ اللهِ على المَهْدِ
يِّ الهادى الناسَ(٦) إلى النَهَجِ)

---

١ — « فوق الثبج » نسخة .
٢ — « وسنايا الحسنى » نسخة .
٣ — « وعباب الأسرار » نسخة .
٤ — « والحرق » نسخة .
٥ — فى الاصل « كل الجهدى ... ياخفل المهدى » .
٦ — « الهادى الخلق الى النهج » نسخة .

عَـــدَدُ العِرْفانِ لِخَيرَتِهِ وكذا أنـــوارَ سَرِيرَتِهِ
وشُهُودُ عُلُومِ بَصِيرَتِهِ (وأبي بكرٍ فى سِيرَتِهِ
ولِسانُ مَقَالَتِهِ اللهَجِ)

مُجْلِي الظَلْمَا بإمامَتِهِ شمسُ الدنيا بِشَهَامَتِهِ
والرِفْعَـــةُ نِسْبَةُ هامَتِهِ (وأبي حَفْصٍ وكرامَتِـــهِ
فى قِصَّةِ «ساريَةَ» الخَلَجِ)

قِسْطَاسُ الحقِ عليه جَبَلْ وسَنَامُ الدينِ إليـــه وَصَلْ
فَبِعَدْلٍ منه الشركُ عُدِلْ (وأبي عمرو وذى النُورَيْن
مُسْتَحِي المُسْتَحى البَهَجِ(١))

بَحْرٌ أغَضُّ عن كلّ إذاً ويأخـــلاقِ المولى آخِـــذاً
وكمـــالُ الحِلْمِ له نبـــذا (وأبي حسنٍ فى العام إذا
وَفَّى(٢) بِسَحَائِبِهِ الخَلَجِ

يا لَيْثَ الحقِ بِغَابَتِهِ ولأحمـــدَ صِنْوُنِيابَتِـــهِ
فَتَعَلَّ عنـــدَ نَجَابَتِهِ (وصحابَتِـــهِ وقَرَابَتِـــهِ
وقُفاةُ إثْرِهِ عـــلى(٣) النَهَجِ)

فَبِجاهِهِمْ يا خالِقَ كـــلْ مهما عبدٌ بالأزمة مـــلْ
فَبِفَضْلِكَ بينَ الكُرْبَةِ حَلْ (وإذا بكَ ضاقَ الذرعُ(٤) فَقُلْ
إشْتَدّى أزمةٌ تَنفَرِجِ)

---

١ — «المستهد المستحى البهج» نسخة .
٢ — «وافى بسحائبه» نسخة .
٣ — «وقفات الأثر بلا عوج» نسخة . وفى الاصل «وفقات اثره» .
٤ — «واذا ضاق الامر فقل» نسخة .

يا ربِّ عَبيدُكَ ذا « النورى » يرجوكَ بِمَكَّةَ والطُورِى
إذ تَنْفِخُهُ(١) نَفْخَ الصُورى (لِيَرَى تَفْرِيجَ المُرُرِى
وزَوالِ الأَزْمَةِ بالفَرَجِ)

---

١ — فى الأصل « ادتنفخه » .

تخميس قصيدة الشيخ عبد الغنى النابلسى الشامى(١)

كان لله وحده الإقتدارُ فبه الكلُّ حيثما شاءَ سارُوا
لا تَعجَّبْ مما حَواهُ الجِوارُ (رُبَّ شخصٍ تقودُهُ الأقدارُ
للمعالى وما بذاك إختيارُ)

مَنَحَتْهُ الأقدارُ إذ منحتْهُ بالتصاريفِ بعدما وَهَنَتْهُ
يا لِعبدٍ فى جهلهِ دَفَنَتْهُ (غافلٌ والسعادةُ إحتَضَنَتْهُ
وهو منها مُسْتَوْحِشٌ نَفَّارُ)

مَيِّتٌ حَيَّ أحْيَتْهُ فى الحيّ شوقاً عبد غىٍّ لم يَشْتَق العتقُ رقاً
فهو إذ كان لِلْهَوَى مَسْتَرِقاً (يتعاطى القبيحَ عمداً فَيَلْقا
هُ جميلاً وفَلْسَهُ دينارُ

فهو طفلٌ فى حُضنِهَا أرْضَعَتْهُ فى يدِ الضِّرِّ بالبَيَانِ سَقَتْهُ
فهو يَرْجُو اللهَ لمّا حَمَتْهُ (كلّما قارفَ الذنوبَ أتَتْهُ
توبةٌ طَهَّرَتْهُ وإستِغْفَارُ)

لطفُ مولاهُ فى الجميلِ تولّى فمازال عِزُّهُ جَبَّ ذُلاّ
ذا سُعُودٌ ونَجْمُهُ قد تَهَلاّ (وعليه إن ذَلّ عينٌ من اللـ
ـهِ تَقِيهِ ويَسْتُرُ السَّتَّارُ)

---

١ — هو الشيخ عبد الغنى بن اسماعيل بن عبد الغنى النابلسى : شاعر وعالم بالدين والادب ، مكثر من التضيف ، متصوف ولد فى دمشق سنه ١٠٥٠ هـ ونشأ بها ، ورحل الى بغداد ، وعاد الى سورية ، فتنقل فى فلسطين ولبنان وسافر الى مصر والحجاز ، واستقر فى دمشق وتوفى بها سنة ١١٤٣ هـ وله مصنفات كثيرة .

اعلام الزركلى ١٥٨/٤ ، وايضاح المكنون ٢٨٢/١ .

ساقَهُ اللهُ للمحابيب سوقاً حيث أدْناهُ للمعاريج حقّاً
طهّرَ اللهُ قلبَـهُ إذ تنقى (فهو باللهِ دائمـاً يتَرقّ
لا بِهِ حيثُ تشْرُقُ الأنوارُ)

ذا تفَطّنْ وأنظر لعبدٍ تفتّى في المعالى وجادَ في الرُشْدِ سَمْتاً
ليسَ يألُو جُهْدَا بمـا يتأتى (وفّى كابَدَ العبادةَ حتّى
منه قد مَلّ ليلُهُ والنّهارُ)

يملكُ الوقتَ يخدِمُ الحقَّ وُدّاً عَمَّ كلَّ الاوقاتِ نوراً ووِرْداً
ذاوإن كان يُرْدِفُ الورعَ زُهْداً (يتَسامى بالذكرِ والفِكْرِ قصداً
وهـو ناء وشطَّ عنه المزارُ)

مالَهُ ملجأ النجاةِ مقَرّاً حَظُّهُ البَيْنُ بَرْدُهُ كان حَرّاً
كلّما رامَ أنْ يُدانى توارى(١) (يفْعَلُ الخيرَ ثم يلقاهُ شرّاً
وإذا رامَ جنّةً فهى نارُ)

قِسْمَةُ اللهِ بيننا يَصْطَفيهَا والدنانيرُ حكّها صَيْرَفيهَا
فهى سَهْمٌ لمّا أتتْ مُهْدِفيهَا (حِكْمةٌ حارتْ البريّةُ فيهـا
وحقيقٌ بأنّها تَحْتارُ)

إذ حَجَى الأذكياءِ في تلك ضَلّتْ خَلْفَ أستارها ذكاها تَخَلّتْ
حِكمةُ الأنصبَا لنا ما تَجَلّتْ (وعَطَايَا من المُهَيمِنِ دلّتْ
إنّه اللهُ فاعلٌ مُختَارُ)

يا إلهى « النورى » و « عبد الغنىّ » مشرق الشام ذى مقـام سنّى
رحمةً عطفةً بلُطفٍ خفىّ (وإجبُرْ الكسرَ من فتىً قادرىّ
في جميعِ الأحوالِ يا قهّارُ)

---

١ — وفى الأوصل « كلما دام ان يدانى تورى » .

تخميس للشيخ نور الدين البرفكي في هامش تخميس حسن أفندى البزاز على أبيات المناجات للامام الشافعي .

إن ضَامَنِـــى دَهْرِي لِبَا بِكَ أَقْرَعُ(١)
وألوذُ بعفوك والرجا منك أطْمَعُ
وأنادي مِنْ حُزْنِـــي بعينٍ تَدْمَعُ
(يـــا مَنْ يرى ما في الضَمِيرِ ويَسْمَعُ
أنـــتَ المعدُّ لـــكلّ مـــا يُتَوَقَّـــعُ)

قـــد أثْقَلَتْ ظهري الذُنُوب بِحِمْلِها
مالي قوى أسعى لشدّةِ ثِقْلِها
كمْ صِحتُ من لَهَفي عليكَ لَحِلِّهَا
(يـــا مَنْ يُرَجَّى للشدائدِ كُلِّهِـــا
يـــا مَنْ إليهِ المُشْتَكَى والمَفْزَعُ)

مستنجداً بك يا إلَهـــي أنْ تَـــكُنْ
عَوْنِي فَمَنْ يُجبُر لكسري ولم يَصُنْ
إنّي رجوتـــك يا إلهـــي أن تَمُـــنْ
(يا مَنْ خزائنُ رِزْقِهِ في قولِ كُنْ
أمْنُنْ فـــإنّ الخيرَ عندكَ أجْمَـــعُ)

إنّي دعوتُك والدعاءُ فريضةٌ
ولك الإجابةُ في الميعادِ ذَخِيرَةٌ
فأنا المسيءُ وقد وقَعْتُ بِحِيرَةٍ

---

١ – في الأصل « لبابك أفزع »
٢ – في الأصل (ألذ بعفوك)

(مـــا لى سوَى فَقْرِى إليك وسيلةٌ
وبالإفتقـــارِ إليـــك فَقْرى أدْفَـــعُ)
وبمن ألوذُ ومَنْ يكنْ لى عُدَّةٌ
إن ساءَ حالى أووقعتُ بِشِدَّةِ
فلقد وَهى جلدى ورُوحى عَلِيلَةٌ
(مـــالى سوى قَرْعِى لبَابِكَ حِيلَةٌ
ولـــئن طُرِدْتُ فـــأىّ بـــابٍ أقْرَعُ)
يا من تَفَرَّدَ فى الوُجُودِ بِعِلْمِهِ
وأعمّ فى تلك البريَّة [ب] حِلْمِهِ
فَقَدَ إنْسَلى كَبَدى وعَمَّ بُسقْمِهِ
(ومن الذى أدْعُو وأهْتِفُ بـــا سمِهِ
إن كان فَضْلُكَ عن فَقِيرِكَ يُمْنَـــعُ)
أنت الغَفُورُ لكلِّ عبدٍ جانياً(١)
ندماً على ذلاّته مُتَنَبِّا كِيباً
تَعْفُو وتصفَحُ عن ذُنُوبٍ ما ضَيِاً
(حاشـــا لمجـــد أنْ تَقَنْـــطَ عاصياً
الفضلُ أجْزَلُ والمواهـــبُ أوْســـعُ)
فأنا المسيءُ وأنت فَى عَالِماً (٢)
وعلى ذُنُوبِي قد غَدَوْتُ نادِماً
ولقد رَجَوْتُكَ أنْ تكُنْ لى راحِماً
(بالـــذُلّ قـــد وافيتُ بابَـــكَ عالماً
إن التَذَلُّلَ عنـــدَ بابِكَ يَنْفَـــعُ)

---

١ – فى الأصل (خائبا)

٢ – الظاهر « وأنت فى عالم » لكن ربما نصب عالما لضرورة الشعر .

إرحمْ عبيداً قد أتى مُتَوَسِّلاً
يبكي بِدَمْعٍ كالسحابِ المُرْسِلا
فلن تَصُدَّهُ وزدْهُ فيك تَوَسُّلاً(١)
(وجعلتُ مُعْتَمدي عليكَ تَوَكُّلاً
وبسطْتُ كفّي سائلاً أتضرَّعُ)
بجاهِ مَنْ بِسَفِينَةٍ أنْجَيْتَهُ
وبجاهِ مَنْ للنّارِ قد بَرَّدْتَهُ
وبِفَضْلِ مَنْ للطورِ قَدْ كَلَّمْتَهُ
(وبحقّ مَنْ أحْبَبْتَهُ وبَعَثْتَهُ
وأجبْتَ دعوةَ مَنْ بِهِ نَتَشَفَّعُ)
فألطفْ بحالي ليسَ لي مُلْتَجَأ
إلاّ إليكَ وأنت يانِعْمَ الرجا
قد عمّنا أمراً(٢) عظيماً مُزْعِجاً
(واجعلْ لنا مِنْ كلِّ ضيقٍ مَخْرَجاً
واْلْطُفْ بنا يا مَنْ إليه المَرْجِعُ)
وأرض عن الصدِّيقِ الكبيرِ وبَعْدَهُ
وأرض عن الفارُوقِ ثمّ لصِهْرِهِ
وكذا على المرتضى ونَسْلِهِ (٣)
ثمّ الصلاة على النبيِّ وآلِهِ
خيرِ الخلائقِ شافعٍ ومُشَفَّعِ

---

١ – في الأصل (فلو تصده وزدة)

٢ – الظاهر أن يكون لفظ «أمر» ، فاعل « عمنا » وعلى هذا لابد أن يكون مرفوعا ، لكن لو رفعناه لاختل قافية التخميسة ، فنصب الفاعل لضرورة الشعر

٣ – ربما لهذه القصيدة بقية ، لأن الشيخ يذكر اسمه أو لقبه في آخر كل قصيدة تقريبا ، وهنا لم نجد اسمه .

فهـرس الكتـاب

الموضـــــــوع	الصفحة
مقدمـــــة	٣
أحوال المنطقة السياسية	٧
الحالة العلمية	١٠
نسب الشيخ نور الدين	١١
صورة الاجازة التى أخذها الشيخ نور الدين من الشيخ محمـود الموصلى سنة ١٢٣٢ هـ بخط الشيخ محمود .	١٧
مولد الشيخ نور الدين ووفاته	٢٥
موجز عن حياة العلامة الملايحيى المزورى فى الهامش	٢٧
شيوخ الشيخ نور الدين	٢٨
سبب طرد عبد الوهاب السوسى من الطريقة فى الهامش	٢٨
مولانا خالد فى الهامش	٣٢
مسكن الشيخ نور الدين	٣٣
أولاده	٣٣
علمـــه	٣٤
سخاؤه وكرمه	٣٥
تواضعه	٣٨
زهده وقناعته	٣٩
شيوخه وآدابه ومربدوه	٤١

الموضـــــــوع	الصفحة
بداية ارشاده	٤٤
أشهر خلفائه	٤٥
تدرجه فى السلوك	٤٨
رايه حول افضلية الطرق الصوفية	٥٢
موجز عن حياة الشيخ ابى بكر الهرشمى فى الهامش	٥٤
موجز عن حياة الشيخ محمد امين الاربيلى فى الهمش	٥٥
رايه فى شروط أهلية الشيخ الذى يجوز أن يؤخذ منه الطريق	٥٦
الشيخ مع الحكام .	٥٨
الشيخ مع الفقراء	٥٩
تعليق حول سبب اخماد ثورة المير محمد الرواندوزى فى الهامش	٦١
أسفار الشيخ نور الدين	٦٢
آثار الشيخ نور الدين	٦٣
مدح الناس له والاشادة بفضله	٦٥
رسائل الشيخ نور الدين	٦٧
الرسالة الاولى الى الملا حامد الدوسكى	٦٨
الرسالة الثانية الى بعض أبناء عمومته	٧٠
الرسالة الثالثة الى بعض المريدين حول الذكر المسمى بالنهجة	٧٠
الرسالة الرابعة رسالة آداب السلوك	٧٢
موجز حياة الشيخ محمد على الاتروشى فى الهامش	٧٧

الموضـــــــوع	الصفحه
الرسالة الخامسة لابن عمه	
الرسالة السادسة الى الملاعيسى الدوسكى	٨١
الرسالة السابعة الى الملا عبد الرحمن	٨١
الرسالة الثامنة الى ابى بكر آغا	٨٢
الرسالة التاسعة الى الشيخ اسلام الشوشى	٨٤
الرسالة العاشرة الى الشيخ اسماعيل	٨٥
الرسالة الحادية عشرة الى بعض المريدين	٨٩
الرسالة الثانية عشرة	٩١
الرسالة الثالثة عشره الى الشيخ اسلام الشوشى	٩٣
الرسالة الرابعة عشرة الى الشيخ اسلام الشوشى أيضا	٩٤
موجز عن حياة الشيخ محمود الموصلى أستاذ الشيخ نور الدين ؛ فى الهامش .	٩٥
الرسالة الخامسة عشرة الى الشيخ اسلام الشوشى	٩٧
الرسالة السادسة عشرة اليه أيضا	٩٩
الرسالة السابعة عشرة الى الشيخ حسن الحبار	١٠١
الرسالة الثامنة عشرة الى بعض المريدين	١٠٢
الرسالة التاسعة عرة الى خليفته السيد أحمد	١٠٣
الرسالة العشرون اليه أيضا	١٠٤
تلخيص الحـــكم	١٠٩
موجز عن حياة ابن عطاء الله الاسكندرانى	١١٤

الموضـــــــوع	الصفحة
الباب الاول : من علامة الاعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزلل	١١٩
موجز عن حياة الشيخ ابى العباس المرسى ، فى الهمش	١٤٢
الباب الثانى : ما ترك من جهـله شـيئا فتى أراد احداثا لمـا ما نبت	١٥٠
الباب الثالث : تشوف السالك للباطن فى عيوبه أصوب من تشوف	١٦٨
الباب الرابع : لا تتعـدين همـة الى غير الكريم والجواد حيث لا	١٧٥
الباب الخامس : من لم تجده ناهضا لك حاله لله ما ان دلك مقـاله	١٨٠
الباب السادس : لكل قلب ميت علامة ذنب عظيم ما له ندامه	١٨٧
الباب السابع : ما بسقت اغصان ذل الا على بذور طمع تولى	
موجز عن حياة ابى على الدقاق ، وسفيان الثورى ، وابى بكر الواسطى ، وابى الحسين النورى ، فى الهامش .	٢٠٢
الباب الثامن : الوارد تنزل العرفان على القلوب وهوى الرحمانى	٢٠٧
الباب التاسع : وافن بمولاك فى الطاعات منكسرا له على الفاقات	٢١٢

الموضـــــــوع	الصفحة
الباب العاشر : فحينما أعرضت عنهم فاعلم توجه الاكرام من ذا المنعم	٢٢٢
الباب الحادى عشر : الا يخفف البلاء والالم عنك شهود من هو المبلى الم	٢٣٦
الباب الثانى عشر : والورد ذا اقامة الطاعات بحق ربه لدى الاوقات	٢٤٤
الباب الثالث عشر : خذ بربوبيته تعلقا وفى عبوديتنا تحققا	٢٥٦
الباب الرابع عشر : كان جميل ستره لولاه ما كنت عاملا لما يرضاه	٢٦٤
الباب الخامس عشر : تمدحك الناس لما تظنه من عمل مزخرف نكنه	٢٧٤
الباب السادس عشر : وكيف يتأسى فى الذنوب عن استقامة على المحبوب	٢٧٨
الباب السابع عشر : سبحان من لم يجعل الدليل على العباد الاولياء وصولا	٢٨٤
موجز عن حياة الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى الهامش	٢٨٥
الباب الثامن عشر : لا بك للعطاء منك طلب منه والا ما لديك أدب	٢٩٢

الموضـــــــوع	الصفحة
الباب التاسع عشر : فأدب العباد ربما دلهم على دعاء مطلب لهم وهم	٢٩٦
الباب العشرون : وربما خصصت بالكرامة من حيث لم تكمل لك استقامة	٣٠١
الباب الحادى والعشرون : وانظر متى يلتبس الامران فى الباب و تعارض الوجهان	٣٠٧
موجز عن حياة فضيل بن عياض ، وابراهيم بن ادهم	٣١٠
موجز عن حياة عبد الله بن مبارك ، وبشر الحافى فى الهامش	٣١١
موجز عن حياة ذى النون المصرى ، وعتبة بن ابان فى الهامش	٣١٢
الباب الثانى والعشرون : ان من الانوار مأذونا له يدخل قلب العبد اذ أوصله	٣١٧
الباب الثالث والعشرون : وصولنا لله علمنا به بالقلب عرفانا لفتح بابه	٣٢٢
الباب الرابع والعشرون : ولا ترى مع الحبيب وحشة ولا مع غير الحبيب راحة	٣٢٩
الباب الخامس والعشرون : من هو مثبت له تواضعا فانه مستكبر ترفعا	٣٣٨
موجز عن حياة الشيخ أبى بكر الشبلى فى الهامش	٣٣٨
موجز عن حياة أبى يزيد البسطامى فى الهامش	٣٣٩

موجز عن حياة الشيخ ابراهيم الخواص فى الهامش	٣٤٨
موجز عن حياة الشيخ أحمد بن أبى الحوارى فى الهامش	٣٥٦
نظم مكتوبات ابن عطاء الله	٣٥٩
المكتوب الاول	٣٥٩
المكتوب الثانى	٣٦١
المكتوب الثالث	٣٦٥
نظم مناجاة صاحب الحكم	٣٦٦
المناجاة الاولى	٣٦٦
المناجاة الثانية	٣٧٠
خاتمـــــة	٣٧٥
موجز حياة الشيخ أحمد زروق فى الهامش	٣٧٥
تتمة الخاتمة	٣٧٦
خاتمة التتمة	٣٧٧
موجز عن حياة الشيخ أبى عبد الله الرندى ، فى الهامش	٣٧٧
تعريف بابن عطاء الله نظما	٣٨١
مناجاة الشيخ نور الدين بعد تمام النظم	٣٨١
مختارات من أشعار الشيخ نور الدين باللغة العربية	٣٨٧
القصائد المعشرات	٣٨٨
القصيدة الرائية فى مدح الشيخ عبد القادر الكيلانى	٤٢١
تخميس القصيدة المنفرجة	٤٣٧
تخميس قصيدة للشيخ عبد الغنى النابلسى	٤٤٥
تخميس قصيدة للامام الشافعى	٤٤٧

الخطـأ والصـواب

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٣	١٥	ميزانا	ميزان
٧	٨	المزور	المزورى
٨	٢٠	كانت	كان
٩	٣	مريد	مريدا
١٢	١١	شيخ محمود	الشيخ محمود
١٣	٨	السطر ٨ زائد	
١٤	٧	المسـلم	مسلم
١٦	١٢	يسوع	يسرع
٢٦	٢٤	يصادق	يصادف
٣٠	٢٧	يديه	يداه
٣٣	١٣و١٦و١٧	خاتم، التلاثة، الاربعة	خانم، الثلاث، الاربع
٣٤	٧	ببروز	بيروز
٣٦	٣	الخميس والاثنين	الاثنين والخميس
٣٦	١٣	كما انه	كما كان
٣٤	١١	الرياضيات	الرباضات
٣٥	٢	فنونى الكبرى	فتوتى الكبرى
٣٧	٩	واو زائدة	
٣٨	١و٣و٥	جده ، بيقى ، لفيقات	جوده ، ببقى ، لقيمات
٣٨	٧	متواضعا	وضيعا
٤٠	٨	نورليل	نور له ليل
٤٠	١٥	فنهرها	فنهرتها
٤٢	٢٢	منتشرون	منتشرين
٤٢	٢٣	اهل أهوال	اهل احوال
٤٣	١٣	أخلاف	اخلاق
٤٥	٨	لم يأتى	لم يات
٤٧	٢٦	ووختنته	وختنه
٤٨	٢٠	مريدون	مريدين
٤٩	٢٢	بحذف السطر ٢٢	
٥٣	٥	لان الشيخ الطريقه	لان شيخ الطريقة

الصفحة	السطر	الخطـــأ	الصـــواب
٥٤	١٠	الهرشى	النهرشمى
٥٤	٢٣	ربوع	ربوع
٥٦	٦	الرياضيات	الرياضات
٥٧	١٣	يعلنه	يعلمه
٦٠	٢٤	عرضى	عرض
٦٤	٢٩	رسالته	رسائله
٦٥	٢٢	جادينا	حادينا
٦٦	٤	الدنيا	الدينا
٦٨	٢٥	فامشى	فامش
٧١	٢٨	صنوا	صونوا
٨١	١٢	فتأسى	فتأس
٨١	٢٤	وجت	وجدت
٨٤	١٧	علماء الاعلام	العلماء الاعلام
٨٧	١٦	فسه	نفسه
٨٨	٢و٩	مرضات ، وارضى	مرضاة ، وارض
٩٢	١٥	الميزات	الميزان
٩٣	٢٢	الابشار	الايثار
٩٥	١٠	رود	ورد
١٠٤	٢٢	احداها	احداهما
١٠٧	٢٤	لتشابه	متشابه
١١٤	٢٠	العترضين	المعترضين
١١٥	١	اسلام	الاسلام

وهناك أخطاء أخر لم يسعفنا الوقت فى تصحيحها نرجوا تصحيحها ولكم الشكر على ذلك ..

الباب السادس . سقط هذا العنوان فى صفحة ١٨٧ ..

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم الايداع ٣٩١٩ لسنة ١٩٨٣
مطابع سجل العرب